



الإمام الخميني ثورة العشق الإلهي

تأليف: آية الله عبد الله الجوادى الآملى

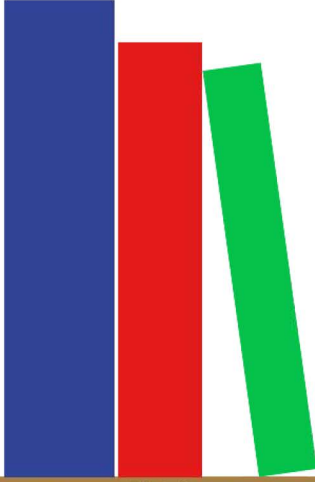
مع ملحق خاص بوصية الامام الراحل

ترجمة: كمال السيّد

مَرْسَلَةُ أُمَّ الْقُرَى لِلْمُحِبِّينَ وَالنَّاسِ

مكتبة الفقيه

مكتبة الرضا



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
(الإمام الصادق ع)

moamenquraish.blogspot.com

الامام الخميني (عليه السلام)

ثورة العشق الالهي

آية الله عبد الله الجوادى الآملى

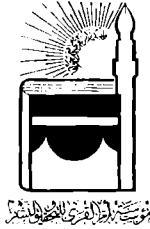
ترجمة : كمال السيد

مع ملحق خاص بوصية الامام الراحل

مكتبة الفقيه

مكتبة الرضا

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر



حماة حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤسسة

مؤسسة أم القرى للتحرير والنشر

اسم الكتاب: الإمام الخميني ثورة العشق الإلهي

تأليف: آية الله الشيخ عبدالله الجوادى الأملى

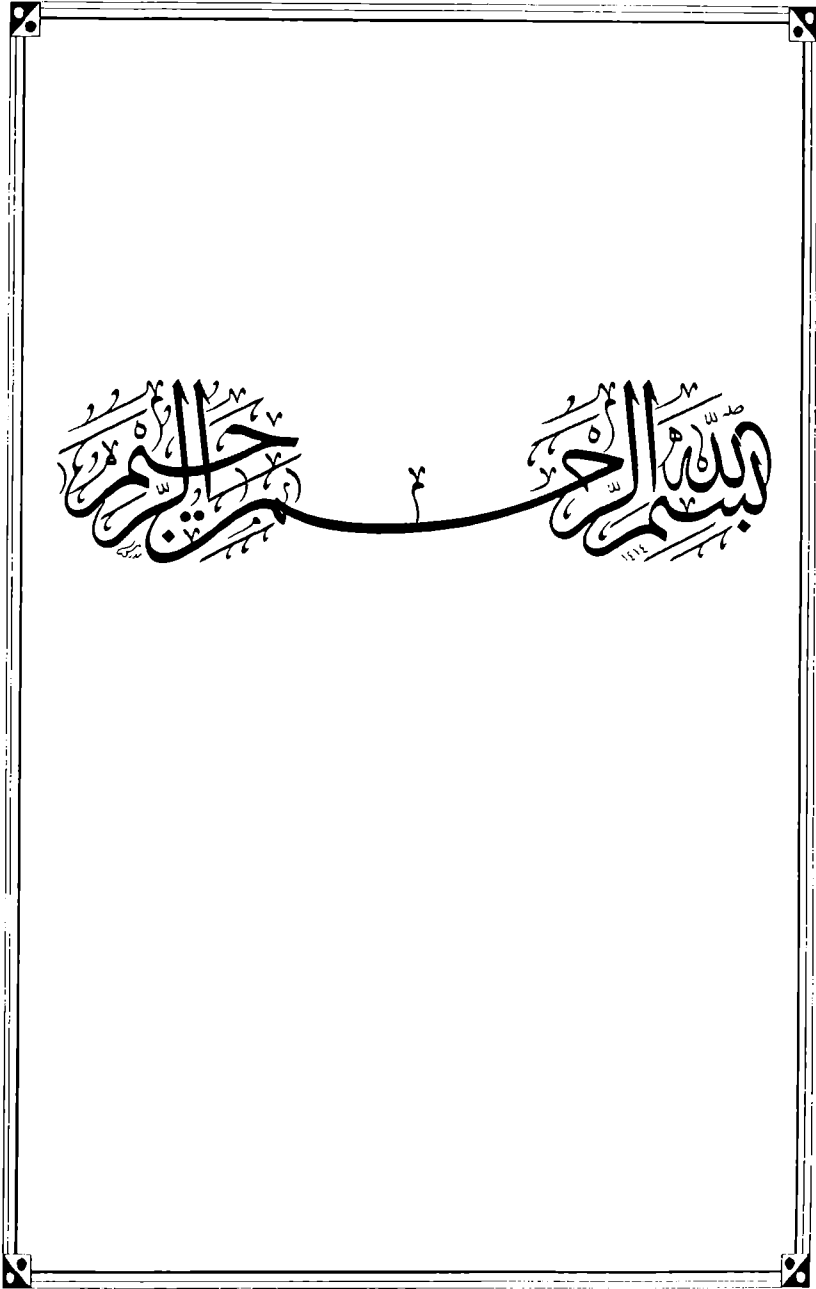
ترجمة: كمال السيد

الناشر: مؤسسة أم القرى - لبنان

مكتبة الرضا - البحرين

الطبعة الأولى: شوال/١٤٢٢هـ.

info@Omalqora.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المترجم

الخميني ظاهرة هزت كل شيء.. التاريخ والوجدان والخميني.. دخل فجأة ليصوغ العالم من جديد، ويعيد تركيب المفاهيم في كل مجالات الحياة..

ولهذا كان مدوياً في ظهوره، وكان مدوياً في غيابه.. فهو الغائب الحاضر، والشاهد الشهيد والانسان الالهي... الانسان الذي صاغه الاسلام وقدمه الى العالم.

ففي زمن يلفه الضباب.. في زمن يعربد فيه الشيطان.. وفي زمن تولول فيه رياح الزمهير وهي تجوس المدن الخائفة.. وبدا الانسان مستسلماً.. إذا بالأرض تهتز وتربو وتنجب «روح الله».. وإذا بالعالم يرنو الى وجه مشرق، يحمل شارات الانبياء.. فجاءنا سيفاً قرأناً صهيلاً مخزوناً من كربلاء.. من يوم عاشوراء..

وعندما أشرق بدأ عصر الزوابع.. لأن الخميني بدا وكأنه قادم من أعماق التاريخ..

تاريخ الرسالات الالهية..

كان بشارة هذا العصر..

أجل بدأ زمن الزوابع، والغيوم المخزونة بآلاف البروق والرعود.. كأنه الحسين قادم من أرض كربلاء... جواداً ينبعث من أعماق رمال الصحراء..

في صورته أنغام الزبور.. تراتيل التوراة.. بشارة الانجيل وآيات القرآن الكريم..

فأية روح ينطوي عليها روح الله الخميني؟! وأي قلب يضم صدره؟! وما الذي يحمله من سلاح لكي يهزم نظاماً مدججاً بكل أسلحة الدمار؟ بل كيف تأتي له أن يهزم الشيطان الأكبر؟ هل كان يحمل عصا موسى؟ أم فأس ابراهيم؟ أم روح الحسين؟ أجل أية روح هي روحك الكبيرة؟ حتى يرفض قبرك صمت المقابر.. وحتى يدوي صمتك الآن بلغة مدهشة

هي أبلغ من كل ابجديات الدنيا.
 لأنك التحقت بالحسين.. والذين التحقوا بالحسين لن يموتوا.. لأنك اكتشفت
 نبع الخلود؟
 ليعذرني القارئ على هذه السطور الملتهبة لأنني لا أستطيع أن اتحدث عن
 الخميني..

ولأنه لا يمكن سبر المخزون الروحي للامام الراحل.. لأننا بطبيعة الحال لا نملك
 الأدوات التي تعيننا في الكشف عن هذا المضمون العميق الغور والذي يرتبط
 بالسموات البعيدة.

فالرجل وبلا جدل كان الهياً.. وكان انساناً موقفاً في اكتشاف الطريق الى السماء
 بحيث تستحيل حركاته وسكناته الى نظام دقيق يشبه نظام الكواكب والنجوم.
 واذا ما أردنا أن نفهم هذا الانسان يتعين علينا أن نكتشف خطوة الحسين التي
 هي ذروة الفناء الكامل من أجل الانسانية... لقد كانت الخطوة الحسينية آخر الخطى
 في طريق الحب الالهي..

أجل يتعين علينا أن نفهم كلمات الحسين في تلك البقعة من دنيا الله وهو يهتف:

تركت الخلق طراً في هواكا

وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعني بالحب إربا

لما مال الفؤاد الى سواكا

ولذا يتعين على المرء اذا ما أراد اكتشاف الامام الخميني، أن يسبر أغوار النفس
 الانسانية ليس في ضوء معطيات علم النفس الحديث فقط.. وانما توظيف الأطر
 الاسلامية بل واستخدامها في أية دراسة جادة يمكن ان تكون لها نتائج تتجاوز بل
 وتحطم السقف الحضاري الذي وضعته الثقافة المادية والنمط الغربي في التفكير.
 وفي مثل هكذا دراسة يتوجب أن نتوغل في ميدانين هاميين هما «التصوّف»

و«العرفان» بالرغم من التداخل الشديد بينهما.. ثم بسبب التناقض الحاد في النتائج أعني في المواقف النهائية ازاء مسألة الوجود والحياة ودور الانسان. ومع هذا فان الدراسة يجب ألا تغفل مفردات مثل الحب الالهي والتجارب الروحية لأنمة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يخص الظاهرة الصوفية يمكننا ان نتصور هذا المشهد مثلاً:
«واقفاً كان على شاطئ دجلة الأمواج تتدافع بين يديه.. ذاهلاً عن منظر النخيل الباسق وهو ينهض على امتداد جبهة النهر، وقد بدت ذرى المآذن وقباب المساجد من خلال سعف النخيل.. أسماه وشعره المسترسل مع الريح يصرخ بصوفيته.. درويش عابر سبيل..»

ويقرب أحدهم منه ويدور هذا الحوار:

- أتريد أن أوصلك الى الضفة الأخرى؟

- لا

- أتريد أن تفرق؟

- لا

- ما تريد إذن؟!

تمتم الدرويش بذهول:

- أريد الذي يريد!

وهذا مشهد معبر له دلالات تحكي انسحاق ارادة الانسان في مساره وتجربته الحياتية.

اننا اذا ما أردنا أن نفهم الظاهرة الصوفية، وتعرف على البواعث في الجتوح الى التصوف، فلا يمكننا الغاء ومصادرة لذائد الصوفية أو الاستهانة بها.. بالرغم من كل سلبيات الانسحاب من مهمة إعمار الأرض.

كما لا يمكننا أيضاً حذف الاسباب التي قد تدفع بالبعض الى الجنوح الى عالم التصوف.. «هذا العالم الذي يعج بالتصوّرات والأوهام وقدر من الحقائق.. وما تفرزه النفس البشرية بكل امتداداتها المترامية وعمقها السحيق..»

وهناك نقطة حياتية في دراسة هذه الظاهرة الروحية والنفسية وهي عدم الاقتصار على تجربة معينة أو مقطع زمني محدد، دون التوسع في الالمام بالتجارب المتنوعة في هذا العالم الغامض والامتداد مع التاريخ الحضاري للاسلام والتوقف في هذه الصومعة أو الدخول في ذلك «الخانقاه».

على أن دراسة ظاهرة التصوف ستقودنا الى دراسة ظاهرة أخرى تلك هي ظاهرة العرفان، التي قد نجد كثيراً من أوجه الشبه بينهما مع انفصالهما في محاور جوهرية خاصة في البعدين الفردي والاجتماعي.

وفي دراسة مثل هذه الظاهرة المعقدة.. يجد المرء نفسه غائصاً في عالم النفس الانسانية يحاول أن يتعرف طبيعة مكوناتها والقوى التي تتجاذب فيها قيادة الانسان لتسيطر على مساره وتجربته في الحياة.

فهناك مساحات شاسعة تزخر بالأوهام والخيال الوثاب، وهناك ميدان تموج فيه الغرائز والميول البشرية.. وهناك الى جانب كل ذلك آفاق ممتدة تتألق فيها الحقائق التي أودعها الله سبحانه لتكون مصابيح تضيء الطريق أمام عباده.

ولعل هذا ما ترمز اليه آيات القرآن الكريم وهي تتحدث عن:

«النفس اللوامة».

«النفس الأمارة بالسوء».

و«النفس المطمئنة».

ومن هنا فان أية دراسة في هذا المضمار يمكنها أن تستوفي شروط البحث الموضوعي، ينبغي أن تتحرك في اطار نفسي يتألف من ستة أبعاد لها دورها في رسم الحياة الانسانية فهناك:

- الفطرة: التي هي مستودع السرّ الالهي في حياة بني آدم بما يجسد بشريتهم
وانسانيتهم.

- العقل: الذي يمثل دائرة التمييز والتأمل بما يمتلكه من مسلمات المنطقية.

ثم تأتي:

- الارادة: التي تجسد حرية الانسان واستقلاله.

- الضمير الانساني: الذي يمثل القانون الاخلاقي في أعماق البشر.

كما يأتي:

- القلب: كمركز للعاطفة الانسانية والجزء النابض الذي يتلقى الاشراق والوعي^(١).

وأما البعد السادس والهام فهو:

- مجموع الأهواء النفسية حيث تستخدم الغرائز البشرية الظائمة دوماً والتي تنشده

الاشباع^(٢).

ومن هنا فان الشخصية الانسانية انما هي حصيلة التجارب البشرية الحياتية، وما يسفر عن الصراع المستمر والدائم في الاعماق، ونتائج الحرب الداخلية، ودور المؤثرات البيئية بكل أبعادها السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى الجغرافية في حسم الصراع لصالح اتجاه ما داخل النفس الانسانية.

وعندما نتحدث عن الأهواء النفسية يجب ألاّ نتداعى في أذهاننا الصور السلبية عنها. ذلك أن الأهواء انما تمثل جزءاً من الطبيعة والطاقة الانسانية الخاضعة للتوجيه والترشيد سلباً وإيجاباً، ويمكن أن نسوق من عالم الفيزياء معادلة الطاقة الذرية مثلاً فهي تبين مقدار الطاقة الكامنة في الكتلة بعيداً عن طريقة استخدامها في مفاعل نووي

(١) ولعل هذا ما ترمز اليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو

على نور من ربه﴾. وقول النبي ﷺ في تفسيرها: «ان النور اذا وقع في القلب انفسح له

وانشرح» البحار: ١٢٢/٧٣.

(٢) محمد مهدي الآصفي - الهوى/١٦.

لانتاج الكهرباء أو لصنع قنبلة ذرية لا تبقى ولا تذر!
فالأهواء النفسية البشرية طاقت خاضعة للاستخدام السلبي والايجابي انطلاقاً
من معادلة اخلاقية معينة.

ومن هنا ينبغي أن ندرك ان الأهواء يجب أن تبقى ضمن اطارها كطاقة محرّكة
ومنعها من تسلّم زمام القيادة في الحياة الانسانية فرداً وجماعة.. لأن ذلك يعني هزيمة
الارادة ومركز القرار واقضاء العقل أو تحجيم دوره واعراضه عن القانون الاخلاقي،
الذي يمثله الضمير والوجدان الانساني.

فالأهواء التي يستنكرها القرآن الكريم بشدّة ويهاجمها هي الأهواء التي احتلت
موقع القيادة في حياة البشر كما نرى ذلك واضحاً في قوله تعالى:

﴿أفأريت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه...﴾^(١).

﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم﴾^(٢).

﴿فلا تتبعوا الهوى﴾^(٣).

﴿ولا تتبع أهواءهم﴾^(٤).

ولعل هذه الأهواء المتسلّلة الى مركز القيادة والتي اغتصبت دور العقل هي التي
بواجهها ردّ الفعل في الجنوح الى التصوف.. فالتصوف يحارب الأهواء ليقضي عليها لا
ليطردّها من مركز القيادة فقط، ويتركها تمارس دورها كطاقة محرّكة.

وفي هذه المنطقة نجد التّارجح في فهم «الزهد».. فهناك اعتماد عن الحياة وجنوح
الى الانزواء.. وهناك في الطرف المقابل امتلاك للحياة وتحرر من العبودية للمادة
والدنيا، وفي هذه المنطقة ينبغي أن نبحث عن الامام الخميني.

(١) الجاثية: الآية ٣.

(٢) القصص: الآية ٥٠.

(٣) النساء: الآية ١٣٥.

(٤) المائدة: الآية ٤٩.

يقول الامام الشهيد محمد باقر الصدر: «المسلمون الذين يمارسون إعمار الأرض بوصفها جزءاً من السماء يتطلعون اليها ويسهمون في تنمية الثروة باعتبارهم خلفاء عليها أبعد ما يكونون عن الزهد السلبي الذي يقعد الانسان عن دوره في الخلافة، وأقرب ما يكونون الى الزهد الايجابي الذي يجعل منهم مادة للعالم لا عبداً، ويحضهم ضد التحول الى طواغيت لاستغلال الآخرين»^(١).

أجل يجب أن نفتش عنه في محراب جامع الكوفة.. ومنتصت الى مناجاة علي بن أبي طالب فيه أو بين باسقات التخيل في قلب الليل:

«مولاي يا مولاي أنت المولى، وأنا العبد وهل يرحم العبد الآ المولى؟! مولاي يا مولاي أنت الدائم وأنا الزائل وهل يرحم الزائل الآ الدائم؟ مولاي يا مولاي أنت الدليل وأنا المتحير وهل يرحم المتحير الآ الدليل!؟».

وهذه كلمات منقوعة بالحب الالهي لانسان عاش في قلب الأحداث حمل السلاح وهو في العشرين ورافق الرسول الاكرم ﷺ حتى النهاية بل وسار على خطاه الى أن هوى شهيداً في المحراب فيما كان يستعد لخوض حرب مصيرية من أجل تصحيح المسار الحضاري الاسلامي.

أجل يجب أن نبحت عن الامام الخميني في مسجد النبي الأكرم ﷺ في المدينة المنورة ومنتصت الى مناجاة زين العابدين:

«يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسمات وجهه لقلوب عارفيه شائقة..

يا منى قلوب المشتاقين..

ويا غاية آمال المحبين..

أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني الى قربك..

ينبغي أن نفتش عنه في أرض كربلاء.. لأنه يصرح قائلاً: وكل ما عندنا هو من

(١) محمد باقر الصدر / الاسلام يقود الحياة.

عاشوراء».

وإذا مادققنا النظر جيداً سنراه يمسك في يمينه قرآناً وفي شماله الولاء لأهل البيت عليهم السلام.. وهما معاً يؤلفان الثقلين: ميراث الرسول صلى الله عليه وآله الخالد. ولا تغفل أيضاً ونحن نبحث عنه أن تأمل بين تلافيف العقل الفذ لصدر المتألهين وفلسفته وأسفاره الروحية الكبرى. وقد نستعين ببعض الإشارات التي يرصدها اصداقاه أو الشعراء الذين انبهروا بشخصيته بل وحتى الذين يمكن تصنيفهم في خانة الأعداء والخصوم.

الامام في ضمير الشعر العربي:

يقول الشاعر العربي مشدوها ومتسائلاً:

بربك قل ما السرّ فيك لوثة	هزرت بها الاعماق في عالم الجحد
وما السر في قلب لديك؟ أخاله	يهد بلا حرب ويرمي بلا جند
وقفت كبحر في الأعاصير واسع	وفي زحمة التيار كالجبل الصلد ^(١)
ويقول الشاعر الكويتي خالد مسعود:	
كلحظة الانفاس في خطوه	لنستقي من روحه النفحتين
من جدّه حيناً ومن جدّه	باللغطاء الثر منك اليدين
ظنّوا قطاف المجد من بعده	وبعده كالقرب في المرتين
مسافة قد قاسها كيس	كلمحة الطرف لذي مقتلين ^(٢)

ويقول الشاعر الجزائري مصطفى الغماري:

ورأيت في عينيك رمزاً ثائراً
ينهلّ من شفة الضياء ويزهرُ

(١) إلى الامام الخميني / منشورات للمستعفيين.

(٢) عودة البطل / صحيفة القبس الكويتية العدد ٥٤٧٣ - سنة ١٩٧٩.

يَمتدُّ قِسرَانُ الخلودِ جبينه وجراحه بدمى التأمّر تسخرُ
 يَمتدُّ في نارِ الحضورِ حضوره ان ضجّ كسرى أو تململ قيصر
 أبداً يَريدُ القرب، شلّ عبيره «تحجيم» ثورته التي لا تقهر^(١)
 ويقول الشاعر العراقي جواد جميل:

يا ثاقب النظرات المستفيض بها

حبا إذا ما غفا من غيره النظر

في حاجبيك من الاصرار ملحمة

من التواضع إلا انه كبر

تمدّ كفا الى التاريخ تنبئه

بأن جرحك رغم السيف متصر^(٢)

ويقول الشاعر اليمني محمود مفلح:

هم يمدحونك كل شيء انما يتجاهلون بسيفك الاسلاما

لو شغّ نور الحق في حدقاتهم عرفوا العقيدة منهجاً وحساما^(٣)

ويقول الشاعر السوري صالح عزيمة:

اهدئ الحسين اليك السيف وابتسما

فسر وحقك لن ترتد منهزما

عليك منه صفات ليس يعرفها

إلا الوفيان من ضحى ومن عزما^(٤)

ويقول الشاعر اللبناني أحمد مغنية:

(١) ديوان خضراء تشرق من طهران.

(٢) أعيد عينيك أن تففو على عتبي.

(٣) مجلة الارشاد العدد ١ محرم ١٤٠٠، جريدة الجهاد ١٩٨٣.

(٤) مجلة صوت الأمة العدد ٢ جمادى الثانية ١٤٠٠.

ماذا تريد من القلوب وتطلب؟

وهواه أنت تجود فيه وتخصب

اني قرأت على جبينك آية

تحصي خللك للكرام وتنسب

فرد يقوم بما تقوم جحافل

أو فوق ما يرجئ وما يترقب

وهذه قطرات من بحور الشعر العربي الذي تغنى بالخميني انساناً وثورة وملهماً

للاحرار^(١).

وعندما نحاول أن نكتشف الامام لدى اصدقائه والذين رافقوه في جهاده الطويل

والمرير سنجد أحدهم يقول:

«خمسون عاماً لم يترك الامام صلاة الليل»^(٢).

وصلاة الليل صلاة تقام في الهزيع الأخير من الليل.. الصلاة أوجبها الله سبحانه

على سيدنا محمد ﷺ لتعزيز قدرته الرسالية.

ويضيف أنصاري كرماني: «يقرأ القرآن بصوته الملائكي الشجي مرات عديدة

في اليوم» و «لقد سمعت صوت الامام الملائكي مرات عديدة وهو يقرأ دعاء كميل».

«وخلال ١٥ سنة قضاها في مدينة النجف الاشرف، واظب الامام على قراءة

الزيارة الجامعة الكبيرة ليلاً وهي تستغرق ساعة كاملة يقضيها الى جوار مرقد الامام

علي بن أبي طالب».

وعندما أعلن بني صدر: ان الاطباء الالمان وغيرهم صرّحوا بأن الامام يعاني

تدهوراً في صحته ولا قدرة لقلبه على العمل الكثير، فانه (الامام) يتمشى يوماً ساعتين

(١) يمكن مراجعة كتاب: الخميني والثورة في الشعر العربي / جعفر حسين نزار الذي انتخبنا

منه.

(٢) انصاري كرماني.

أو ثلاث ويستغرق في تسييح الله أو قراءة زيارة عاشوراء «وعلاقة الامام بأهل البيت لا يمكن وصفها لأنه كان عاشقاً لأهل البيت فما أن يسمع «ياحسين» حتى تنساب دموعه بالرغم من معرفتنا بصبره وقدرته الفائقة على تحمل المصائب.

«وفيما كانت مشكلة احتلال السفارة تأخذ أبعاداً خطيرة في داخل ايران بسبب الرهبة من ردّ الفعل الامريكى قال الامام والطمأنينة تشع من عينيه: «ان أميركا لا تستطيع أن تتركب أية حماقة».

هذه الطمأنينة التي طبعت الامام فيما كانت المتفجرات و T.N.T يدمر مؤسسات حساسة برمتها ويتساقط أصدقاؤه شهداء الواحد بعد الآخر..

هذه الطمأنينة التي رافقته ولم تفارقه فيما كانت الطائرات المغيرة تحاول قصف منزله والصواريخ البعيدة المدى تتساقط في العاصمة طهران.

وكان الاطباء يندهبون لانتظام دقات قلبه في اشدّ المنعطفات خطيرة: «لأن الذين ارتبطوا بالله لو أخذ منهم الوجود لما فتنوا يقولون: الخير فيما وقع»^(١).

اما قصّة البحث عن بيت للامام فتلك قصة طويلة لم تنته إلا عندما عُثر على بيت مبني بالآجر والطين في حي شعبي شمال العاصمة.

وهذا آية الله صدّوقي من شهداء المحراب رافق الامام أكثر من عشرين سنة يقول: «كان الامام يدرّس «الأخلاق» يومي الخميس والجمعة في المدرسة الفيضية فكنا نجد في حديثه أخلاق الأنبياء والأولياء».

ثم يورد كرامة للامام شاهدها هو مع كثيرين ممن كانوا برفقته لدى عودته من مشهد في وقت كانت ايران ترزح تحت نير الأجانب من روس وانگليز.. وقد أوقف الروس السيارة للتفتيش «فنزلنا منها ولأن الامام كان مداوماً على صلاة الليل منذ شبابه فقد أراد أداء صلاة الليل ولم يكن هناك ماء وسط تلك الصحراء.. فجأة لاحظنا ماء

(١) انصاري كرمانى.

يجري فشّم الامام عن ساعديه وتوضاً. ولا ندري إن كان بقي الماء جارياً أم انقطع..». وتبقى كرامته الكبرى هي الثورة الاسلامية التي ما تزال مركز اشعاع انساني ومصدر الهام للاحرار في العالم. ويقول آية الله ناصر:

«خلال محاضراته لم يغفل الامام لحظة واحدة عن الاحداث السياسية وما يجري في ايران كان يؤكد عليّ وباستمرار بضرورة ابصال الاخبار اليه ومراقبة الاحداث بدقة...».

وشاهدته مرّات عديدة وهو يستيقظ في منتصف الليل ويكتب بياناً أو منشوراً فيصور ويطبع سرّاً ثم تنقله الى الخارج ويفرح الامام بوصوله الى الخارج». «وخلال الستين اللتين قضيتهما في السجن لم أكن أتوقع من الامام أن يفعل شيئاً من أجل اطلاق سراحي.. لأنه قال لنا وأمام جمع من الطلبة: اذا كان عملكم من أجلي وإذا سجتكم من أجلي، فأنا لا أملك لكم أجراً ولا تفعلوا ذلك.. وإذا كان عملكم لله فهذا هو تكليفكم الشرعي فلا تتوقعوا مني أن أعمل لكم شيئاً».

«من المعروف أن درجة الحرارة في مدينة النجف الاشرف شديدة وتجتاز في بعض الاحيان الـ ٥٠ م. ذهبت يوماً الى الامام وبصحبة عدد من الاخوة.. قلنا له: الحر شديد، وأنت لا تتحملة لكبر سنك.. الناس يذهبون ليلاً الى الكوفة.. والجو هناك ألطف أجابنا: كيف تريدني أذهب الى الكوفة من أجل الجو اللطيف في الوقت الذي يقبع فيه أخوتي في سجون ايران؟»

«عندما يجلس لي شاهد ما يعرض على شاشة التلفاز من صور مؤلمة للفقير والحرمان.. كان يبكي».

وفي وقت بصرح فيه نائل فلسطيني: «لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية» كان الامام يعيِّء الرأي العام الايراني ضد اسرائيل، وكأنه ينظر الى المديت البعيدة، ويرى أن الحل القومي سوف يخقق في النهاية في حل مشكلة فلسطين، وان شرف

القدس يأبى أن تتحرّر الآعلى أيدي المؤمنين، كما عبر عن ذلك الامام موسى الصدر «فرّج الله عنه».

ومنذ وقت مبكر والامام يعلن ان اسرائيل كيان غير شرعي، وأنه يجب محو اسرائيل من الوجود.

وفي هجوم السافاك على المدرسة الفيضية وارتكاب مذبحه بحق الشعب قال الامام وسط الجراح النازفة: «لقد حفر ابن رضا خان قبره بيده» ولم يمرّ سوى عقد ونصف من الزمن ويحفر الجلاّد قبره الى الأبد مع سقوطه.

أما الشيخ توسلي الذي رافق الامام وهو ما يزال صبيّاً لم يبلغ الحلم فيتحدث عنه قائلاً:

تعرفت على الامام ولم أبلغ الحلم بعد، وما تزال كلماته محفورة في قلبي في أيام الصيف، وخلال عطلة الحوزة العلمية في قم، يذهب الى مدينة «محلّات» القريبة من «قم» وهناك يمضي العطلة، وذات عام صادفت العطلة شهر رمضان المبارك، فكان الامام يلقي دروساً في الأخلاق في المسجد الجامع للمدينة قبيل غروب الشمس وكنت أحرص على حضورها لحبي الشديد لها.

جاء الامام يوماً كعادته يلقي درسه، ففوجئ بوجود قطعة فراش وضعت خصيصاً له، فرفعها على الفور وجلس على السجادة المفروشة في المسجد كالآخرين».

وسئل نجله السيد أحمد الخميني عن موقف والده ازاء مشكلة الثقافة والثقافة الغربية فقال:

- الامام حساس جداً ازاء الشرق والغرب وهو يكرر دائماً: «إنّ حسناهم سيئات» وكان يقول: «لنعلم انه لا شيء يعوزنا.. وعلينا ان نعتمد على أنفسنا ونقف على أرجلنا الى أن نعتمد على قدراتنا.. وشيئاً فشيئاً يمكن أن نحول ضعفنا الى قوّة، وحينها لا نكون بحاجة الى شخص أو دولة أخرى إن شاء الله».

اما موقفه من «بني صدر» فقد عبرت عنه كلماته الموجزة عندما قال: «لقد انتهى

بني صدر ولا أمل فيه» وكان ذلك بعد الفتنة التي اندلعت في جامعة طهران وسالت فيها الدماء.. ومع ذلك فإن لم يتخذ موقفاً انفعالياً وظل يتعامل مع بني صدر بحكمة الى أن هُزم الأخير. أما كيف هزم فان الامام قد الزمه بعهد أخلاقي ألزم جميع الخصوم وهو التوقف عن المهاترات.. والتزم خصوم بني صدر أما هو فقد نقض العهد وكان الامام يتوقع ذلك لأنه قال لي: «أردت أن يتعرف الناس وبشكل علني من هو الذي سينقض العهد».

ويقول الشيخ عبدالعلي القرههيي وهو يتحدث عن ذكرياته مع الامام في النجف الاشرف في مطلع السبعينات: «عندما أخذت الحكومة العراقية تشدد من ضغطها على الناس، وبدأت حملة تفسير الايرانيين، بلغ الضغط درجة دخلت الرعب في قلوب الجميع حتى المراجع الذين كانوا هناك، بالاضافة الى عدد كبير من العلماء إن لم أقل كلهم.. إلا الامام.

لقد كان في وقتها صدام الخبيث هذا نائباً لرئيس الجمهورية احمد حسن البكر. وفي ذلك الجو المرعب القى الامام ذات ليلة خطاباً في منزله وبالرغم من وجود جهاز لتسجيل خطابه قال الامام بكل شجاعة: «ان هذه الحكومة لا يمكن تسميتها حكومة».

وعندما أطلق سراحه بعد اعتقاله اثر حوادث الفيضية قال: «والله لم أعرف الخوف طوال عمري حتى في تلك الليلة التي أخذوني فيها فقد كانوا هم خائفين». هذه مجرد ملاحظات تسجيلية رافقتها ولا شك مشاعر ممتزجة بالدهشة مما يفعله الامام.. ولكن أياً من هؤلاء لم يسبر تلك الروح الكبيرة والنفس العميقة الغور وذلك المكنون المخزون مما تموج به شخصية الامام التي ظهرت لنا أخاذة ومتألقة..

والآن لنجرب محاولة تسجيلية وانطباعات أخرى أكثر عمقاً.. وباختصار ما سجله الكاتب الامريكى «روين وودزورث كارلسف» لدى زيارته طهران ١٩٨٠م.

ولم يكن هذا الرجل بخبرته الواسعة وثقافته وأسفاره العديدة عادياً.. فهو فيما

يبدو قد جاء في مهمة لاكتشاف قوّة الثورة من خلال شخصية قائد الثورة، وبما يمتلكه بطبيعة الحال من أدوات الحضارة الغربية في الرؤية والتحليل.. ولذا فان افاداته ستكون هامة جداً..

فهو يصرّح بشكل واضح قائلاً: «فقد تحين لي الفرصة أخيراً فأقيّم قدر هذا الرجل بنفسى.. ستفحصه بدقة حساسيتي الروحية الناقدة»^(١).

ثم يؤكد نظراته المسبّقة: «لا يمكنني في النهاية أن أقبل الفكرة القائلة: إن للنخميني كياناً متحرراً روحياً».

«فبالرغم من إن معظم القديسين وأولياء الله المشهورين ظهرُوا عادة من جهاز عبادي رفيع التركيب ومنظم وتمتد جذوره الى الماضي البعيد. بالاضافة الى ممارستهم الطهارة والنقاوة.. فهم حين يصلون الى قمة تقواهم وورعهم ينفصلون عن السياسية فلا يعد لهم صلة وثيقة بمظاهر الحياة السطحية..

وهو يعترف صراحة بأن الامام الخميني في نظر الغرب رمز لأعنف وأعند كبرياء».

والكاتب وبطبيعة حصيلته وتصوراته عن القديسين وحتى الصوفيين هي أنهم قد حققوا قدراً من الوحدة بوعي محض.. فكانت حقيقة الحب المشرقة، فهناك في رأيه ندر من الدهشة في شخصية الامام الخميني، التي يجب أن تتجه الى السماء أكثر من الأرض بكل ما تعنيه الأرض من سياسة وأحداث وهموم.

والآن لتتابع انطباعاته وهو يدخل القاعة حيث احتشدت الجماهير المتلهفة لرؤية الامام: «وساد الوقار وخيمت المهابة على سلوك جميع المترقبين لمقدم الامام.. حين ألقىت بصري على المنصة.. على المكان الذي ألقى منه الخميني مئات الخطب والأحاديث.. شاهدت عيناى المكان في هدوء حقاً.. تشيع فيه الطهارة والصفاء

(١) الطريق الى جمران / ترجمة محسن أحمد عبدالحق ص ١٤.

والنقاوة.. بل تجمعت كلها في كتلة من الطاقة.. أيكون الامام انساناً مؤيداً روحياً؟
 انكشفت له الحجب؟ أهو صوفي حقيقي؟ ربما كان أكثر من ذلك..»
 «وحين ظهر الخميني لدى مدخل المنصة قفز الجميع ناهضين مهللين: خميني! خميني! خميني! في صوت واحد ينبض بفرح...»
 «كان أيضاً طبيعياً من التسييح والحمد والابتهاال اطلقته شخصية هذا الرجل الغامرة وفخامتها التي لا تقاوم..»
 «احسست باعصار من الطاقة يتدفق خلال الباب..»
 «شعرت وكأننا نضاء لنا جميعاً في حضرته.. وكأن لم يبق في القاعة شيء سواه.. لقد كان كتلة من النور دافقة نفذت الى بصيرة كل حاضر ومشاعره» ثم يعترف الكاتب الامريكي بصراحة:
 «لقد دمّر كل المعايير التي ظننت انها ستعيني على تقييمه وتحديد قدره..»
 «لقد توقعت.. مهما كان مظهر هذا الرجل.. أن أفحص قسماات وجهه بدقة.. وحوافزه.. بحثاً عن حقيقته.. غير أن قدرة الخميني ووقاره وسيطرته المطلقة.. دمّرت جميع أساليب التقييم التي اتبعها..»
 «لقد كان اعصاراً.. ولكن ما إن استقر بصرك لأدركت لتوك أن هناك مركز سكون مطلق داخل هذا الاعصار.. فينا هو جاد.. حازم، مسيطر.. تجده أيضاً هادئاً ومنصتاً.. لقد كان بداخله شيء راسخ وثابت.. ذلك الشيء الثابت.. هو ذاك الشيء ذاته الذي حرّك دولة ايران برمتها.. أهذا انسان عادي؟»
 «لقد كان الخميني مركز هذا الانفجار الاسلامي.. ولقد كان أيضاً منبع الطاقة الروحية التي تغلغلت في قلوب المسلمين بالشرق الاوسط..»
 «لم يتسم مرة.. لقد ثبتت قسماات وجهه في أصرار تمليه إرادته.. وكأن الله حمّله أمانة كل شيء.. لقد بذل حياته في خدمة الله.. فلم يكن هناك شيء يضحك..»
 «لقد عقد العزم.. وقام على الطريق.. يعالج العقبات المترتبة.. ليعيد للاسلام عزّه

الذي بثرت به نشأته السماوية.. لقد عاش للاسلام وأصبح الداعي الفعال لاهياء الاسلام فليس له من غاية سوى تطبيق الاسلام.. لقد أندمجت ذاتيته في كل ما يحمل هدفه الأعلى من معان..».

«ما استشففت فيه ولو لمسة طفيفة من اختلال.. وما لمحت أي اهتزازة.. وما نالت منه خليجة واحدة لما تعجّ به البيئة حوله.. لا.. ما أحسست غير هالة الواجب الحتمي الذي وضعه تماماً في خدمة الخلق..».

«ومن المسلم به ان العلوم جميعها بما فيها علم النفس.. لتعجز كلّها عن اثبات الحقائق الكامنة في ملاحظاتي وتلك المشاهدات تخرج عن قدرة الآلات والأجهزة لقياسها وتقنين مداها، أو لتشخيص الحقائق التي تكمن وراء هذه التجربة التي عشتها ماذا أقول؟

ربما تصدر عن قلب الخميني استنتاجات شاسعة مترابطة.. ليست كتلك التي تصدر عنا والتي لا زالت تتخبط في قبضة التضارب والتردد اللذين اعتادتهما فباتت تفتقد الأمان».

«لقد اشاع فينا احساساً بأنه لم يتصر على نفسه فصار سيداً لها فحسب.. بل أنه أصبح الآن أعلى من ذلك بكثير.. لقد صار الآن خادماً لسيد آخر.. ولنا أن نفترض في هذا المجال أحد أمرين: أما أنه نذر نفسه وكرّسها لجوء الى الله.. أو أنه ارتقى فعلاً الى مرتبة فداة دائمة.. ذلك الموضوع الذي دارت عنه مناقشات وجدل بيني وبين كل من ابراهيم يدي والاستاذ اللبناني..».

«ان أقل ما يمكنني قوله.. انني رأيت وكأنه أحد أنبياء العهد القديم.. أو أنه موسى الاسلام.. حضر ليدفع فرعون الكافر عن أرضه».

«ولا يعني ذلك أن الخميني يقارن نفسه بالمسيح مطلقاً.. ولكنه يتألق بنفسه النزاهة التي لا مساومة فيها، والتي لا تقبل أنصاف الحلول.. وله قصد لا يجيد عنه قيد أنملة..».

«وعجيب أن يحمل انسان بين جنبه الكثير من أسرار الكون ذاته..»
 «ان الخميني حقيقة.. وقد أدت وجوده البارز شخصياً كان أو متجرداً الى تفلص
 انطباعي عما عداه من القاده السياسيين الذين قابلتهم في حياتي..»
 «فهو لم يستمد الكثير من كيانه هنا من كلماته.. ولا من سلطته.. ولكن من واقع
 وجوده ومن كيفية رد فعل الكون لهالة شخصيته المنظمة..»
 «لقد أقتحم الامام الخميني عليّ قلبي وعقلي بتيار من العاطفة التي يمكنني أن
 أصفها بيقين بأنها ايجابية قصوى.. وهذا ما أفضل أن أطلق عليه لفظ، «الحب»..»
 «فقد كان مشحوناً بحب بدا لي فعلاً أنه اصاب من القلب فطهره.. وملاه بنعيم ما
 تذوّقت له من قبل حلاوة..»
 «لقد شاءت الاقدار أن يكون الامام الخميني هو تلك الحقيقة الوحيدة التي
 أخذت بأفاق أفكاري الى مدارك أوسع، مشاعر أكثر رحابة فكان الحقيقة التي طهرت
 قلبي وأنارت لي عقلي وتركت في أثره احساساً من الرضا لا تخبو شدته.. وسيظل هذا
 الرضا ملازماً لي حيث أكون.»
 «ان الامام روح الله الموسوي الخميني رغم ذلك دليل فائق وبينة سامية لقدرة
 الانسان على احراز الكرامة التامة والكمال..»
 «ولما كان الخميني حقاً من عباد الرحمن يحمل بين جنبه حقيقة الاسلام..
 واستحق أن ينال حباً يضاهي حب الشيعة للاستشهاد.. لزم علينا كمشاهدين أن
 نحاول فهم هذه الثورة.. وأن نقف على مدى حكمة الله في اىصال هذه الحقيقة إلينا..
 والحقيقة التي وصفها هنا هي الحقيقة ذاتها التي يتمركز عليها تماماً مستقبل الشرق
 الأوسط.. وانني اعتقد انه لن يدرك انسان تبلور مصير الشرق الاوسط، واتجاهات
 القوى التي تشكل الآن أحداثه حتى يعترف بصدق ما كتبت، وحتى يميز هذه
 الحقيقة.»

«إن تصرفات مثل هذا الانسان تسيطر عليها قوّة علم خارقة ربّما تقوم بحساب أنشطة العالم الأكبر.. فلم تعد ذات هذا الانسان المعتادة تحدد تصرفاته او تتحكم فيها.. لقد صارت ذاته كونية.. ومن ثمّ فإن مكانة هذا الانسان وقدرته العقلية، ومستوى انفعالاته تعكس بالضرورة الحقيقة الكونية التي تتضمنها أحاسيسه ومداركه.. أتراني أصف الامام الخميني؟».

«وما كان تقدم آية الله الخميني نحو إدراكه لطبيعته غير المحدودة.. وطفرة الى الاحاسيس النقية الطاهرة ولجوؤه الى الله المطلق.. ما كان ذلك سعادة دون جهد.. وما تحققت باسلوب تسام طبيعي بسيط؛ لا.. ما تحققت الأ بعزيمة هائلة لا تقهر.. وتفان ملتزم لا ينحرف عن شريعة الاسلام وقوانينه..».

وما من مشاهد للامام الخميني الآ واحس وكأن الخميني عاش منذ مولده حياة محدّدة الاتجاه تستهدف أسمى غرض من خلال أعظم التقاليد العالمية..».

«فهو منذ البداية كمشاهير الهند من القديسين مثلاً.. دأب على المعرفة.. زاهداً في متعة الشباب المعطلة.. وركّز انتباهه على غاية الحياة كلّها.. والتعرف الكامل على ماهية النفس.. وما فتئت أن بقيت ذاته غير مطلقة بسبب طبيعتها القائمة على الشروط والاحتمالات.. ولكن ذاتيته الآن.. لجأت الى المطلق.. فما عاد لها من قصد سوى العمل في خدمة ذلك المطلق.. وأقرّ أنني ما رأيت من قبل تعبيراً للمطلق أكثر صلابة مما شهدت..».

«ويبدو أنّ الخميني على معرفة بمفهوم الله على أنه المطلق.. واستشهد مؤكداً ببعض العبارات من أربع محاضرات منفصلة:

[وأسماء الله هي.. أعلام لذاته سبحانه، وما هي الآ اسماؤه التي يعرفها الانسان. أما ذاته سبحانه فلا يدركها انسان.. وحتى خاتم الانبياء.. أكثر الناس علماً وأعظمهم نبلاً لم يحط علماً بذات الله.. ان الله لم يطلع العقول على تحديد صفته وذاته، ولكنه سبحانه لم يحرمها طريق معرفته..

فإن كان النور أو الوجود مطلقاً وليس كمثل شيء فهو يتضمن بالضرورة الكمال كله.. ذلك لأنه إذا فقد نقطة واحدة من كماله.. أمكن تحديده وتمييزه.. فإذا كان في الذات الالهية على سبيل الجدل نقطة نقص واحدة لكان معنى ذلك تغيب نقطة من الوجود.. ولما عاد الوجود بعد ذلك مطلقاً.. فيصبح بذلك غير كامل.. بل يصبح عرضاً.. ولا يعد ضرورياً.. إذ ان الوجود الضروري لا بد أن يكون مطلقاً في كماله وجماله.. وعلى ذلك فنحن نستعرض الأمر حتى من خلال طريقة «البرهان المنطقي» غير الكاملة، فإننا نصل إلى أن الله تعالى هو «ذات الوجود المطلق» التي هي منبع الايحاء كله.. وتتضمن هذه الذات الالهية الأسماء كلها.. والصفات كلها.. وهي الكمال المطلق.. الكمال الذي لا يمكن تحديده.. ذلك الهدف الذي من أجله جاء الأنبياء جميعهم، ليسودوا الانسان قدماً في هذا العالم، فيخرجوه من الظلمات الى رحاب النور المطلق. لقد أراد الأنبياء أن يغمروا الانسان في هذا النور المطلق.. فتندمج الفطرة بأحضان المحيط.. لقد أرسل النبيون جميعهم من أجل هذه الغاية..

إن المعرفة الحقيقية.. والحقيقة الموضوعية كلها تنتمي لذلك النور.. فلا وجود لنا جميعاً.. ويعود أصلنا الى ذلك النور المطلق.. محررين من غياهب الظلام وحجب النور.. وحتى البعض وهم لا يزالون في عالمنا هذا سينجحون في الوصول الى مرحلة تتجاوز مدارك خيالنا عن اللاوجودية وعن مواراتنا في ذات الله عز وجل^(١)

«وأنا أعرف أن الخميني يجابه كل قوى الشر في العالم.. وأن شيئاً من خلال الاسلام يحدث بما قد يغير للامة الاتجاه الذي اتبعه الغرب ولا يزال.. فالامام الخميني هو نقطة التضاد للدنيويات الجشعة.. وهو نقطة التضاد للتساهل والتسامح في الانقياد وراء المملدات واستحواذ الأناية على الفرد.. وكل هذه سمات سيطرت على الغرب».

«لقد تألق الامام الخميني بالرحمة والحيوية.. بل وبالنعيم... من تركيز قوي

(١) النص مترجم عن الفارسية أو العربية لفة الامام الى الانجليزية ومنها الى العربية.

غمرني بطاقة مطهرة.. وشعور كان لهما أعمق احساس للشكر..
 وخلال الثلاثين دقيقة التي قضاها الامام على المنصة، أحسست بخلايا عقلي
 وقلبي تفيض كلها بحب شاف..
 «وان الله يدلنا على كل ما نريد، ويبين لنا عن وجوده وقصده الكامل من خلال
 مخلوق منا».

«حتى حياتي كلها.. أحسست بمعناها يتضح.. واستيقظت معرفتي بمصريي..»
 «وبدا لي الخميني وكأنه القرآن.. وكأني بالله يرتل في استمرار وتلقائية ما في قلبه
 من كتاب وآيات بينات..».

«ربما كانت المرّة الأولى منذ عهد رسول الله محمد نفسه أن يُحدث حكيم أو
 صوفي تغييراً سياسياً عنيفاً أدى الى ثورة..».

«ان آية الله الخميني قادة ثورة مسّت حياة كل فرد.. ثورة راحت تصفع سياسة
 الواقع في العالم.. وتصفع الامم المتحدة، وتصفع مركز المخابرات الامريكية وتصفع
 مناورات موسكو».

«الله وحده قادر على تبرئة هذه الثورة والدفاع عنها...».

«وستبقى ايران معقلاً لمذهب الاسلام الشيعي.. وستبقى الأمة كلّها مؤيدة للقيم
 والمبادئ المستمّدة من نظام دين عتيده.. متحدية بذلك استكبار ايدولوجية الانسان
 الغربية ومناظرات الجدل المادية».

«لقد أدى العلم والتقدم الى عدم التجاء الشعوب الى الله فيما يختص بأحداث
 العالم.. ولعل الله شاء أن يذكرهم بذاته ووجوده.. فكانت هذه الانتفاضة الدينية
 المفاجئة والتي انبعثت عن شخص ومشاعر آية الله الخميني.. انتفاضة لا يمكن فهمها
 إلا من مركز العاصفة الاسلامية وبهدوء كامل.. أما احساس الخميني التي عبرت
 بوضوح وجلاء عن المطلق.. فقد انسابت في جهازه العصبي دون عقبة أو مقاومة».

لقد كان من خلال الاسلام وبالاسلام وحده أن الله أحيا نوة إحدى رسالاته..

يتوّض الافتراضات الدنيوية النامية في الغرب والشرق الداعية الى اقضاء مفهوم قدرة الله عن مسرح الاحداث في العالم..».

«ان هذه الثورة تحت القيادة الرشيدة لآية الله روح الله الخميني أنقى نهضة للروح في عالمنا اليوم..».

«وقد قامت الثورة الاسلامية نتيجة لتفوق وسمو الامام الخميني..».

«فليس هناك قائد معروف آخر لديانة أخرى مشهورة حتى البابا.. ليس هناك من يداني الامام الخميني في شدة القداسة التي يتألق بها».

«ما من تجربة تساوي شيئاً مما حدث لي اليوم.. فإن تفتح قلبك بحق لتستقبل بركات آية الله الخميني، فإن ذلك يعني أنك رأيت انعكاس الله ذاته، إذ هو يتمثل فقط من خلال الجهاز العصبي للانسان.. لقد حصلت على هذه البركة.. ان الله ذاته يعلمني ما لم أكن أعلم.. من خلال شيء مطلق ينساب دون انقطاع في أحاسيس وشخصية الامام الخميني..».

«وخرج الخميني من باب منزله.. ومرة أخرى هبّت رياح الطاقة الالهية واندلعت قوّت الحب والمهابة التي سمت الى مستوى الكونية..».

لقد استرسلت في نقل هذه الكلمات المعبرة لانسان من المفترض أن يكون معادياً للامام الخميني بسبب قوميته كأمريني وديانته كمسيحي، وبسبب الأزمة السياسية العاصفة في عملية احتجاز أعضاء السفارة الامريكية.. ومع كل ذلك نجد الكاتب الامريكي يتأثر بشدة بشخصية الامام الالهية حتى انني لم استطع مقاومة الكشوفات المذهلة للكاتب وسحر كلماته المعبرة..

ربّما يوجد من تأثر بالامام لهذه الدرجة وأكثر لكنه أخفق في التعبير كأنسان تدوج في أعماقه مشاعر فياضة بالحب أمام عجز في التعبير عنها..

ان هذه المقدمة التي تبدو وكأنها تفتقد المنهج انما تجسد عجز في إيصال فكرة أنّ الامام الراحل، قد اكتسب قدرة الانبياء في التغيير، وأن هناك قدرأ من خليل الله

ابراهيم ومن كلیم الله موسى بن عمران ومن روح الله المسيح بن مريم ومن حبيب الله محمد بن عبد الله..

أجل كل ذلك تجدد متألقاً في روح الله الموسوي الخميني.. مع التأكيد فيما يشغله الامام الحسين من مساحة كبرى في شخصيته.

أجل هذه مقدمة مرتبكة وأني لأعترف باخفاقي في التعبير عن الامام الراحل.. بالرغم من أن اكتشافي له يعود الى عام ١٩٧٧م عندما وقع في يدي كتاب: «موقف الخميني تجاه اسرائيل».. وقد الهب وجداني موقفه الحازم.. وتأبيده المطلق للحق الاسلامي الفلسطيني في وقت صرح فيه زعيم فلسطيني: «لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية».

تري من الذي أعاد فلسطين ليس الى الذاكرة العربية والامة الاسلامية بل الى ذاكرة العالم كله كفضية انسانية؟!

أليس هو الخميني؟

وعندما نتقرب منه لنكتشف روحه سنجد في طواياها الحسين بملحمة عاشوراء الخالدة.. وسنكتشف أن الحسين يشغل مساحة هائلة في روحه الخضراء.

انا نستطيع أن نسرح فانوسين يلقيان بعض الضوء على هذه المساحة الشاسعة.. الاول يقترن بلفانه مع المرجع الكبير المرحوم السيد الحكيم أيام وصوله الى الشجف في منفاه الثاني بعد تركيا ونحن نتطف منه ما يتعلق بصلب المسألة.

الامام الخميني: «... وفي منفاي بتركيا زرت قرية لا أذكر اسمها الآن؛ واخبرني الأهالي هناك أنه عندما كان أتاتورك منهمكا في الحملة على الدين، اجتمع العلماء واتخذوا قرار المواجهة ضد أتاتورك الذي قام بحصار القرية وقتل اربعين من علماء تركيا، ولقد شعرت بالخجل، وفكرت في نفسي إذ كيف يقوم علماء السنة وهم يرون الخطر محققاً بدينهم ويقدمون دماءهم رخيصة بينما يشهد علماء الشيعة اخطاراً عظيمة تهدد الدين فلا نصاب حتى بالرعاف! أمر مخجل حقاً..

السيد الحكيم: ماذا ينبغي فعله؟ لنحتمل الأثر أولاً، والآ ما جدوى القتل؟
الامام الخميني:.. لندع التاريخ يسجل ان الدين لما تعرّض للخطر فان بعضاً من
علماء الشيعة ثاروا وأن فريقاً منهم قتلوا.

السيد الحكيم: ماجدوى التاريخ؟ نحن نبحت عن الأثر.
الامام الخميني: كيف لا يكون للتاريخ فائدة؟! ألم تقدم ثورة الحسين خدمة
للتاريخ؟ ألم يكن هناك جدوى من ثورته؟!

السيد الحكيم: ما هو رأيك في موقف الحسن؟ إنه لم يقم بثورة؟
الامام الخميني: لو كان للامام الحسن انصار مثلما لديك، لثار. ولقد نهض بالأمر
في البداية، ولما رأى أنصاره يبيعون أنفسهم وضمائهم لم يتصر.. أما أنت فلك
أنصار في كل البلاد الاسلامية.

السيد الحكيم: ولكني لا أرى من يتبعني لو أقدمت.
الامام الخميني: اذا قمت بالثورة فأنا أول من يتبعك.
السيد الحكيم: أبتسامه وصمت!!^(١).

وخلال اللقاء نشهد الاستخدام الواسع لمفردة الثورة في حديث الامام بينما لم
يستخدم محاوره هذه المفردة حتى مرّة واحدة!

وهذا اللقاء هو معروف في بداية وصول الامام الى النجف بعد قدومه من تركيا
أما الاضائة الثانية فتتعلق بلقاء الامام الشهيد محمد باقر الصدر للامام الراحل قبيل
غليان الثورة في ايران وربما في أواخر عام ١٩٧٧م وهو عام حاسم أيضاً في تاريخ
العراق لانه شهد انتفاضة شعبية كبرى في صفر وحاصرت الدبابات والدروع مدينتي
النجف وكربلاء واعتقل الامام الصدر حينها.

والامام الصدر كان يحمل مشروع ثوري كامل آمن به في فترة مبكرة جداً وكان

(١) كوثر ج ١/١٩٩ كتاب توثيقي باللغة الفارسية حول مواقف الامام الخميني.

يزداد ايماناً كلما ازداد حكم البعث العراقي ضراوة ووحشية^(١).

وفكرة المشروع الصدري للتغيير أن يقوم بالقاء خطاب يهاجم فيه زمرة البعث والعصابة الاجرامية المتسلطة ويجرّها الى مواجهة دامية في مرقد الامام علي حيث يخطب، وعندما يسقط مضمخاً بالدماء عندها يتحطم طوق الخوف الذي يكبل الشعب العراقي.

وواضح أن الفكرة هي استلهاً عصري لخطوة الامام الحسين في ملحمة عاشوراء الخالدة:

«يمم الصدر وجهه صوب الخميني الرجل الوحيد الذي يفهم لغة الصدر..

اصفى الامام لحدث عجيب وهزته الكلمات الثائرة تنساب مع الجراح..

يا لهول المشهد.. الصدر يخطب في أمة من الناس.. يقاوم ويهاجم، ثم يسقط شهيداً.. تندفق دماؤه طاهرة تلون الأرض بلون الشفق..

سكت الصدر، وظل الخميني مطرقاً برأسه.. ترى ماذا سيقول؟ وبعد لحظات صمت مدوية تمتم الامام:

- لا أدري!!

إن المرء لن يتوقع جواباً أبلغ من هذا.. فيه حزن الانبياء.. انه بدري، ويقول: لا أدري.

ونهبض الصدر ينوء بثقل الرسالة..^(٢).

والآن لنعد الى موسم الحج في عام ٦٠ هـ الامام الحسين سبط النبي ﷺ على

سفوح جبل عرفات يمدّ يده باتجاه الكعبة رمز التوحيد.. هناك تتألق فأس ابراهيم

(١) يمكن مراجعة كتاب «الحسين يولد من جديد». كمال السيد.

(٢) الحسين يولد من جديد / ٨٨.

الذي هشم وجوه الآلهة المزيفة.. ولو انصتنا لسمعنا كلمات الحسين:

- الهي كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك؟!!

متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك؟!!

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك؟!!

عميت عين لا تراك..».

وسنسمع أيضاً:

ماذا فقد من وجدك؟

وماذا وجد من فقدك؟! (١).

إنّ ثورة روح الله الخميني هي الزلزال الذي أعاد الى مسار التاريخ الانساني

انتظامه إثر القلق الرهيب الذي اعتراه بعد حربين مدمرتين، وانسلاخ الانسان من هويته

الانسانية.. انها ثورة الحب الالهي من أجل انقاذ البشرية والذوبان في المطلق..

انها قبس من عاشوراء.

كمال السيد

رجب ١٤٢١

تشرين الأول ٢٠٠٠

(١) دعاء الامام الحسين عرفات / مفاتيح الجنان.

مقدمة المؤلف

الكمال الانساني تجلّ، لاسماء الله الحسنی، الله هو الكمال المطلق ولا يملك غيره جزء من الكمال بذاته.

خلاصة أسماء الله؛ العلم والقدرة، حيث حيثية الوجود تناغم الأسمين وتكون الحياة، ويكون الوجود الواعي والقادر.. وكلما اشتدت الحياة في كائن اشتد علمه وقدرته..

وعندما تكون حياة موجود لا نهائية يكون علمه لا نهائياً ولا تحد علمه الحدود.. وكلما تخلص الانسان الصالح السالك من العقبات الكؤود.. عقبات الأنانية والذاتية واتصل بالله، فانه سيحصل على كمال الأسماء الحسنی وستتجلّى فيه.. وعنه يتجلّى علم الله في معارفه وتظهر قدرة الله في صراعه ومعاركه وبالنهاية تتبلور فيه الحياة المطلقة لله وتستغرق كل وجوده.

الأنبياء والأئمة الهداة مظهر لتألق الاسماء الحسنی في المجتمع الانساني فدلا يقاس بآل محمد من هذه الامة أحد ولا يسوّى بهم»^(١) ثم يأتي بعد هذه النفوس النورانية نوابهم بالحق وخلفاؤهم السائرين في طريقهم.. ومن تتجلّى في سيرتهم سيرة أهل البيت.. فهم النور الواحد على تعددهم وقد جاء في الزيارة الجامعة

(١) نهج البلاغة الخطبة (٢).

الكبيرة: «إن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة.. طابت وظهرت بعضها من بعض»^(١).

ان روح الله السيد الموسوي الخميني هو في الطليعة من نواب الائمة المعصومين ومن تجلت في سيرته ومواقفه تألقات أرواحهم المضيئة والتي لم يكن كل واحد منهم سوى مظهر لاسم من أسماء الله تعالى تؤلف جميعها الاسم الاعظم. فالامام الخميني هو نائبهم جميعاً، وتبقى نيابته الكبرى تتألق في نهضته الاسلامية التي تمتاز بالألق الاكبر لأنها قبس من ثورة الحسين عليه السلام.

وانك لتجد فيه أيضاً روحاً للإمام الباقر وللإمام الصادق ثم تتبلور أكثر فأكثر حتى تصل الذروة في نيابته لإمام العصر (أرواحنا فداه).

وما هذا الكتاب سوى تحليل للعناصر المحورية في نهضة الامام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) في مجموعة من النقاط:

أولاً: ان الامام الراحل في نهضته لتحطيم الجاهلية والظلمة وازاحة النقاب عن وجه الاسلام الاصيل قد أدرك جيداً عناصر أربعة هي الأساس في الثورة الاسلامية والتي هي بمثابة أركان البنيان المرصوص للاسلام إذ أدركها وآمن بها وعرف أن تحققها كشرط هو أمر «تحصيلي»^(٢) لا «حصولي».

ان النهضة فيها مطلقة لا مشروطة، ولذا انبرى في تحصيلها ولم يلتفت الى شيء في سبيلها مهما كلفه ذلك من تضحيات:

- رضا الله كان الهدف الأسمى للإمام الراحل، فلم يدز في خَلده هاجس سوى رضا الله وإحياء كلمة الله العليا، وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح من أمتي وهمته

(١) من النصوص الكبرى في زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام (المترجم).

(٢) التحصيلي ما يدرك بالجد والاجتهاد والسعي (المترجم).

غير الله فليس من الله»^(١).

- كان همّه الوحيد هو مسلمي العالم أجمع، فالمسلمون في إيران وخارج إيران هو هاجس الامام الوحيد. وقد قال رسول الله ﷺ:

«من اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(٢).

- كان يحمل أيضاً هموم الانسانية جمعاء وكان حديث رسول الله ﷺ يضيء روحه في قوله ﷺ: «من سمع رجلاً ينادي بالمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم.. والحديث يشير الى الاستغاثة مهما كان مصدرها وهو يسلب اسلامية الانسان المسلم الذي لا يستجيب لصيحة انسان يستغيث.

- كان شعاره العزّة والكرامة ومواجهة الطاغية والحاكم الجبار، وقد قال رسول الله ﷺ: «من اقرّ بالذلّ طائعاً فليس ممّناً أهل البيت»^(٣).

وإنّ العزّة لهما شعار النفوس النورانية وهي بطبيعتها تواجه الظلم والظغيان. ثانياً: كما ان التوحيد الالهي هو محور الوجود ﴿وهو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾^(٤) فهو المحور الأساس في نظام التشريع والتعليم والتربية والجهاد والاجتهاد وصلاح الذات والآخرين؛ فإنّ العنصر الاساس هو رضا الله حيث تنطوي العناصر الثلاثة الأخرى في ظل هذا البعد وهي الهم الاسلامي والهم الانساني وصيانة الكرامة أمام الطغيان.

وبعبارة أخرى: ان تأمين العناصر الأربعة المذكورة طولي لا عرضي ذلك ان رضا الله يكمن في منطقة التشريع الى جانب منطقة التكوين فليس كمثله

(١) بحار الانوار: ١٦٢/٧٤ الحديث: ١٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اصول الكافي ١٦٤/٢.

(٤) الحديد: الآية ٢.

شيء»^(١).

وفي النتيجة يحصل لدينا: «ليس كمثل الاهتمام برضاه شيء». ثالثاً: ان اول من نهض للثورة واستنهض لها من أجل اقامة الدين الحنيف هم أهل البيت بخاصة سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام فلم يكن له من هم سوى الله فلم يغفل عن الاهتمام بأمر المسلمين ولم يتساهل بمصير المجتمع الانساني، ولم يستسلم للطاغية فكان شعاره:

«هيهات منا الذلة.. ياأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون»^(٢) وهذا شاهد على اهتمامه بالعنصر الرابع الذي هو ميراث جدّه العظيم إذ دوى صوته في عاشوراء: - «لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد»^(٣).

كما ان هذا امتثال وإع في صيانة رسالة النبي صلى الله عليه وآله التي اكدت على استقلال الانسان وكرامته، وقد قال سلام الله عليه في التوحيد ومعرفة الله: - «لا يوصف الله بالصفات بل الصفات توصف به، ولا يعرف بالمعارف بل المعارف تعرف به»^(٤).

فالسالك الى معرفة توحيد الله همّه المعرفة.. معرفة الله وحده فهو لا يعرف غير الله الآ بالله، وإذ لا وجهة له وهم غير الله.

ولقد اقتدى الامام الراحل عليه السلام في هذا الأمر التوحيدي الهام بسيّد الأحرار في العالم: فكان همّه رضا الله ولم تكن نهضته إلا لرضاه.

ولقد طبعت هذه الرؤية التوحيدية كل مراحل حياته، في أيام الغربة أو في

(١) الشورى: الآية ١١.

(٢) تحف العقول / ٢٤١.

(٣) الطبرسي ٣٢٣/٤.

(٤) تحف العقول / ٢٤٥.

أرض الوطن في السراء والضراء.. عندما كان مقهوراً وعندما أصبح اميراً.
 رابعاً: ان ما يقوم انسانية الانسان هو «الاعتقاد التوحيدي» الذي يتجلى في
 دين الاسلام، حيث يشتمل على كل شؤون الانسان وهذا ما يتجلى في أولياء الله من
 أئمة الهدى عليهم السلام وفي السائرين على هداهم.

فالاسلام ينطوي على بعدين هامّين: الشمول كدين عالمي والنقاء الكامل كدين
 خالص لا شائبة فيه.. فهو يلزم المعتقد به بالرؤية الشاملة، ويلزمه ايضاً باجتنب
 الرياء والابتعاد عن كل بطر وأشر.

كما ان النقطة المحورية للاسلام التي هو الشمولية ورؤيته للانسان على
 أساس اصالة الروح وعظمة الآخرة بالقياس الى الدنيا.

فالوحي الالهي اشتمل على تعليم الكتاب والحكمة والتزكية الروحية؛ من أجل
 مستقبل الانسان ومصيره في يوم القيامة، ولكنه لم يهمل مسائل انسانية من قبيل
 الحكم والسياسة والاقتصاد والقضاء، وكل ما يتعلق بالحياة الانسانية وشؤونه
 الدنيوية، واعتبر كل ذلك من صميم الدين ولم يوكلها الى مصادر لا دينية، وهذه
 آيات الجهاد وآيات الدفاع والقضاء ومسائل الاقتصاد والعلاقات الدولية والعلاقات
 بين المسلمين وأهل الكتاب والكفار واضحة الدلالة في هذا المضمّن، تدعمها
 نصوص حديثة كثيرة.

ومن هنا يجب ان ننظر الى جهاد الامام الراحل.. انه لم ينهض كأنسان حرّ
 ينشد العدالة كما لم ينهض وفق رؤية ذاتية.. بل أن نهضته ما هي إلا استجابة لأمر
 ديني ونص قرآني واقتداء بسنة المعصومين عليهم السلام فتحرّكه هو تحرك الانسان
 المسلم الذي يعي بشكل واضح برنامج حياته وموته عن مصدر واحد هو الله
 سبحانه.

وكم هو الفرق بين التفكير العلماني الذي يفصل بين الدين والسياسة وبين

هذه النظرة الشاملة للعالم والآخرى واكتشاف الواجب الديني من خلال سيرة الاولياء المجاهدين.

ومن هنا يجب أن نفسر جهاد موسى بن عمران انه لم يتحرك في حركته الجهادية ضد فرعون بوحى من رؤية ذاتية وانما بوحى من الله سبحانه الذي يقول: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل جبار شكور ﴾^(١).

والأمر القرآني في مواجهة الاستكبار لا يكثر بأية عهود وتعهدات واتفاقيات فهو صريح في قوله تعالى: ﴿ وقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم ﴾^(٢). والخطاب القرآني يحدد جبهة القتال مع رؤوس الظلم والشرك: ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾^(٣).

ومن جهة أخرى نجد ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ﴾^(٤) لأنه لا دين غير الاسلام رسالة الله الاخيرة ﴿ ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾^(٥). فدين الامام الراحل هو الدين الشامل، والدين الخالص لله ﴿ له ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ﴾^(٦) ﴿ الا الله الدين الخالص ﴾^(٧). خامساً: ان خلفاء الله ونوابهم والتابعين لهم باحسان، يمتلكون رؤية شهودية وبراهين متقنة للمعارف الدينية ولذا فهم يتمسكون بقوة بمبادئهم في كل معاركهم

(١) ابراهيم: الآية ٥.

(٢) التوبة: الآية ١٢.

(٣) الانفال: الآية ٣٩.

(٤) آل عمران: الآية ١٩.

(٥) آل عمران: الآية ٨٥.

(٦) النحل: الآية ٥٢.

(٧) الزمر: الآية ٣.

وينفذونها بحزم انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ خذوا ما أتيناكم بقوة ﴾^(١).
فهم يمثلون لأمر الله، وقد سئل الامام الصادق عن معنى القوة في الآية فقال:
«بقوة القلوب وقوة الأبدان»^(٢).

فقوة القلوب تعني المعرفة التامة للعقل النظري والايان الخالص للعقل العملي،
كما أن المقصود بقوة البدن؛ هو تحمل معاناة الأسر والنفي والاعتقال والتعذيب.
وقد كان الأئمة من آل البيت المثل الأعلى في ذلك، كما نجد في عصرنا الامام
الراحل وأنصاره يسلكون طريق الشهادة والأسر ويتحملون في ذلك صنوف
العذاب.

فالقوة في الدين تعني الشهود والرؤية الكاملة، وهي تجليات تبعية الجسد
للروح، وفي غير هذه الحالة يركع الكائن الانساني أما عاديات الزمن لأن القوي يقهر
الضعيف.

فالأخذ بالقوة يعني انطاؤك على رؤية نافذة ترجحك على كل فكر الحادي
وانحرافي واستلابي، كما هو الحال في يحيى ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾^(٣).
فالذي يحمل زاده الالهي يستقبل الشهادة كيحيى الشهيد، واننا لنجد تأثير
قدرة اليقين في الاخلاق في العمل في كلمات امير الموحدين سيد المخلصين كقوله:
«سبب الاخلاص اليقين»^(٤).

وقوله: «إخلاص العمل من قوة اليقين وصلاح النيّة»^(٥).

(١) البقرة: الآية ٦٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٨٥/١.

(٣) مريم: الآية ١٢.

(٤) الغرر والدرر / ٤٣٣ ح ٥٥٣٨.

(٥) المصدر السابق / ٩٢ ح ١٣٠١.

«أصل الاخلاص اليأس مما في أيدي الناس»^(١).

«من رغب فيما عند الله أخلص عمله لله»^(٢).

سادساً: ان غائية نهضة الامام الراحل عليه السلام هي الطاعة للامام المعصوم عليه السلام كالذي نجده في أحاديث الامام علي، أو في بيان الامام الحسين عندما أعلن ثورته: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنري المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك، ليأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك، ويُعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك»^(٣).

وكالذي نجده أيضاً في مناسبة أخرى عندما يخاطب الامام الحسين الأمة قائلاً: «إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في اطفاء نور نبيكم وحسبنا الله، عليه توكلنا واليه أنبنا وإليه المصير»^(٤).

وقد رأى الامام الحسين وجوب الثورة حتى في غياب الأنصار، فقد توكل على الله، والله حسبه ولأن حركة كل الأشياء هي نحوه وصيرورتها اليه عز وجل. ومن يتأمل سيرة الامام الراحل وفي كل مراحل حياته، وفي كل تقلبات الزمن وعاديات الدهر يجد استقامة في الطريق وتوازناً فريداً في المسار.. فكان هو هو سواء في المنافي مشرّداً وفي البلاد حاكماً.. في زمن القحط والرخاء وفي حالات الخوف والرجاء في ما يسيطر بنانه او يتألق بيانه..

ومهما أمعنا النظر ودققنا الفكر، فلن نجد في أعماقه أثراً من آثار التنافس على

(١) المصدر نفسه / ٤٣٠ ح ٣٠٨٨.

(٢) المصدر نفسه / ٩٣ ح ٧٩٤٥.

(٣) تحف العقول / ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق.

الجاه والمقام كما لن نجد أثراً من سرف أو ترف أو ميل الى حياة الدعة والرخاء، بل كان يحارب ذلك ويشدد على تلك المظاهر النكير، وكان لا يؤلمه شيء مثل ما تؤلمه رؤية الحدود معطلة وأحكام الله مجمدة، فكان تطبيق احكام الشريعة همّه الوحيد الوحيد وهدفه الأوحد، فحمل أسوة بأجداده لواء المقاومة وبيرق المواجهة ضد أعداء الانسانية من مستكبرين عالميين وصهاينة مجرمين، تضيء في ضميره الحي هموم المستضعفين أينما كانوا.

فهو كأجداده الكرام رمزاً للحرية وملهماً للاحرار.

سابعاً: ان الامام وهو يحمل هم تطبيق أحكام الله، وتنفيذ الحدود المعطلة من شريعة الله، لم يكن يقبل أية اقتراحات أو جهود أو تضامن من قبل الأفراد أو فصائل كانت تعمل على الاطاحة بنظام الطغيان، فكان يعمل على صيانة هوية النهضة الاسلامية من أية شائبة يفرزها اشتراك المنحرفين والمستلبين والفاستدين.

وعندما نجد اشتراك مثل هذه النماذج في الحركة المليونية للاطاحة بالنظام الفاسد فلأنه ليس في سلطة الامام وقدراته ان يمنع هذا الاشتراك «ولكن هؤلاء كانوا كالزبد في سيل الحركة الاسلامية ﴿وَأما الزبد فيذهب جفاء﴾^(١).

فلم يكن هدف الامام سوى رضا الله لا أن يحشد كل الجهود مهما كان نوعها من أجل الاطاحة بالطغيان..

ولقد استلهم الامام هذا من روح الحسين وتجربة الحسين عليه السلام الذي رفض عرض الجعفي أن يقدم اسهاماً مالياً وقال بحزم: ﴿وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾^(٢).

(١) الرعد: الآية ١٧.

(٢) الكهف: الآية ٥١.

ومن هنا نفهم ان مواقف الامام الراحل الذي كان يرفض التعاون مع المنحرفين والضالّين حتى لو أرادوا تقديم عون ما له.

وهذا موقف نابع من الذات الالهية المقدّسة في خلق العالم.. لأن خلق العالم غاية مقدّسة.

فالامام الحسين وقف ذات الموقف في عاشوراء لأنه خليفة الله، والامام الراحل انتهج نفس المسلك لأنه من شيعة الحسين، وهذا هو أيضاً محور النهضة الاسلامية، التي جسدت سنّة من سنن الله سبحانه حملها الامام الحسين ثم ألفت ظلالها الوارفة على موقف نائب الامام عليه السلام.

إنّ الطريق الى الحق هو الصراط المستقيم فبين الغاية والوسيلة رابطة خاصّة ولأن الغاية لها وسيلتها الخاصّة، وأنه لا يمكن للغاية أن تبرّر الوسيلة أبداً.

وهذا موضوع عميق يمكننا أن نتأمّله في كلمات الامام الحسين عندما يقول:

«من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجئ ما يحذر».

وهنا يحذر الامام عليه السلام من أية محاولة في الوصول الى هدف في انتهاج وسيلة خاطئة، لأن الغايات السامية تلزمها وسائل بنفس المستوى، ولا يمكن الوصول الى غاية سامية بوسائل دنيئة.. وان رضا الله لا يتحقق بمعصيته..

ولقد كانت سيرة الامام اسمى من التوسّل باللعب السياسية من أجل تحقيق اهدافه المقدّسة.

ثامناً: كما ان درجات جنة عدن بعدد آيات القرآن الكريم، ومعارف القرآن الحكيم تتجلى لكل انسان على سعة وجوده، كذلك ايضاً الواجبات الالهية لكل انسان تتحد وفق حدود معرفته.. بالرغم من اشتراك الجميع بمستوى واحد يحقق ملاكاً لازماً لأصل التكليف المشترك، وهو العقل المتعارف لدى جمهور العقلاء والذي سيكون أساساً في صحة البعث والزجر في الأمر والنهي.

فمن أجل الأفادة من توجيهات العقل في التكليف، فانه من الضروري الخلاص من الوهم الكاذب والمغالطة.. لأن الاوهام تغتال العقل السليم وتقطع عليه الطريق في حين يكون الخيال الصادق أرضية مناسبة للوصول الى ذروة العقل السليم.

ومن هنا يمكن تقسيم مصطلح العقل الجمعي الى قسمين:

عقل هو بمثابة قاطع طريق، وعقل سليم يكون ممراً مناسباً للوصول الى ذروة «العشق» وهي المعرفة المنصهرة بالحب الكامل من أجل حفظ الوجود والشوق الحقيقي هو معرفة الانسجام مع الردّ الصادق من أجل نيل المفقود. وما أعمال البشر إلا تقييم للعقل الجمعي، أما الاعمال الخارقة فأنها خاضعة لمحاسبات العشق والشوق وهما العقل البالغ والكامل.

ومن هنا فان مظاهر الغداء التاريخي والتضحيات المحيرة للعقول انما تحير فقط العقل المتعارف عليه لدى الناس، والتي تفرز عادة التراجع والسكون والتقية كما تظهر في صورة جبن وشعور بالرعب.

أما العقل الذي يتربّع فوق ذرى العشق والشوق، فإنه لا يرى أبداً أوهام العقل المتعارف عليه.. ذلك ان من خصائص العاشق المشتاق هو الشهامة والإقدام، لا الرعب والدعوة الى التقية أو التهور.

ولم يكن الامام الحسين سوى المثل الأعلى لهذه الفضيلة، ومن سار على خطاه وهو الامام الراحل عليه السلام، إذ تجلّت فيه الحقيقة، ولم تراوده هواجس التقية الباطلة ولو حصل ما حصل، وهذا ما يتجلى ﴿لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾^(١).
تاسعاً: من توفيق الله سبحانه ان طريق الامام يزخر بالجموع الشعبية ويحظى بتأييد مراجع الدين في الحوزات العلمية والفقهاء من حملة راية الايمان ونواب

صاحب الزمان، وهو لطف من الله سبحانه الذي له ﴿جنود السموات والأرض﴾^(١).

وهو سبحانه الذي يقع أجر الشهداء والمعوقين والأسرى والمفقودين، وهو وحده الذي يؤجر أسرهم على صبرهم فإنه لا يضيع أجر الصالحين.

عاشراً: ان هذا الكتاب هو مجموعة محاضرات ومقالات على مدى عقد من الزمن فهو ليس في مأمن من التكرار كما أن مخاطبيه لم يكونوا من مستوى واحد. ولذا فان بعض فصوله ما يأخذ شكل الخطب فيما يأخذ بعضها شكل المقالات وكلاهما لا يخلو من التحليل العقلي.

وقد رأى بعض اخواني من العلماء أن يُجمع شتات هذا وذاك في كتاب عسى أن ينفع به شباب الاسلام من عشاق الامام عليه السلام والثورة الاسلامية.

أسأل الله سبحانه أن يحشر امام الامة وابناءه مع أوليائه، كما اتقدم بالشكر الى كل الذين اسهموا في اعداد وطبع الكتاب وان يتقبل الله منهم بأحسن القبول والحمد لله رب العالمين

الذكرى السابعة لرحيل الامام الخميني عليه السلام

عبدالله جوادي آملی

دماوند* خرداد ١٣٧٥ هـ ش.

(١) الفتح: الآية ٤.

(*) دماوند: أعلى قمة جبلية في ايران في سلسلة جبال البرز شمال طهران يبلغ ارتفاعها حوالي ٦٠٠٠ م. خرداد الشهر الثالث في السنة الهجرية الشمسية والثالث من فصل الربيع والتاريخ يصادف ١٩٩٦ م.

الفصل الاول

مباني الثورة الاسلامية.. رؤية قرآنية

- شتاء ١٩٨١ -

١ - ان نظام الخليقة ينهض على قاعدة الحق ولا طريق الى بطلانه ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق ﴾^(١).

٢ - ان كل سنة لا تتفق وميزان الحق محكوم عليها بالفناء كما لا يمكن لسنة تواجه الحق ان تستمر بالمقاومة ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾^(٢).

٣ - ان سنة الله التي لا تقبل الفناء ولا الزوال هي انتصار ثورة الحق وهزيمة الباطل، وهذه السنة هي من الأصول الشاملة والخالدة في نظام الخلق، ولا تتأثر هذه السنة بالانسان ولا الزمان كما انها لا تقبل التغيير والتحول وهي ثابتة على مدار التاريخ.

﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾^(٣) ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾^(٤).

٤ - الثورة لا تكون حقّة الا بعد أن تكون البنى التحتية عميقة الاعتقاد بالمعارف الالهية، لا بالاقتصاد أو بالشؤون المادية الأخرى، ففي هذه الحالة أي في حالة

(١) الحجر: الآية ٨٥.

(٢) آل عمران: الآية ١٣٧.

(٣) و(٤) فاطر: الآية ٤٣.

ارتباطها بالماديات تكون قد نهضت على أساس الهوى والرفاه المادي لاعلى اساس القسط والعدالة وشريعة الله:

﴿ وكلمة الله هي العليا ﴾^(١).

٥ - ان الثورة من أجل دولة الحق لا تساوم الباطل ولا تستسلم له.. بل أنها تقطع جذور الباطل ولا تدع لشجرتة الخبيثة فرصة الثمر.

﴿ قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾^(٢).

ومع ظهور الحق يتراجع وينتهي كل الباطل ولا يدع له فرصة يذر قرنه فيها.. وفي دولة الحق اذا رأينا فساداً قديماً أو ظهور فساد جديد.. فان هذا يعني ان الحق لا يحكم في هذا المكان.. ذلك أن الحق لا يمكنه التعايش مع الباطل او الانسجام معه. كما ان الحق الذي لا يتجذّر ولا يكافح الباطل ولا ينطوي على قدرة المكافحة ليس بحق.. انه في الحقيقة باطل يرتدي ثوب الحق.

٦ - ولأن قدر الحق هو الانتصار وقدر الباطل هو الزوال.. فانّ مجتمعاً ما لا يكتب له النصر حتى يعرف الحق الحقيقي ويعمل به سواء في عقيدته أو الايمان العميق به، ومن ثم تجسده في قوانين واحكام اسلامية يُعمل بها ويتم تطبيقها في واقع الحياة.

فالامة اذا ضعفت عقيدتها بمعارف الاسلام، او عجزت عن تطبيقها في واقع حياتها لا يكتب لها النصر. ويكون شأنها شأن الأمة التي تعتقد بالأساطير والخرافات. وتلوث بالشُرور والمفاسد الاخلاقية.. انها امة محرومة من الظفر.

٧ - وكما أكد القرآن انتصار الحق وزوال الباطل، اشار الى اسباب ذلك وبينتها

(١) التوبة: الآية ٤.

(٢) سبأ: الآية ٤٩.

ففي الوقت الذي يقول:

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾^(١).

بين أيضاً الطريق في قوله تعالى:

﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق ﴾^(٢).

فالمجتمع الذي نهض من أجل الحق، يهاجم الباطل بكل ما أوتي من قوّة لدفعه وإذا لم يفعل ذلك فإن الباطل سيواصل حياته الكاذبة.

ومن هنا فإن الاغترار بالنصر والغفلة عن مؤامرات الاعداء في الداخل والخارج يعرقل من مسار الثورة.

٨- وعندما تكون العقيدة الحق متبلورة في القرآن الكريم وسنة انمعصومين وتكون منظومة المعارف والقوانين في انسجام وتناغم بعيداً عن التششت والتبعثر وانها متفوقة على كل شرائع الامم الأخرى، وقد نهضت الامّة من أجل تحكيم هذه العقيدة فان عليها ان تتحد حتى تنتصر على كل قوى التسلّط والشر.

ولذا فان الاتحاد من اهم اسباب النصر والمراد من الاتحاد ليس التجمعات والحضور في الساحات بل انه يتعدى هذه المظاهر الصورية الى اتحاد القلوب وارتباطها واتحاد الارواح مع بعضها البعض.. لأن الأصل في المجتمع هو الروح.. وقد قال الامام الصادق (عليه السلام):

«أصل المرء لبه»^(٣).

٩- لا يتمثل الاتحاد والانسجام بين الارواح باسباب اقتصادية وغيرها من الاسباب المادّية ذلك أن القلب أمر غير مادّي وهو ليس رهناً للمادّة ولا يمكن تأثفه

(١) الاسراء: الآية ٨١.

(٢) الانبياء: الآية ١٨.

(٣) بحار الانوار: ١/ ٨٢/ ٢- أمالي الشيخ الصدوق مجلس ٢- ٩.

بالوسائل المادية.. وقد صرّح القرآن أن ألفة القلوب بيد الله سبحانه خالق القلوب ومقلّبها، ولا يمكن أن تحدث تلك الأصرة الكبرى إلا بقدرته عزّوجل ولذا خاطب رسوله ﷺ قائلاً:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١).

كما يجب الالتفات الى أن المسائل المادية.. فالوسائل المادية عاجزة تماماً في ان تبعث السلام والسكينة والانسجام في القلوب بل العكس تكون باعثاً على التشتت والتنافر واللامساواة.

ومن هنا فان الاتحاد في مجتمع ما لا يمكن حصوله إلا بعد ايمان ذلك المجتمع بعقيدة ما والعمل بها.

١٠ - الانسجام والتناغم في مجتمع ما لا يتبلور إلا بوجود امة وامام، لأنه لا يوجد انسجام بلا طريق ولا درب ولا هدف.. فالهدف والغاية هي التي تعدّ الأرضية المناسبة للحركة بذلك الاتجاه.

وعلى هذا فان الهدف مسألة ضرورية، ولا هدف بلا طريق.. لأنه لا يمكن تحقيق الهدف وبلوغه إلا بوجود الطريق.

و«الامام» هو الطريق الكبرى، حيث تعاليمه هي المعالم في الطريق وبه يتضح الدرب وتتألق الغاية.

والامام سيكون ضرورة لا بسبب دوره الاساس في طيّ الطريق بل في تحديد وجهة الطريق والاتجاه الى الهدف، وسيكون الانحراف عن خطه السياسي سبباً في الضلال والانحراف والضياغ.

(١) الانفال: الاية ٦٣.

١١ - ان الثورة الاسلامية المجيدة التي تعدّ انعطافاً في التاريخ والامة الاسلامية الايرانية وبسبب ايمانها بالمعارف الاسلامية واتباعها قيادة وارشاد نائب الامام الزعيم الاكبر آية الله العظمى الامام الخميني^(١) انتصرت على الجاهلية الشاهنشاهية وقذفت بها في مزبلة التاريخ.

«فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين».

ولذا فان أية غفلة وتغافل عن البنى التحتية للثورة والابتعاد عن ارشادات

الامام وتعاليمه سوف يهيء ظروفاً مناسبة لانهاية روح العدالة

والقانون الالهي يصرح بهذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّتُمْ عِدْنَا﴾^(١)، وقوله عزوجل: ﴿إِنْ تَعُودُوا نَعُدُّ﴾^(٢).

ان انحسار دور التعاليم وتأثيرها في الأمة يعني غفلتها عن اسباب النصر

وبالتالي خسرانها هذا المكسب العظيم.

وهذه الظاهرة من السنن الالهية التي لا تقبل التغيير أبداً.

(١) الاسراء: الآية ٨

(٢) الانفعال: الآية: ١٩.

الفصل الثاني الرؤية والموقف

- ربيع ١٩٨٣ -

إنّ ما ينبغي أن اذكره هو بدء تعرّفي على قائد الثورة الاسلامية الامام الخميني.

ان تاريخ ذلك يعود الى انتقالي من «حوزة طهران» الى «حوزة قم» وكان بحث «اصول الفقه» وهو من العلوم الاعتبارية حيث تندمج فيه قواعد العقلاء ومسائل العرف، وكان تحليله عميقاً قوياً في استدلاله ولم يكن يسمح أبداً للأوهام والاعتبارات أن تلج فيه... وهذا ما يكشف عن شخصيته القوية.

وقد قيل: «رسولك ترجمان عقلك وكتابك أبلغ ما ينطق عنك».^(١)

ولقد كان الامام ينطق بالحكمة التي لا تنبع الاً عن رجل حكيم.

وكانت سيرته العلمية مطبوعة بطابع الحرّية، لأنه كان حرّاً في تفكيره مستقلاً عن جميع المؤثرات.

وكان يرفض، رفضاً قاطعاً مجاملة الرأي العام من أجل حطام الدنيا في زمن كان يتهافت فيه الكبار على مجاملة الجمهور ويعدون ذلك نجاحاً لهم. في مثل تلك الظروف كان الامام يستنكر هذا النهج.. فلم يكن في باله أبداً أن يتزلف الى الاثرياء وأهل الدنيا لتأمين وارد مالي.

وكان هذا الاستقلال ونزعة الحرّة جزءاً من جانب التقوى في شخصيته.

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٢٩٣ ص ١٢٢ نسخة فيض الاسلام.

فلم يكن يهتمّ تهافت الطلاب عليه أو انفضاضهم عنه.. فلا تحلّقهم حوله يشعره باللذة، ولا تفرقهم يجعله يحس بالوحشة.

وكان ما يبهر طلبته فيه ليس مقامه العلمي فحسب بل روحه الكبيرة ونهجه التحرّري وحكمته.

وقد طبعت الموعظة دروسه.. خاصّة في شهر رمضان المبارك وشهر محرّم الحرام أو في موسم العطلة الصيفية.

كانت دروسه مواعظ، ومواعظه دروس وعبر، وكنا نتعامل مع مواعظه كجزء من المنهج الدراسي حيث يتم ضبطه وتسجيله.

روح قوية وكلمات تزخر بالعرفان.. كأنه ينهل من نبع سماوي، وكانت شخصيته تنطوي على ابعاد العارف الحكيم حيث العقيدة في قلبه عقد^(١) وعهد.

ومن هنا كانت كلماته عميقة الأثر في القلوب والنفوس.

لم يكن للخدعة والمكر طريق اليه، وكان يعامل ابناؤه كما يعامل الآخرين حتى نجد السيد مصطفى على منزلته العلمية المعروفة لم يفتح له حساباً أكثر مما هو مقرّر ولم يدع لأحد حتى نجله الكبير أن يتدخل في شؤونه^(٢).

سيرته الحرّة، استقلاله وروحه الكبيرة، اجتذبت إليها الطلاب وشدّتهم الى شخصيته. حتى اذا رحل المرحوم البروجردي عن الدنيا وترك بعده فراغاً واختلافاً

(١) عقد عهد وعلاقة وآصرة قوية لا تقبل الانفكاك بين الموضوع والمحمول وقضية علمية ومن هنا نفهم «الاعتقاد» كاعتقاد المهدي بين روح الانسان حيث محصلته قضية علمية / علم المعرفة في القرآن بالفارسية / ٣٢٣، المرأة في مرآة الجمال والجلال / ١٨٩ بالفارسية أيضاً.

(٢) لم اكن أسمح لأحد أن يتدخل حتى القريبين مني لم اكن اسمح لهم، كنت مستقلاً في كل شؤوني وكنت أفعل كل ما اريد، ولم افعل شيئاً لم أكن اريده، وكل عمل قمت به انما كان برويتي وتفكيري» صحيفة نور / ١ / ٦٠٠.

فيمن يملأ هذا الفراغ.. كان موقف الامام عليه السلام اعتزال مثل تلك الميادين فملأ الفراغ بخلقه الالهي.. فهو لم يسع الى المرجعية بنفسه ولا سعى في الحصول عليها بل جاءت هي بنفسها اليه، فكان زعيماً للثورة وزعيماً للحوزة.

وفي مدينة النجف الاشرف (منفاه الثاني) طلبوا منه ترخيصاً بترجمة رسالته الى اللغة «الاردو» ونشرها في الباكستان فتساءل:

- الا توجد رسالة عملية هناك؟

وجاء الجواب: أجل توجد رسالة لأحد المراجع!

وعندها قال الامام:

- إذن تكفي!

وعلى امتداد تلك السنوات أدرك الاعداء والاصدقاء على حدّ سواء ان الامام يعمل في طريق الله.. والله سبحانه ايضاً ولا ريب ينصر عبده المخلص.

وقد اعقب رحيل البروجردي اقدام الحكومة على لعبة من لعب الاستعمار فقامت وبذريعة تحرير المرأة باجراء انتخابات بلدية وكان الهدف الحقيقي استعباد المرأة وفي تلك الفترة ظهرت شيئاً فشيئاً بوادر النهضة.

انعدت اجتماعات وبدأ العلماء يصدرن بيانات مشتركة.. أما ذلك الرجل الذي كان يمارس دوره الالهي من وراء حجاب فقد كان له في القضية حساب... رأى أن يعلن مواجهته الصريحة للفساد^(١).

(١) «لقد قررت الآتعد حتى اعيد الجهاز الفاسد الى جحره أو أفد على الحق تعالى بعذر

مقبول» صحيفة نور: ٨١/١.

«اننا جميعاً مكلفون الآتعد حتى سقوط سلسلة بهلوي الحقيرة» المصدر السابق / ٦٠١.

«اننا جميعاً مكلفون للثورة على هذا (الشاه) ثورة قلم وثورة كلمة وثورة بالسلاح اذا حان وقتها، وان اولاً من يحمل السلاح على عاتقه هو أنا» المصدر نفسه / ٥٣٦.

«إنّ الامة العزيزة لن يقرّ لها قرار حتى محو آثار الظلم والاطاحة بالنظام البهلوي المنحط»

المصدر نفسه / ٥٤٢.

وما زلت اذكر برقية ارسلها احد المراجع الى الشاه المقبور حثه فيها على الطلب من حكومته اجتناب الانحراف عن الدين وجاء جواب الشاه: «نتمنى لكم الموفقية في ارشاد العوام»^(١).

وبادر الامام الى تسطير بيان خاطب فيه الشاه قائلاً:
«انك تطلب موفقية المراجع في ارشاد العوام».

وفي هذا اشارة صريحة الى اعتبار الدولة والشاه من ضمن العوام الذين هم بحاجة الى ارشاد مراجع الدين^(٢).

وهذا الموقف الفولاذي لم يكن ليتأتى من الآخرين بل أن مجرد قراءة هذه البيانات الثائرة كان يشعروهم بالرعب حتى بدأ غليان الثورة في عام ١٣٤٢هـ ش^(٣) واجتازت الثورة مرحلة البيانات والبرقيات وتبادل الزيارات والنداءات الهاتفية واطل يوم ٢٥ شوال ١٣٨٢هـ ق المصادف ١٣٤٢/١/٢هـ ش وكانت مذبحة مدرسة «الفيضية» في ذكرى شهادة الامام الصادق عليه السلام.

عندما انقض مرتزقة النظام البهلوي المشؤوم على عشرات الطلاب في المدرسة وارتكبوا مذبحة يندى لها جبين الانسان.. وفي ذلك الجوّ حيث الخوف والرعب يهيمن على الاجواء اعلن الامام احتجاجه على الحكومة^(٤) قائلاً: «لقد بيضتم وجه جنكيز المغول»^(٥).

وقد ترك هذا البيان اصداً مدوية في كل ايران، فكأنه بعث الحياة في القلوب،

(١) العوام مصطلح يعني عموم الشعب وقد يعني في كثير من الاحيان الناس الذي هم بحاجة الى ارشاد.

(٢) صحيفة نور: ٣٥/١.

(٣) ١٩٦٥م.

(٤) المصدر السابق: ٦٤.

(٥) المصدر نفسه ٦٥، ٧٣.

واحيا العلم الالهي بعد أن أكد على الامداد الغيبي لله سبحانه.
 لقد انتزع من روح الطلاب ذلك الشعور الخائف من الموت والسجن والتشريد
 والحرمان، وسدّ الطريق على كل تلك المخاوف أن تسلل الى الحوزة العلمية^(١)، ﴿ألا
 أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(٢).
 وكان الخائفون يخوفون الآخرين والذين يشعرون بالرعب ينزؤون ويلقنون
 الناس الانزواء، اما الامام فكان لا يخاف ويقول للآخرين لا تخافوا^(٣).
 أما الامام فكان لا يعرف للخوف معنى^(٤) كان يقول: الانسان الحرّ وهو يسعى
 للقاء الله أحرى له أن يلقاه شهيداً^(٥).

(١) «لا تحزنوا ولا تقلقوا ولا تضطربوا ولا تخافوا انكم على خطيئة أئمة كانوا يواجهون الفجائع
 بالصبر والاستقامة، وماتوا اليوم لا يقاس بما كان يجري.. أنتمنا واجهوا مصائب كبرى في
 مستوى يوم عاشوراء ليلة الحادي عشر من المحرم وتحملوا ما تحملوا في ذلك الطريق..
 ماذا تريدون اليوم أن تقولوا؟ وماذا تهابون؟ ولماذا انتم تقلقون؟»
 صحيفة نور ط جديدة: ٦٣/١.

(٢) يونس: الآية ٦٢.

(٣) «أمل أن يصحو بعض الافراد من مخاوف السجن» صحيفة نور ٩٧٨.
 «لا تخشوا السجن، لأنه لا يمكن عمل شيء من دخول السجن ولا يمكن أن تحصل على
 النصر» المصدر السابق / ٩٨.

«يا حضرات المبلغين ورؤساء المراكب لا تخافوا السجن بضعة أيام ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا
 وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾ المصدر نفسه / ٥٧٨.

(٤) إذا تطلبت مصلحة الاسلام أن اتكلم فسأتكلم وسأذهب في ذلك حتى النهاية، ولن أخاف
 بحمد الله شيئاً. والله انني لم احس الخوف حتى الآن ويوم أخذوني كانوا هم الخائفين،
 صحيفة نور: ١٠٧/١.

(٥) «إذا كنا نعتقد بعالم ما وراء هذا العالم فان علينا أن نشكر الله اذا ما قتلنا في سبيله فسنحشر
 في صفوف الشهداء؟ أن آخر ما تستطيعون فعله هو اعدامنا وهو بداية لحياتنا الطيبة..»
 المصدر السابق: ١٠٧/١.

لقد بعث الروح في جسم الحوزة العلمية وتغير حال القرآن من محجور الى مشهور، واستحالت وعادت السنّة تنبض بالحياة والدين الالهي اصبح ديناً مأنوساً يعيش بين الناس في الميادين.

وإذا به يرفع بيد «جوهرة» وباليد الأخرى سيفاً، واصبح القتل والاستشهاد والنفي والابعاد جزءاً من الدين.. لا في حياة الطلاب بل في سيرة الاساتذة والمدرسين.

وكان الامام اذا ما اطل شهر رمضان المبارك يجعل من رسالة الحوزة العلمية في نشر احكام الشريعة الالهية من أجل انقاذ ايران المستضعفة من الخطر. وقد انطوى خطاب الامام أيضاً على محور هام هو التأكيد على خطر الصهيونية^(١).

وطالما أكد انه ما دام هذا الخطر قائماً فان الاسلام في حكم الموتى، وانه لن ينبعث ما دام هذا السم في أرض ايران الاسلامية.

وطالما قال أيضاً: النظام البهلوي عميل لأمريكا واسرائيل وما دام هذا النظام قائماً فان الشعب لن ينال الصلاح ولا الفلاح^(٢).

وشيئاً فشيئاً انتشرت تعاليم الامام المضيفة.. انتشرت لتضيء افكار الجميع.. لكأنها نبع يسقي فسائل المذهب الذابلة..

انها كالماء الذي تتشربه الأرض فتمدّ جذور الاشجار بالحياة، ففتفتح براعم ويشند عودها وتنشر ظلالها وتؤتي ثمارها.

(١) ان خطر اسرائيل وعملياتها الأوغاد يهدد الاسلام وايران بالفناء» المصدر نفسه: ٨٨/١.

(٢) «أنني أؤكد مراراً وتكراراً خطر اسرائيل وعملياتها وعلى رأسهم شاه ايران، ولن يرى الشعب الايراني خيراً حتى يجتث جرثومة الفساد هذه.. وستبقى ايران مجللة بالعار ما دامت في حبالها، ولن ترى وجه الحرّية» المصدر نفسه: ٢٤٢/١.

كان يقول: ان دماءكم تسقى فسائل دينكم فيعلو مجده ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾^(١).

ان دماء الشهداء هي «ثار الله» الذي لا يعرف الفناء وسيبقى يفور حتى يبلغ غايته وهي «لقاء الله» ويكون الدين كله لله.

أجل لقد بعث الروح في الحوزة العلمية وانبعثت من جديد روح الشهادة والمنازلة التي رفعت شعار الاسلام.

ومن هنا نرى نسبة السجناء ترتفع في شهر رمضان المبارك وشهر محرّم الحرام، فتنحسر الشرور الأخلاقية في هذين الشهرين وترتفع نسبة الاعتقالات في صفوف العلماء وترتفع احصاءات (الجرائم) السياسية ويرتفع عدد السجناء والمبعدين.

ولم يحفظ لهذه الأمة كتابها العزيز إلا شهر رمضان المبارك الذي انزل فيه القرآن: ﴿ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ﴾^(٢).

ولم يحفظ لهذه البلاد دينها غير محرّم وصفر حيث الدماء تفور و «ثار الله»^(٣) ولم يحرس ايران في الحقيقة سوى القرآن والعترة.. هذان الامران اللذان أمرنا رسول الله ﷺ بالتمسك بهما في قوله ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^(٤).

هذا الأصلان اللذان كانا ينشدان من يتمسك بهما وينطق باسمهما، قلبى الامام هذا النداء ونهض لمسؤولية الأداء.

(١) آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) البقرة: الآية

(٣) اشارة الى الامام الحسين عليه السلام «المترجم».

(٤) المراجعات: المراجعة ٨.

لقد انهى الامام غربتهما، بعد أن نهض بمسؤوليته الالهية مستعداً لبذل الدماء مستعداً للابعاد والنفي والتشرد، من أجل أن يعود الاسلام من غربته الى أرض الوطن..

وهل وطن الاسلام سوى قلوب المسلمين.. نعم نهض من أجل أن يتحقق هدف العودة.. عودة الاسلام الى القلوب.

وكان ﷺ يبتعد عن وطنه من أجل أن يعود الاسلام الى وطنه.. من أجل أن يعود الى القلوب.. وما نراه اليوم هو آثار من جهاد ذلك الانسان المخلص والروح العظيم فليحشره الله مع الانبياء والاولياء.

طبعاً مراجع الدين والعلماء والاساتذة حرّروا ووقعوا بيانات وهم أيضاً عانوا الكثير من المشاق (شكر الله سعيهم) وانهم لم يتركوا قائد الثورة وحيداً.

ولذا فان الامام وعندما اطلق سراحه في ٢٥ خرداد ١٣٤٣ هـش وجاء الى قم خطب في المسجد الاعظم قائلاً: «انتي أقبل أيدي مراجع التقليد»^(١).

ان مراجع الدين تعاونوا مع الامام وواكبوا خطاه ولكن هناك فاصلة كبيرة بينه وبينهم:

وما بين بدري وبدر السماء اختلاف الثريا وهذي الثرى^(٢)
ولقد حاول النظام الشاهنشاهي الظالم اضعاف الحوزات العلمية واختراقها
ومن ثم افراغها من محتواها من خلال اجتذاب بعض العلماء وربطهم بالحكم.
وقد اتصلوا ببعض العلماء ودعوهم الى التدريس في الكليات والجامعات فقد

(١) «انتي ومن هذا المكان اقبل ايدي المراجع جميعاً في النجف، مشهد، طهران وسائر مدن البلاد»، صحيفة نور: ١١٧/١.

(٢) اصل البيت بالفارسية:

اتصلوا بالمرحوم الشيخ محمد تقي الآملي لتدريس العلوم العقلية والنقلية وعندما اعتذر لهم بتقديم سنّه اجابوا ان الطلاب سيحضرون الى منزلك مع أن هذا لم يكن معمولاً به في نظام الجامعة.. حتى انه فكر بالسفر خلاصاً من المضايقات.

كما اتصلوا بالعلامة رفيعي لكنه طردهم وتمثل بقول الشاعر:

اغرب وانصب فحاذك لطير آخر

فالعنقاء شاهق عشها..^(١)

اننا نذكر هذه المواقف لنذكر الظروف الخطيرة، التي نهض فيها الامام ومدني وحشية النظام الشاهنشاهي.

فالمرحوم محمد تقي الآملي عاش حياة المنفى منذ نعومة أظفاره لأن «رضا خان» اراد في البداية اعدام والده، ولكن الحكومة كانت تنهيب ذلك منذ اعدام آية الله الشيخ فضل الله نوري، فكان دمه فائراً في عروق المجتمع ولم تكن الحكومة لتجرؤ على تكرار تلك الجريمة، لهذا اكتفت بابعاد والده - والد الشيخ محمد تقي الآملي - ولذا عانى الأخير الكثير من حياة المنفى في طفولته، ولم يكن أمامه بعد أن حاولت الحكومة مضايقته سوى التوسل بالدعاء.

في تلك الاجواء الموحشة نهض الامام بمسؤوليته وقاد حركة المواجهة ضد الطاغوت، واستطاع بتوفيق الله أن يطوي بساط الظلم وأن يرمي به في وادي النسيان فـ «طوبى له وحسن مأب».

الفصل الثالث

العقل والعشق في شخصية الامام

- صيف ١٩٨٩ -

كان الامام الخميني مجدداً في الثقافة والفكر، وقد تجلّى نهجه هذا في قيادته فانقادت له القلوب.

انه ينتمي الى أولئك العظماء من السلف الصالح، وامتاز عليهم انه نقل الفكر من «العلم» الى «العين» من النظرية الى التطبيق.. فكانت الافكار الرفيعة في بطون الكتب ولكن الامام منحها الحياة على الأرض.

فإذا كان الآخرون قد قسموا الجهاد الى قسمين فانه قسمه الى ثلاثة أقسام، واذ قد قسموا الهجرة الى قسمين فانه قد قسمها الى ثلاثة.

وكان النصر حليفه في ميادين الجهاد الثلاثة والفتح في الهجرات الثلاث.

وعندها هتف: من هنا الطريق.. وهذا هو النهج ومن هنا يمكن بلوغ الهدف!

الآخرون قسموا الجهاد الى أصغر وأكبر.. فالاصغر معركة الانسان مع عدوه

والاكبر معركته مع نفسه واهواءه.. معركة في الخارج، ومعركة في الداخل.

اما أولئك الذين تخلّفوا باخلاق الله فهم الذين انتصروا في جهادهم العظيم،

حيث التقوى والورع هو النصر النهائي.

الآخرون قسموا الهجرة.. هجرتين «صغرى» و «كبرى» فالصغرى جهاد

أصغر والكبرى جهاد أكبر.

والهجرة الصغرى هي الانتقال من مكان لا يستطيع الانسان فيه ممارسة

شعائره الدينية الى مكان آخر يسمح بذلك.. أما الهجرة الكبرى فهي هجرة الانسان

من الشر واجتنب الباطل: ﴿والرجز فاهجر﴾^(١).

ولكن العظماء من أهل المعرفة الذين خلفوا لنا آثراً خالدة^(٢) يطلقون على الجهاد الاكبر «الجهاد الاوسط» والجهاد الاكبر في حقيقته: الخلاص من (شروور) «العقل».. من أسر «الاستدلال».. من مخاطر «البرهان»، والولوج في وادي «العشق». فالانسان الذي يبقى في دائرة الفكر والعقل فانه يمارس جهاده الأوسط كإنسان «عاقِل» لا كإنسان «عارف» أو «عاشق».. انه ما يزال في محور الفكر في مدار العقل وبالرغم من خلاصه من عضات الجهل، ولكنه لم يستطع بعد ترويض العقل فالانسان العادل المتقي والطيب هو انسان في هجرة وسعي لا في هجرة كبرى.

«الهجرة الكبرى» هي اجتياز مرحلة العدل والتقوى الى مرتبة أعلى هي «الحب». والانسان «المحب» هو من يفدي نفسه في طريق المحبوب، ولا يقول أبداً انها حرب غير متكافئة.. أو يقول لا يمكن مواجهة الطاغوت بأيد خالية.. فالسالك في دروب الحب لا يقول أبداً: كيف لي أن اصرخ وأنا لا أملك شبراً على الأرض؟ ولا يقول أبداً: كيف لي أن أواجه الطاغوت وحيداً؟ فلا بلد يؤويني ولا دولة تسندني؟ ولذا كان يقول: سأسافر من بحر لبحر ومن مطار الى مطار ومن سفينة الى سفينة ولكن سأظل اقاوم^(٣).

(١) المدثر: الآية ٥.

(٢) «مراتب جهاد» رسالة الشريعة، الطريقة والحقيقة بالفارسية للعارف حيدر الآملي: ٢٤٤ -

٢٥٠.

(٣) «الآن وأنا أجد نفسي مضطراً الى ترك جوار مولاي أمير المؤمنين وأرى يدي مكبلتة في الدول الاسلامية وأقف على حدود الكويت ممنوعاً من الدخول فأطير الى فرنسا.. البحث عن مكان ليس هتّي.. هتّي الوحيد العمل بإرادة الله ومصلحة الاسلام العليا».

من نداء الامام الخميني الى الشعب الايراني بعد مغادرته العراق بطلب من حكومة البعث

١٣٥٧/٧/١٤ هـ ٥ تشرين الثاني ١٩٧٨ م صحيفة نور: ٥٨٧/١.

هذه كلمات انسان «عاشق» تخلّص من أسار العقل، وهو ماض في طريق الهجرة الكبرى.. وهذا ما فعله سيد الشهداء وأصحابه من قبل.

وهو اجس «الانسان العاقل» الذي يحيا في أسار الرهان والدليل والبرهان: انه في ظروف ليس فيها ناصر ومعين وعدّة وعدد والعدو في ذروة قوّته وبطشه فان العمل بالتقية واجب والركون الى السكوت أفضل من الثورة والغليان^(١).

اما الانسان الذي اجتاز هذه المرحلة فيقول: لكي نصل الى مرتبة «العشق» يتوجب علينا أن نتخلص من حبال «العقل» والفكر؛ أجل لقد اجتاز الجهاد الأوسط فهو ماض في جهاده الاكبر في طريق «الهجرة الكبرى».

وهؤلاء الذين يظنون انفسهم أنهم في الجهاد الاكبر، هم في رأي الامام في الجهاد الأوسط.. في هجرة وسفر.

لقد أورد المرحوم الكليني في كتابه رواية عن الامام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «افضل الناس من عشق العبادة فعانقها واحبّها بقلبه، وبأشرها بجسده وتفرغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عُسْر أم على يسر»^(٢). وهذا هو حديث الامام الخميني نجده في تفسيره المضيء لسورة الحمد.. انه يتحدث عن العبادة معشوقاً جديراً بالحب.. فأفضل الناس من عشق العبادة ووهب لها قلبه لأن يفهم معنى العبادة أو يقيم عليها الدليل فهذا حدّ وسط وليس هو الغاية والنهاية.

(١) «سألت أحد السادة من أئمة المساجد في زمن فرضوا فيه على العلماء تغيير الزي التقليدي: اذا اجبروك على تغيير زيّك فماذا تصنع؟ قال: ابقى جليس بيتي ولا أخرج أبداً قلت له: أما لو انهم طلبوا مني ذلك وكنت اماما للجماعة فسأذهب الى المسجد بحلّة جديدة..»
المصدر السابق: ٢٦٢.

(٢) اصول الكافي: ٨٣/٢ ح ٣.

أن يتحمل العذابات ويضع روحه فوق كفيه ولا يهمله القيل والقال فلن تجد في قلبه غير الله ولن يجد من دونه ملتحداً.

لأن من دون ذلك لا يتحمل الانسان ولا يستمر في طريق المقاومة.

كم بثوا دعاياتهم ضد الامام بعد مذبحة ١٥ خرداد ١٣٤٢؟! كم سطوروا كلمات كالسم الزعاف كم اطلقوا الاتهامات؟!

انه لم يستطع مواجهة كل ذلك لولا انه كان مشدوهاً بمعشوقه.. مشغولاً بالنظر اليه مبهوراً بجمال طلعتة:

تَيْمَنِي النَّظْرَ إِلَى خَالِ عَلِيٍّ شَفْتَيْكَ

وَعِنْدَمَا التَّقْتَ عَيْنَيْكَ عَيْنَايَ مَرَضْتُ^(١)

هذا هو طريق «الحب» لا طريق «العقل» وكان الامام «عاشقاً» ولم يكن «عاقلاً» فالذي يفجر نفسه بحزام ناسف أو قنبلة يدوية، والذي يرمي نفسه تحت الدبابات هو «عاشق».

وكان هؤلاء العشاق من خريجي مدرسة «العشق الالهي» مدرسة الامام الخميني.

لقد طوى الامام الخميني مراحل الجهاد الثلاث، وهاجر الهجرات الثلاث وبلغ الغاية التي كان ينشد.

اننا نقف اليوم الى جوار مرقد الطاهر ونردد من صميم القلب ونشهد بكل إيمان قائلين:

«أشهد أنك قد اقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن

(١) البيت بالفارسية:

من به خال لبث أي دوست گرفتار شدم چشم بيمار تورا ديدم و بيمار شدم
ديوان الامام الخميني: ١٤٢.

المنكر وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين».

وإذا كنا تعلمنا كيف نخاطب الاولياء في مراقدهم بهذه الكلمات، فاننا نخاطب الراحل العظيم بعد ما رأينا بأمر أعيننا جهاده الطويل والمرير.

والموضوع هنا أن هذا الطريق ممكن طيّه مع أن الله سبحانه أخفى تحقيق وعده وهو القائل: ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾^(١) لقد وعدنا ووعدته الحق ولكن لا أحد يعرف متى؟ في أمد قريب أو بعيد..

وهذا الطريق ليس حكراً على أحد دون آخر.. انه مفتوح للجميع.. مشرع أمام الجميع..

فليس كل عالم يموت يحمل معه علمه.. ان صدمة الموت ستنتسيه علومه إلا ما استحال الي ملكة.. إلا ما اتحد بالروح..

فالموت ليس أمراً هيناً حتى يمكن للمرء أن يحتفظ بعلومه.. لان الموت يعني تحرر الروح من كل ما ينقلها..

الموت لا يعني موت الروح، فالروح لا تعرف الموت أبداً^(٢).

الموت: خلاص الروح من كل ما ينقلها من الأشياء الغريبة..

الروح: تتحرر من الجسد تخلص من الأموال والأولاد، نسيان الذكريات وكل الأشياء التي لا تكون مقوماً للروح.

وقد أشار القرآن الي حالتين من الموت، الانسان يشيخ وتضعف قواه الجسمية يذوي جسده شيئاً فشيئاً وكما ورد في سورة يس: ﴿ ومن نَعَّمْهُ تَنَكَّسَهُ فِي الْخَلْقِ أَفْلا يَعْقِلُونَ ﴾؟

(١) البقرة: الآية ١٠٦.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٩٦/٢.

وهذا ليس نقصاً للانسان العالم لأن قانون الشيخوخة يجري على جسد كل انسان فهذه ظاهرة هامة شاملة لا يستثنى منها أحد، ولكن هناك ظاهرة أخرى تشير اليها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ومنكم من يردّ الى آخر العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾^(١).

ومن تفيد الجزئية فهي موجبة جزئية لا موجبة كلية، فهناك اذن زوال العلم وذهاب كل الجهود العلمية هباءً منثوراً، وهذا نقص في حياة العلماء.

ان علماً يطلبه الانسان من أجل أن يقال له: «عالم»، وعلماً ينشده المرء من أجل لقب واسم وشهرة، لهو علم معرّض للنسيان والزوال.. علم لا يمكنه مرافقة الانسان بعد صدمة الموت لأنه لم يضيء روحه.. علم لم يتحول الى نور.

وهذا امام المتقين يتحدث عن صفات المتقين فيقول: «اذا زكّي أحد منهم خاف مما يقال له: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم مني بنفسي.. اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»^(٢).

الثناء، المديح هي بداية الهجوم الشيطاني وأن على الانسان أن يشعر بحالة الخطر اذا ما مُدح أو اثنى عليه ولذا نجد أمير المؤمنين علي عليه السلام يحذر صديقه وصاحبه مالك الأشتر قائلاً:

«إيّاك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها وحبّ الاطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحض ما يكون من إحسان المحسنين»^(٣).

فالعالم الذي يسعده الاطراء ويفرحه الثناء على درسه وعلمه لن يصطحب

(١) الحج: الآية ٥.

(٢) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١٨٤ ص ٦١٣ وهي من المواعظ البليغة جاءت بعد أن طلب أحد أصحابه قائلاً: صف لي المتقين كأنني أنظر اليهم.

(٣) المصدر السابق الرسالة رقم ٥٣ وهي رسالته عليه السلام الى مالك الاشتر: ١٠٣٠.

علمه معه بعد الموت.. ستتطلق الروح وتترك علمه الذي جهد في الحصول عليه.. لأن الروح لا تأخذ معها إلا ما ينسجم معها.

شيئاً فشيئاً يشيخ الانسان يتقاعد من عمله ويفقد تدريجياً علومه حتى يصبح.. نكرة في سياق نفي» كما يقولون.

«لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً».

وفي النهاية نجد ذلك الأديب البليغ وهو لا يحسن تأليف جملة مفيدة، وقد لا يمكنه أن يقرأ بصورة صحيحة سطرأ واحداً..

فما الذي يصون الانسان وهو يسلك طريق الجهاد، ودروب الهجرة؟ ما الذي ينقذه من خطر الشيطان وأحابيله؟ سوى «الرقابة» الدائمة «والحساب» المستمر.

يقول الامام الخميني في تفسير سورة الحمد: «الشباب أفضل من الكهول في استطاعتهم انقاذ انفسهم.. ان علينا أن نسعى في طرد الخواطر التي تشدنا اليها لأن هذه الخواطر هي مصداق الحديث الشريف: «فانما مثل الدنيا مثل الحية لئن مسها وقاتل سمها»^(١).

ومن ابداعات الامام الكبير هو تفسيره (الدنيا) عندما يقول: الدنيا هي: انفسكم والانسان السيء هو الدنيا، وإلا فان السماء والأرض.. الجبال والشجر الصحراء والبحر ليست هي الدنيا بل انها «آيات الله» وقد ذكرها الله سبحانه بتكريم^(٢).

ان الله سبحانه لم يذكر السماء بسوء أبداً، ولم يقل من شأن قبتها المرصعة بالنجوم كما لم يذكر الأرض بكل ما فيها مثل ذلك.

وما الدنيا سوى تلك «العناوين الاعتبارية» التي تشغل الانسان الشرير فيستغرق فيها.

(١) المصدر نفسه رسالة ٦٨ ص ١٠٦٥ نسخة فيض الاسلام.

(٢) فصلت: الآية ١١.

انها مجموع الانانيات التي تحيل الدنيا الى جحيم، فيصبح الانسان أحياناً خطباً في تلك النار: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم خطباً﴾^(١).

وإلا فابحثوا عن الدينا انكم لن تجدوها في طرق السماء ولا في مجاهل الأرض.. لن تجدوا سوى آيات الله.. لن تجدوا سوى مخلوقات تسبح لله وقد خلقت من أجلنا.

ومن هنا فان الدنيا انما هي العناوين الاعتبارية التي تنطوي عليها ذواتنا والتي يمكن الخلاص منها متى أردنا، فالخلاص منها ومن ضرورها أمر ممكن والطريق الى ذلك مفتوح مشرع ميسر لمن سلك.

ان علينا أن نراقب أنفسنا.. نحاسب ذواتنا، وحتى نبدأ الهجرة ينبغي لنا أن نميز بين الخير والشر.. بين الحلال والحرام، لأن الانسان الذي لا يعرف أحكام الحلال والحرام لن يكتشف القبح ولن يعرف الجمال.

وعندما يعرف الانسان قضايا الاسلام، ومسائل الحلال والحرام عندها يدرك كيف تنخدع النفس..

فالنفس لا تصبح فجأة «أمارة بالسوء».. انها تنحدر شيئاً فشيئاً.. وكذا السير التكاملي وارتقاء الدرجات العلى.. يصبح الانسان في البدء «نفساً مطمئنة» بل أن بلوغ هذه المرتبة يلزمه برنامج من التهذيب والتزكية، ويتوجب اجتياز مراحل عديدة حتى يصل هذه المرحلة.

والسقوط أيضاً انحدار في درجات حتى يصل الانسان حضيض النفس «الأمارة بالسوء» فتأمره نفسه الى عمل قبيح فيضيع.. وهو «التسويل» الذي يشير اليه القرآن الكريم.

كما نرى ذلك في قصة السامري الذي اعترف قائلاً: ﴿سوّلت لي نفسي﴾^(١) وما نراه في اتهام يعقوب ابناؤه حول مصير يوسف: ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً﴾^(٢).

فالنفس «المسوّلة» شيطان في الاعماق لا ينفك عنا، انه عالم نفساني وثيق الصلة بطبيعتنا.. يعرف تطلعاتنا جيداً ويعرف أيضاً هواجسنا، ولذا فهو يصوّر لنا الشرور في حلة بزاقة، وعندها يقدم المرء على تجرّع السم وهو يحسبه عسلاً.

فالنفس المسوّلة كالشيطان لا تغتال الانسان وتقضي على حياته لأن الشيطان لو أقدم على قتل الانسان لارتاح المرء.. لأنه وإن لم يشعر باللذة فان لن يشعر بالألم، فالشيطان عدوّ ولكنه ليس من همه قتل الانسان، بل انه كل شيطنته تستهدف أسر الانسان، ومن ثم تسخيرها فيعمل كل ما يملي عليه ويصنع كل ما يأمره.

وهذا ما يقصده الامام علي عليه السلام في قوله: «وكم من أسير تحت هوى أمير»^(٣).

وما أكثر العقول التي أسرت في طريق الجهاد... أسرها الهوى..

الانسان أسير مهما فكر بعقل، وتأمّل في فكر لأن حاصل تفكيره وتأمّله

سيكون تحت تصرّف الهوى.

لأن العقل أسير تابع لهوى أمير.

إننا نشاهد حركة العلم وتقدّمه، ولكن في ميدان صناعة أسلحة الدمار.. العلماء

أبرياء ولكن السياسة اللاعبون هؤلاء المفترسون الذين لا يتورّعون عن ارتكاب

الجرائم انهم يفكرون جيداً ولكن هذا الفكر هو «أسير هوى أمير..»

فالشيطان يسعى من أجل أن تكون له حاكمية على الانسان.. أنه يريد أسر

(١) طه الآية: ٩٦.

(٢) يوسف: الآية ١٨.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٢ ص: ١١٨٢ نسخة فيض الاسلام.

الانسان وتوجيه ثقافته بالاتجاه الذي يشاء.

ومن هنا فان النفس المسؤولة تخدّر الانسان.. تزرقه سمومها التي لا تقتل بل انها سموم مخدّرة ولذا جاء على لسان الانبياء: ﴿بل سوّلت لكم انفسكم أمراً﴾^(١). أي يصل المرء مرحلة يرى فيها القبح جمالاً والجميل قبيحاً وعندما يرى الانسان السيئات في صورة حسنة، ثم يرتكبها يعني أنه تشرب هذه السموم فهو مخدّر ومدمن، وعندما يكون قد أدمن الذنوب يصبح نفساً «أمارة بالسوء» ويصبح الانسان تابعاً ذليلاً لها تأمره فيطيع، وقد يدرك فيها بعد أنه يرتكب الكبائر ولكنه قد اصبح مدمناً، والمدمن كالأسير الذي لا يملك ارادة فهو تابع ذليل.

وعندما يهوي الانسان ويصل في سقوطه الى مرحلة النفس الأمارة بالسوء فانه قبل ذلك قد اجتاز مرحلة النفس المسؤولة.

وإذا ما أردنا أن نتجنّب السقوط في فخ النفس المسؤولة، علينا أن ننتبه ونكون على أهبة الاستعداد والحذر.. فإذا قررنا عملاً ما فإننا ندرس خطوتنا لنرى هل هناك هدف غير الهي؟ فإذا أحسسنا ان هناك غاية ليست لله فلننصرف عن ذلك.. ومثالاً على ذلك إذا أردنا عمل خير ثم رأينا شخصاً آخر يبادر الى عمل ذلك الخير فينبغي أن نشكر الله لأن نيّتنا عمله، وقد تحقق ذلك العمل. ونحن في ثوابه شريكون.

ولكن لو قلنا: وما كان عيينا حتى لم نفعل ذلك؟

ان هذه الهواجس هي بداية الطريق في السقوط في شرك وتسويل النفس. انه ليس من السهل الخلاص من أحابيل الشيطان، لأن الانسان اذا نجا من تسويل النفس فان عقله سيكون هو الأمير على نفسه، وتصبح المعادلة: «وكم من عقل اسير تحت هوى أمير» بهذا الشكل: «وكم من هوى أسير تحت عقل أمير».

(١) يوسف: الآية ١٨.

وقد جاء في رسالة للامام علي عليه السلام قوله: «وانما هي نفسي أروّضها بالتقوى»^(١).

وكما نرى يقوم الانسان بتربية بدنه لتصبح عضلاته قوّة، فان الامام علي عليه السلام يقوم بتربية نفسه بالتقوى لتتعلم على طاعة العقل وحتى لا تعرف غير الطاعة. ومثل هذا النسان يعيش «عالماً» ويهرم «عالماً» ويموت «عالماً» ويبعث يوم القيامة «عالماً».

ومن هنا جاء في الروايات: «يقال للعالم: قف اشفع تُشفع»^(٢). إنّ هذا الحديث لا يشمل كل من حصل العلوم وكل من درس وحفظ العلوم.. ان عدد ضئيلاً يبعثهم الله يوم الحشر «فقهاء» كما جاء في الحديث: «بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً»^(٣).

ويعبر القرآن عن هذه بالمجئ: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر امثالها﴾^(٤). فالملاك إذن فعل الحسنات، والحسنات لا تتحقق الا في ظلال «الاخلاص» وخلوص النية وعندها يكون ثوابه (فله عشر امثالها) أو (فله خير منها). ان الله سبحانه لم يعد كل من فعل حسنة أن يحصل على عشر أمثالها، فقد يعمل أحدهما خيراً ولكن حياته تنتهي بالشر وسوء العاقبة. ولو أن انساناً انطوى على هذه الخصلة فانه يحشر يوم القيامة «عالماً» ويكون له حق الشفاعة، وكما انه يشفع للناس في الدنيا، ويحول بينهم وبين الانحراف فانه يشفع لهم يوم القيامة.

(١) نهج اللاغة كتاب رقم ٤٥ ص: ٩٦٧.

(٢) بحار الانوار ٣٢٠/٧ رواية ١٦.

(٣) المصدر السابق ١٥٣/٢ رواية (٢-٩).

(٤) الانعام: الاية ١٦٠.

ولقد كان الامام الخميني عليه السلام من النوادير الذين بلغوا هذه المرتبة.. لأنه كان لديه «اخلاص في العمل» وهو الذي سعى في طَيِّ الهجرات الثلاث وسلوك مراحل الجهاد الثلاث.

وهو الذي دعا الى ترك توصيات العقل وحساباته العادية، ومعادلاته الرياضية بعمله وفعله دعا الى ذلك لقد نجا من شرور «العقل» وبلغ مرحلة «الحب» واقتدى في طريق السالكين بدرج المحبة، على خطى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام.
وعصارة البحث هل يستطيع الانسان في ظل المحاسبة والمراقبة والحذر الخلاص من شرور النفس الامارة بالسوء والمسؤلة ومن ثم يصبح العقل هو الحاكم على النفس؟

ومثل هذا الانسان قادر من خلال الاخلاص والايثار والتضحية على الخلاص من فخ العقل أيضاً.. يصل الى منزلة «العشق» الرفيعة والى منطلق المحبة ليصبح «العشق» حاكماً على «العقل» وأميراً عليه.. ومن أجل طَيِّ هذا المسار الطولي فانه لا يكون قد طوى الهجرات الثلاث بل وأتمّ مراحل الجهاد الثلاث، وسيكون من نصيبه حينئذ احياء الاسلام المحمدي الاصيل.

وهو ما نسأله من الله سبحانه في ليالي رمضان المباركة عندما ندعوه قائلين:
«اللهم اني اسألك أن تجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري»^(١).
وفي عصرنا اليوم فاز الامام الراحل بهذا الفيض الالهي.

الفصل الرابع مسافر في وادي العشق

- صيف ١٩٨٩ -

بالرغم من إن الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾^(١) هي سلوى الذين يجلسون في مآتم العزاء عند رحيل الصالحين، ولكن اطلاق هذا الركن الذي يبعث على الطمأنينة هو كاطلاق أو تعميم كثير من الأدلة النقلية التي لا تبقى في مأمن من التقييد أو التخصيص.

ولقد أحدث رحيل النبي الأكرم ﷺ ثلثة لم تسدّ ولن تسد حتى يوم الدين. ولذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يناجي الراحل العظيم: «لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد»^(٢).

ولأن النبي ﷺ كان أسوة السالكين: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾^(٣).

فإن الذي كان ينهل من نيميره العذب الزلال ومعينه البارد ورحيق شهبه سيتجرع كأس مرارة غيابه.

وبالرغم من احتمال ظهور نظير^(٤) له في الاجيال القادمة، ولكن هذا لا يعوض

(١) البقرة: الآية ١٠٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٦ من ٧٣١ فيض الاسلام.

(٣) الاحزاب: الآية ٢١.

(٤) الاشارة هنا للامام الخميني الراحل (المترجم).

ولا يسلي الجبل الحاضر و«جَلَّ جناب الحق عن أن يكون شريفةً لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد»^(١).

ولقد كان الامام الخميني عليه السلام من الذين اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وآله ومن اولئك الافذان الاحرار الذين بعثوا الاسلام وأحيوا امر الله وحزروا دينه من أسر الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من طعام الوهابية ومن على شاكلتهم.

لقد كان الراحل كجدّه علي بن أبي طالب مولى الموحدين الذي كانت خلافته زمن تحرّر الدين من أسر المنحرفين وهو القائل: «ان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الاشرار يُعمل فيه بالهوى ويُطلب به الدنيا»^(٢).

ولذا سيكون علينا شاقاً الصبر على فقيدنا الراحل.

وكما أن الله هو مبدأ الأشياء ﴿الله خالق كل شيء﴾^(٣) فهو إليه المعاد ﴿ألا الى الله تصير الأمور﴾^(٤).

فهو أصل الأشياء ومنتهاها، ومن كان محتاجاً الى الله في نشأته فهو محتاج اليه في كل شؤون وجوده.

وكيفية عودة الانسان الى غايته (تختلف عن كيفية نزوله أو مجيئه) أمر لما يقع بعد وهي ليست «منفصلة» عن اختيار الانسان، وتغير هذه ليست محالاً وهي على ارتباط بشقاء الانسان وسعادته الابدية.

ولذا فان البحث في ذلك أمر ضروري.

وعلى هذا فان مسار الانسان الى الله وصيورته نحو الحق معالم هي اشارة

(١) اشارات ابن سينا.

(٢) نهج البلاغة / عهده عليه السلام الى مالك الاشتهر.

(٣) الزمر: الآية ٦٢.

(٤) الشورى: الآية.

لدقائق العقول^(١).

والفرق الاساس بين منحني وقوس الصعود وقوس النزول، انه في قوس النزول فيض الهي انطلق ليرتدي حلل التعيين الواحدة بعد الأخرى حتى اصبح في شكل الانسان وصورته المادّية، وبحيث لا يكون هذا التنزل في مقام «التجافي»^(٢). ولا تكون نفخة الله من روحه في البدن الآدمي سبباً في انفصال شيء من الذات الأحدية القدسية، ذلك أن «نفخت فيه من روحي» لا تعني سوى التشريف ليس غير. كما أن عودة القافلة البشرية الكبرى لا تعني اضافة شيء الى الذات القدسية: ﴿ لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ﴾^(٣).

في قوس الصعود ينزع المستفيض عنه حلل التعيين الواحدة بعد الاخرى حتى يصل الكمال المطلق في مدار الامكان. ويكون في عباد الله المقربين فيلج جنّة الله التي وعدّها إياهم: ﴿ فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾^(٤).

ومع المقياس الأنف وعلاوة على أن وحدة الفيض في مرحلة النزول محفوظة فان وحدة المستفيض في مرحلة الرقي ستكون أيضاً محفوظة، ولأن السير التصاعدي ليس على نحو الانتقال المكاني بل على نحو التحوّل في المكانة، وعلى هذا فان مسار الانسان سيكون على نحو الصيرورة.

كما ان القوانين والنظم الحاكمة في قوس الصعود تختلف عما هي عليه في قوس النزول، ذلك أن الانسان في الدنيا لا يمكنه العيش بعيداً عن الآخرين.. لا يمكنه أن يحقق تطلعاته بمفرده، ولكن الانسان بعد الدنيا باستطاعته مواصلة الحياة

(١) يقول الامام علي عليه السلام: (ويشير الهمم دقائق العقول) الخطبة ١ ص ٢٣ فيض الاسلام.

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن ١٨٣/١.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

(٤) الفجر: الايتان ٢٩ - ٣٠.

بمفرده وبامكانه تحقيق ما يصبو اليه.

وبالرغم من امكانية وجوده مع الآخرين ولكنه في الحقيقة وحيد وبعيد عنهم. وهذا سيد الموحدين الذين لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً^(١) يقول عن الموتى: «جيران لا يتأنسون، وأحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف، وانقطعت منهم اسباب الإخاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر وهم أخلاء»^(٢).

ولا يعني استقناء الانسان في عالم ما وراء الموت، عدم حاجته الى الاعمال الحسبية والجسمية، بل يعني القدرة على القيام بكل الاعمال الجسمية والروحية وبمفرده، وهذه القدرة سوف لا تكون الا باطلاق نسبي وسعة الوجود. على أن الاطلاق لأهل الجنة أوسع منه لأهل النار، ذلك أن الاشرار وأهل النار وبالرغم من خلاصهم من ضيق الدنيا فان اعماقهم رهينة الاحتراق والضيق منهم وفي المراحل الثلاث في عذاب أليم. فهم في الدنيا في ضنك من العيش: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً﴾^(٣).

وهو في عالم البرزخ يضغطه القبر.

وهو في الجحيم رهن السلاسل والاعلال والأبواب الموصدة.

﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الاصفاد﴾^(٤).

﴿واذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً﴾^(٥).

(١) «لو كشف النطاء ما ازدادت يقيناً».

(٢) نهج البلاغة ط مؤسسة النشر الاسلامي الخطبة: ٢٢١.

(٣) طه: الآية ١٢٤.

(٤) ابراهيم: الآية ٤٩.

(٥) الفرقان: الآية ١٣.

﴿ انها عليهم موصدة في عمدة ممددة ﴾^(١).

أما أصحاب الجنة فقد تحرّروا من أسر الدنيا وسجنها الطبيعي، وهم في سعة
وقسحة ورغد في جميع المراحل... فهم في الدنيا: ﴿ من يتق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾^(٢).

وهم في القبر في روح وريحان.

وهم في الآخرة في مكان يسع عالم الوجود بأسره ﴿ وسارعوا الى مغفرة من
ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾^(٣).

وسرّ وصول الفريقين (أهل الجنة وأصحاب الجحيم) الى سعة الوجود هو
خروج كل منها من قوّته الى فعليته المناسبة.

وآية ذلك انهما في صيرورة وتحول ويتمتعان باطلاق نسبي وسعة وجود هو

ان الله سبحانه ذكرهما بانسراح الصدر فذكر اهل النار بقوله عزوجل:

﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ﴾^(٤).

وذكر أصحاب الجنة:

﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه ﴾^(٥).

مع التأكيد على الاطلاق الوجودي للمتقي أوسع منه للمسيء فقد عبر عن صدر

العاصي بالضيق:

﴿ ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً كأنما يصعد في السماء ﴾^(٦).

(١) الهزمة: الايتان ٨-٩.

(٢) الطلاق الاية ٢.

(٣) آل عمران: الآية ١٣٣.

(٤) النحل: الآية ١٠٦.

(٥) الزمر: الآية ٢٢.

(٦) الانعام: الآية ١٢٥.

وكما هو الحال في أصل تنزّل الفيض والحضور في نشأة الطبيعة ليس تابعاً لارادة أحد، فان أصل العودة ورفي المستفيض الى نشأة ما وراء الطبيعة لا يخضع لرغبة أحد.

ولكن الشيء الوحيد الذي بإمكان الانسان انتخابه هو كيفية السفر وكيفية العودة الى رحاب الأسماء الالهية.

فبعض يتحرك نحو اسماء الله الجبّارة وبعض يسير نحو اسمائه الرحيمة. وقد أشار القرآن الكريم الى الاصل المشترك وهو اللقاء الحتم بالأسماء الالهية في قوله تعالى:

﴿يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب الى أهله مسروراً، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثوراً ويصلى سعيراً. أنه كان في أهله مسروراً، انه ظن أن لن يحور﴾^(١).

ومن هنا فان قوافل البشر تسلك دروب الاسماء الالهية.. البشر هم الذين يتحملون مسؤولية الانتخاب.

أسماء الجلال أو الجمال، أسماء الرحمة أو الجبروت. فالمتقون الذين انتخبوا طريق الجمال فانهم يسلكون درباً سهلاً وصراطاً مستقيماً وطريقاً لاجباً يمضي بهم بيسر الى مقام القرب الالهي، ويأتيهم النداء: ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾^(٢).

واما الاشرار الذين انتخبوا طريق الجلال فانهم يصلون بمشقة ولا يحظون

(١) الانشقاق: الايات ٦ - ١٤.

(٢) الفجر: الايتان ٢٩ - ٣٠.

بالقرب الالهي وقد خيم عليهم جوّ مكفهرّ، ينذر بالعذاب والويل والثبور و(اولئك ينادون من مكان بعيد).

ثم يسمعون صيحة جبّارة تنخلع لها القلوب وترتجف الابدان: (خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه).

سيعيشون الحرمان من رؤية جمال الحق لأنهم يحشرون عمياً: (ونحشره يوم القيامة أعمى).

وبينهم وبين رحمة الله حجاب كثيف.. لأن قلوبهم مترعة بالشّرّ والخطيئة واذما راموا لقاء الله سيواجهون به(كلّاً انهم عن ربهم لمحجوبون).

انهم سيسيتيقظون ولكن متأخرين جدّاً وبعد فوات الأوان.. ولات حين مناص سيقولون: (ربّنا ابصرنا وسمعنا).. مع انهم في الدنيا لا يرون سوى المعاصي والشرور.

ومن هنا لا يتساوى الفريقان لأن أحدهما صالح سالك وسلوكه ليس فيه سوى الشرور والآثام، والآخر صالح سالك وسلوكه عين الصلاح والفلاح لأن زاده التقوى^(١).

على الرغم من وجود زاد آخر هو الطغيان والعدوان: «من الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد»^(٢). «وبئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد»^(٣).

وكما أن الصالح لا يتساوى مع الطالح، فان الصالحين السالكين لا يتساوون مع بعضهم البعض.. فهناك بينهم العلماء العاملون وهم الذروة لأن سيرتهم الحق وقولهم الحق.

(١) «ترؤدوا فان خير الزاد التقوى».

(٢) نهج البلاغة / وصيته عليه السلام الى ابنه الحسن عليه السلام.

(٣) المصدر السابق / الحكمة رقم ٢١٢.

وقد وصف الله سبحانه العلماء بما يرفع من قدرهم، ويعلي من شأنهم وجعلهم أهلاً لادراك قدرته فقال عز من قائل:

﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(١) فهم العلماء بالحق الذين يخشون الله ولا يخشون أحداً غيره.

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً﴾^(٢).

وبالرغم من ان تبليغ الرسالات سمة الانبياء وحملة الوحي الالهي، وهم الذين لا يخشون احداً إلا الله، ولكن العلماء بالحق يحملون ميراث الرسالات فاستحقوا هذا الوصف وهو خشية الله وحده.

ومنشأ هذا الحصر انهم يخشون الله أولاً، وثانياً لا يخشون أحداً إلا هو، وهذا هو كمال توحيدهم.. بالرغم من ان جميع الكمالات الدينية انما تعود الى الاعتقاد التوحيدي.

وأثر التوحيد ان الانسان يخشى الله رب العالمين، ويتعزف واجبه، لان التوحيد يقتضي منه أن لا يفكر إلا في الله.. في العسر واليسر، والشدة والرخاء، وهو في كل الأمور يقول: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾^(٣).

وبالطبع ان الخشية ليست هي الخوف، لأن الخشية تعني الخوف المفعم بالعقيدة، ولذا فان الموحد يخاف غير الله ولكن لا يخشى أحداً إلا الله.

وخلاصة القول ان الجميع في حالة سلوك في دروب اسماء الله.

وكل سلوك الذي هو في اطاره كحركة ينقسم كمقاطع هامة.. الى بداية ووسط

(١) فاطر: الآية ٢٨.

(٢) الاحزاب: الآية ٣٩.

(٣) الانعام: الآية ٦٣.

ونهاية، وكل مقطع من المقاطع الثلاثة، ينقسم بدوره الى ثلاثة أقسام، ولكل الاقسام التسعة اسم وصفة وحكم^(١).

وقد ينقسم على أساس الحكمة الى وجود متصل تدرّجي، ولكل متصل يمكن افتراض أجزاء لا نهائية لا تقبل التقسيم الى مقاطع محدّدة.

وفي هذه الحالة سيكون للسير المعنوي درجات كثيرة لا يمكن تحديدها خاصّة وأن الغاية من العلوّ والتنزّه هي تلك الغاية.

وقد يكون السير في الغاية أهم من السلوك نحو الغاية لأن المسير يساوي السالك وكلاهما من سنخ واحد.

ولكن المقصود هو من سنخ آخر، كما هو الحال في الاختلاف الشاسع للوجود بين «السفر الى الله» و«السفر في الله».

ولعلّ هذا هو ما يعنيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قوله: «آه من قلّة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد»^(٢).

فهو يعني السفر في الله لا السفر الى الله، لأنه القائل في معرفة المبدأ: «أفأعبد ما لا أرى؟»^(٣) وهو القائل في «المعاد»: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»^(٤).

ففضية السير الى الله متحققة، ولكن السير في أسماء الله هو الأمر الهام؛ ومن هنا جاءت مفردة «المورد» في نص الحديث الآنف الذكر، فهي تستطيع أن تكون شاهداً على السير الى الله، لأن السالكين في أسماء الله يلجون في كل لحظة على اسم

(١) شرح اشارات / نمط نهم (شرح الاشارات) النمط التاسع - ابن سينا الفصل ١٧.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٧٤ ص ١١٩ نسخة فيض الاسلام.

(٣) المصدر السابق الخطبة ١٧٨ ص ٥٨٢.

(٤) شرح ابن ميثم.

اعظم لكي يكون مصدر «هيمنان»^(١) مهم؛ الى ان يصلحوا الى الاسم الأعظم وعندها يلقون عصا الترحال وتنزاح عن قلوبهم هموم الفراق بلذائذ الوصال.. ولذا فان السفر في المقصود اهم بكثير من السير نحو المقصود.

والسير في الأسماء الالهية سوف لا يكون ربح السالكين العباد.. لأن بعضاً منهم يتحركون نحو مقصد هو ﴿والآخرة خير وأبقى﴾^(٢). وبعض صوب ﴿ما عند الله خير﴾^(٣) وثالث يشده شوق ﴿والله خير وأبقى﴾^(٤).

والفريق الثالث لم ينج من الحجب الظلمانية فحسب بل، وانزاحت عن بصائرهم الحجب النورانية.. حتى لم يبق بينهم وبين ربهم شيء.

وهذا المقام الرفيع لم يظفر به كثير من الملائكة، ذلك انهم لما ينالوا لقاء الحق تعالى بالرغم من بلوغهم معرفته:

«وصلت حقائق الايمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الايقان به الى الوله إليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره»^(٥).

قالشوق اليه والوله به آية للسفر الى الله وليس في الله.

ف(ما عنده) دلالة على أن شوق هذا الفريق من الملائكة الى شيء هو عند الله وليس الى الله.

(١) «الهيمنان»: الهيام والمهيم من أوصاف الملائكة وقد جاء في الدعاء المأثور: «والملائكة المهيمين».

كما ورد في الصحيفة السجادية وفي مناجاة المحبين للامام السجاد عليه السلام: «الهي فاجعلنا ممن هيمت قلبه لارادتك».

(٢) الأعلى: الآية ١٧.

(٣) آل عمران: الآية ١٩٨.

(٤) طه: الآية ٧٣.

(٥) نهج البلاغة الخطبة: ٩٠.

ومن هنا جاء توهم الامام الرازي وامثاله، وتوقفهم حيث لا يكون الله هو المحبب والمراد ثم جاء الخواجه الطوسي فأزال هذا الوهم^(١).

وكما هو الحال في اختلاف الرأي في تقسيم درجات الطريق، هناك حيث يمكن ارجاع ذلك التشتت الى وحدة النظر.

فهناك ايضاً لدى أهل السلوك اختلاف في الفتوى، يمكن ارجاعه الى رأي جامع متفق عليه.

فبعض يرى اليقظة والصحوه أول منزل، وبعض يرى الإرادة هي البداية والدرجة الأولى^(٢).

ومنشأ الارادة قد يكون مرّة «البرهان» ومرّة أخرى «بالايمان»^(٣). والجمع بينهما ممكن بل مفيد لان مبدأ اليقظة والصحوه ايضاً ليس خارجاً عن الأمور المذكورة.

بالرغم من أن ازاحة الغبار هو شرط لازم في أي سلوك، ولكن اجتناب أي نوع من أشواك الطريق أي تزكية وتطهير القلب وحده لا يكفي.

بل أن تجميل الروح ضروري في زاد الطريق، مع الالتفات الى ان التوقف في كل حدّ خاص بالكمال يعدّ في ذاته قاطع طريق حيث يتوجب فيه صفاء أكثر يتطلب ازالة هذا التجميل كماّة ملوثة.

ذلك أن ضيق «بشرط لا» من أجل سفر طويل (لا بشرط) يعدّ حجر عثرة في الطريق وسدّاً في طريق العابرين، وكأنّ العابر والمعبر كلاهما واحد في سير الملكوتيين.

(١) شرح اشارات ابن سينا نمط ٩ الفصل الخامس.

(٢) شرح الاشارات الفصل السابع النمط التاسع.

(٣) المصدر السابق.

لأن السفر الروحاني يختلف عنه في السفر الأرضي، والسلوك في درجات الروح ناهيك عن الحركة في منافع المكان والسفر نحو الله، هو سير في مراحل العقيدة والاخلاص والعمل الصالح، وهي جميعاً سَيْرٌ لها سلوك خارج قلب وقالب العبد الصالح.

وهذا التجميل هو تقيد بجمال محدود ومن هنا نفهم هذه المقولة:

«حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»^(١).

ذلك أن المقرّبين أعلى من الأبرار والتوقف عند درجة الأبرار هو لدى المقرّب قطع طريق والاكتفاء بجمال الأبرار نقص عند المقرّبين. والسّر في كون التزكية من محدودية الكمال هو أن الامتياز بين الدرجات الطولية هو من طرف واحد لا طرفين.

يعني يمتاز من الأعلى الى الاسفل، دون أن يكون للدرجة السفلى امتياز على العليا، لأن الفائز في الدرجة العليا فقط لأنه افترق اصالة عن الدرجة السفلى، والدرجة السفلى تتبعها.

وأما الدرجة السفلى فلأنها فاقدة لكمال العليا والفقدان هو أمر عديمي فستكون فاقدة للامتياز ذاتياً.

وعلى هذا فهي تفتقد ما يجعل لها امتيازاً. وهذا هو نفس الموضوع الذي قال فيه: ان الامتياز في التشكيك العرضي من طرفين، ولكن في التشكيك الطولي من طرف واحد... بالرغم من ان عدم ملازمة الطولية في حقيقة التشكيك.

وعلى هذا الاساس يلزم السالك لطريق الحق الخلاص من التعيين الخاص لمرتبة الدنيا.

(١) بحار الانوار: ٢٥/٢٥٠ رواية ١٦ باب ٦.

ذلك ان خصوصيته ترافق فقدان الكمال الأعلى ومن دون الخلاص من فقدان لا يتيسر وجدان الكمال الأعلى.

والقيمة الوجودية لكل سالك تعيبتها الهمة: «قدر الرجل على قدر همته»^(١).

والمؤمن الحق هو من كان عالي الهمة: «بعيد همّه كثير همته»^(٢).

همهم المستقبل البعيد فلا يرتضون بأقل من «جنة اللقاء».

وعندما يكون هم الآخرين التعلق بالخلق، فان هم هؤلاء التعلق بالحق، فلا ينشدون غيره، فهم من أجل الوصول الى مطلوبهم كما الملائكة لا يتسلل الى همتهم المكر: «ولا تنتضل في همهم خدائع الشهوات، وقد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمّموه عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم»^(٣).

ومن أجل الخلاص من كل تعلق أو تعين تلزم الهجرة والجهاد حيث يندمج الاثنان في الغالب، لأن النجاة هي فح التقيد وهو الهجرة، لا يتيسر الا بالسعي والذي هو الجهاد.

ولأن السير الى الحق لا نهائي، والتحرر من كل درجة سفلى والخطو في الدرجة العليا يتطلب هجرة وجهاداً خاصاً، لذا لا يمكن تحديد أقسام الهجرة والجهاد غير أنه يمكن رسم خطوط كلية في مقاطع مشخّصة، والجامع لها جميعاً هو الهجرة من الشرك الذي هو أس كل رجز ورجس، الى التوحيد الذي هو شجرة طوبى.. شجرة كل الاشياء النقية الطاهرة: ﴿والرجز فاهجر﴾^(٤).

وما تقسيم الهجرة الى صغرى وكبرى والجهاد الى أصغر واكبر أو توزيع

(١) نهج البلاغة الحكمة ٤٤ ص ١١١٠ فيض الاسلام.

(٢) المصدر السابق الحكمة ٣٢٥ ص ١٢٤٣.

(٣) نهج البلاغة / خطبة: ٩١.

(٤) المدثر: الآية ٥.

ذلك داخل النفس وخارجها كما ورد في بعض الروايات أيضاً.. إلا من أجل بيان طائفة من الدرجات أو تحديد الأوصاف الكليّة.

والمحور الهام في هذه المقالة ان مسألة الصغر والكبر في الهجرة والجهاد أمر نسبي لا نفسي ولذا فان المبدي في طريق السلوك كبيراً هو في نظر السالك المتوسط صغيراً وما يظنه السالك المتوسط كبيراً يراه السالك النهائي صغيراً. لأن اسباب اعتبار الهجرة الكبرى والجهاد الأكبر هو الجهل بقدرة العدو. فإذا تعلق بالصغير أو عدّ العدو حقيراً فسيحصل التوقف ولن يفكر في أن الهجرة منه أو مجاهدته سيكون كبيراً.

هو حدّ من السالكين في توحيده يرى الله عظيماً ولا يرى غيره كائناً من كان إلا صغيراً وحقيراً: «عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»^(١).
«سبحانك ما أعظم شأنك.. وما أصغر كل عظمة في جنب قدرتك»^(٢).
وعندما يعظم الخالق في قلب الانسان يصغر المخلوق في قلبه: «عِظْمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يَصْغُرُ الْمَخْلُوقِ فِي عَيْنِكَ»^(٣).

وهو يوصي الناس ان تكون الدنيا في أعينهم أقل شأناً من قشور الفاكهة ومن نتف الصوت المقروض: «فلتكن الدنيا في اعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراضة الخَلْم»^(٤).

انه علي الذي لا يوجد له نظير في أمة الاسلام في احتقاره للدنيا.. لأن شأن كل هجرة يتناسب مع قيمة المهجور عنه والمهجور اليه.

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٤ ص ٦١٢.

(٢) المصدر السابق الخطبة ١٠٨ ص ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه الحكمة ١٢٤ ص ١١٤٦.

(٤) المصدر نفسه الخطبة ٣٢ ص ١٠٨.

فإذا كانت الهجرة من الدنيا الى الآخرة لها شأن لدى المبتدئين من أهل السلوك ولكنها لمن قطعوا الأشواط في السلوك ليس لها شأن ولا حرمة.. لأن المهجور عنه لديهم هو أهون من ورقة شجر تافهة: «وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها»^(١).

بل انها تستحيل الى ما هو أهون من ذلك.. أدنى بكثير.. تستحيل الى شيء مقرر جداً.. تستحيل الى عظم خنزير في كف مجذوم: «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم»^(٢).

وعندما تكون الهجرة صغيرة لأنها بمستوى المهجور عنه فان نظيرها من الجهاد سيكون صغيراً ولن يكون كبيراً أبداً، ناهيك عن أن يكون الأكبر. ومثل هذا اللون من الهجرات التي ترافق هون المهجور عنه تذكر بالرفض وهي مفردة تعبر عن الترك المشوب بالاحتقار^(٣).

«عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها»^(٤). وكما بيّنا سابقاً فان الهجرات لا تتساوى على أساس المهجور اليه؛ وكما هو الحال في كون الهجرة الصغرى نظيراً للجهاد الأصغر ولها سيراً في الأرض.. فإن الرجال ذوي الهمم الكبيرة يبدون من الحب للمهاجرين ما يهيا لهم أرضية الهجرة فذكرهم الله بالحسنى في قوله عز وجل:

﴿والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

(١) المصدر نفسه الخطبة ٢١٥ ص ٧١٤.

(٢) المصدر نفسه الحكمة ٢٢٨ ص ١١٩٢.

(٣) شرح الاشارات لابن سينا النمط التاسع الفصل التاسع عشر.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٩٨ ص ٢٩٢ نسخة فيض الاسلام.

ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴿١﴾.

وفي الآية الكريمة اشارة الى الانصار ونظرتهم المفعمة بالمحبة لاخوانهم المهاجرين القادمين من مكة، وعندما يحصل المهاجرون على جزء من الغنائم فانهم لا يشعرون بالبخل ولا الحسد حتى لو كانت لهم حاجة الى ذلك؟ وكذلك في الهجرة الوسطى والكبرى وهما نظيرتان للجهد الأوسط والجهد الاكبر ولهما سفر في الملكوت وأعلى منه.

حيث يستقبل الملائكة وبشوق المهاجرين وتهياً لهم أرضية كل نوع من الهجرة المعنوية، والملائكة يقدمون بذلك بحب.

وفوق كل هذا هناك اللطف الالهي الذي هو بانتظار المهاجرين.

ذلك أن المهاجر في بداية أو منتصف الطريق محب لله ولهذا الاتباع في الحب فان محبوبهم يقول: ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (٢).

وعندما يكون المهاجرون في ضيافة الحبيب وفي جواره: «انهم جيران الله غداً في آخرتهم» (٣)، فتنزاح عنهم عذابات الهجرة بلذائذ «الوصال» «حيث لا زاد يوصلهم الا التقوى» (٤). ولا مركب يبلغ بهم الطريق سوى «الحب».

وكلما كان التعلق شديداً كانت الهجرة عنه شاقة، لأنه كلما كان العدو على اطلاع اكثر وحضوره في مراكز القرار أكثر، فان مواجهته ستكون أصعب.

فمثلاً الهجرة من حب المال ومجاهدة البخل ونظير ذلك ليست يسيرة لأن من طبيعة الانسان حب المال، ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ (٥)، وكذا بالنسبة للبخل فهو

(١) الحشر: الآية ٩.

(٢) آل عمران: الآية ٣١.

(٣) نهج البلاغة كتاب رقم ٢٧ ص ٨٨٧.

(٤) البقرة الآية ١٩٧ (ترودوا فإن خير الزاد التقوى).

(٥) الفجر: الآية ٢٠.

مودع في قرارة الانسان: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾^(١).

ولأن مركز القرار هو روح الانسان، وروح الانسان وهي مبتلاة بحب المال فان الهجرة منه وجهاد البخل ستكون عسيرة.

وهذا الحضور في أعماق الروح لا ينحصر بالشح والبخل، بل يشمل كثيراً من الأمراض الاخلاقية التي عشعشت في الأعماق، وسيطرت على مركز القرار فيكون الخلاص منها شاقاً والحرب معها ضارية.

واذا ما اوضحت هذه الأوصاف المدمرة، التي هي غريبة على الروح وعارضة عليها في شكل «حالات» فان الخلاص منها ليس سهلاً.

ولكن مواجهتها ستكون في غاية المشقة فيما لو استحالت الى «ملكات نفسانية» حيث تعتاد النفس الشريرة ذلك فيكون جهادها عسيراً جداً.

يقول الامام الحسن العسكري عليه السلام: «رياضة الجاهل، وردّ المعتاد عن عاداته كالمُعجز»^(٢).

ولذا فان ترك رذيلة البخل وجهاد الشح هو اساس القلاح: ﴿ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون﴾^(٣).

وعلى اساس نسبية الصغير والكبير في الهجرة والجهاد، يمكن أن نذكر هذه النقطة الهامة في مسار قافلة السالكين في دروب الحق، حيث تبرز حدود البرهان عن العرفان وسموّ منطلق النفوذ والسياسة والسباحة الحضورية للعارفين عن السير والسلوك الحسولي للحكاماء، وسرعة سير أهل الشهود عن بطء حركة الارضيين، وكذا الهجرة من البرهان الى العرفان، وجهاد العشق مع العقل.

(١) النساء: الآية ١٢٨.

(٢) بحار الانوار: ٣٧٤/٧٨ ط بيروت.

(٣) النساء: الآية ١٢٨.

وبالرغم من خلاص الحكماء من فخ الخيال وسجن الأوهام وهجرتهم منه فانهم يسيرون في العقل النظري ولا يملكون سوى الأصول الأولية والعلوم المتعارفة، فهم يتلون المعارف النظرية العميقة بارجاعها الى المبادئ الأولية ويدركون المسائل المعقدة بالبرهان ويتأملون الحقائق العينية من وراء ستار المفهوم والماهية.

ولكن الحكماء لا يملكون برهاناً ولا دليلاً على موجود مجرد، لأنه لا وجود للمقدمات اللازمة الكلية الذاتية والضرورية والدائمة.

لأن الخصائص العينية للشيء المجرد ليست مشهودة للحكيم، فلا يمكن ان يبدي رأياً قاطعاً.

أما العارف الذي هو على اطلاع في الخصائص العينية فانه يجد ما لا يجده الحكيم اصلاً أو لا يدركه إلا ادراكاً كلياً وادراكه لن يكون شهودياً.

ولذا فان العارف يمكن أن يخطو بقوة وثقة كاملة في هذا المضمار.. يعني هناك فرق بينها سواء في القطع العلمي وفي الارادة العلمية.. ولأن العقل العلمي هو المسؤول في التخطيط والتنفيذ وبه يعبد الله وتستحصل به الجنة^(١) فانه يستمد برامجه من العقل النظري.. فانّ هناك فرق شائع بين درك المفهوم للحكيم والرؤية الشهودية للعارف، ومن المؤكد ان طريقة كل منهما سوف لن تكون بنفس المستوى.

ومن هنا ندرك عدم تفهم العقل النظري للحكيم ازاء مشهودات قلب العارف مما يهياً اقتناع العقل العملي له (للحكيم) في قبال الاعمال العاشقة للعارف.

وهذا الاختلاف في الرأي والازدواجية في البرنامج العملي يهياً الأرضية للصراع بين مفتي ديار العقل وساكني شهود القلب وفي النهاية يفقد الاستدلاليون

(١) «العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان» اصول الكافي كتاب العقل والجهل: ح ٣.

توازنهم لتظل بعد دولة الحب.

وهذه المرحلة هي التي تدعى الهجرة الكبرى «والجهاد الاكبر» وما دونها وما كان هو هجرة «صغرى» أو «وسطى» أو «جهاد اصغر» أو جهاد «أوسط» لأنه لا يستحق اسم الجهاد الاكبر سوى الصراع بين «المفهوم» و «المشهود» والجدل بين «الحصول» و «الحضور» والحرب بين «البرهان» و «الوجدان».. ولا يستحق اسم الهجرة الكبرى إلا الانتقال من «الحكمة» الى «العرفان» حيث مسار الهجرة في وادي العشق وكذا استمرار الجهاد.

ولكن جميع هذه الهجرات والمجاهدات في الداخل، ولا يوجد غريب على عكس ما هو بين العقل والقلب وبين البرهان والعرفان حيث طرفي الجهاد ليسا من سنخ واحد.

لأن المفهوم أو الماهية الذي هو محصول علم حصولي سوف لن يكون مسانخاً للموجود الذي هو ثمرة الوجود.

وفي أهمية العشق الحقيقي، يروى الامام الصادق عن جدّه الرسول الاكرم ﷺ قوله: «أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها واحبّها بقلبه وباشرها بجسده، وتفرّغ لها فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر»^(١). ونشير هنا الى ميزة العشق الحق عن العشق الباطل.. أنه في العشق الحق يكون العقل تحت تأثير العشق فليس له حكم نافذ، ولكنه يصل ذروة الكمال في الشهود.

في العشق الباطل يكون العقل منخسفاً تغطيه الشهوة منقاداً لها: «من عشق شيئاً، عشى بصره، وأمراض قلبه»^(٢).

(١) اصول الكافي ج ٢ باب ٤٢ ح ٣.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ١٠٨ ص ٣٣٠.

«كم من عقل أسير تحت هوى أمير»^(١).

والفرق بين العشق الحق، والعشق الباطل.. هو ان العقل محكوماً في العشق الباطل، ومالم تهاجر نفس السالك من العشق الباطل فانها لن تصل الى العقل أبداً فإذا وصلت منطقة العقل، فانه متى أراد العشق الباطل الصراع معها فانه سيهزم أمامها.

اما العشق الحق فهو الحاكم على العقل والمنتصر عليه، لأنه مالم تهاجر الروح من مرحلة العقل فانها لن تصل وادي العشق و «طور»^(٢) العرفان واذا ما وصلت الوادي المقدس للعشق الحق ووضعت فيه قدمها فانه متى أراد العقل البرهاني الصراع معه فانه سيهزم أمامه.

واننا لنجد مصداقاً لهزيمة العقل المصطلح امام العشق في ثورة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام (روحي وارواح العالمين لمضجعه الشريف والفداء).

كما نرى ذلك أيضاً في قرننا الحالي في تلميذ سيد الشهداء قائد الثورة الاسلامية ومؤسس الجمهورية الاسلامية في ايران الامام الخميني عليه السلام.

ان جهاده المرير والطويل وصراعه السياسي والثقافي من البدء وحتى النهاية كان في خطى سيد الاحرار الحسين بن علي عليه السلام ف«طوبى له وحسن مآب».

(١) المصدر السابق الحكمة ٢٠٢ ص ١١٨٢.

(٢) لعل المراد جبل الطور حيث ذهب موسى للميقات مع الرب. (المترجم).

الفصل الخامس بطل الاسفار الأربعة

- ربيع ١٩٩٠ -

تمهيد بقلم المترجم:

الأسفار الأربعة هو مجموعة آثار الفيلسوف الإسلامي الكبير محمد بن إبراهيم المعروف بـ «ملا صدرا» أو «صدر المتألهين» ولد في شيراز (العاصمة الصفوية) سنة ٩٧٩ وتوفي في مدينة البصرة ١٠٥٠ وهو في طريقه إلى الحج.

تلقى علوم الدين على يد استاذة الشيخ بهاء الدين العاملي في اصفهان، وأخذ دروسه الفلسفية من أحد ابرز فلاسفة الاشرافية في عصره: السيد محمد باقر ميرداماد. ظهرت لديه ميول عرفانية سببت له مضايقات كثيرة فقرر العزلة وهاجر إلى قرية (كهك) في ضواحي قم، ليسكن ذروة جبل وهناك ألف كتابه الخالد «الاسفار العقلية الأربعة».

والتي يقول فيها:

«واعلم ان للسلاك (السالكين) من العرفاء والأولياء أسفاراً أربعة: أحدها السفر من الخلق إلى الحق، وثانيها السفر بالحق في الحق والسفر الثالث يقابل الأول لأنه من الحق إلى الخلق بالحق. والرابع يقابل الثاني من وجه لأنه بالحق في الخلق. فرتبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار على أربعة

أسفار، وسميته الحكمة المتعالية، في الاسفار العقلية، فيها أنا أفيض في المقصود مستعيناً بالحق المعبود الصمد الموجود»^(١).
وأهم ما حققه الفيلسوف الكبير هو تجربته الرائدة في إعادة تنظيم نظرية الوجود انطلاقاً من رؤية شاملة وبنائه الفلسفي المتكامل.. اذ نجد معالجة مبتكرة لهذه النظرية وارساءه دعائم للتوازن في المعرفة.

فلا هو اشراقي يسد منافذ المعرفة المشائية، ولا هو مشائي يعرض عن الاشراق في كسبها.
فهو مشائي في اشراقيته واشراقي في مشائيته.
انه يرى ان المعرفة تحصل بطريقتين:

البحث والتعلم الذي يستند على المقدمات المنطقية، وطريق العلم اللدني الذي يحصل بعد ترويض النفس وضبطها والخلاص من ادران الدنيا.. فتجلى مرآتها وتنعكس عليها صور حقائق الاشياء كما هي.. حيث تتحد النفس بالعقل الفعال.. ومن هنا انتهج ملاً صدرا طريقاً ثالثاً ورائداً ابتعد به عن شطحات الصوفية وجمود المتفلسفين.

ويرى تطابق الدين الالهي الحق مع العقل فيقول: «حاشا الشريعة الحقة» الالهية البيضاء أن تكون احكامها مصادمة للمعارف اليقينية الضرورية.. وتباً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنة.

(١) الأسفار: ١٣/١، اعيان الشيعة: ٣٢١/٩ - ٣٣٠، المستدرجات على أعيان الشيعة:

٢٠٠/٢، محنة التراث الآخر: ٢٧٠ - ٢٨٦.

والأسفار الأربعة هي المراحل التي ينبغي سلوكها عقلياً نحو الحق.

السفر الأول: من الخلق إلى الحق.

وفيه يبحث تركيب الطبيعيات والمادة والصورة والجوهر والعرض ويرتقي فيه السالك إلى مرتبة الحقائق الالهية غير المحسوسة وهي عملية اختراق للمجالات الكبرى وهذا السفر يجب ألا ينتهي بالاتحاد والمحو والشطح.. وينبغي للسالك هنا أن يفيق حتى لا يبتلي بما ابتلي به المتصوفة (الحلاج، البسطامي..).

السفر الثاني: من الحق في الحق بالحق وفي هذا السفر لا يبعد السالك عن مرحلة ما بعد الطبيعة.. بل يتعرف إلى علم الالهيات والمسائل المتعلقة بالذات والاسماء والصفات الالهية.. وهاهنا يغدو وجود العارف حقانياً فيندرج في سلوكه إلى الاسماء وباقي الكمالات ويحقق حالة أخرى من الفناء هي فناء الصفات والأفعال.

السفر الثالث: من الحق إلى الخلق بالحق فيتابع مراتب صدور الموجودات فيبحث السالك في علم التكوين والملائكة. السفر الرابع والأخير: من الخلق إلى الخلق بالحق وفيها يشاهد السالك الخلق على ما هو عليه ومعرفة مصيره وسعادته وشقائه.. وبعبارة أخرى معرفة النفس أو الضمير والتوحيد انطلاقاً: (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

وكذا مسألة المعاد وفيه تفتح جميع العوالم اللامتناهية التي تنكشف للإنسان بانفتاح بوابة الموت أمامه.

بطل الاسفار الأربعة:

عندما يكون الرحيل بلا بديل تكون المصيبة أوجع والفاجعة أكثر ألماً. حتى يمكن القول فيه: «لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد»^(١).
ولقد كانت هذه كلمات علي وهو يؤبن الراحل العظيم سيدنا محمد (عليه آلاف التحية والثناء).

ولأن السالكين مأمورون بالتأسي بالنبي الأكرم ﷺ: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾^(٢) فكل من كان أكثر تأسيًا برسول الله ﷺ يحدث رحيله ثلثة لا تسدّ وكسراً لا يجبر وقد جاء في الأثر: «أذا مات المؤمن ثلّم في الاسلام ثلثة لا يسدّها شيء»^(٣) يعني لا يسدّها شيء من الاشياء المادّية.. وإلا فان فراغ الأديب الراحل يملأه أديب آخر وظهور فقيه جديد يسدّ الخلاء الذي حدث بسبب رحيل فقيه سابق.

والإشارة في «لا يسدّها شيء» تعني معنئ عينياً في خصوص النبي ﷺ ومعنئ نسبياً ينسحب على المتأسين بالنبي ﷺ.
ورحيل النبي (عليه آلاف التحية والسلام) ثلثة لا يسدّها شيء من الاشياء المعنوية فضلاً عن المادّية.

لأن رحيل النبي ﷺ يعني انقطاع الوحي السماوي: لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من النبوة والانبياء وأخبار السماء»^(٤).

ولذا فان عبارة «لا يسدّها شيء» هي حول المتأسين بالنبي ﷺ والمتخلّقين

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.

(٢) الأحزاب: الآية ٢١.

(٣) اصول الكافي: ٣٨/١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.

بصاحب «الخلق العظيم» وهي نسبية لا عينية.. ومن المحتمل ان يتسبب رحيل فقيه علم في فراغ لا يُسدَّ إلا على مدى قرون، وقد يحدث رحيل قائد ثلثة لا تسدَّ عبر القرون.

ولقد كان رحيل قائد الثورة الكبرى ومؤسس الجمهورية الاسلامية في ايران من هذا النوع الفجيع.

فلقد كان (رضوان الله عليه) من المتأسنين بالنبي ﷺ وكان عبداً صالحاً لله حتى يمكن القول وبشكل (نسبي لا عيني): لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد من العلماء الربانيين.

لقد تعارف الناس على سلسلة من الالقاب يخاطبون بها العلماء ثم تكتب على شواهد قبورهم ومثل هذه الالقاب لا طائل من ورائها.

وقد نلاحظ ان بعض تلك الالقاب تطلق على اناس لا نرى لها أثراً وهم أحياء ثم يأتي بعضهم ان يحفرها فوق شواهد القبور، واذا ما أردنا أن نمنح لقباً للامام الراحل مهما كان براقاً فاننا سنجد ما هو أكثر بريقاً منه محفور فوق شواهد قبور الموتى.

ان ما ينبغي الحديث فيه ما الذي فعله الامام لا الذي كان في أعماقه وفي باطنه لأن ما في الباطن لا يمكن اثباته وسيدعي الآخرون ما هو أكبر منه أو مثله. ولكن ما فعله الامام سيبقى فريداً لا نظير له ولا شبيهه وهذا ما يؤكد على وجود سرٍّ ما في شخصيته يفتقده الآخرون.. فما هو سرّه؟

وهنا يكمن المحور الاساس في سيرة الامام الراحل علماً وعملاً. يجب أن ندرك حجم الثلثة التي أحدثها رحيله وهل تسد في المدى القريب أم البعيد: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(١).

والله وحده الذي يعلم في أي زمان سيأتي الله بمثله أو بخير منه؟
لقد كان في سلسلة العارفين.. طويئ المسافات الشاسعة في مساره الى الله
والتقرب منه وفي «سير من الخلق الى الحق» وعندما يتوقف الآخرون في تلك
المرحلة وينقطعون عن الدنيا نراه يعود الى الخلق من أجل تصحيح الحياة
الانسانية، وتحكيم شريعة الله في الحياة:

(سير بالحق في الخلق)

وقد قيل: «ان رجل الباطن (العارف) وبعد أن يحصل على السكينة في مساره
المعنوي فانه لا يودّ العودة الى الحياة في هذا العالم، وعندما يعود بناءً على ضرورة
ما فان عودته ستكون بلا طائل ولا جدوى».

أما هو قد كان يحمل ميراث الانبياء.. فهو كالأنبياء: «في عودتهم بعد خلأق...»
يعودون من أجل أن يلجوا حوادث الزمن.. كي يأخذوا بمسار التاريخ ويصنعوا
عالمًا جديدًا مفعماً بالكمال الانساني».

قالمشرب العرفاني لهذا السالك الى الله يمتاز بأبعاد هي محور البحث في هذا
الفصل.

في البداية نذكر أن كل العقائد الالهية تحدد للانسان أسفاراً اربعة:

الأول: «سير من الخلق الى الحق» حيث ينطلق السالك نحو الحق فيعرفه
ويؤمن به.

الثاني: «سير في الحق بالحق» وهو سير في أسماء الله الحسنئ، وصفات الحق
تعالى.

الثالث: «سير من الحق الى الخلق بالحق» يتحرك به السالك من الله نحو الخلق
فيعرفه وفق الرؤية الالهية.

الرابع: «سير في الخلق بالحق» وهو السير في الكثرة بالوحدة.

واذن فالمفكر الالهي محوره «الحق» بعكس المفكر المادي الذي دائرته الخلق..
وكل العقائد الالهية تتحرك على هذا الأساس:

الموضوع الأول:

الأسفار الأربعة الآنفه الذكر يطوي بعضها بـ «النظر والفكر» وبعضها الآخر بـ «البصر والقلب» ومن هنا فعدة من «أهل النظر» وعدة من أهل «البصر» وكلاهما يطويان الطريق فأصحاب النظر بـ «الفهم» وأصحاب البصر بـ «المشاهدة» فريق بـ «العقل» وفريق آخر بـ «القلب».

ومن غير الممكن أن لا يطوي المفكر الالهي الأسفار الاربعة هذه سواء كان من «المشائين» أو من «الاشراقيين».

فكل المفكرين الالهيين يتحركون من الكثرة الى الوحدة في معرفة الله.
وكل يقول بتوحيد الله فأقاموا الدليل وبيّنوا في فلسفتهم مسائل الوحي والرسالة والنبوة، وشرحوا قضايا السير التكاملي للنفس ومسألة البرزخ والمعاد.
وهذه هي عصارة الأسفار الاربعة في كل العقائد الالهية مع اختلاف في الرؤى والآراء من رواقى ومشائى.

العرفاء والحكماء المتألهين طووا هذا الطريق، ولكنهم يسيرون في الطريق اما بالبصر أو بالنظر أو بالجمع بين النظر والبصر.

الموضوع الثاني:

ان الفرق الاساس بين «أهل الفكر» و «أهل القلب» هو أن المفكر يسير في طريق الاستدلال على كل ما رآه صاحب القلب.

أما صاحب القلب يكون قد طوى الطريق برأس مرفوع واستقامة.
ولأن مدئ الطريق يتوقف على «الزاد»، فمن كان زاده «الفكر» فمداه معروف،
ومن كان زاده «الشهود» فمدئ طريقه واضح أيضاً.

ولذا فما «يحملة» العارف اكثر مما «يعرضه» الحكيم في سوقه.

الموضوع الثالث:

وكما يوجد اختلاف بين أصحاب النظر وأصحاب الفكر، فهناك أيضاً تمايز وتفاوت بين اصحاب القلب واصحاب البصر.

فلا أولئك متساوون في طريق الفكر، ولا هؤلاء نظائر في طريق الشهود.. ولقد كان الامام الراحل رجل الحضور في الطريقتين.. فهو سالك في طريقتين.. طريق أهل النظر وطريق أهل القلب.

فهو في ساحة النظر من أهل النظر، وفي ساحة القلب صاحب قلب. وآية ذلك انه يأخذ على أهل الفكر بأفكارهم، وعلى أهل العرفان في مشاهداتهم.

فقد أورد مثلاً على العارف ميرزا محمد قمشئي نقداً عميقاً بأسلوبه واثبت انه كلما قوى «البصر» كثر «الزاد» كما وكيفاً.

الموضوع الرابع:

بعضهم يسلك الطريق على شاكلة «مهندس خرائط» وآخر يسلك الطريق كـ «مهندس معمار».

وفرّق كبير بن المهندسين؛ مهندس فوق صفحات الورق، ومهندس فوق ساحات الأرض.

صحيح أن مهندس الخرائط يدرك ماذا يفعل، وماذا يرسم من خطوط، ويعرف أية خريطة يصمم، ولكنه يبقي عمله فوق الورق.. أما المهندس المعمار فانه وعلاوة على ادراكه الخريطة والتصميم، فانه يقوم بتنفيذ ذلك فوق الأرض، ومهندس كهذا سوف يكون أقوى بكثير من سابقه.

لأن الأول مهندس نظري يتحرك في حدود دائرة العلم والنظريات.

أما الآخر فانه ينفذ نظرياته وتصاميمه، ويتلافى ما يحصل من خطأ في التطبيق.

فالامام الخميني ليس «مهندس اسلام» فحسب بل و«معمار اسلام» أيضاً. انه لم يدرك رسالة الدين فقط.. بل نهض لنقل هذه الرسالة من بطون الكتب الى واقع الحياة.

ومن هنا جاء دور الامام في بناء صرح الاسلام الكبير، وفق نظرياته الكبرى فكان بناءً مرصوماً ينهض فوق اعمدة لا تميد.

الموضوع الخامس:

بعضهم اعتمد طريق «عبدالمطلب» ذلك الرجل الالهي الكبير.. ولكن الامام الراحل اعتمد طريق حفيده سيدنا محمد ﷺ فكان له الأسوة والقدوة.. وتوضيح ذلك:

ان ابرهة الحبشي عندما زحف بجيشه الجزار وأراد هدم الكعبة فرّ كثير من الناس وغادروا مكة.

وعندما التقى عبدالمطلب باعتباره شيخ مكة قائد الجيش الغازي وسئل عن مطالبه قال: اعيدوا علي ابلي.

قال المعتدي: كنا نظنك تسألنا عن هدم الكعبة فأكبرناك.. وها أنت تتحدث عن إبلك.

وهنا قال عبدالمطلب:

- انا ربّ الأبل فإن للبيت ربّاً^(١).

لقد كان موقف عبدالمطلب في عصره حق، ولكن بعد ظهور النبي ﷺ هل

(١) بحار الانوار: ١٥/١٣٦-١٣٦.

ينبغي الاستمرار في نهج عبدالمطلب، أو انتهاج طريق علي بن أبي طالب (عليه آلاف التحية والثناء).

هل المطلوب أن يفكر المرء على طريقة عبدالمطلب أم طريق علي؟
وبعد أن جاء القرآن الكريم وشخص الذين يتولون الكعبة.. هل يجوز أن يقول المرء: «أنا رب الأبل وللبيت رب»؟

ألم يقل ربّ الكعبة تبارك وتعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمَتَّقُونَ﴾^(١)؟
لا يجوز لأي مفكر ديني وبعد نزول هذه الآية أن يقول: أنا ربّ الأبل أرهاها وأحميها، وللبيت ربّ يحميه! إنّ عليه أن يقول: ربّ البيت جعلني مسؤولاً عن الكعبة. وهذه الرؤيتان موجوتان في الماضي وموجودتان في الحاضر، يتعرض الاسلام للعدوان فيقول البعض: «للدين رب»^(٢).

انه يكرر ذات الكلمات.. كلمات عبدالمطلب.
ولكن الامام الراحل يقول: «ربّ الدين جعل مقاليدته بأيدي العلماء الحق وأننا مكلفون بالقول: ان الله عهد الينا حراسة الدين».

ان من معالم شخصية الامام هو «فهمه» الصحيح لأصل القضية، وهو لم يدركها فقط بل «وجدها» بعد أن طوى الأسفار الاربعة بالنظر والبصر، فأصبح «مسؤولاً عن الدين».

ففي زمن يبدي علماءه آراءهم في الدين فقط، ويقول للدين ربّ و «ولي

(١) الانفال: الآية ٣٤.

(٢) «كان أحد العلماء عليه السلام يقول: «ان قلبي لم يحترق للاسلام.. لأن صاحب الأمر هو أيضاً يرى مانزى.. هو سيأتي فلماذا أنا».

هذا منطلق الأفراد الذين يرومون الهروب من المسؤولية.. ان الاسلام يرفضهم» صحيفة نور:

العصر» هو المسؤول وهو الذي يأتي! ظهر انسان طوى أسفاره الأربعة بروحه وقلبه وعقله يدرك ويفهم ويرى ويجد نفسه مستولياً للدين حارساً عليه في عصر الغيبة.

فورثة الانبياء والاولياء هم العلماء بالحق.

ولقد طوى الامام عليه السلام هذا الطريق فوجد نفسه متولياً للدين وهذه هي نتيجة الشهود في الأسفار الأربعة.

كما أدرك بعمق وايمان ملتهب ان مسألة قيادة شعب وأمة هي عملة لها وجهان:

- الأول: خلافة الله في الأرض.

- الثاني: لا تساوي عفة عنز أو عراق خنزير في يد مجذوم.. أجل لها وجهان أوله الهي يتمثل بخلافة الانسان لله على الأرض: «انه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي»^(١).

ووجه مادي نفسي وهو لا يساوي عفة عنز أو عظم خنزير بيد مجذوم. وهذه الكلمات البليغة تتحدث عن نفس انسانية سامية هي امتداد لنفس النبي صلى الله عليه وآله الذي ﴿ ما ينطق عن الهوى ﴾^(٢).

لأن الخلافة لدى الامام علي لا تعني امتيازاً سياسياً ومنصباً رئاسياً.. وانما هي مسؤولية الانسان المؤمن في احقاق الحق وابطال الباطل.. ومن هنا فهو يتعامل مع الخلافة بهذا المنطق المسؤول عندما يقول:

«لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الشقشقية): ص ٤٦.

(٢) النجم: الآية ٣.

لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبليها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عفة عنز»^(١).

لأن الخلافة في منطلق علي ترسمها هذه المعادلة:

«الخلافة ناقصاً أحقاق حقوق المحرومين الجائعين والحفاة = عفة عنز».

واننا لنجد في كلماته البليغة صوراً معبرة كقوله: «والله لدنياكم هذه أهون عندي من عراق خنزير بيد مجذوم»^(٢).

ولقد ادرك الامام الخميني الراحل هذا المعنى، ووعاه وآمن به وجسده في سيرته.. ولهذا نجده ومنذ البدايات الأولى لنهضته وحتى اللحظات الأخيرة من رحيله لم يخسر نفسه لحظة واحدة.. ولم يغفل عن طريقه «والعياذ بالله» لحظة واحدة.. ولم نجده مغروراً بسلطة أو نفوذ.. وظل كما هو لم يتغير ولم يتأثر في استقامة تثير الإعجاب والاجلال.

الموضوع السادس:

وانطلاقاً من نفس المعيار الذي فيه الفلسفة والعرفان «الفقه الاكبر» تكون ولاية الفقيه في الفقه الاكبر أقوى واعمق منها في «الفقه الأصغر».

الماضون كانوا ينظرون إلى الحركة في الطبيعة عرضية حتى اذا جاء المرحوم صدر المتألهين فاثبت أن الحركة الجوهرية مستمرة من «الملك» إلى «الملكوت».. وانها حركة شاملة تغطي الوجود بأسره؛ يعني انها ليست حركة في الذات فقط بل وفي اعماق العالم.

وقد قام صدر المتألهين بعملين:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) المصدر السابق: الحكمة ٢٢٨.

الأول: نقل السير العرضي الى حركة جوهرية.

الثاني: انه بعد أن بين الأسفار الأربعة، وهي السير من الخلق الى الحق والسفر في أوصاف الحق والسير من الحق الى الخلق برؤية الهية والسفر في اعماق الخلق بالحق بعد أن بين كل ذلك لم يكتف بوضع المعالم في هذه الأسفار، بل انه طواها، هناك كثيرون وصلوا مرحلة الشهود ولكنهم انزوا بعيداً واصبحوا في طائفة الحكماء المنعزلين والعارفين المنزوين.

وكان ابتكار الامام الخميني (عليه السلام) في الفقه الأكبر (الفلسفة والعرقان) هو أنه طوى الأسفار الأربعة ثم عاد بعدها ليصبح «انساناً عالمياً» فهو حضور وظهور في كل نقطة من تقاطعه.. أخرج «الغرب» المعتدي باسئلته ودعا «الشرق» الملحد الى الايمان والتوحيد.

فالذي هز قصر «الكرملين» برسالته هو الامام، والذي جعل «البيت الأبيض» بيتاً اسود هو الامام.

والذي تنساب من بين شفقيه «المناجاة الشعبانية» هو الامام.. والذي هو في ذروة المناجاة ثم لا يغفل عن المحرومين هو الامام.

لم يكن كصدر المتألهين وسائر العرفاء طابوا الاسفار الالهية ثم انزوا بعيداً عن الحياة.

لقد سمعه العالم يقول: «سأنتقل من مطار الى مطار وأقود الثورة».

وهذه الكلمات هي صدئ لكلمات سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب عندما يقول: «لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد»^(١).

ان اثاره هذه النقاط ليس معناه الحط من السلف الصالح لأن الامام الراحل (عليه السلام)

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٨٨/١.

هو من بركات أعمال العلماء السابقين.. ولكنه قام بعمل كان الآخرون يتحدثون عنه فقط.

الموضوع السابع:

ان من يريد الوصول الى مثل هذا المقام الرفيع ويطوي الاسفار الاربعة عليه أن يتسلح برؤية عميقة فتكون «الشرعية» في خدمة «الطريقة» ويجعل من الاثنين معاً في خدمة «الحقيقة».

والآ يفكك بينها على مدى مساره «الطولي».

كثيرون يفكرون أنهم من «أهل الطريقة» ولاشأن لهم بـ «الشرعية».

ولكن الامام الذي هو من أهل الطريقة والشرعية يقول: «الذين يعتقدون انه يمكن الوصول الى المقصود بدون «الشرعية» لا يملكون أي شاهد ولا دليل لأن الله الذي هو الدليل جعل من العمل بالشرعية الطريق الأوحده.

والذين يظنون انه بالعمل بـ «الشرعية» لا يمكن الوصول الى «الطريقة» هؤلاء لم يفهموا الشرعية ولم يعملوا بها.

واولئك الذين انتهجوا الشرعية والطريقة في سيرهم وسلوكهم ولم يولوا وجوههم شطر «الحقيقة» لم يطورا الطريق كما يجب».

هذه كلماته رضوان الله عليه في «تعليقه على الفصوص» في ذيل الآية الشريفة من قوله تعالى: ﴿ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾^(١).

والآية الكريمة واضحة المعنى وتخطب أهل الكتاب انهم اذا عملوا بما انزل اليهم من الشرعية لتدقق عليهم نعم الله سبحانه.. تشرق الشمس وتمطر السماء في

الوقت المناسب والزمان المناسب فتخصب الأرض، وتؤتى أكلها اضعافاً.
والعرفاء يفهمون هذه الآية في أن أهل الشريعة اذا عملوا بأحكامها الحقّة فان
الله سبحانه سيهبهم «الطريقة» على أساس انها «علم الأرجل» وهو العلم الذي يعلم
الأنسان السير، ويهبهم «الحقيقة» والتي هي ﴿لأكلوا من فوقهم﴾.
وجذور هذا الفهم هي:

- ١ - تفسير الامام الصادق الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان الى
طعامه﴾^(١) إذ فسّر الطعام بـ«العلم» فلينظر الانسان الى علمه من أين أخذه^(٢).
وهو الرزق المعنوي والمعلّم الحقيقي هم أهل البيت عليهم السلام.
وقد سئل الامام الكاظم عليه السلام: «لم سمّي أمير المؤمنين.. أمير المؤمنين؟».
قال: «لأنه يميزهم (المؤمنين) العلم»^(٣).
فاذا كان الظاهر من الأمير هو «الأمر» فإنّ باطنه «الميرة».
- ٢ - القرآن الكريم يعدّ النبوات من الرزق.. خاصّة نبوة شعيب النبي عليه السلام في قوله
عزّ وجل على لسانه: ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾^(٤).
فالاولياء يعدّون «الولاية» رزقاً والعلماء يعدّون «العلم» رزقاً.
فالرزق يتسع ليشمل ما هو اكثر من الرزق الطبيعي من الخبز والفاكهة
وغيرها..
- فاذا جمعنا الآية الكريمة من سورة المائدة والنقطتين أعلاه نستطيع أن نقسم
العلم الى قسمين:

(١) عبس: الآية ٢٤.

(٢) بحار الانوار: ٩٦/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٩٣/٣٧ ح ٧.

(٤) هود: الآية ٨٨.

- علم يأتي من وراء سعي واجتهاد ومعاناة يعانيتها الانسان.

- وعلم يفاض عليه من فوق فيضاً.

وسيكون للآية الآتفة الذكر من سورة المائدة معنى أكثر دقة: ان من يعمل بدين

الله الحق فسيلهم علوم السماء:

«العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»^(١).

وسيكون من نصيبه أيضاً العلم الذي نكسبه من خلال «علم الأرجل» وهو

السير والسلوك.

وسيدنا واستاذنا الامام الخميني عليه السلام يقول في ذيل هذه الآية: ويمكن القول في

معنى هذه الآية: أن نيل المعرفة والباطن لا يتسنى إلا بالعلم بالظاهر والمحافظة عليه.

وليس يمكن أن يقول أحد ومن غير رعاية الظواهر الشرعية: انني من أهل

السير والسلوك وقد بلغت مرحلة الباطن».

وفي شرحه للآية بين الانسجام بين «الشرعية» و «الطريقة» استنكر على

المتصوفة الذين يتبحون ب «الطريقة» دون «الشرعية».

كما انكر أيضاً على المتقدّسين والمتحجرين الذين يزعمون ان الشرعية لا

توصل الانسان الى شيء.

فقال: انكم لم تفعلوا كما يجب وإلا لوجدتم الذي وجده الآخرون لأن نيل الباطن

لا يتم إلا بطريق واحد هو العمل بالشرعية».

المرحوم الصدوق أورد رواية في كتابه الشريف «معاني الأخبار» عن لقاء

أحدهم بالامام الصادق عليه السلام وسأله عن سر تكنية النبي ب «أبي القاسم» وعندما

أجابه بان للرسول ﷺ اسم القاسم قال الرجل: زدني بياناً.. عندها أوضح الامام سرّ التنكية بأن ساق له ثلاث مقدمات:

- ألم يكن علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ يقول هذا من شيعتي فتركه وهذا من عدوي فتأخذه؟

- ألم يكن علي بن أبي طالب تلميذ النبي ﷺ؟

- أوليس المعلم بمنزلة الأب والتلميذ في مقام الابن؟

- وعندما نجتمع هذه المقدمات الثلاث تكون النتيجة: النبي ﷺ أبو القاسم.

وقد علّق المرحوم آية الله الشيخ محمد تقي الآملي (قدس الله نفسه الزكية) حول هذا الحديث بأن وصف السائل بأن طاقته لا تحتمل أكثر من ذلك ولو استزاد بيانا لزاده في المعنى اكثر.

ومن هذا الحديث النوراني نفهم ان كل الأمور لها ظاهر وباطن.. ولكن نبيل الباطن لا يمكن إلا عن طريق الظاهر.

هناك من يعيش مرحلة حارث بن مالك «كأن» فهو ينظر الى العرش والجنة والنار وكأنه يراها^(١).

ولكن هناك من يعيش من حلة «أن» فلا نجد في حديث أمير المؤمنين وجود لـ «كأن» عندما يقول: «ما كنت اعبد رباً لم أراه»^(٢).

(١) اصول الكافي ج ٢ باب الروية: «ان النبي ﷺ قال: «يا حارث بن مالك كيف اصبحت؟ قال: اصبحت مؤمناً حقاً. قال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي واطمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي، وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكأني اسمع عواء أهل النار».

الاصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني حرف الحاء ٢٨٩/١.

(٢) التوحيد للصدوق: باب ما جاء في الروية ح ٦.

ان ابن مالك لم يصل الي ما وصل اليه إلا عن طريق الظاهر.
واننا لنرى هذه المعارف السامية في تفسير الامام الخميني لسورة الحمد وفي
سائر كتبه العرفانية، أدركها وآمن بها ولذا ادرك وجهي العملة، وكيف تكون القيادة
لا تساوي حتى عقطة عنز.. وكيف تكون: «وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من
الرحى»^(١).

ومن هنا يقال: ان الصراط المستقيم أدق من الشعرة وأحد من حدّ السيف^(٢)
لأن الانسان يتحرك دائماً بين هذين الوجهين.

فإذا مال الى الوجه المادي كان الذي في يده عظم خنزير في يد مجذوم وإن
مال الى الوجه الالهي كان «خليفة» حقاً.

بالرغم من ان الجميع لا يمكنهم أن يشمّوا رائحة الآثام العفنة.. لكن الله سبحانه
منح البعض هذه القابلية، فكل الأشياء لها رائحة.

ولم يكن يوسف استثناءً حتى يقول يعقوب:

﴿ اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفتدون ﴾^(٣).

كل شيء في هذا العالم له رائحة، الذنب والخطيئة والآثام لها رائحة أيضاً.

ولذا جاء في الروايات: «تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب»^(٤).

فهل هذه المعاني مجازية؟ أم أن الحاسة لدينا معطّلة؟

هذه ليست معاني مجازية.. انها معاني حقيقية وفي غياب الدليل العقلي والنقلي

حول مجازيتها لا يبقى لدينا سوى الاذعان في حملها على المعاني الحقيقية.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية.

(٢) بحار الانوار: ٦٥/٨.

(٣) سورة يوسف: الآية ٩٤.

(٤) بحار الانوار ٢٢/٦ و٢٧١/٩٣.

ويروي الكليني في كتابه الشريف «روضة الكافي»: «إنَّ احدهم سأل الامام السجاد ان الملائكة ترى اعمال الانسان فتكتبها فكيف تحيط بالنوايا؟ وجاء جواب الامام كما يحيط الانسان بوجود روضة أو كنيف لا يستدل على ذلك إلا بالرائحة^(١)».

فالملائكة تحيط بما في أعماق الانسان هل هي روضة أم كنيف؟ والآن هل نستمر في اصرارنا على ان كل ذلك معان مجازية؟ ام العكس هو الصحيح.. وأن الرائحة حقيقية وقابلة للشم.. كما يستطيع بعضهم شمها ويعجز آخرون.

وهاك حكاية يوردها الامام علي عليه السلام بعد قصّة مع أخيه عقيل يقول فيها: «وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنتتها، كأنما عجت بريق حية أو قبيها! فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت: هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبب أنت أم ذو جنة تهجر؟»^(٢).

وهذه هي الرشوة: ريق حية أو قبيها، يأكله الانسان وهو يحسبه حلوى فهل يقدم على تناولها عاقل؟!

وقد سئل المرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي (قدس سره) عن تمجيد انسان تسنّم منصباً ومخاطبته باللقاب فخمة لم تكن يخاطب بها قبل منصبه ألا تعدّ هذه اللقب رشوة معنوية؟

وجاء جواب السيد: «وجهان أو قولان أقواهما الشمول».

(١) راجع ارشاد القلوب للديلمي.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٥.

ولذا فان شخصا ما يعتقد بأنه يستحق هذه الالقاب بعد تسنّمه المنصب ويستقبلها فهو مرتشي، ومن يخاطبه بهذه الالقاب من أجل انجاز عمل ما فهو راش. ولهذا قالوا: الصراط المستقيم أدق من الشعرة وأحدّ من حدّ السيف وهذه الأمور قابلة للفهم وقابلة للسمع، فقد يمكن أن، يسمع صوتاً وقد يمكن ايضاً أن يشم رائحة، وإن متوسطاً رآه في عالم الرؤيا وأن كان أكثر شفافية ظهرت له في عالم اليقظة.

ولقد ارتقى الامام الراحل هذه الدرجة الرفيعة حتى ان المرء الذي يقف الى جانب مرقده الطاهر يخاطبه بكل ثقة وايمان قائلاً: «اشهد أنك قد اقامت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين».

واذا كنا نخاطب الأولياء من سلالة الأئمة الطاهرين بهذا الخطاب ونشهد لهم بالجهاد فاننا قد شهدنا بأمر أعيننا ملاحم الجهاد للامام الراحل عليه السلام.

الموضوع الثامن:

في شخصية الامام الراحل معلم ليس لدى صاحب «الشريعة». ولا صاحب «الطريقة»، ولا حتى صاحب «الحقيقة».

فالأول يقول: «الشريعة ناقصاً السياسة» والثاني يقول: الطريقة ناقصاً السياسة» ويقول الثالث أيضاً: «الحقيقية ناقصاً السياسة».

ولكن الامام الراحل كرّر ذات الكلمات التي قالها الشهيد مدرّس «ديننا وشريعتنا سياسة وسياستنا دين».

ثم اجتاز ذلك ليقول ما هو أبعد من ذلك: «طريقتنا سياسة وسياستنا هي الطريقة».

ثم أعلى من هذا ايضاً: «حقيقتنا سياسة، وسياستنا هي الحقيقة».

مع التأكيد على أن للشريعة سياسة من نوع وللطريقة سياسة من نوع آخر وللحقيقة سياسة من نوع ثالث.

فالامام الراحل وهو يقود المجتمع والدولة يدمج بين «الشريعة» والسياسة. وعندما يتحدث عن «تهذيب النفس» فانه يدمج بين «الطريقة» والسياسة وعندما يشدُّ اليه «الخَوَاص» الرحال، وهم من أهل الحقيقة فانه يناغم بين الحقيقة والسياسة.

وتلك كلماته في عيدي الفطر والاضحى السعيدين وهما من ابرز أيام السنة تتحدث عن ضيافة الله، و«المناجاة الشعبانية» ثم يعرج بعدها على السياسة. ان «صحيفة النور» وهي ميراث الراحل تشهد على ذلك بقوة.

الموضوع التاسع:

ان الامام الراحل هو التلميذ المخلص والواعي للائمة الاطهار عليهم السلام وطبعاً لا يقاس بهم أحد كما ورد على لسان امير المؤمنين عليه السلام: «لا يقاس بهم أحد من الناس»^(١).

فلا يقارن بهم أحد لأنه «بيمنهم رزق الورى»^(٢) «وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء»^(٣).

(١) بحار النوار: ٢٧٤/٢٤.

(٢) دعاء العديلة.

(٣) العلماء بالحق هم ورثة الانبياء والاولياء ولكل يقدر ارتباطه من منزلتهم الرفيعة ومقامهم الشامخ من الميراث والعلم. فالارتباط لا يورثهم «الكسب». العلوم المكتسبة تأتي من وراء السعي والمثابر والاجتهاد وهي «علم دراسة» لا «علم وراثة»

فمن كان ارتباطه بالانبياء أوثق كان ميراثه منهم أكثر ومن كان ارتباطه اقل قل ميراثه.

ولقد كان الامام الراحل ومن خلال سيرته وسنته على ارتباط وثيق مع الانبياء والاولياء ولذا فان له السهم الأوفر في الميراث.. فهو عالم رباني ينتمي الى تلك الذوات المقدسة.. ومن المؤكد أن افتقادنا لا يحتمل لأن موت الانسان هو عصاره حياته.

ولكننا سوف نسمح لانفسنا القول: بان الامام الخميني كان اكثر الناس قرباً من الامام المعصوم، فكان اكثرهم ميراثاً.. طوى من الطريق مديات بعيدة لم يطوها أحد.

لأنه ما من أحد أتى الآ وقال: الشريعة ولكن مع حذف السياسة أو قال: الطريقة ولكن دون سياسة، وقال: أنا ربّ الأبل وللبيت ربّ.

فجاء الامام ليضع كل هذه المقولات تحت قدميه، ويقول الشريعة مع السياسة الطريقة مع السياسية، والحقيقة مع السياسة^(١).

ويقول أيضاً: أنا رب الأبل كما أن مسؤول عن البيت.

ولذا يقول: أن آل سعود لا يليق بهم تولّي الحرمين، انما يتولّاهما الرجال المتقون^(٢).

أو يقول: «قد نتسامح في قضية القدس وقد نصفح عن صدّام، وقد نغفر لكل الذين اساءوا الينا لكننا لا يمكننا أن نتسامح في قضية الحجاز (مذبحة حجاج بيت الله بأوامر امريكا وتنفيذ آل سعود) لأنهم يعدّون انفسهم ولاه على الحرم. انه لم يكن قائداً لأيران فقط بل لكل مسلمي العالم... أنه المسؤول عن الاسلام. تفصله عن أفكار الآخرين مسافات ومسافات.. وكما أنه لا يمكن قياس أحد بالأئمة الاطهار فانه لا يمكن قياس أحد بالامام الراحل ذلك أن له حسابا خاصاً.

(١) «والله ان الاسلام كله سياسة، لقد عرفوا الاسلام خطأ... السياسة تنبع من الاسلام» صحيفة نور ٩٩/١.

«احكام الاسلام في السياسية اكثر منها في العبادة والكتب السياسية في الاسلام أكثر منها في العبادة» المصدر السابق / ٤٠٢.

(٢) «أن سدنة الكعبة اليوم ليسوا أهلاً في استضافة جنود وضيوف الرحمن.. انهم لا يحسنون سوى رعاية المصالح الاميركية والاسرائيلية وتقديمها على مصلحة بلادهم»

يرى صاحب الجواهر أن الله في نظام الوجود هو الربّ والأئمة المعصومين وزراء وسائر الناس رعايا، وعندما تقيس الرعايا نجدهم على درجات متباينة وقد نرى بعضهم يصل درجة لا يبلغها أحد منهم.. وهذه هي الدرجة التي بلغها الامام الخميني.

والآن لننظر الى الائمة المعصومين ماذا فعلوا والى الامام الراحل ماذا فعل؟ وإذا رأى احدكم طريق الائمة المعصومين غير طريق الامام الخميني فليحطنا علماً! ان عرفان الامام ليس «نظرياً»، هو لم يشرح كتاب «ابن العربي» ولم يكتف بتعليقه على «الفصوص» و«المصباح».

في كثير من الادعية نجد ان الذات الالهية ليست محجوبة، وان الانسان هو الذي يحجب نفسه بالذنوب والآثام: «وأنت لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك»^(١).

ان لهذا النص في دعاء أبي حمزة الثمالي لون العرفان.. لكننا سنراه يأخذ لونا هو مزيج بين العرفان والسياسة عندما يدعو الامام الكاظم عليه السلام قائلاً: «وقد علمت أن أفضل زاد الراحل اليك عزم ارادة يختارك»^(٢).

فالزاد الذي يلزم المسافر في الطريق الى الله هو التوكل والثقة به، فهذا السفر ليس من قبيل السفر الذي يطوى بقراءة كتاب وتأمل، بل هو بـ«الجزم النظري» و«العزم العملي».

وعندها قال: «وقد ناجاك بعزم الارادة وخضوع الاستكانة قلبي»^(٣).

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) بحار الانوار ٢٥٧/١٥.

(٣) بحار الانوار ٣١٠/٩١ ط بيروت.

وكلمات الامام الكاظم الآتفة الذكر قالها وهو في طريقه الى السجن في بغداد..
هذه كلمات هي مزيج من السياسة والعرفان.. لأنه قالها وهو في طريقه الى
بغداد.. الى السجن.

ربما نجد عارفاً في جوف الليل يتلو القرآن ثم يناجي الله قائلاً: «أحبك يا رب»
وربما نرى زاهداً في ظلال مسجد يرفع كفيه الى السماء ويقول: «أعشقتك يا رب»
هذه طريقة ناقصاً منها السياسة.

ولكن عندما نرى موسى بن جعفر عليه السلام وهو في طريقه الى سجن بغداد يقول:
«وقد علمت أن أفضل زاد الراحل اليك عزم ارادة يختارك».

فهذا عرفان مع سياسة في سيرة الامام المعصوم.. فمن هذا التلميذ الذي
ترسم خطى المعصوم غير الامام الخميني بعد أن مزج بين المعرفة والسياسة.
حيث نرى المناجاة في المنافي والدعاء في السجن.. وهذا هو طريق الامام
السابع عليه السلام وطريق حفيده الامام الموسوي الخميني عليه السلام.

وعندما نرى الناس تذرفون الدموع في مأتمه.. ونراهم ينوحون ويفشى على
بعضهم من الحزن.. هذا لأنه عزز البعد الفلسفي بالعرفان ومزج بين العرفان
والسياسة. وسلك نفس طريقة جدّه موسى بن جعفر عليه السلام فهل ترون له من نظير؟

الموضوع العاشر:

النقطة الاكثر اهمية: انه في الكتب الكلامية والفلسفية هناك سلسلة مراتب
محفوظة.

يعني في بحوث العلة والمعلول هناك بداية ومنتصف ونهاية، في سلسلة عقلية
تدوّن وتنظم ولذا فان حكيماً ما أو متكلماً ما عندما يكتب أو عندما يفكر فانه يفعل
ذلك في اطار من العلة والمعلول ووفق سلسلة مراتب.

ولكن العرفان يفتح أمام السالك طريقين: الأول طريق متعارف عليه وهو

طريق الاسباب طريق الاسماء الصغرى، الكبرى والاكبر والاسم الاعظم.

والثاني: طريق مباشر بين العبد وربّه.

ولا يوجد في الفلسفة أثر للطريق الثاني.

في العرفان يستطيع الانسان الاستمداد بالعلل والاسباب التي هي مظاهر الحق، ويستمد من الاسماء الالهية فيطوي الدرجات الواحدة بعد الأخرى.. وفي نفس الوقت يهمس في أذن الانسان ان له مع الله طريقاً مباشراً، وانه سبحانه له مع كل انسان طريق وحيث لا يوجد دخيل في وسط الطريق.

وبالرغم من صعوبة هذا الأمر ولكنه ممكن. ولذا فان العارف وفي الوقت الذي يحيي فيه الاسماء الحسنى، ولكنه يحافظ في الطريق المباشر الذي حصل عليه من ادعية ومناجاة القرآن الكريم.

فلله سبحانه معنا نوعان من الكلام. يقول لنا: هلمّ اليّ بطريق الوسيلة وأنا أوصل لك فيض الطريق المباشر دون أن يشعر بذلك أحد.

ولكن اعلم ان لك معي طريق مستقيم مباشر وان مفتاحه لدى صاحب القلب فهو الذي عليه أن يطرق الباب حتى يفتحه الحق (سبحانه وتعالى) ولذا قال عز وجل: ﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله الآ وحيأ أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ﴾.

فكلام الله مع البشر يأتي عبر طرق ثلاثة:

١ - عن طريق الوحي.

٢ - من وراء حجاب كما كلم الله سبحانه موسى بن عمران عليه السلام.

٣ - عن طريق رسول وحي.

اذن كلام الله عبر هذه الوسائل.. حتى الوحي هو في ذاته حجاب ولكن الانسان

ليس ملزماً بأن ينطلق الى الله بوسائل، يكفي أن يقول: «يا الله» فهو السميع.

وهذا الطريق في العرفان فقط لا في الفلسفة، وكل ما في العرفان انما هو من القرآن والعترة.

فنداء «يا رب يا رب» هو الطريق المباشر الذي مفتاحه في القلب وان الذي يفتح باب المناجاة والذي يسمع لنا بنداء «يا رب» هو صاحب البيت يفيض عليه من فيضه العام.

كما لو أن أحداً يتحدث بالهاتف وأمره يحلّ بطريق عادي، وربما سمع الجواب من نفس هذا الطريق الذي سأل عبره لا من الطريق العام.

لقد طوى الامام الراحل هذا الطريق، ولذا نراه في اشدّ المنعطفات حراجة قبل انتصار الثورة وبعدها، وعندما تسدّ كل الطرق العادية يكون طريقه المستقيم مفتوحاً.. ولذا لم يشعر باليأس لحظة واحدة، لأن هذا الطريق الغيبي مفتوح على الدوام.

فعندما يسمع خبر الكارثة «كارثة انفجار مكتب الحزب الجمهوري» ومصرع ٧٢ من رجال الثورة في شهر تير ١٣٦٠^(١)، يسمعه بهدوء وصبر وتحمل، وعندما يتلقى خبر الهجوم الشامل والعدوان من البر والبحر والجو فانه يتلقاه بطمأنينة وسكينة.

فهو هادئ مطمئن.. يغمره السلام، بالرغم من القصف الشديد وتساقط البيوت والمنازل وتساعد السنة النار وأعمدة الدخان..

فأية قدرة منحته السلام وعن أي طريق تغمره السكينة سوى؟ طريق الغيب!

الموضوع الحادي عشر:

لل امام الراحل مسار تاريخي يمكن لأي مؤرخ تسجيله فيقول:

عاش ١٩ سنة في مدينة خمين وشيئاً فشيئاً ولج عالم العلوم الدينية من آداب وفقه وأصول فتعلّمها كسائر الطلاب الآخرين حتى ناهز السابعة والعشرين من عمره...

وهو مسار تاريخي يمكن أن يسجل للآخرين أيضاً...
ولكن في عمر الامام الراحل البالغ ٩٠ سنة عقدان من الزمن ينبغي أن ينظر اليهما بامعان وعمق لأن الآخرين لا يمتلكون مثلهما.
العقد الأول: سنوات الانس بعالم الغيب، والعرفان.
والعقد الثاني: سنوات الانس بعالم «الشهادة» و«القيادة».
عشر سنوات من نهايات العام السابع والعشرين من عمره وحتى بدايات عامه الثامن والثلاثين (١٣٤٧-١٣٥٨ هـ) وهي الأعوام التي أُلّف فيها الامام كتبه العرفانية العميقة.

إذ أُلّف وهو في السابعة والعشرين كتابه «مصباح الهداية الى الخلافة والولاية» ثم كتب تعليقاته على «الفصوص» وتعليقاته على «مصباح الأنس» ثم كتب «سرّ الصلاة».

وهذه كتب ليس من السهل على أحد مضى عليه عشرة أو عشرين عاماً في الحوزة أن يفهمها.

كما انها ليست نظائر للرسائل و«المكاسب» أو «الجواهر» أو «المنظومة» انها أعوام الغيب في شخصية الامام الخميني عليه السلام.

أما سنوات الشهادة فتبدأ مع نهايات عام ١٣٥٧ هـ^(١) وحتى مطلع ١٣٦٨ هـ^(٢).

(١) عام انتصار الثورة الاسلامية ١٩٧٩ م.

(٢) عام الرحيل الى الرفيق الأعلى ١٩٨٨ م.

وهي الأعوام العشرة التي هزّت العالم.

فترة السجن والمنفى مؤشر «مظلوميته» وكثيرون دخلوا السجن ولكن هل استطاعوا بعد ان تحرّروا، قيادة البلاد وادارة الحرب وترشيد الثورة؟ هناك الكثيرين ممن ظلّموا.. ولكن هل كان بوسعهم اذا ما تربعوا على دست الحكم أن يحكموا كعلي عليه السلام:

من المحتمل أن ينجح «مدرّس»^(١) في هذا الاختبار ولكن ذلك لم يثبت عملاً. من المحتمل أن ينجح بعضهم ولكن ذلك لم يتجسد عملاً، ان من طوى الأسفار الاربعة من الفهم والعلم الى عين اليقين هو الامام الراحل.

ان هذين العقدين من السنين معلم هام في شخصية الامام وحياته. وما تبقى من حياته وهي أربعون سنة أمضاها في مدينة قم، فأنها لا تميزه عن الآخرين فقد طوى الآخرون مثلها في رياضة نفسية وتهذيب روحي وتدرّيس. ومن هنا إذا ما أردنا ان نكتشف الامام فعلياً أن نجده في العشرة الاولى «عشرة الغيب» والعشرة الأخرى «عشرة الشهادة».

وطوبى لمن جمع بين الغيب والشهادة وبين العرفان والسياسة وبين الفلسفة والسياسة.

انه لم يقل بـ«ولاية الفقيه» بل قال بـ«ولاية الحكيم» لأنه كان حكيماً وقال بـ«ولاية العارف» لأنه كان عارفاً.

لقد جاء بـ«ولاية» فيها فقاهاة ممتزجة بالحكمة، وحكمة مندمجة بالعرفان. فطوبى له وحسن مثاب.

وسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

(١) الشهيد حسن مدرّس أُعيل في عهد رضا خان بعد جهاد مرير.

الفصل السادس ملائكية الامام الخميني

- ربيع ١٩٩٣ -

يبلغ الانسان درجة الكمال ويقترّب من حدود الملائكة، والقرآن الكريم عيّن الحدود بوضوح كامل.

فهناك مجال للحياة الحيوانية محدد هذا أولاً.

وثانياً: هناك منطقة واسعة للملائكة واضحة.

ثالثاً: وجود مناطق انسانية واسعة تمتدّ ما بين الحيوانية والملائكية.

وقد أورد القرآن الكريم شروحاً، مبسطة حول الحياة الحيوانية وهي الحالة البهيمية والافتراسية.

كما أورد ايضاً شروحاً مبسطة حول الملائكة فهم من مخلوقات الله ومن عباده المكرّمين.

وأول صفة أطلقها على الملائكة هي العبودية، وهي في قوله تعالى في سورة

الانبياء: ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾^(١).

طاعة مطلقة لا تعرف العصيان، ولا تعرف التأخير وجاء في سورة التحريم

صفات أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون﴾^(٢) وهؤلاء هم ملائكة العذاب.

(١) الانبياء: الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(٢) التحريم: الآية ٦.

والآية الأولى في دلالتها على عصمة الملائكة أقوى منها في الآية الثانية لأن الأخيرة اشارت الى طائفة محدّدة من الملائكة وهم ملائكة العذاب الالهي. ومن الصفات الأخرى للملائكة هي القرب من الله سبحانه كما جاء في قوله تعالى:

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون﴾^(١).
فالمسيح عليه السلام والملائكة وهم في ذروة الكمال لا يستنكفون عن كونهم عبيداً لله. وفي صنف رابع من الصفات الملائكية التسبيح في كل الأوقات والأحوال: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، وهم في كل ذلك لا يشعرون بالتعب أو يحسون بالفتور.

هذه هي صفات الملائكة.

وعلى هذا المنوال نجد شرحاً لأحوال الانسان الكامل في القرآن الكريم الانسان الذي بلغ درجة النبوة والامامة.

ونحن نجد في الزيارة الجامعة الكبيرة وصفاً للأئمة المعصومين.. عندما نخاطبهم: «السلام على... وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ورحمة الله وبركاته».

الله سبحانه ومن أجل هداية الانسان وترشيده في طريق الخير وعد عباده بلذائذ حسية، ووصف لهم الجنة وما فيها من فاكهة وظلال.

أما عباده المكرّمين فقد وعدهم بالقرب: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾^(٢).

(١) الواقعة: الآيتان ١٠-١١.

(٢) الواقعة: الآيتان: ١٠-١١.

لقد وصف الملائكة أنهم مقرَّبون وهذه الصفة ايضاً تجدها لدى الأولياء والأنبياء، فالنبي مقرَّب لدى الله ووجيهاً عنده: ﴿ اذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين ﴾^(١).

والملائكة يسبِّحون آناء الليل والنهار ولا يفترون، وهذه صفة المؤمنين ايضاً: ﴿ الذين هم على صلواتهم دائمون ﴾^(٢).

وهذا لا يعني أنهم لا يفترون أو يتركون ذكر الله بشفاهم بل المعنى الأساس هو ان ذكر الله في قلوبهم دائماً.

علمهم لله وفي سبيل الله، فالانسان السويّ، والانسان المستقيم والانسان الذي يعمل بما أمر الله وينتهي عما نهى الله هو انسان دائم الذكر لله.

ويورد المرحوم الشيخ الحر العاملي رواية في كتابه «الذکر» في «وسائل الشيعة» وفي بحث الصلاة: ان الذين يذكرون الله دائماً «دائم الصلاة» يعني أنهم وعلاوة على أدائهم الصلاة اليومية من واجب ومنسوب.. ولأن ذكر الله في قلوبهم دائماً فكأنما هم في صلاة دائمة.

وهذه صفة يشترك فيها المؤمنون حقاً مع الملائكة ﴿ الذين هم على صلواتهم دائمون ﴾ وهم ﴿ يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ﴾ والتي ورد في تفسير أنها لا تخص الملائكة فقط بل تتعدى ذلك الى عباد الله المكرمين.

ذكر الله سبحانه الملائكة بصفات محمودة ودعانا الى الاخذ بها.. وهي دعوة الالهية لملائكيتنا نحن البشر.

(١) آل عمران: الآية ٤٥٦.

(٢) المعارج: الآية ٢٣.

وإذا كان الملائكة ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون ﴾ فإن المؤمنين مطالبون أيضاً بذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(١).

فليس المطلوب ان تكون انساناً عدلاً بل اذا استطعت أن تكون معصوماً فافعل. ذلك أن تحصيل العدالة واجب وتحصيل العصمة مستحب ومندوب، والذي لا يمكن بلوغه هو مقام الرسالة ومقام الامامة فقط، أما العصمة فملكة من ملكات الكمال الذي ينشده الانسان في حركته، ولا دليل على انحصاره في أحد دون آخر. الله سبحانه يدعونا في مثل هذه الآيات الى أن نقترّب من حدود الملائكة.. ليس في القول والفعل فقط بل بالإرادة أيضاً:

﴿ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾.

وعندها فستكونوا في ذروة الذين ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾^(٢).

أي أنهم لا يريدون شيئاً إلا أن يريده الله.

ومن هنا فان كمال الانسان ان يتحرك المرء من المنطقة الحيوانية تسامياً حتى يصل الى حدود الملائكة، وهذه الحركة ستكون في مصلحته وسترافقه الى الابد.

والموضوع الآخر: أننا أمرنا أن نعرض ما نرتاب فيه على القرآن ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾^(٣). فهو «الميزان» الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾^(٤).

فالقرآن الكريم «حق محض» والذي لا يمكن للباطل والتحريف أن يطاله وان

(١) الحجرات: الآية ١.

(٢) الانسان: الآية ٣٠، التكويد: الآية ٢٩.

(٣) البقرة: الآية ٢.

(٤) فصلت: الآية ٤٢.

الله سبحانه لا نظير له في علمه حتى يمكنه أن يتكلم بمثله، لا نظير له في قدرته حتى يستطيع أن يطفى نوره ولذا فهو الأصل.

اما الروايات فهي قابلة للتحريف وقابلة للتزوير باسم المعصومين، ولذا جاء في الأثر عن النبي ﷺ والائمة بعرض الحديث على القرآن، فان وافقه فخذوا به وان خالقه فارفضوه.

فالموضوع الأول هو (الموضوع العملي) وهو عبارة عن اجتياز الانسان حدود الحيوانية والاقتراب من حدود الملائكية.

واذا ما احس المرء أنه يستشعر لذائذ الاكل والشرب ولا يحس بلذة «الادراك والفهم» فان عليه ان يعالج نفسه.. واذا شعر بلذة النوم والأكل ولم يشعر بلذة خدمة الاسلام فان عليه أن يعالج نفسه.

ذلك أن الحدود واضحة: من هو الحيوان؟ ومن هو الانسان؟ ومن هو الملاك؟ واذا ما اردنا ان نتحقق مدى نموّنا.. فعلينا ان ننظر الى مدى تألق أوصاف الملائكة فينا؟

الموضوع الثاني:

الموضوع العلمي: وهو عبارة عن الاحتكام الى القرآن «الميزان» الحق في معرفة صحة الحديث وصدق الرواية.

وذلك في إجراء مقارنة بين القرآن والحديث والرواية فنأخذ بالحديث اذا وافق القرآن ونرفضه عندما يخالف القرآن.

وعلى هذا فاننا عندما نريد معرفة ان حديثنا حق أم باطل فيتوجب علينا أن نقوم بعرض الاحاديث والنصوص على القرآن.

يعني يتوجب علينا أن نكون «علماء قرآن» فنعرض عليه الروايات.

لقد وضع الآن واجبنا ازاء هذين الموضوعين، وكل امرئ حسب سعيه العلمي

والعملي وجهاده العلمي والعملي.. سيكون انساناً كاملاً، فاذا كان هناك قصور أو تقصير فهو ساقط من الكمال.

ان بحث هذه القضايا سيدلنا على الموقع الرفيع الذي بلغه الامام الراحل. وكما اشرنا في عرض كل حديث على القرآن الكريم كميزان للتقييم فان ديننا علمنا أيضاً «ان نعرض كل ما يخطر في الذهن من الخيال والوهم وكل ما يصدر عن الشهوة والغضب من خلجات على القرآن الكامن في اعماقنا وهو العقل».

العقل ميزان الهي وحجة لا ريب فيها وهذا ما ورد في حديث الامام الكاظم عليه السلام: «ان لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة، وأما الباطنة فالعقول»^(١).

ومن هنا يتوجب على الانسان أن يعرض أوهامه وخیالاته تصوراته وأمواج الشهوة والغضب على العقل.. فهو الميزان الكامن في باطن الانسان.

وهنا يجب توفر عنصرين:

١ - اعداد هذا الميزان (العقل).

٢ - عرض كل الرغبات على العقل وتمييز قبحها وجمالها، ومن الطبيعي أن هاتين النقطتين لا تتوفران لدى الجميع.

وعلى فرض عاقلية الشخص فقد لا يتأتى له صبر «الجهاد الاكبر» بحيث يعرض على الميزان ما يموج في أعماقه.

فقوة الخيال تارة تكون حقاً، وتارة أخرى تكون باطلاً.

كما أن الوهم أيضاً يكون مرةً جميلاً وأخرى قبيحاً.

فالواهمة تكذب أما العاقلة فلا تكذب أبداً.

وما يصدر عن الخيال باطل.. أما العقل فلا يصدر عنه إلا الحق، ولو صدر عن العقل باطل لأنتفت حجة الله على الانسان.. والحال أن العقل «مصباح الحق».

وإذن فان الجميع ليس لديهم هذا المصباح هذا أولاً، وثانياً أن الذين يملكون هذا المصباح لا يسعون الى عرض خواطر الخيال والوهم وانفعالات الشهوة والغضب لمعرفة الحق من الباطل.. فمثلاً يعرض على الانسان منصب ما أو يعرض عليه طعام لذيق أو يعرض عليه مال.. ان استقبال مثل هذه العروض أو رفضها يعود الى العقل الميزان الحق.

إنَّ القوَّة الشهوانية تكذب، لأنها تطلب أحياناً حلالاً وأحياناً حراماً وان قوَّة الخيال هي الأخرى كاذبة فأنها تنشد لذائد الحلال ولذائد آثمة وكذا القوة الغضبية تكذب أيضاً.

فقد يغضب الانسان مرّة للحق ومرّة للباطل.

ان لذة المنصب لذةً خيالية وليست لذةً عقلية، وعندما يعرض منصب على أحدهم منصب يستحقه فانه يشعر باللذة وكذا لو عرض عليه منصب لا يستحق.

واذن فان الشعور باللذة ليس علامة على حقيقته، وكذا القوة الواهمة ينسحب عليها الكذب والصدق.

ومن هنا فان قوى الادراك في الانسان (الوهم والخيال) والقوى المحركة الدافعة والجازبة (الشهوة والغضب) تصدق أحياناً وتكذب أحياناً أخرى.

ولكن العقل العملي الذي هو أساس العبادة لله والطريق الى جنته فانه لا يكذب أبداً.

«العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»^(١).

وكذا العقل النظري أيضاً الذي هو المعيار في تشخيص الحق والباطل فإنه لا يكذب أبداً.

انهما بمثابة «قرآن» في باطن الانسان جعلهما الله حجة على عبده. وعلى هذا الاساس يجب عرض كل اشارات ورسائل هذه القوى التي قد تصدق وقد تكذب على العقل، وهو الميزان الحق الذي يفصل فيها، وبهذا نكون قد قمنا بعملين:

١ - اجتهدنا في الفهم والادراك.

٢ - جاهدنا في قبول رأي الميزان.

لقد استضأنا بنور العقل أولاً واستقبلنا موقف العقل.. وبهذا وضعنا القدم الأولى في طريق التكامل.

وكلما كان الانسان أكثر تكاملاً في هاتين المهمتين كان أكثر كمالاً من غيره. وبعد أن أوضحنا هذين العنصرين المحصورين في البحث نقوم بتحليل شخصية الامام الخميني.

سوف نرى أن قدراً كبيراً من سعيه كان منصباً في الجانب العلمي من أجل الوصول الى مرحلة «العقل» خاصة في الالهيات والبحوث العقلية (الفلسفة، العرفان والاخلاق).

والبحوث العملية (الفقه وغيره).

وعندما يكون قد استكمل هذه البحوث.. يعني قد حصل على المصباح المضي (العقل) والميزان الحق.

وهنا سيعرض في مرحلة لاحقة كل الاقتراحات العلمية على العقل لتقييمها فيقبل ما كان حقاً ويرفض ما كان باطلاً.

وهذه جزء من عمليات الباطن اذا صحّ التعبير.

وفيما يخص السلوك فقد كان سعيه الدائم الخلاص من اللذائذ الحيوانية والاقتراب من الملائكة، وقد وصف الله تبارك وتعالى الملائكة بأنهم ﴿مكرمون﴾^(١) ولقد عاش الامام الخميني كريم النفس عالي الهمة.

في أواخر حكم النظام الطاغوتي أقترحوا عليه كثير من الأمور منها الرجوع الى فتاواه ومنع كل ما يحرمه ومحاكمة الاشرار ولكنه رفض ذلك واصرَّ على تشكيل النظام الاسلامي.

وفي التصويت على الجمهورية الاسلامية كم اقترحوا عليه اضافة كلمة واحدة فيصبح التصويت على «الجمهورية الديمقراطية الاسلامية» لكنه رفض ذلك قائلاً: «الجمهورية الاسلامية» فقط لا اكثر ولا اقل^(٢).

وهذه الهمة العالية جاءت لأنه يعرض كل خلجات الوهم وخطرات الخيال على العقل».

فكل ما يرفضه الاسلام ولا يرضاه الله سبحانه وتعالى رفضه واستبعده. نصر الله فنصره الله.

ان ما جعل الشرق ينهار^(٣)، وما سيكون عاملاً في سقوط الغرب (دون ثورة أو انقلاب) هو الغفلة عن ذكر الله.

(١) الانبياء: الآية ٢٦.

(٢) «سوف اصوت للجمهورية الاسلامية» واطلب منكم التصويت على «الجمهورية الاسلامية» لا كلمة أقل ولا أكلمة أكثر، وهؤلاء الذين يتحدثون عن الجمهورية فقط يعني بلا اسلام أو عن الجمهورية الديمقراطية يعني على جمهورية وليست جمهورية اسلامية.. هؤلاء يريدون اعادة المصائب من جديد» صحيفة نور ط جديدة ٢١٤/٣.

«الجمهورية الاسلامية» فقط لا كلمة قبلها ولا كلمة بعدها ولا يحذف منها او يضاف اليها.. الشياطين يريدون حذف أو اضافة كلمة» صحيفة نور ٤٠٥/٣.

(٣) الاتحاد السوفيتي السابق (المترجم).

لقد قام الامام بهذين العملين: توفير العقل «والاحتكام اليه في كل شيء» لقد حصل على «العقل» المضيء، والميزان الحق، ووضع بذلك قدمه في الطريق الى حدود الملائكة، وعلى خطى الانبياء والأولياء والأئمة الطاهرين. وفي ضوء هذا يتحدد واجبتنا نحن، اننا ايضاً نسعى في تعيين مصيرنا الابدي والنهاية الخالدة.

لقد امضى اكثرنا شرطاً مهماً من عمره على الاقل اجتاز منتصف العمر، وما رأيناه في الشرط الأول سنراه في الشرط الثاني أليس كذلك؟ ان علينا أن نسطحب معنا ما يجعلنا سعداء. وان عدونا لا يخشى «سلاحنا» بقدر ما يخشى «صلاحنا» فهو لديه من الـ«السلاح» ما هو أفضل وأكثر تطوراً. ان ما يربعه هو سلاح الأمة الاسلامية يعني ايمانها لا سلاح الامّة الاسلامية، وهو ما جعله الله معياراً للنصر. إذ يقول تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١).

اننا نشهد تجارب متنوعة (سواء في ايران أو في سائر البلدان الأخرى) تجارب في الثورة في سبيل الله، ولم يستطع أحد القضاء عليها. ولكن عندما تتغير الاهداف أو تكون من أجل احتلال الأرض والمياه فانها قد تفشل بسرعة أو يتخلون عنها لأنها اصبحت خاوية من الهدف الالهي. ومن وجهة نظر مادية كلما تقدم الانسان المناضل في العمر تراجع حماسه في الكفاح والنضال، لأنه انما يكافح ويناضل من أجل هدف مادي وأمله بطبيعة الحال

يتراجع كلما تقدم في العمر.

ومن هنا فإنه يفقد حماسة في القتال.

ولكن الانسان الالهي انما يجاهد ويتناضل من أجل الله وفي سبيله وتعيين مصيره الأخرى، ولذا فكلما تقدم به العمر ازداد حماساً، وهذا هو الفرق بينه وبين الانسان المادّي.

لقد ودّع الامام الراحل الدنيا وهو في التسعين وكانت كلماته في أخريات عمره ومسيرته الجهادية هي ذاتها في بداية المسيرة.. بينما القادة الآخرون في مثل سنّه قاعدون أو متقاعدون.

وفرق كبير ويون شاسع بين انسان يناضل من أجل أهداف مادّية وحطام دنيوي، وبين انسان يجاهد من أجل بلوغ حدود الملائكة.

وفرق كبير بين من يقاتل من أجل رفاهه في الأرض وبين من يقاوم من أجل الجنة في الآخرة.

وفرق كبير بين من يكافح من أجل الغريزة بكل صورها واشكالها وبين من ينشد الكمال في العقل.

وفرق بين كبير بين الكفاح المادّي والجهاد الالهي.

قال الرسول ﷺ: «اطلبوا العلم من المهد الى اللحد»^(١).

والذي عبر عنه الشاعر الشيعي والحكيم الامامي فرودسي:

وما أجمل الذي قاله النبي انهل العلم من مهد للحد

جاء في أدبيات الشريعة أن نحارب العدو من المهد الى اللحد، ولذا فكلما تقدم

الانسان في العمر ازداد حماسه في القتال وتضاعفت صلته وصبره.

(١) نهج الفصاحة / ٦٤ ح ٢٢٧.

لأنه انسان لا يقاتل من أجل جاه دنيوي وانما من أجل مجد أخروي.
فلا يوجد تأثير للزمن في ارادة الانسان المجاهد في سبيل الله سوى تنامي حماسه.

ومن هنا فشخصية الامام الراحل قد انطوت على هذه الابعاد:

اقتربه من حدود الملائكة في سلوكه العملي

في باطنه كان يعرض كل الخواطر والرغبات على «العقل».

الثالث: موفقيته في إقامة جميع العبادات خاصة الحج، نتيجة نشاطه في

البعدين المتقدمين، وهما البعد العلمي والعملي وسيأتي تفصيل البعد الثالث في

فصول آتية.

الفصل السابع

شذرات من تفسير سورة الحمد

- شتاء ١٩٨٩ -

لا ريب في ان شهرة الامام الخميني في العالم وانتشار صيته في الآفاق انما يعود الى همته العالية.. هذا العلوّ الذي يجب أن نبحثه في «عمق» معرفته. ذلك أن همّة كل أمرئ تتناسب مع معرفته. يتوجب أن نعرف مدى معارفه حتى وصل الى هذه الذروة من المجد. وللإمام الراحل كلمات في «العلم» ومقالات في «الإيمان والبرهان» وكتابات في «العرفان والقرآن».

انه يتحدث بكل حذر ويتحرك بكل حيطة في رحاب القرآن المقدس. فكل ما يقوله كراي علمي انما يطرحه من باب الاحتمال لا القطع والجزم وهو منسجم مع سائر الآراء الأخرى اذ يتحرك في «طولها» لا في «عرضها». وحول الإيمان يصرّ الإمام الراحل على أن العلم لا يعدو أن يكون وسيلة وليس غاية فالغاية هي الإيمان.

العلم والإيمان ليسا متلازمين. فمن الممكن أن يكون المرء عالماً ولا يكون مؤمناً.

كما أنه من الممكن أيضاً أن يكون الإنسان مؤمناً ولا يكون عالماً (وإيمانه تقليدي).

كما هو الحال في انعدام الصفتين لدى شخص ما إذ، لا يكون عالماً ولا يكون

مؤمناً فيما يكون شخص آخر مؤمناً وعالمأ في نفس الوقت وفي كل الأحوال يكون ضمن هذه «الرباعية» وتوضيح ذلك:

١ - ايمان بلا علم.. نظير ايمان ضعاف الناس من الذين يؤمنون عن طريق علم الآخرين وأقلامهم وقد قال الامام الصادق عليه السلام: «من دخل في هذا الدين بالرجال أخرج منه الرجال»^(١).

٢ - علم بلا ايمان.. كما ورد في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(٢).

وفي حوار موسى وفرعون يقول النبي عليه السلام للطاغية: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآ ربّ السموات والأرض﴾^(٣).
وتتضمن السياق استنكاراً لعدم الايمان.

٣ - الانسان بلا علم ولا ايمان، هو انسان جاهل متهتك، وهذا الصنف ليس ضئيلاً.

٤ - العلماء المؤمنون هم الصنف الأعلى في هذا التقسيم الرباعي، وهم الناجون يوم القيامة يتبعهم المؤمنون غير العلماء والجنة من نصيب هذا القسم الأخير.
والآيات التي تتحدث عن ذلك كثيرة فالجنة للمؤمنين بشكل عام.. ولكنها في الأصل للمتقين:

﴿أزلفت الجنة للمتقين﴾^(٤).

﴿سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت

(١) بحار الانوار: ١٠٥/٢.

(٢) النمل: الآية ١٤.

(٣) الاسراء: الآية ١٠٢.

(٤) الشعراء: الآية ٩٠.

للمتقين ﴿^(١)﴾.

وبالرغم من أن الجحيم هي مصير غير المؤمنين، ولكنها في الأصل أعدت للكافرين.

﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾ ^(٢).

ومن هنا نرى اصرار الامام الخميني على أن العلم ليس هدفاً.. وانما هو جسر الى الهدف الذي هو الايمان وكما يقول ذلك في تفسير سورة «الحمد».

ثم يقول في العلم والايمان: المحور الاساس القرآن والعترة: ثقلان أحدهما أكبر من الآخر.

فيقول في الثقل الاكبر (القرآن): ان نزوله على نحو «التجلي» وليس «التجافي». عندما تنزل قطرة مطر من الأعلى الى الاسفل، فنزلوها على نحو التجافي.. لأنها عندما كانت في الأعالي لم تكن في الأسافل، وعندما نزلت الى الأسفل، لا يكون لها حضور في العلو.

وعندما يكون النزول على نحو التجلي يعني انه في الوقت الذي يكون في الأعلى يكون له حضور في الأسفل ونزول القرآن على نحو التجلي فهو: «دان في علوه وعال في دنوه» ^(٣).

وهذا الكلام دال على المتكلم فمن جهة هو:

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ^(٤).

وهو من جهة أخرى:

(١) آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) آل عمران: الآية ١٣١.

(٣) مفاتيح الجنان / دعاء الجوشن الكبير.

(٤) الزخرف: الآية ٣.

﴿ وأنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم ﴾^(١).

فالمجال القرآني يمتد من «العربي المبين» والى «أم الكتاب عليّ حكيم» ف«اقرأ وأرق»^(٢).

وعلى هذا فان تفسير القرآن الكريم هو سير صعودي متكامل.. والامام الراحل يقول في ذلك:

«ان القرآن الكريم يرسم للعالم صورة تليق بإنسانية الانسان ويعلم المجتمعات البشرية الأبعاد الثلاثة:

«المبدأ»، المعاد، وما بينهما «الوحي الرسالة، الخلافة، الولاية والامامة»

والى جانب الاصول الثلاثة أعلاه تنبثق فروع كثيرة.

يقول الامام في «المبدأ»:

من أجل معرفة الله سبحانه ينبغي ألا نرتضي كل آية بالرغم من إن مائة الآيات مترامية، ولكن يجب معرفته في أفق أوسع من: ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾^(٣).

لأننا سوف نعرف في مستوى معرفة البعير سواء كان عادياً أم معجزة: ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾^(٤).

لأن الايمان سيكون في مستوى المعرفة، وعلى الانسان أن يعرف الله من خلال اسمائه الحسنی.

واننا لنرى الامام الراحل يتحرّق من أجل المعرفة البشرية ومظلومية القرآن

(١) الزخرف: الآية ٤.

(٢) الوافي / باب التمسك بالقرآن والعمل به.

(٣) الفاشية: الآية ١٧.

(٤) الشمس: الآية ١٣.

الكريم: كم نحن مساكين وكم هو مظلوم القرآن حتى تكون معرفة الله من خلال النظر الى الابل ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت؟ ﴾.

ويعتصر الالم قلب الامام فيقول في تفسير سورة الحمد: اننا ننعى على هذا المستوى من المعرفة، بدل أن نعرف الله من خلال ﴿ هو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴾^(١) نعرفه من خلال معرفة الابل!

لماذا لا نعرف الله من خلال ﴿ فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً ﴾^(٢)؟! إن روح الامام لترفرق بين معاني «المناجاة الشعبانية» وقد ألفت روحه هذه المناجاة لأنها تتضمن تضرّعا مخلصاً في: «الهي: وفقني الى رؤيتك فلا أرى سواك».

تأملوا في كلمات شيعة أهل البيت وقارنوها مع كلمات أخواننا أهل السنة وتصفحوا كتب الشيعة وكتب السنة.

وستجدون البون شاسعاً بين الفريقين اننا لن نرى مثل هذه المعارف لدى أهل السنة مع أنهم مسلمون.. لماذا؟

لأنهم لا ينهلون من «نبع الوحي» و«معدن الرسالة»، ومثل هذه المعارف العالية الرقيقة انما توجد في مناجاة أهل البيت وآثارهم.

رواية واحدة يعثر عليها علماء الدين تكون لهم زادا سنوات طويلة، ولو أن طالباً مجتهداً أراد بحث مسألة «الاستصحاب» مثلاً لتطلب منه البحث مدة ستة أعوام.. على الأقل أن يبدأ من «المعالم» «الرسائل» «الكفاية» و«الخارج».

وعندما تبحث في جذور هذه القاعدة نجد رواية مضيئة تعرف بـ«مضمرة زرارة» التي تقول:

(١) الحديد: الآية ٣.

(٢) الاعراف: الآية ١٤٣.

«من كان على يقين فشك فليبن على يقينه»^(١).

ورواية أخرى:

«لا تنقض اليقين بالشك»^(٢).

روايتان أو ثلاث متضافرة لتعزيز السند، وعندما تصل مثل هذه الروايات الى أصولي كالشيخ الانصاري أو «الآخوند الخراساني» وسائر الاصوليين تستحيل الى غذاء فكري يمدّ الحوزات العلمية سنوات طوال.

هناك سلسلة من الروايات في أصول العقيدة وهي أقوى سنداً من «مضمرة زارة» كما أنها «صحيحة» ولم تقتصر روايتها على الشيعة.. بل يرويها أهل السنة أيضاً عندما تعرض في الحوزات العلمية فيناقشها علماء كبار وتواجه باشكالات عديدة وشبهات.. بحيث تحل جميع الاشكالات وتفند جميع الشبهات وتكون غذاءً فكرياً للحوزات العلمية سنيناً.

من الروايات التي يرويها الشيعة والسنة.. الحديث القدسي الذي يقول

«لا يزال يتقرب عبدي المؤمن بي»^(٣).

«وانه ليتقرب الي بالنوافل».

والنوافل مندوبات العبادة والنفل الزيادة، فالعبادة التي تأتي بصيغة الأمر فريضة وما زاد عنها نافلة، والنافلة لا تختص بالصلاة فهناك صوم مستحب مندوب وفي الزكاة أيضاً.

ف«ليتقرب الي بالنوافل» ما جاء بعد أداء الفريضة، وكل هذه الأعمال هي

قرايين «الصلاة قربان كل تقى»^(٤).

(١) عن الامام الصادق / وسائل الشيعة / أبواب نواقض الوضوء الباب الأول ج ١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اصول الكافي / كتاب الايمان والكفر.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٦.

وكذا «الصوم قربان كل تقي» و«الجهاد قربان كل تقي» فالقرايين لا تنحصر في «الأضاحي» فقط فالصلاة قربان والصوم أيضاً قربان.. لأنها أعمال يتقرب بها العبد الى ربه.

وينتهي هذا الحديث النوراني الى نتيجة هو: «حتى أحبه» عندما نحب الله فهذا كمال ولكنه في منتصف الطريق.. أن يكون الانسان محباً لله كمال له وصلاح ولكن أن يكون محبوباً من لدن الله فهو ذروة الكمال لأنه يكون قد اتبع الحق. ومن هنا ينبغي أن نفهم قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾^(١).

وعلى هذا سوف تظهر آثار الحب في المحبوب، وتأتي تكملة الحديث الشريف لتضيء هذه الآثار:

«حتى أحبه فإذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، اذا دعاني أجبتة، وإذا سألتني أعطيتة». واذ أراد باحث أن يدرس هذا الحديث النوراني فسيغرق فيه سنين طويلة سوف تكون البداية عن «لا تنقض اليقين بالشك» الى أن يدرك كيف يكون الله سبحانه لسان لدى الانسان المحبوب وهل هذا اسم الذات في صفته، أو صفة الفعل؟ وكيف يكون الله سبحانه لسان العبد المخلوق الذي لا يملك في ذاته شيئاً. وعن أي مرحلة يخبر هذا الحديث؟ وسوف تطرح خلال الدراسة معارف عميقة.

ما هي الذات؟ ماذا يعني صفة الفعل؟ وما هي صفة الجلال؟ وما هي صفة الجمال؟

(١) آل عمران: الآية ٣١.

وكيف يكون الله يد الانسان حتى يمكن القول: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١).

ويكون الله لسان الانسان فيمكن القول: «وما نطقت اذ نطقت ولكن الله نطق». وهذه المعارف الرفيعة لا توجد لدى غير الشيعة. هذا الحديث يرويه الآخرون، ولكن طواياه لا تفهم إلا من خلال الأدعية المأثورة عن أهل البيت.

وكما أن «القرآن يفسر بعضه بعضاً» فإن الدعاء المأثور يفسر بعضه بعضاً. لأن الجميع يصدر عن نور واحد، ويتدفق من نبع واحد.. ولهذا نرى انسجاماً كاملاً بينها وبين سائر الاحاديث.. وعندها نفهم جذور شجرة «أنا الحق»^(٢). ونفهم كلمات الامام الراحل وهو يشدو:

لقد تحررت من ذاتي وازحيت صرخة «أنا الحق»

كما منصور (الحلاج) الذي سعى بقديمه الى الفداء^(٣)

انه يتمنى ذلك المقام وتلك المنزلة.. يعني ليتني اصل درجة يكون الحق لساني وهو مقام الفعلية لله سبحانه لا مقام الذات القدسية فالناطق آخر، واللسان لسان آخر وما لم يتحرر الانسان من ذاته فانه لن يبلغ ذلك المقام الرفيع. ولقد وضع الامام خطاه في هذا الطريق وأحيا علوماً جمة.

فهو في وصيته يؤكد على القرآن والعترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام حتى لا يأتي أحد ويقول: الثورة حرب وقتال فما معنى التوسل والدعاء والزيارة والشفاعة وغيرها؟

(١) الانفال: الآية ١٧.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٠.

(٣) هذه ترجمة قاصرة لا تنهض بكل المعنى الاصلي لشعر الامام الراحل (المترجم).

وقد صدرت في هذا المجال كتب.

ولذا كان الامام يؤكد على الدعاء في كثير من أحاديثه وطالما ذكّر بمقولة العارف المرحوم الشاهابادي: «الدعاء: القرآن الصاعد»^(١).

فهو رضوان الله عليه يؤكد في تفسيره لسورة الحمد على الدعاء والتوسّل حتى لا تفرّغ الثورة من معناها.. حتى لا يقول أحد: الثورة ناقصاً التوسل.. الثورة ناقصاً الدعاء!

«الثورة بلا دعاء ليست ثورة».

ستكون كالثورات الأخرى لم تسفر عن ثمرة ولم تبلغ غايتها.

الموضوع الآخر الذي يشير اليه الامام في معرفة المبدأ هو: ألا يطمع الحكيم بفكره البرهاني ولا العارف بشهوده ان يصل كنه الذات الالهية، لأن الذات القدسية مطلقة محض.. فلا حكيم ولا عارف يمكنه بلوغ كنه الذات الأحدية.

وهذا علي بن ابي طالب الحكيم والعارف الأول يقول: «لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن»^(٢).

وكيف يحيط المحدود باللامحدود!؟

ان انطلقت الى الاعلى ارتطمت بالسقف وإن هبطت الى الاسفل اصطدمت بالسطح وهو سبحانه لا سقف يحده ولا سطح يصدّه.

حتى الانسان الكامل (وهو سيدنا محمد ﷺ) لا يمكنه استكناه الذات المقدسة فلا يستطيع عبادته والثناء عليه «كما هو ذات».. لأن العبادة فرع من المعرفة (لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)^(٣).

(١) وعلى حدّ تعبير الشيخ العارف استاذنا: «الادعية كتاب صاعد، قرآن صاعد».

(٢) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١.

(٣) مناجاة الشاكرين / صحيفة نور ١٧٥/٢٠.

لأنه سبحانه «داخل في الأشياء بالمازجة، وخارج عنها لا بالمزيلة»^(١).
فهو ممتنع على حكمة الحكماء وشهود العرفاء، لأنه محيط بالجميع وهو
﴿ بكل شيء شهيد ﴾ و ﴿ على كل شيء شهيد ﴾^(٢).
وعلى هذا فلا أحد يحيط بكنهه، وقد «حارت الانبياء والاولياء فيها»^(٣).
والدائرة التي يتحرك فيها الحكيم الباحث والعارف هي دائرة الظهور.
و«نور السموات والأرض» وهذا الفيض الشامل.. والآ فان مقام الذات ليست في
تناول أهل الفكر وأهل القلب.

يقول الامام في معرفة الرسول والولي والخليفة:
انه قبل أن يفسر القرآن فسّر الانسان، وقد جاء القرآن ليفسّر انسانية
الانسان، والقرآن ليس كتاباً يفسّره الانسان.
الله سبحانه خلق الانسان ومنحه كتاباً يعلمه البدء والانتها، يشرح له جسمه
وروحه.

فالقرآن مفسّر للانسان.
وسيكون الانسان بعدها ترجماناً وناطقاً بعد تفسير القرآن، هذا الكتاب صنع
انساناً حده المتوسط نطق الشجرة ﴿ اني أنا الله رب العالمين ﴾^(٤) وحده الأعلى
مقام ﴿ دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾^(٥).
ووفق رؤية الامام الرفيعة والواسعة لا يقتصر دور الخليفة في هداية

(١) نهج البلاغة / الخطبة رقم ١.

(٢) فصلت: الآية ٥٣.

(٣) شرح الفصوص / ٦٩.

(٤) القصص: الآية ٣٠.

(٥) النجم: الآية ٨.

المجتمعات الانسانية بل انه للانس والجن وحتى للملائكة ايضاً.

ومن كل نظام الوجود ليس الانسان وحده ينشد العلم والحكمة: ﴿ وَيَعْلَمُهُم
الكتاب والحكمة ﴾^(١).

بل الملائكة أيضاً ينشدون العلم ولكن على نحو الإنباء لا الادراك، ولذا لم يقل
الله سبحانه لآدم: «يا آدم علّمهم باسمااء هؤلاء» بل قال له: ﴿ آدَمُ أَتَبِّهْمُ
باسماتهم ﴾^(٢).

ذلك أن الملائكة لا يتحملون التلمذة بلا واسطة ولا يستطيعون ذلك وليس في
تعليم الله بخل، ولو كان الملك لائقاً لأن يكون متعلماً لقال الله سبحانه لآدم علّمهم
ولكنه قال أنبئهم.

ولذا سجد الملائكة للمعلّم: ﴿ فسجد الملائكة كلّهم أجمعون ﴾^(٣).
واذا كان الملائكة يقومون بتدبير العالم باذن الله ﴿ فالدبرّات أمرا ﴾^(٤)
فالملائكة ساجدة للانسان الكامل.

وهذه ليست قضية تاريخية يبحثها الانسان في التاريخ الميلادي أو الهجري
أي متى سجد الملائكة؟

فهي في هذه اللحظة ساجدة للانسان الكامل متجسداً بشخص الامام المهدي
(ارواحنا فداه) والمدبرّات الأمر تستمدّه وهو في هذه اللحظة من «بيمينه رزق الورى
وبوجوده ثبتت الأرض والسماء»^(٥).

(١) آل عمران: الآية ١٦٤.

(٢) البقرة: الآية ٣٣.

(٣) الحجر: الآية ٣٠.

(٤) النازعات: الآية ٥.

(٥) مفاتيح الجنان / دعاء عديله.

أجل كان الامام الخميني ينطوي على هذا العمق من المعرفة.. العمق الذي صنع همته وإرادته القوية.

أما معرفة المعاد لدى الامام الراحل، وخلوصه وخشوعه فهو كما يلي: معرفة المعاد لدى أي انسان هي بقدر معرفته المبدأ، ولذا وصف الله سبحانه الذين ينكرون المعاد بقوله عز وجل: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(١).

فلأنهم جهلوا المبدأ، جهلوا المعاد، ومن هنا فإن خشية الانسان يوم القيامة تنبع من معرفة الانسان.

لماذا يتمسك الامام عليه السلام بالثقلين مسلماً للإسلام؟

كثيرون أولئك الذين يخشون العذاب في جهنم ولكن من منهم ردعه الخوف عن ارتكاب الحرام.

وتوضيح هذا الموضوع: هو أن الانسان يقول ان جهنم كما هو السجن يحبس فيه الاشرار، وهذا مستوى من المعرفة حول الجحيم الأخرى.

وهذا المستوى من الرؤية والمعرفة حول الجحيم لا يكفي في ردة الانسان عن ارتكاب المعصية والآثام.

لأنه قد يوحى الى نفسه أنه قد تكون هناك فاصلة عن هذا الجزاء أو قد يمكن الفرار من هذا المصير!

وقد تكون معرفة المعاد بهذا المستوى عندما يقول الانسان لنفسه: الذنب: «سَمٌّ» وهو سمّ غير قابل للهضم بل أنه هو الذي يهضم الانسان ويرافقه.. فكل ما عمل سيكون له قريناً لا يمكن الخلاص منه.

وقد طرح القرآن الكريم معرفة المعاد بهذه الرؤية. وبين الكتاب العزيز علم الله

(١) الزمر: الآية ٦٧.

وملائكته، وكيفية ضبط الاعمال واحضارها.. حيث يمكن تقسيم الآيات في هذا المضمار الى ستة أقسام، وهو تقسيم يعود الى شدة اللهجة فيها.

القسم الأول: الاحاطة والعلم بالاعمال «ان الله عالم ومحيط»

فهو: ﴿بما تعملون خبير﴾^(١).

﴿بما تعملون علیم﴾^(٢).

﴿بما تعملون محیط﴾^(٣).

القسم الثاني: من قبيل ما ورد في سورة يونس: ﴿وما تكون في شأن وما

تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الآكثنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾^(٤).

فعلی مستوى المعرفة ينطلق الانسان في نيته وهمته.

القسم الثالث: ليس الشهود والعلم بما يعمل الانسان بل وأيضاً ضبط

وتسجيل الاعمال:

﴿انا نحن نحیی الموتی ونکتب ما قدّموا وآثارهم﴾^(٥).

﴿والله یکتب ما یتنون﴾^(٦).

﴿بلی ورسلنا لیدیهم یکتبون﴾^(٧).

وقد وردت صفات الذين يكتبون الاعمال فهم «رقيب»، «عتيد» و«قعيد».

(١) البقرة: الايتان ٢٣٤، ٢٧١.

(٢) البقرة: الآية ٢٨٣.

(٣) هود: الآية ٩٢.

(٤) يونس: الآية ٦١.

(٥) يس: الآية ١٢.

(٦) النساء: الآية ٨١.

(٧) الزخرف: الآية ٨٠.

﴿ ما يلفظ من قول الآ لديه رقيب عتيد ﴾^(١).

فهناك رقابة صارمة وعدم تساهل.. وأيضاً هناك ملازمة قريبة في المكان.

﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾^(٢).

لكننا وعلى حدّ تعبير الامام نجعل كثيراً من هذه المسائل.. من قبيل مكان الكتابة وما هي صحيفة الاعمال؟ وكيف توزن الاعمال؟ مستودع هذه المعلومات وغير ذلك.

القسم الرابع: وهي الآيات التي تتحدّث عن ان الانسان يجد كل ما عمله يوم القيامة حاضراً:

﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾^(٣).

وهذه الآية تنطوي على لهجة فيها لين:

القسم الخامس: الآيات التي تصعد من لهجتها من قبيل قوله تعالى:

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن

بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾^(٤).

وهذه لهجة تنطوي على شدّة وانذار وكقوله تعالى:

﴿ إن كانت الآ صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾^(٥).

﴿ وإن كلّ لَمّا جميع لدينا محضرون ﴾^(٦).

(١) ق: الآية ١٨.

(٢) ق: الآية ١٧.

(٣) الكهف: الآية ٤٩.

(٤) آل عمران: الآية ٣٠.

(٥) يس: الآية ٥٣.

(٦) يس: الآية ٣٢.

فالجميع محضرون للحساب الآ عباد الله المخلصين.

القسم السادس: الآيات التي فيها موعظة وبيان شمولية الاحضار.

فمسألة الاحضار مسألة مفروغ منها مع جهلنا بالمكان.. مكان الاحضار.

ولكن هنا مسائل قابلة للدراك من قبيل قوله عز وجل:

﴿ واذا الصحف نشرت... علمت نفس ما أحضرت ﴾^(١).

فعندما تنشر صحائف الاعمال للحساب، فإن كل امرئ يعرف ما أحضر.

وإذن فنحن الذين نحضر اعمالنا لأنها معنا ومقرونة بنا.

يقول الله سبحانه حول جهنم: ﴿ وحيء يومئذ بجهنم ﴾^(٢).

كيف يجاء بجهنم؟ وهل أن جهنم من الأمور المنقولة؟

هذه مسائل نجهلها.

ولكننا في ما يخص حضور الاعمال ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾^(٣).

ندرك أننا نحن الذين نحضر الاعمال، وأن اعماقنا تنطوي على ضجيج هذه الاعمال وستفاجأ بالنشئة الجديدة وأننا نحترق.

والآن وبعد أن بحثنا هذه الاقسام الستة من الآيات حول مبدأ والمعاد فهل يمكن لانسان بهذه الرؤية أن يلعب بالنار؟

ليس هذا الانسان وبهذه الرؤية يقول: هناك جهنم واننا سنؤخذ اليها.

وبالرغم من جهلنا كثيراً من الأمور، لكننا نفهم قدرأ ما.. من قبيل قوله تعالى:

﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾^(٤).

(١) التكوير: الآيات: ١٠ - ١٤.

(٢) الفجر: الآية ٢٣.

(٣) التكوير: الآية ١٤.

(٤) الجن: الآية ١٥.

وهؤلاء هم الذين سقطوا في هاوية الظلم انهم سيكونوا حطباً لتلك الجحيم المستسعة.

في الماضي آل فرعون، واليوم الشيطان الاكبر (امريكا) انهم سيكونون جميعاً حطباً و(وقود النار)^(١).

اضافة الى الذين يكتمون الحقيقة من وعاظ السلاطين، وعلماء السوء في البلدان والوهابيين.

ذلك ﴿إن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾^(٢).

ان من المؤكد لو أن المسيحيين يتبعون الانجيل كما انزله الله، واليهود يتبعون التوراة كما انزلها الله، وعلماء الاسلام لا هم لهم سوى ارضاء الله فانه لا الغرب المعتدي ولا الدول التي تدور في فلكه تتلخخ أيديهم بالدماء البريئة وباسم الاسلام^(٣).

والوقود ليس مادة قابلة للاشتعال وانما تساعد أيضاً.

وعندما يُرافق الوقود المواد الخام التي هي الحطب، يحدث الاشتعال ويبدأ الحريق: ﴿في الجحيم ثم في النار يسجرون﴾^(٤).

والحطب الجهنمي ليس حطباً يجلب من مكان ما بل ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾^(٥).

(١) آل عمران: الآية - ١٠.

(٢) البقرة: الآية ١٧٤.

(٣) اشارة الى مذبحه الحج الدامية (المترجم).

(٤) غافر الآية ٧٢.

(٥) الصافات: الآية ٦٤.

﴿ وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾^(١).

ومن هنا تتضح رؤية تجسّم الاعمال وتجسّدها ومعرفة الجحيم، كما وردت في تفسير الامام لسورة الحمد.

وفي ضوء هذه الرؤية العميقة فاننا لن نحتاج الى التأويل في بعض الآيات من قبيل قوله تعالى:

﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ﴾^(٢).

وكيف يأكل الذين يبيعون دينهم النار^(٣) ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾^(٤).

اننا لا نحتاج الى تأويل مثل هذه الآيات لأنه لا برهان عقلي ولا دليل نقلي يؤدي الى خلاف الظاهر.

ومن هنا يعتقد الامام الراحل ان جهنم محيطة الآن بالكافرين: ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾^(٥).

فهم الآن في جهنم لأنه لا دليل على أن الاحاطة ستكون في جهنم لأن استخدام المشتق مجاز في (ما يأتي) ويتطلب قرينة.

وقد سئل الامام الرضا عليه السلام: الجنة والنار هل لهما وجود فعلي؟

فاستدل الامام بوجودهما الفعلي من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ هذه جهنم

(١) النساء: الآية ٥٦.

(٢) النساء: الآية ١٠.

(٣) البقرة الآية ١٧٤.

(٤) النساء: الآية ٤٦.

(٥) العنكبوت: الآية ٥٤.

التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿^(١)﴾.

واننا لنجد هذه الرؤية في معرفة المبدأ والمعاد والخليفة في كثير من أحاديث الامام الراحل عليه السلام.

وفي ظل مثل هذه المعرفة العميقة للمبدأ والانسان والسير من المبدأ الى المعاد، وفي ضوء تعاليم القرآن والعترة، وفق في احياء الحب لله في أفراد الامّة الاسلامية الايرانية، وتربية شخصيات لم يكن همها سوى احياء الدين لا يخافون التضحيات ولا يخشون العاديات.

وفي ظل تربية هذا الرجل الالهي الكبير، ترعرع حب الله في قلوب المؤمنين المقاتلين فدائيي سنوات الدفاع المقدس فكانوا مصداق الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ^(٢).

حتى ان هؤلاء الفدائيين ^(٣) كانوا يقولون ان تلك الاعضاء التي فقدناها في سبيل الله هي في الحقيقة ما نملكه، واصبح هذا التفكير التضحيوي ثقافة.

وكم سمعنا حكاية الكبش الذي ذبح وأهدي جميع أعضائه الى الآخرين باستثناء ذراع واحدة فقالت إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وآله ذهب الجميع وبقيت لنا اليد.

فقال النبي صلى الله عليه وآله ما معناه بل قولي بقي كثيره وذهب قليله لأن ما وهبناه في سبيل الله باق وعده زائل.

وهذه هي المعرفة العميقة التي اجتازت مرحلة العلم الى العين وتعدت مرحلة

(١) الرحمن: الايتان ٤٣ - ٤٤.

(٢) البقرة: الآية ٥٦.

(٣) معرّقي الحرب مع العراق.

كلمات تطرق الآذان، الى حقيقة يشهدها الانسان.. وهذه الرؤية التوحيدية العميقة هي التي تجعل الانسان الذي يفقد عضواً في سبيل الله يقول:

لدي عينان ولا أملك يدين لأنني وهبت عيني في سبيل الله ولم أهب اليدين.

لان كلمات الله قد اضاءت اعماقه حيث يقول عزوجل: ﴿ ما عندكم ينقد وما عند الله باق ﴾^(١).

وما سمعناه من حكاية الكباش قبل اربعة عشر قرناً رأيناه في شبابنا المؤمن الذين قدموا التضحيات في سبيل الله واعتبروا ما فقدوه هو الباقي، لأنه في عين الله وما لم يفقدوه الى زوال.

والخلاصة ان الهمة العالية لا تتأتى للانسان إلا بعد معرفة عميقة لأن الهمة فرع المعرفة.

وقد استطاع الامام أن يجذّر في روح شعبه: (والذين آمنوا أشدّ حباً لله).

وما قدّم في سبيل الله باق وما عداه لا يبقى والى نقاد.. وهذا ما تعنيه كلمات علي عليه السلام عندما يقول: «انه يموت متاً من مات وليس بميت، ويبلّى متاً من بلى وليس ببال»^(٢).

ولكن بعضهم يموت قبل موته فهو «ميت الأحياء»^(٣).

وبعضهم يبقى حياً حتى بعد موته «العلماء باقون ما بقي الدهر»^(٤).

والعالم حي وإن كان ميتاً.

(١) النحل: الآية ١٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

(٣) المصدر السابق / الحكمة ١٣١ نسخة فيض الاسلام ص ١١٥٦ ونخسة صبحي صالح ٤٩٦.

(٤) نهج البلاغة / صبحي صالح ٤٩٦.

لقد تربى الامام في ظلال القرآن والعترة، لأنه ليس من الممكن أن ينهض انسان لمواجهة الاستكبار العالمي اذا لم ينطلق من معرفة عميقة. وليس هنا من يقول أنا عدوّ الاستكبار اذا لم يمتلأ معرفة وايماناً.

واننا لنجد ذلك في شخص النبي ﷺ عندما يخاطبه الله سبحانه قائلاً:

﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف الآ نفسك وحرّض المؤمنين ﴾^(١).

ولقد نهض النبي ﷺ لوحده ولم يكن معه في البداية ناصر، ومن هنا فان

الانسان لا تكون له همة عالية ما لم ينطوي على معرفة عميقة.

ولقد انطوى الامام على معرفة عميقة حول المبدأ والمعاد وما بينهما من معرفة

الانسان كخليفة لله، واثبت ان الخلافة للانسان الكامل.

الفصل الثامن

معراج السالكين في أفق إمام العارفين

- ربيع ١٩٩٠ -

البحث حول سرّ كل شيء في الوجود، لأن الفناء لا ينطوي على سرّ. ولاصلاة من هذه الناحية لها وحدة اعتبارية، ووحدة مساوقة للوجود، ومن لا وجود حقيقي له لا سرّ له.

ولكن من ناحية كون له جذر تكويني وهذا المبدأ التكويني والوجود الحقيقي له ظهور في منطقة الاعتبارية في صورة مجموع الحركات والسكنات، الكلمات والتصرفات، فمن المحتم انه سيكون له سرّ.

كالقرآن له ظاهر اعتباري لأنه مجموع الحروف والحركات وباطن حقيقي (أم الكتاب) الذي هو «علي حكيم»^(١).

والمثل الملكوتي للصلاة في البرزخ النزولي في معراج النبي ﷺ وفي البرزخ الصعودي، في قبر المؤمن، دلالة على وجودها الحقيقي قبل اعتبارها الدنيوي وأيضاً سوف يكون لها بعد ذلك.

وذلك الاعتبار تحفّه حقيقتان تسبق وجوده الحقيقي، وتلحقه له بناء تحتي حقيقي وسرّ منسجم مع السابق واللاحق، ولأن هذا السبق واللاحق ليس زمانياً حتى يتناسب مع معية الزمان، فلذا اينما كانت الصلاة كان السابق واللاحق

(١) «وانه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم» الزخرف: الآية ٤.

الملكوتي مع هذا الامر الاعتباري الملكي.

والذي في منطقة الاعتبار من قبيل احكام وآداب الصلاة، يتعلّق بالفقه اما الأخلاق والدعاء والحالة النفسية، وكل ما يتعدى الوجوب والمستحب المندوب فيدخل في دائرة أسرار الصلاة.

ومن هذه الجهة يمكن العثور على هذا الجانب في الصلاة بأية حالة وفي أي ظرف في الحضر والسفر وفي صلاة الابكم وفي صلاة المريض العاجز عن أداء أي من حركات الصلاة.

بل ان المرء يمكن ان يستغرق في الصلاة حتى هو على مشارف الغرق لا يستطيع أن يحرك سوى جفنيه حيث نجد آثار ذلك فقهاً في سقوط القضاء عنه. وعلى هذا فان اساس اسرار الصلاة تكمن في «الشهود العيني» للمصلّي ولأن للشهود القلبي درجات، فلأسرار الصلاة أيضاً مراتب فكل درجة رفيعة هي بالنسبة للأدنى منها باطن مستور وكل مرتبة أدنى هي النسبة لما فوقها ظاهر مشهور. والمصلّي السالك يسلك بقلبه وروحه من المشهور الى المستور ولا هدف له سوى رؤية المعبود.

وهذا الموضوع عميق... فمراد سالكي طريق الحق العبودية لا أن يؤدي بالسالك - معاذ الله - ألا يصلي^(١) والأفهو السقوط في هاوية جهنم.

وعبادة العارف المنقطع، تقام مع مسالك الادراك وتحريك الحق لا العبد^(٢).

ولذا يبلغ الانسان ألا يرى عبادته لا ألا يعبد، والأول سعادة والثاني شقاء. وأوج اسرار الصلاة كامن في شهود الله:

(١) اسرار الصلاة للامام الخميني الفصل الثاني من المقدمة.

(٢) المصدر السابق الفصل الخامس.

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(١).

حيث يجتاز الانسان دائرة «لا حول ولا قوة الا بالله» وبلوغ مرحلة «لا اله الا الله» ليصل الذروة في: «لا هو الا هو».

ومعنى التوحيد التام «قطع» الانشغال بغير الله. ذلك أن قطع الانشغال هو في ذاته انشغال والتفات.. بل «الانقطاع» الانشغال بالغير.

وحتى يختفي «الانقطاع» ليكون «كمال الانقطاع» هو مراد الموحدين الحقيقيين! بشكل ليس لا يرى غير الحق فحسب بل لا ترى (لا يرى) نفسها. وهذه معبأة في متن العبادة.. خاصة الصلاة.

والفرق بين «القطع» و«الانقطاع» أو «كمال الانقطاع» هو الامتياز بين مقام «الفناء» و«الفناء من الفناء» الذي هو أساس «البقاء بعد الفناء» و«الصحو بعد المحو» الذي أشار اليه الامام الخميني مراراً في مؤلّفة الجليل «سرّ الصلاة» اذ عدّ بعض الركوع من الفناء، والسجود «فناء من الفناء» وهو ما عبر عنه شعراً:

ضع في الله فهو الكمال وحسب (الفناء الأول)

وضع الضياع فهو الوصال وحسب^(٢) (الفناء الثاني)

فسرّ كل شيء موجود في شكل وجوده، وللصلاة شكل حركي خاص ليس في مقولة الكيف و.. بل في جوهر المصلّي.

ذلك أن صحّة الصلاة ترتبط بـ«النّيّة» و«النّيّة» هي انبعاث الروح من الخلق الى الحق، والشائع بين الغافلين ان النّيّة «تصوّر» بعث لا «تحقق» انبعاث، وهذا هو سرّ

(١) الحجر: الآية ٩٩.

(٢) اسرار الحكم للسبزواري / ٥٢٧.

الصلاة، وبتخييل البعث يكون نيل المقصد مستحيلاً وشهود المقصود ممتنعاً. وعلى هذا فان الصلاة الحقيقية هي المتوفرة على هذه الحقيقة وهي «سرّ الصلاة».. ومن أجل نيل هذا الهدف وبالإضافة الى تحقق الاحكام والشروط والآداب والسنن وهي أيضاً علل اعدادية وامدادية، فانسب حال للحصول على السرّ هو السحر إذ لا يشغل الانسان شيء من شواغل النهار، ولا يلهيه من علل أول الليل عامل.

ولذا قال الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿ان ناشئة الليل هي أشدّ وطأً وأقوم قِيلاً﴾ * إن لك في النهار سبحةً طويلاً ﴿^(١).

وتترتب على صلاة الاسرار نتائج كثيرة ونموذجاً منها هو بلوغ «المقام المحمود»^(٢) وهو ما وعد الله سبحانه رسوله ﷺ: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾^(٣).

والآية لا تحصر المعنى بصلاة الليل كما لا تحصرها بشخص رسول الله ﷺ. فهذا المقام المحمود ميسر لغيره وفي غير صلاة الليل.

والتفاوت بين الرسول ﷺ والآخرين في درجة كمال وجوده لا في أصل التكامل في مضمون الصلاة.

لأن الاختصاص الفقهي حيث صلاة الليل واجبة على النبي ﷺ وعلى الآخرين مستحبة سوف لا يكون أساساً في اختصاص السير والسلوك عن طريق صلاة الليل.

والأصل الجامع لهذا الموضوع يمكن استظهاره في الحديث العرفاني للامام

(١) المزمّل: الايتان: ٦-٧.

(٢) تحرير تمهيد القواعد / ٥٦٦.

(٣) الاسراء: الآية ٧٩.

الحسن العسكري عليه السلام وقوله: «الوصول الى الله سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل»^(١). بالرغم من أن هذا الحصر اضافي لا حقيقي، ولكن الحديث الشريف ينطوي على نقاط هي من غرر روايات أهل البيت ومعدن الوحي:

- الوصول الى لقاء الحق ممكن لا ممتنع
- الوصول الى لقاء الله بالحركة والسلوك لا بالسكون والتحجر
- طريق الوصول طويل يحتاج الى مركب يطوي الطريق
- لأن الله في كل مكان ومع كل شيء فالوصول الى لقائه سيكون بالهجرة من كل مكان وبترك كل شيء.

● ان صلاة الليل أقدر من صلاة النهار والحركة فيها أيسر.

● ان سرّ الصلاة، هو الوصول الى المعبود.

● بالرغم من أن أخذ الرفيق قبل طي الطريق: «الرفيق؛ ثم الطريق»، لكن أخذ الرفيق، في ذاته سفر بلا رفيق، لأنه مقدمة السفر الحق، لا السفر الاصلي، والصلاة الظاهرة هي السرّ الابتدائي من أجل أخذ الرفيق واصطحابه في بدء الأسفار التالية. طبعاً بعد الوصول الى الرفيق.

والرفيق بعد كل الأسفار هو الله جل شأنه. ولأن ما عدا الله ضلال: ﴿ماذا بعد الحق الا الضلال﴾^(٢).

والذين ليسوا من أهل الصلاة في حرمان من السير الصعودي بل أنهم ﴿يتيهون في الأرض﴾^(٣).

ان السير في الله وهو السفر الثاني في «الأسفار الاربعة» للسالكين اهم من

(١) الانوار الالهية للمحدّث القمي / ١٦١.

(٢) يونس: الآية ٣٢.

(٣) المائدة: الآية ٢٦.

السير الى الله، ولذا يهمس أهل الوصل: «ما كنت أعبد رباً لم أره»^(١) ويتأوهون من طول الطريق قائلين:

«آه من قلة الزاد، وطول الطريق وبعد السفر، وعظيم المورد»^(٢).

للصلاة أسرار بعضها «مركب» السفر الأول في الوصول الى لقاء الله.. وآخر «مركب» - مع الاستمداد من الدرجات الأخرى - لطبي السفر الثاني الى الرابع. تذكر: بالرغم من أن مفاد الحديث (حديث الامام العسكري عليه السلام) الوصول الى الله سبحانه، وهذا الوصول يتحقق في السفر الأول، ولكن رأي الامام الخميني: ان نهاية السفر الأول الى الحق مطلق، وبداية السفر الثاني الى الحق مقيد، والقيام بذلك الحق المطلق^(٣).

حيث ينتهي السفر الثاني، ومن هنا فان الوصول الى الله المطلق بالسفر الثاني لا بالسفر الأول.

وأما السرّ في أن السفر الثالث والرابع من أسرار الصلاة، وتستظهر من الحديث المذكور هو أن السافرين الآخرين لهما جنبه حقيقة الخلق الملحوظة في التعينات الالهية، لا صرف جنبتها الخلقية.

وآية أن الصلاة عصارة الاسفار الاربعة هي أن الاركان، والافعال، والاذكار والتهليل والتسبيح التي ترد في طياتها تتساوق من الكثرة الى الوحدة حيناً، وتتحرك داخل الوحدة حيناً آخر، ومرة تتحرك من الوحدة الى الكثرة لتعود أخرى وبرؤية من الوحدة لتتحرك داخل الكثرة.

وهي هذه هي الاسفار الأربعة.

(١) التوحيد للشيخ الصدوق / باب ما جاء في الرؤية / ٣٠٨ ح ٦.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٧٤.

(٣) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية / ٢٠٧.

وهي ما ورد في خاتمة كتاب سر الصلاة للامام الراحل.. يعني النية في الحركة الى الله، والتأمل في صفات الله والشهادة لرسالة النبي الاكرم ﷺ وأخيراً السلام على عباد الله الصالحين.. ان كل هذه علائم للأسفار الاربعة.

ويمكن اثبات اسرار الصلاة من خلال الآيات القرآنية والروايات التي تفسرها والأدعية المستحبة، سواء قبل بدء الشروع بالصلاة وفي أدعية التعقيبات وفي التأمل في سيرة المعصومين أثناء أدائها وأيضاً سيرة تلامذتهم في حالة الصلاة. ولكل مرتبة من الصلاة اثرها المرحلي المناسب،

مثلاً صلاة النشأة الاعتبارية^(١) لها نهي اعتباري وجعلي عن الفحشاء والمنكر، وصورتها الملكوتية تلك في البرزخ، تمنع وصول اضرار الفحشاء والمنكر بصورتها البرزخية.

وسيرتها العقلية في منطقة العقل التام، تدفع نفوذ الصورة المثالية للمعاصي الى الأعلى.

يعني في النشأة الاعتبارية وأيضاً في مرتبة البرزخ يمكن تبرير ما للصلاة من تأثير في صورتها «الدفع» أو «الرفع» أزاء الفحشاء والمنكر ولكن في مرحلة العقل النهائية لها جانب «دفعي» لا «رفعي».

كما هو الحال في رجم الشيطان وطرده من منطقة الوحي: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾^(٢).

ولكن ازاء خرق الحجب النورانية لها جانب «رفعي».

ولأن جميع هذه الأمور هي في عالم المثال والعقل تكوينية محضة.. والمسؤول عنها «سر الصلاة» ولا ظاهر اعتباري لها (لأنه يجب مقارنة الأمور الاعتبارية مع

(١) عالم الدنيا (المترجم).

(٢) الجن: الآية ٩.

بعضها كما يلزم تقييم الأمور الحقيقية مع بعضها).

مثلاً نستنتج من قوله تعالى: (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلياً)^(١) وبالإضافة الى اعتبار مكان خاص لأجل أداء صلاة الطواف، الالتفات الى منزلة ابراهيم خليل الرحمن وكذا نيل هذه المنزلة حيث احداها صورة الصلاة والأخرى راجعة الى سيرته عليه السلام.

سرّ الصلاة يتجلى في كل مجاري الادراك والحركة للمصلي.. ولذا من الممكن انتزاع نصل سهم ثابت في قدم المصلي في حالة السجود دون أن يشعر بالألم. كما أنه يمكن له أن يصغي الى استغاثة سائل وهو في حالة ركوع فيتصدق بخاتمه وهو في تلك الحالة من الصلاة.

ومن الصعب جداً الجمع بين هاتين الحالتين من ناحية ظاهرية، ولكن يمكن تفسيرها ببسر في ضوء سرّ الصلاة.

لأن العبد السالك في رحاب «قرب النواقل»^(٢) بلغ مرحلة أسلم فيها لله جوارحه كل اعماله من مجاري الادراك والتحريك لله وكل أفعاله وادراكاته من خلال ذلك، وفعل الله حق وليس للباطل من نفوذ، وكل امور الجذب والدفع، الارسال والامسك ستكون حقاً.. ولذا فان انتزاع السهم لا ينجم عنه ألم لأنه خلاف حضور القلب في الصلاة.

أما الاصغاء الى استغاثة المسكين والتصدق عليه بالخاتم حقّ يوافق ذلك. والخلاصة أن هذين الفعلين لا يتساويان في الظاهر ولكنهما منسجمان تماماً في ضوء أسرار الصلاة.

ان سرّ الصلاة مودع في شهود جمال المحبوب، حيث تنشُد كل مجاري ادراك

(١) اصول الكافي / كتاب الايمان والفكر / باب من آذى المسلمين واحتقرهم.

(٢) اصول الكافي / كتاب الايمان والفكر / باب من آذى المسلمين واحتقرهم.

المصلّي لذلك الجمال المحض، وتتقطع من سائر الامور.

ولذا لا يحسّ بأيّ عذاب.. وهذا ما عبّر عنه المرحوم السبزواري في تساؤله:
«الجمال الصوري المحدود ليوسف فعل بالنسوة ما فعل: ﴿ فلما رأيته اكبرنه
وقطّعن أيديهن ﴾^(١) فما الذي يفعله الجمال المطلق، حيث كل جمال هو ظلّ لجماله!!!
خاصّة بالعارفين وهم مستغرقين في العبادة والذكر والصلاة^(٢).

وطريق الوصول الى هذا المقام الرفيع المنيع لا يتيسر فقط بالتوفر على
شروط وآداب وأحكام الصلاة، بل ايضاً لا يتيسر بالجهاد المستمر مع النفس لأن
الجهاد الاكبر لازم، ولا يمكن بالجهاد الاوسط الذي هو الصراع مع النفس والجهاد
الاكبر هو صراع «العشق» و«العقل» والذي اذا تحرر فيه السالك من قيود العقل،
ووصل الى العقل الأصل الذي هو عشق العبادة^(٣) ومن ثم حصر ذلك في المعبود
انتصر في الجهاد الاكبر^(٤).

وما قيل في شروط الصلاة وآدابها نماذج من الاشياء اللازمة في الحصول
على اسرار الصلاة.

يعني اذا كانت الصلاة مكروهة في المقابر، فان صلاة ذوي القلوب الميتة لا
تخلو من كراهية.

والاشتغال بغير الله يفرغ الروح ويحرمها من الحياة، والصلاة التي لا روح فيها
لن تجد «السّر» أبداً.. ويكون الخسران الاكبر الذي هو استبدال ذكر الله بغيره.

(١) يوسف: الآية ٣١.

(٢) اسرار الحكم / ٥٢٨.

(٣) اصول الكافي ٢ / الباب ٤٢ / ح ٣.

(٤) مراتب الجهاد ورسالة الشريعة / الطريقة والحقيقة للمرحوم سيد حيدر الأملي / ٢٤٤ -

ومن كراهة الصلاة في معابد النار والمطابخ، يمكن فهم كيفية الصلاة في حالة الغضب على المظلومين والغضب على المؤمنين والسخط من القضاء.. وفي حالة الحقد على أخوة الايمان.

وبطبيّ طريق الجهاد الأوسط يسلك طريق الجهاد الاكبر حتى الوصول الى سرّ الصلاة.

وعلى هذا فان بلوغ اسرار الصلاة، يلزمه طوي مراحل جميع مراحل الجهاد. لان الصلاة طريق الوحي الالهي، والصلاة من أبرز نماذج الوحي القرآني، لها عرض عريض من مرحلة القراءة الى ذروة معرفته التي تجرّده من رداء كل لون من الكثرة وتنزهه من تقمص كل رداء اعتبار مستعار.

حيث اتمام كل مرحلة يهيء أرضية نيل مرحلة أعلى.. ومن هذا الطريق أولاً اختراق الحجب الظلمانية، وعندها تنزاح الحجب النورانية الى شهود الله ومخاطبته دون حجاب.

ثم تبدأ مرحلة خرق حجاب ذات وجود المصلّي.

وهذا الخرق يكون فيه بوسيلة خاصّة، ونجوى الهية حيث يناجي الله عبده في هذه الحالة ويخاطبه.

وهذه النظرة لا تبقى من وجود العبد السالك شيئاً^(١) إلا عبوديته كما هو الحال في ربوبية الله التي هي عين ذاته لا مضافة اليه.

وهنا: المشتقّ عين المبدأ، والمبدأ عين المشتق.

وقد يخلص العبد الواصل سيكون ذلك أيضاً.

إذ لا يبقى منه شيء إلا العبودية.

(١) «الهي واجعلني ممن لاحظته فصعق لجلالك فناجيتته سرّاً» المناجاة الشيعانية.

والعبودية المحضة ليست «ذات ثبت له الربط» بل هي «عين الربط» والربط المحض ليس إلا النظرة التامة لا غير.

ولا تتعلّق النظرة الربطية بذات النظرة.. أبداً وفي هذه الحالة لا النظرة تُرى ولا الناظر لأن ذات النظرة الى الحق حجاب نوراني وافتراقاً ان هذا الحجاب النوري شأنه شأن وجود ذات النظرة مخترق.

وأصل خرق الحجاب هو في ذاته حجاب نوراني، وفي هذه الحالة هو نفسه يقول: (لمن الملك؟) وهو أيضاً يقول: ﴿الله الواحد القهار﴾^(١).

وما يراه الآخرون بعد اجتياز عقبة الموت الطبيعي الكؤود، والبرخ وشدائده يراه المصلّي الحق بسرّ صلاته الآن.

ومفتاح الموضوع ان مشهد يوم القيامة موجود في باطن هذا العالم، وان مرحلة ظهوره تستلزم طوي بساط النظام الكوكبي الحالي الذي يرافقه انتهاء التاريخ والشيء الذي هو من منزله من الزمان وعلى الدوام موجود وكائن وسيكون.

وبالرغم من ان الجميع سيصلون اليه في المنحنى والقوس الصعودي. ولو أن شخصاً بموته الارادي، واجتياز مرحلة النشأة البرزخية هو الآن واختراق كل الحجب النورانية يستطيع رؤية جميع المشاهد؟ وهو في الوقت نفسه متوفر على جسمه وكل شروط الجسمانية، تجلّى ذلك في حالة «المعراج».

ولذا فان الصلاة لا تزيح فقط الحرص والهلع التي هي حجب ظلمانية: ﴿ان الانسان خلق هلوعاً * اذا مسّه الشرّ جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً * إلا المصلّين﴾^(٢) بل تزيح أيضاً الشجاعة والسخاء التي هي حجب نورانية:

(١) غافر الآية ١٦.

(٢) المعارج: الايات ١٩-٢٢.

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(١).

ذلك أن الضمير في حبه يعود الى الطعام في حالة «الابرار» لا «المقربين». وان الابرار اشخاص يحبون غير الله أيضاً، ولكنهم يضحون بالمحبوب الامكاني في سبيل المحبوب الوجوبي: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾^(٢).

اما المقربين الذين هم في ذواتهم روح وريحان^(٣).

فلا يملكون ولا يعلمون محبوباً غير الله، ولذا لا يلتفتون حتى الى جانب الايثار والسخاء.. وقد اخترقوا هذه الحجب النورانية، وعلى هذا الاساس يكون الضمير في «حبه» عائداً في حالة المقربين الى «الحق».

والمعنيان كلاهما صحيح لأنهما في طول بعضهما وعندها يتجلى الوجه:

﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾^(٤).

ولأن كل لون للكثرة هالك الآن ولا شيء سوى «وجه الله» يبقى^(٥).

«سرّ الصلاة في خرق جميع الحجب الظلمانية والنورانية.. ومعنى الخرق انعدام رؤيتها لا انعدامها، والخرق النهائي عبارة عن انعدام رؤية الذات لا فنائها، لأن العدم ليس كمالاً بل عدم الرؤية هي جوهر القضية.

«والسالك الذي وصل مقام الفناء التام لا يرى شيئاً غير الله.»

«لا يرى نفسه ولا يرى الغير..»

وتنزاح الحجب الآ حجاب رؤيته لأنه غير قابل للخرق لأنه عدم ونقص.

(١) الانسان: الاية ٨.

(٢) آل عمران: الآية ٩٢.

(٣) الواقعة: الآية ٨٩، «واما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم».

(٤) الانسان: الآية ٩.

(٥) القصص الآية: ٨٨، «كل شيء هالك الا وجهه».

«فكل ما هو حسن من خصائص القدم.. وكل ما هو ردي من خصائص العدم.»
ولأن شهود الحق، في ذاته، تعين، فإن الله لن يعرف بكنهه، وفي النتيجة كنه
الذات لا يكون معبوداً لأحد.

لأن العبادة فرع المعرفة^(١).

وعندما لا تكون كنه الذات مشهوداً لأي شاهد.. لا يكون معبوداً لأي عابد ايضاً
كما قال ذلك الامام الخميني عليه السلام:

«فان الحق بمقامه الغيبي غير معبود؛ فانه غير مشهود ولا معروض، والمعبود
لابد وأن يكون مشهوداً ومعروفاً. والعبادة دائماً تقع في حجاب الأسماء والصفات،
حتى عبادة الانسان الكامل.. إلا انه عابد اسم الله الاعظم، وغيره يعبدونه حسب
درجاتهم^(٢)».

واصل هذا الكلام يمكن أن نجده في فن المشاهدة الذي ورد في «شرح
الفصوص القيصرية»: «وأمّا الذات الالهية فحار فيها جميع الانبياء والاولياء»^(٣).

وعندما يحير الانبياء قبال الذات المطلقة اللامحدودة.. فان الآخرين لن يجدوا
طريقاً الى كنه الذات المطلقة.

والآن وقد اتضحت لنا حدود سرّ الصلاة التي هي ليست كنه ذات الله، بل في
ستائر الحجاب، يأتي هذا السؤال حول «كلامه» مع البشر: ﴿وما كان لبشر أن
يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بأذنه ما يشاء انه
عليّ حكيم﴾^(٤).

(١) «لا أحصي ثناءً عليك.. انت كما اثنيت على نفسك» مناجاة الشاكرين.. الصحيفة
السجادية.

(٢) تعليقة على شرح النصوص القيصرية / ١١٦.

(٣) النص الآدمي / ٦٩.

(٤) الشورى: الآية ٥١.

يعني أن الانسان لا يكلمه الله إلا من خلال ثلاثة طرق (منفصلة مانعة الخلو).

الأول: طريق الوحي اي من دون اي حجاب.

الثاني: من وراء حجاب كأن يكون الحجاب شجرة، كما هو الحال في طريق

موسى كليم الله ﷺ أو حجاب آخر.

الثالث: عن طريق رسول.

واقترضاء التقابل بين هذه الطرق، انّ القسم الأول يكون بدون حجاب كما هو

الحال في نزول بعض الآيات شفاهاً كما الايتين الاخيريتين في سورة البقرة.

وعلى هذا فان الحضور بدون حجاب والخطاب من غير ستار.

والشهود بلا حجاب ميسر بل هو واقع؛ فإذن ذات الحق مشهود وفي النتيجة

معبود.

وجواب السؤال هو ان الحجاب باضافة قسمين:

الأول الحجاب بين كما هو الاضافة بين شيئين.

الثاني حجاب الطرف الواحد كما هو «اضافة اشراقية»^(١).

الطرف الواحد الذي هو شيء ثالث في الوسط ليس حاجباً بل ذات الشيء في

أثر التعيين المحدود في الحجاب.

يعني ان نفس تعينه يصبح حاجباً.

وفي الآية^(٢) بالرغم من اقترضاء تقابل الطرق المذكورة، حيث يكون الوحي

بدون الحجاب، لكن الوحي ذاته في اثر تعينه الخاص به حاجب، لأن المتلقي للوحي

في أثر محدوديته الخاصة به يصبح محجوباً.. والآ في هذه الحالة لا وجود لشيء

(١) ولايت در قرآن / ٣٨ - ٤٠.

(٢) الشورى: الآية ٥١.

غريب حتى يكون حاجباً، بل ان تعين كل شيء هو نفسه حجاب الشيء.
ولذا فان السالك الفاني في بوتقة الفناء محجوب أيضاً، لأن تعينه باق بالرغم
من انه ليس مرئياً له.

وعلى هذا فان منطقة الباحث عن سر الصلاة لا طريق له الى كنه ذات الله ويجب
البحث عنه في الأسماء والصفات.

لأن ذات الحق بسيط محض، ولا يمكن القول ان الانسان السالك يشاهد ذات
الله على قدره هو لأن هذا الكلام يؤدي الى «حدّه».. الله الذي: «لا يدركه بعد الهم ولا
يناله غوص الفطن»^(١).

وبالرغم من أن الأوصاف الالهية لا تقبل الاكتناها لكنها تقبل التعيين.
غير أن ذات الحق هوية مطلقة.. لا هي تعين صرف ولا وجود «بشرط لا» كما
اشار الى ذلك الامام الراحل في شرحه دعاء السحر^(٢).

أساس الصلاة تبدأ «مع تسبيح» و«تنزيه» ذات الحق وتختم بهما.
لأنه ناهيك عن أن التسبيح الكثير في الركوع والسجود في الركعة الثالثة
والرابعة فان اكثر الذكر الذي يبدأ مع بدء الصلاة، ويواكبها ويكون عنواناً للتعقيبات
بعد الصلاة هو التكبير.

والتكبير وإن كان علامة «جمال الحق» ولكنه «الجلال» الالهي مستتر فيه لان
«التكبير» ذاته عين «التنزيه» وان معنى «الله اكبر» ليس ان الله اكبر من كل شيء بل
معناه ان الله اكبر من التوصيف بالرغم من صفة الكبرياء المطلق.

وهذا التنزيه عن «التوصيف» هو التنزيه الذي أشارت اليه الآية الكريمة في

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم (١).

(٢) شرح دعاء السحر / ١٢٥.

قوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾^(١).

ولأنه من الاذان والاقامة التكبيرات السباعية الافتتاحية والى التكبيرات الثلاثية في التعقيب بعد الصلاة هي تنزيه لله سبحانه، فان الصلاة في حد ذاتها ستكون «تسبيحاً».

ومن هذه الجهة نستفيد أمرية الصلاة في الآية الكريمة: ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والأبكار﴾^(٢) والآية الكريمة: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾^(٣).

حيث المقصود من «التسبيح» في البكور والأماسي هو الصلاة لا مطلق الذكر. وعندما تمنح المخلصين (بالفتح) رخصة توصيف الحق^(٤) ولأن هذه الذوات المقدسة وبسبب نيل مقام «الفناء» لا تتكلم عن نفسها بل تصف بلسان الحق (في قرب النوافل) وعلى ألسنتها ينطق الحق (في قرب الفرائض).

سياحة في سر الصلاة:

الذين يجمعون بين «الغيب» و«الشهادة» يسعون الى نقل كل ما أدركوه أو وجدوه الى المجتمع الانساني.

ولذا فهم مرّة يدرسون العلوم النقلية بالاستنباط من الظواهر الدينية ويصنفون في ذلك، ومرّة يؤلفون في ما نهلوه من علوم عقلية.

فيخلفون وراءهم ذكرى وذكرأ، ومرّة يسجلون مشاهداتهم القلبية بالاستفانة بالكشف في رسالة تنتقل الى الشاهدين فيكونوا أسوة للسالكين.

(١) الصافات: الآية ١٠٨.

(٢) آل عمران: الآية ٤١.

(٣) الروم: الآية ١٧.

(٤) الصافات الآية (١٦٠): ﴿سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين﴾.

ان من الوجوه المتألقة في الجمع بين «الغيب» و«الشهود» هو استاذنا وسيدنا الامام الخميني.

ومؤلف هذه السطور يفتخر بتلمذه سبعة أعوام (١٣٣٤ - ١٣٤١ هـ) (١) وهي أعوام لا تنسى.

واذا ما اعتبرنا الاعوام العشرة (١٣٥٧ - ١٣٦٨ هـ) (٢) هي تألق نشأة «الشهادة» للامام وهي كذلك.. فان الاعوام (١٣٠٨ - ١٣١٩ هـ) وفي التاريخ القمري: (١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ) ستكون له حتماً أشعة نشأة «الغيب» له ﷺ لأن الامام تنفس فيها أنفاس الصفاء، وتشرّب من نفائس الغيب.

ففي عام ١٣٠٨ هـ ألف كتابه «شرح دعاء السحر» وفي سطره ألفة بين «المشهود» و«المعقول» و«المنقول».. وبعبارة أخرى انسجام وتناغم بينها.

وفي عام ١٣١٠ صنف كتابه الجليل «مصباح الهداية الى الخلافة والولاية» ازاح فيه الغبار عن الوجه المشرق للخلافة المحمدية والولاية العلوية وسريان هذين النورين في عوالم الغيب والشهود بلغة الرمز:

«أنا من أهوى ومن أهوى أنا.. نحن روحان حللنا بدنا»

وفي عام ١٣١٦ انتهى تعليقه على شرح «الفصوص القيصرية» و«مصباح الأنس» لمحمد بن حمزة الضّاري وقد جاء في ديباجة الكتاب: «قد شرعنا قراءة هذا الكتاب الشريفة لدى الشيخ العارف الكامل، استاذنا في المعارف الالهية، حضرة الميرزا محمد علي الشاه آبادي الاصفهاني (دام ظله) في شهر رمضان المبارك ١٣١١ هـ».

(١) ١٩٥٥ - ١٩٦٢.

(٢) ١٩٧٩ - ١٩٨٩.

وفي عام ١٣١٩ صنف كتابه «سر الصلاة». وقد أورد ذلك عليه السلام في الفصل الخامس من المقال الأول والفصل الخامس من مقدمة كتاب من كتاب «الاربعين» وايضاً في الفصل الثاني عشر من المقال الثاني من كتاب «مصباح الهداية». ولأن كتاب «سر الصلاة» مؤلف للخوَّاص.. لا ينهل منه غيرهم ألف «آداب الصلاة» لتعم الفائدة الجميع.

الانسجام بين «الشريعة»، «الطريقة» و«الحقيقة» في رأي الامام الخميني:

تدل كيفية استنباط اسرار الصلاة من ظواهر الاحكام والآداب والشروط والأجزاء والأركان والمقدّمات والتعقيبات على ان الطريق الوحيد هو في حفظ ظواهر الصلاة بعيداً عن التحجّر والجمود لأن ترك الظاهر انحراف عن الطريق المستقيم كما ان الجمود عليها يؤدي الى الخمود.. يعني هو ذات الفرق بين جسم «لا بشرط» وجماد «بشرط لا» وايضاً بين نام «لا بشرط» ونبات «بشرط لا» وهو الامتياز بين من حافظ على جميع احكام العبادة وبلغ حكمها، وبين شخص جمد على احكامها فقط.

والسرّ هو أن «الجماد» لا يصدق على الانسان، ولكن «الجسم» يصدق عليه، وكذلك «النبات» لا يصدق عليه ولكن «نام» يصدق عليه.

ويرى الامام عليه السلام في تعليقه على شرح الفصوص ان «الطريقة» و«الحقيقة» لا تحصلان إلا عن طريق «الشريعة»، لأن الظاهر هو الطريق الى نيل الباطن.. فالذي يرى انه بأدائه الواجبات الالهية حصل على الباطن فليعلم انه أدى الظاهر صحيحاً. والذي يريد الوصول الى الباطن بدون سلوك الظاهر كما هو لدى الصوفيين فلا دليل من عند الله^(١).

وهو أيضاً يمجّد السالكين الواصلين، الذين جمعوا بين الظاهر والباطن ويحدّر من رميهم بالتصوف لمجرّد سماعهم كلمات ليس لها حجة شرعية.. ثم يقسم الامام عليه السلام بـ«الحبيب» ان كلماتهم انعكاس لبيان القرآن الكريم وحديث الائمة الطاهرين^(١).

ركنا المعراج الحقيقي:

هناك ركتان مهمتان في السير المعنوي في رأي الامام عليه السلام: أحدهما في باب «الطهارة» الذي هو سرّ (التخلية) و«التجريد» والآخر هو الأعظم في باب الصلاة الذي فيه سرّ «التجلّي» و«التفريد»^(٢).

وهذا طريق سالكي طريق القلب في تسجيل اسرارهم. لأنه وكما ورد: «لا صلاة الا بفاتحة الكتاب»^(٣) فقد ورد وبنفس النسبة ايضاً: «لا صلاة الا بطهور»^(٤). ولذا فان العثور على سرّ الصلاة لا يتيسر الا بالالتفات الى سرّ «الطهارة».

ولأن أصل «الطهارة» كأصل «النّيّة» وحضور القلب في كثير من العبادات سيكون واضحاً؛ فان محور بحث مقدمة كتاب «سرّ الصلاة» يشتمل على فصول ستة في كليات أسرار العبادة.

ولأن خصوصية القيادة والامامة متشربّة في روجه، فهو لم ينفك عن الفكر الجمعي العرفاني، لأن عرفانه اصبح سبباً لانقاذ المجتمع من الانزواء، لا انزواء العارف نفسه.

(١) سرّ الصلاة / الفصل الأول من المقالة الأولى.

(٢) سرّ الصلاة الفصل السادس من المقالة الأولى.

(٣) عوالي اللآلي ١ / ١٩٦ ح ٢.

(٤) بحار الانوار ١٠ / ٣٩٨.

ولذا نجده عليه السلام وبعد نقله حديث «الشهيد الثاني» من كتاب أسرار الصلاة يستدرك قائلاً: انه (الشهيد الثاني) عندما فضل الصلاة في بيت مظلم قد عنى غير الفرائض اليومية التي يكون ادائها مع جماعة المسلمين من السنن المؤكدة^(١). ان انتخاب وقت الفراغ من أجل العبادة، من الجذور الهامة في نيل أسرارها كما ورد ذلك في الفصل السادس من المقدمة، والفصل التاسع من المقالة الأولى ولكن الوثيقة الاصلية لكل هذه المقدمات هو «عهد الامام علي مالك الاشر»: «واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الاقسام، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية».

سرّ الاباحة في مكان المصلّي وأقسام الفتح:

جاء في الفصل الثامن المقالة الأولى من كتاب «سر الصلاة» في بيان السرّ في اباحة مكان المصلّي انه ما دام أن القلب محتلّ من قبل الشيطان أو النفس، فمعبد الحق مغصوب وما خرج عن سلطة الشيطان يكون لجنود الرحمن الى أن تتم الفتوحات الثلاثة.. ثم يستدل على الاقسام الثلاثة للفتح: «الفتح القريب»، «الفتح المبين»، «الفتح المطلق» بالاشارة الى السور الثلاث، «الفتح» «الصف» و«النصر» والتصور العرفاني لها.

المنبع الأصل في هذا الاستنباط العرفاني يمكن أن نجده في كتابات العرفاء من السلف.. من قبيل تأويلات المرحوم المولى «عبدالرزاق الكاشاني» إذ ذكر في مطلع تأول سورة «الفتح» «فتوح رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة: أولها الفتح القريب وثانيها الفتح المبين وثالثها الفتح المطلق»^(٢).

(١) سرّ الصلاة الفصل السادس.

(٢) التأويلات ٢ / ٥٠٥ - ٥٠٦.

ومرجعه في ذلك السورة المذكورة آنفاً وبالرغم من اختلاف التعبير أو التفسير في شرح المعاني ولكن الخطوط الكليّة متساوية.

سرّ تكرّر التكبير:

ذكر المرحوم الشيخ جعفر في كتابه القيم «كشف الغطاء» عن أسرار تكرّر التكبير انه في مرّته الأولى من أجل تنبيه الغافل وفي الثانية تذكير للناسي، وفي الثالثة لتعليم الجاهل وفي الرابعة دعوة للمتشاغل.. وأن سرّ التكبيرات السباعية أثناء النيّة هو ازالة غفلة المصلّي عن الانكسار والتذلل والخضوع في رحاب الله سبحانه وعددها (٧) اشارة الى السماوات السبع والأرضين السبع والبحور السبعة^(١).

وبالرغم من أن التكبير في ظاهره تعظيم وهو من سنخ التوصيف «الجمالي» للحق ولكنه ووفقاً لما بحثناه سابقاً يعود الى «التسبيح» الذي هو من شؤون التوصيف «الجلالي» للحق، ومن جهة أخرى وبالرغم من أن تذكّر كل نعمة من نعم الله السبع هو تعظيم لله سبحانه، ولكن ما يستفاد من حديث أبي ابراهيم الامام موسى الكاظم عليه السلام الذي ورد في الفصل الرابع من المقالة الثانية في كتاب سرّ الصلاة للامام الراحل، هو كل تكبير مقابله ازالة حجاب من الحجب السبعة... كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما وصل مقام: ﴿قَاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢) وكبّر فارتفع حجاب ونطق بكلمات في دعاء «الافتتاح» وكبّر اثناء ارتفاع الحجاب الثاني فكبّر سبعة مرّات حتى ارتفعت الحجب السبعة.

وهذا اللون من أحاديث أهل البيت عليهم السلام بمثابة قواعد للعرفان، ومعالم للعرفاء

(١) كشف الغطاء / خاتمة في بيان أسرار الصلاة / ٢٩٣.

(٢) النجم: الآية ٩.

في جهادهم التهذيبي والتزكوي والشهودي.

فكل «تكبير» في ذاتها تأسيس لدرجة جديدة في السير المعنوي وليست تكرار الماضي.

وهذا ما ورد في خاتمة كتاب سر الصلاة؛ حيث التكبيرات الافتتاحية، هي من أجل شهود التجليات من الظاهر الى الباطن، ومن تجليات الأفعال الى التجليات الذاتية..

والتكبيرات الاختتمية من أجل التجليات من الباطن الى الظاهر ومن التجليات الذاتية الى تجليات الأفعال كما عدّ القاضي القمي التكبيرات في ختام الصلاة نتائج التوحيد الثلاثي^(١).

سرّ التسليم في ختام الصلاة

عندما يعود المصلّي من الوحدة الى الكثرة

من الحق الى الخلق

ومن المحو الى الصحو

ومن الفناء الى البقاء بعد الفناء؛ يرى رفاقه ويجد نفسه بينهم فيسلم عليهم..

وأيضاً يسلم سلام توديع على الأنبياء وعلى الملائكة وعلى المعصومين ومن ثم يلج نشأة الملك، ولأنه دخل عليهم تَوْأً فهو يسلم عليهم.. لأنه كان مستغرقاً في الصلاة والمناجاة مع الخالق: (المصلّي يناجي ربّه)^(٢).

وقد أورد القاضي القمي تحت عنوان: قال بعض أهل المعرفة والمقصود صاحب الفتوحات المكيّة محي الدين بن عربي (الذي يعدّ كل من جاء بعده ذرّات

(١) اسرار العبادات / ١٢١ (التوحيد الثلاثي: توحيد الذات والافعال والصفات) المترجم.

(٢) بحار الانوار ٢١٦/٦٨ رواية (١٧).

هباب بالنسبة لبحر عباب):

«المصلي، في حال الصلاة، مناجى الله غائب عما سواه

واعلم ان «السلام» لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حالة صلاته، مناجيا ربه، غائبا عن كل ما سوى الله من الاكوان والحاضرين معه. فإذا اراد الخروج من الصلاة، والانتقال من تلك الحالة الى حالة مشاهدة الاكوان والجماعة، سلم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته عند ربه - فان كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة - ان كان في جماعة - فكيف يسلم عليهم من هذه حالته؟ فإنه ما برح عندهم. فهلا استحيى هذا المصلي، حيث يُرى، بسلامه من صلاته، أنه كان عند الله في تلك الحالة؟

فسلام العارف من الصلاة: لانتقاله من حال إلى حال. فيسلم تسليمين: تسليمة على من ينتقل عنه، وتسليمة على من قدم عليه. إلا أن يكون عند الله في صلاته، فلا يسلم من انتقل عنه، لان الله هو «السلام» فلا يسلم عليه^(١).

ويستفاد من رواية عبدالله بن الفضل الهاشمي عن الامام الصادق عليه السلام ان السلام علامة السلامة من ناحية المسلم ومن ناحية المجيب وهي علامة في ختام الصلاة. ومنح الحلية للكلام البشري الذي حُرّم بعد «تكبيره الاحرام» وصيانة الصلاة من شيء يبدها.

و«السلام» من اسماء الله^(٢).

ومن ناحية المصلي تحية على الملكين الالهيين^(٣).

والحمد لله رب العالمين

(١) الفتوحات المكية ٦/٢٣٧-٢٣٨.

(٢) سورة الحشر / الآية ٢٣.

(٣) وسائل الشيعة / كتاب الصلاة - أبواب التسليم الباب ١.

الفصل التاسع

انسجام التعليم والتزكية في رأي الامام الخميني

- ربيع ١٩٩٤ -

قبل الولوج في هذا البحث أجد من الضروري ذكر المبادئ التصورية التي هي عبارة عن:

١ - ان الامام جمع بين قضيتي التعليم والتزكية في مجال الاعتقاد، والتخلق بالأخلاق الالهية وفي مجال التطبيق والعمل.

وهو في موقعه القيادي وفي مؤلفاته وكلماته وفي نهضته وثورته، قد جمع بين هذين الأصلين.

٢ - و«الجامع» غير ان يكون «مجمعاً» فهناك علماء عرفوا أصول الاسلام وبعضهم مع علمهم لم يحرموا نصيباً من الانقاذ، لكنهم كانوا «مجمعاً» للفضيلتين لا «جامعاً» لهما.

ولفردوسي الشاعر كلمات جميلة في هذا:

«بسم الله خالق الروح والعقل»

وأعذب من هذا قول عظيم آخر:

«بسم الله الذي خلق الروح والهمها العقل»

والفرق بينهما ان الأول نظر الى «مجمعها» والآخر نظر الى «جامعها».

الحكيم فردوسي مجدّ الله الذي هو خالق الروح والعقل.

أما الحكيم الآخر فقد اشار الى الأصول الثلاثة خلق الروح وخلق العقل، وعملية

الالهام.

والالهام جمع بينهما.

والشخص الجامع بين التعليم والتزكية، في محيط حياته، من يتخذ علمه حكماً ومن يتبع حكمه عملاً.

قد تكون لانسان ما قداسة، لكن قداسته تفتقد المبدأ العلمي أي اذا أراد تبرير ذلك علمياً لشق عليه.

وبعض الأفراد عاقل وعالم، ولكنه في مرحلة العمل لا ظهور له، مثل هؤلاء الافراد «مجمع» بين العلم والتزكية، أما أن يكونوا جامعاً، للفضلتين فلا.. الجامع بين التعليم والتزكية من يفتي إذا علم ومن يعمل إذا علم.

٢ - الفرق بين التعليم والتزكية هو أن «التعليم» له حقول متنوعة لأن العلوم متنوعة.. لأنه من الممكن أن يتخصص المرء في كل حقل.. اما التزكية فهي بمنزلة الأصل المشترك بين جميع الحقول.

٤ - من الممكن أن يكون المرء طبيباً ولا يعرف عن الهندسة شيئاً أو يكون مهندساً ولا يعرف عن الطب.. أو يكون عالماً دينياً ولكنه يجهل الطب والهندسة أو أديباً لا يعرف عن الطب والهندسة شيئاً.. كل هذا محتمل وممكن وله مصاديق في حياتنا.

ولكن مسألة التزكية هي الأصل المشترك في كل ذلك..

لأنه يتوجب على الجميع أن يتزكى.. إذ لا يمكن تحقيل التزكية أو أن نضعها في مقابل التعليم.. لأن على الجميع أن يكون مخلصين بالرغم من تنوع تخصصهم.

٥ - التزكية في الحقيقة «بناء الذات» وكل ما يضاد ذلك «زهو» وأعجاب بالذات. هناك نوعان من التزكية وأحدهما سيء جداً والآخر حسن جداً.

فالسوء من التزكية يأتي بمعنى الزهو والتباهي بالنفس والذات والفخر بها سواء كان ذلك بالحق أو بالباطل.

ولذا قيل: «تزكية المرء نفسه قبيحة».

فإذا تباهى الانسان بفضيلة.. فإن كان كذباً فخره وقع في هاويتي الكذب والفخر وإن كان صادقاً ارتكب قبيحة الفخر.

وفي رسالة من الامام علي بن أبي طالب عليه السلام الى الامويين انه لولا كان من نهي الله سبحانه عن ان يزكي المرء نفسه: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾^(١).

«ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاك فضائل جمّة»^(٢).

فالقبيح الفخر بالنفس والجميل في بناء الذات إذ يغادر الانسان ذاته وعندما تكون هناك «النفس» عندها يرى الانسان «الحبيب».

«خطوة ليس اكثر وهي.. ان تخطو في درب الحبيب»

فطريق التزكية خطوة واحدة ليس غير، ولكن هذه الخطوة صعبة وشاقة.. في أحاديث أهل البيت المضيئة خاصة لدى الامام السجاد في دعائه المعروف (دعاء أبي حمزة الثمالي) وفي دعائه يوم ٢٧ رجب حيث نقرأ فيه: «إن الراحل اليك قريب المسافة، وأنت لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك».

يارب: إذا كنت أقرب الى الانسان من كل شيء: ﴿ نحن أقرب اليه منكم ﴾^(٣).

وأقرب إليه من عرق العنق: ﴿ أقرب اليه من جبل الوريد ﴾^(٤).

بل وأقرب إليه من قلبه: (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه)^(٥).

فان السالكين اليك يا رب طريقهم ليس طويلاً.. انه خطوة واحدة، والخطوة

(١) النجم: الآية ٣٢.

(٢) نهج البلاغة الكتاب رقم ٢٨ (في جواب معاوية) بحار الانوار ٥٨/٣٢ ح ٣٩٨.

(٣) الواقعة: الآية ٨٥.

(٤) ق: الآية ١٦.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٧٤.

الواحدة يلزمها قدمان تتحركان إحداهما تدوس على الفخر والتباهي بالنفس والزهو والأخرى يضعها في طريق الحبيب.

«خطوة ليس أكثر.. وهي ان تخطو في درب الحبيب.»

وعندما يقول الامام السجّاد: «ان الراحل اليك قريب المسافة.. وأنت لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك» إنما ينطلق من هذا الاساس. لأنه ما دام الانسان يرى نفسه فمن المستحيل أن يرى درب الحبيب، ولذا فانه سيدور في فلك الذات، ومثل هؤلاء لا يرون سوى أنفسهم وذواتهم، وسيكون طريقهم طويلاً.

وكذلك كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام المضيئة عندما يتأوه من بعد السفر وطول الطريق: «آن من قلّة الزاد وطول الطريق وبعد السفر»^(١).

وعندما يكون الحديث عن طول الطريق فليس معناه البعد المكاني.

فلماذا هذه الآهات إذن اذا كان الوصول الى «لقاء الحق» قريباً، إذا كان الطريق قصيراً والمسافة قريبة فلماذا ننوح طول الطريق؟

ان السرّ في ذلك هي أن هذه الخطوة الوحيدة شاقّة. لأنه مطلوب من الانسان أن يدوس على ذاته ونفسه.

واذن فان هناك «تزكية مذمومة» وهي (تزكية المرء نفسه قبيحه) وهناك «تزكية ممدوحة» حث عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكّاه﴾.

فبناء الذات هو الذي يوصل الى الطريق.. أما الفخر والزهو فهو اشبه فعلاً بصنيع دودة القزّ كلما انهمكت في عملها أكثر ضيقت على نفسها اكثر.

«كدودٌ كدودِ القزِّ يخسج دائماً فيهلك غمّاً وسط ما هو ناسجه»^(٢).

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ٧٤.

(٢) بحار الانوار: ٢٣/٧٠ ذيل ح ١٣.

وإذن فعصارة المبادئ التصورية عبارة عن:

١ - ان التعليم قابل للتخصص اما التزكية فلا.

٢ - التزكية قسمان «ممدوحة» وهي بناء الذات و«مذمومة» وهي الفخر بالنفس

والزهو.

٣ - ان من يغادر ذاته يصل مقصوده.

٤ - ان الامام عليه السلام «جامع» لفضيلتي التعليم والتزكية وليس «مجمعاً» لهما.

والآن كيف ناغم الامام بين التعليم والتزكية؟ كيف اصبح جامعاً لهاتين

الفضيلتين؟

إنّ احاديثه كثيرة ولكننا سنعتمد عدة اصول ومباني في كتابه الجليل: «مصباح الهداية الى الخلافة والولاية» وستتضح لنا اهمية الانسجام بين التعليم والتزكية في رأيه رضوان الله عليه.

يقول في كتابه «مصباح الهداية»: «هل بلغك من تضاعيف إشارات الأولياء وكلمات العرفان، أن الالفاظ وضعت لأرواح المعاني وحقائقها وهل تدبّرت في ذلك؟ ولعمري إن التدبّر فيه من مصاديق قوله عليه السلام: «تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة»^(١).

والألفاظ وضعت لأرواح المعاني لا أجسامها في رأي الامام عليه السلام.

ويعني ذلك أن الانسان في العصور القديمة عندما يقول «مصباح» فان اللفظ هذا ينصرف الى الحطب المشتعل، لأن الانسان القديم لا يعرف غير اشعال الحطب للاضاءة وشيئاً فشيئاً عرف الشمعة ثم الفانوس والقنديل ثم أخيراً المصباح الكهربائي، ومن الممكن ان يخترع مصباحاً آخر.. فكل هذه مصابيح.. فكلمة مصباح

(١) مصباح الهداية القسم الثاني / ٣٩.

لم توضع لمصداق خاص انها وضعت للمفهوم ومن أجل روح المعنى لا جسمه.
 فيقول الامام ان التفكّر في ما قاله العرفاء في ذلك هو من قبيل الـ«تفكر ساعة
 خير من عبادة ستين سنة»^(١).

ربما يقال تفكّر ساعة خير من عبادة سنة أو العمر كلّه، والمراد من التفكّر هو
 أن الانسان يرى الخرائب والاطلال فيقول: اين رحل الذين عمروها؟.. فيعتبر.
 وهذا تفكّر حسن وينطوي على اعتبار، ولكن ما يرمي اليه الامام الراحل ادق
 من هذا.. وهو ان يتفكر الانسان في كلمات العرفاء واشارات أهل المعرفة.
 قالوا: إنّ الالفاظ وضعت لروح المعاني لا لأجسامها.. وسيجد المرء نفسه
 مسافراً من مصداق الى مصداق أرفع وأعلى.

وكل مرحلة دنيا يراها حجاباً فلا يقنع بها. وهذا يدلّ على ان الانسان إذا ابتلي
 بالاصطلاحات العلمية فانه لن يصل الى نقاء التزكية.
 وعندما لا يبلغ الانسان نقاء التزكية، فإنّه وبدل أن يصنع ذاته ويصقل نفسه
 تراه يفخر بها ويزهو ويتباهى.

وبدل أن يخرج من ذاته فلا يراها ويراهها على طول كمالته.
 ولأن الانسان يرى نفسه بعين الرضا والحب فانه يراها أضعافاً مضاعفة، لأنه
 لا يوجد أحد يرى نفسه في المرآة على حقيقتها، ومن هنا عندما نعشق جميعاً النظر
 الى أنفسنا في المرآة فاننا لن نراها على حقيقتها أبداً.
 فعندما يرى الانسان نفسه بعين المحبّة، سيكون مصداقاً للحديث التوراني
 الذي يقول:

«حَبِّ الشَّيْءِ يَعْمي وَيُصِمُّ».

وكما أن نظرة العدا لا تسمح لنا برؤية النقاط الايجابية، فان عين الحب أيضاً لا تدعنا ننظر الى نقاط الضعف فينا^(١).

اننا ننظر الى ذواتنا في المرآة بعين الحب، ولذا لا نرى أنفسنا كما هي أبداً اننا نراها أجمل.. هذا فيما يخص المرآة العادية التي تعكس صورنا. وكذلك في مرآة السلوك والسيرة الذاتية، اذا نظر الانسان الى نفسه بعين الرضا وبعين نرجسية.. فانه لن يراها الا مضخمة أكثر من حقيقتها بكثير. لذا فانه وبدل ان يصقل نفسه ويصنع ذاته، يشتغل بتمجيدها والفخر بها والزهو.

ومن هنا نرى الله سبحانه وتعالى وفي كثير من الآيات القرآنية يذكر التزكية قبل التعليم.

والسرّ في هذا ان التزكية مقدّمة على التعليم:

﴿ يَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٢).

وعندما نجد بعض الآيات تشير الى التعليم قبل التزكية فلأنّ هذا لا يعني تقديمه عليها وانما اعتبار التعليم تمهيداً للتزكية لا مقدّم عليها:

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾^(٣).

فالله سبحانه جعل مهمة الانبياء وهدفهم التعليم والتزكية والتزكية تعني بناء الذات ويهاجم المعنى الآخر الذي يعني الفخر والزهو:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾^(٤).

(١) وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي: وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المعايب (المترجم).

(٢) آل عمران: الآية ١٦٤.

(٣) البقرة: الآية ١٢٩.

(٤) النساء: الآية ٤٩.

ثم يأتي الجواب:

﴿بل الله يزكي من يشاء﴾^(١).

الله سبحانه وحده الذي يزكي الانسان، ويوفقه الى التزكية بمعناها الأول الممدوح.

والموضوع الآخر الذي نجد في كلمات الامام الراحل وفي كتابه «مصباح الهداية» هو أن العلم ينقسم الى قسمين:

علم حصولي، تصوّر وتصديق وفكر.. مرّة يحصل بعمل، ومرّة لا يحصل بعمل، ومرّة يكون العلم علماً شهودياً مواكباً للتزكية.

والامام يستمدّ هذا المعنى من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾^(٢).

فيقول: (فإنّ العلم والادراك في المبادئ العالية، ولا سيما العقل الذي هو أول التعيّنات، عين ذاتها. وهذا بوجه قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، فإنّ التعليم في ذلك المقام بإبداع صور الأسماء والصفات بنحو اللفّ والاجمال وأحدية الجمع فيه)^(٣).

تعليم الاسماء في إبداع هذه الحقيقة في أعماقه وفطرتة. وهذا التعليم هو هدف الانبياء ووارثيهم، وكان الامام الراحل ممن حمل هذا العلم المقرون بالتزكية، والذي لا يقبل الانفكاك عنها.

فكما أنه يوجد عالم بلا عمل، يوجد أيضاً عامل بلا علم، وهذان منفصلان عن بعضهما تماماً، لأنه عندما يكون العلم حصولياً، فمن الممكن ألا يتجسد في عمل،

(١) المصدر السابق.

(٢) البقرة: الآية ٣١.

(٣) مصباح الهداية القسم الثاني / ٧١.

ولكن لو كان العلم شهودياً فمن المستحيل ألا يتجسد في عمل، لأنه في هذه الحالة يرى الانسان عين الواقع.

والنقطة المهمة جداً هي أن «الأجنبي» يسعى ويحاول أن «ينزع السلاح» عنا فهو يواجهنا إبان الثورة بأسلوب وفي الحرب المفروضة بأسلوب آخر؛ وهو الآن حيث نعيش مرحلة إعادة البناء يواجهنا بهجوم وغارة ثقافية.

والاجنبي لا يعارضنا كثيراً في مسألة «التعليم» انه يسعى ما أمكنه ان يحدّ من تقدّمنا ولكنه يصبّ جهده في محور «التزكية» يقول القرآن الكريم: ﴿وَدّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾^(١).

وفي الحرب الصغرى (الجهاد الاصغر) يكون السلاح من «الحديد» سواء في (الجوّ، البحر، والبر) ولذا من يملك الحديد القاطع هو الذي يحسم الموقف.

ولكن في الجهاد الاكبر يكون السلاح «أحد.. أحد».

في دعاء كميل النوراني (وهو جدير بقرائته كل ليلة) نرى علياً عليه السلام وبعد أربعين سنة من الجهاد المسلّح يقول ان سلاحه الوحيد (وسلاحه البكاء)^(٢) ومن لا يملك مثل هذا السلاح فانه الخاسر في الصراع الأكبر الذي يتجلى في جهاد النفس

ان العدو في غارته الثقافية يحاول استغفالتنا عن سلاحنا: ﴿وَدّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ انه يترقّب هذه اللحظة لينقضّ علينا.

لقد حاول نزع سلاحنا إبان الثورة لكنه اخفق في ذلك، ثم جرّب خططه في شن حرب ظالمة مدّة ثمانية اعوام.. والقيام بتفجيرات في الداخل والخارج لكنه أيضاً أخفق لأن الشعب كان لا يخشى الشهادة.

(١) النساء: الآية ١٠٢.

(٢) مفاتيح الجنان / دعاء كميل.

ربما يرى أحدهم شهيداً مضمخاً بدمائه ويتصور انها لحظات الاحتضار ومغادرة الروح الجسد، وما فيها من ألم ومرارة، والحال انها ليست كذلك.. لأننا لو استطعنا الانصات لكلماته لأدركنا ما الذي يعنيه «المرحوم العلامة الطباطبائي» وهو يصوّر تلك اللحظات.. لحظات عروج روح الانسان المؤمن شهادة في سبيل أو ميته على الفراش...

انه عندما يحتضر وتصدر عنه تلك الحركات التي نحسبها من الألم انما يفعل ذلك، وكأنه يسبح في حوض بارد في يوم قانظ.. فأية لذّة يشعر بها المرء في مثل هذه الظروف!!

ان المجاهد في سبيل الله في لحظات الاستشهاد يعيش مثل هذه الحالة لأنّ القذيفة أو الشظايا التي تصيبه لا تسبّب له ألماً إلا لحظة واحدة، وما بعدها انتقال الى عالم البرزخ بكل ما يحمله من تخفف من أودية الطين والتراب.. هكذا يشعر الرجال الالهيين.

واذن فان اهم عامل في النصر النهائي وفي مواجهة الغارة الثقافية هو «التسلّح» بسلاح البكاء، فعدونا يحاول نزع هذا السلاح عنا وينتظر غفلتنا عنه.

لقد فجعوا شعبنا بمذبحة الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢ هـ وش وقتلوا آلاف الابرياء ولكن الشعب لم يذرف الدموع.. سوى دموع العاطفة الانسانية، ثم حملونا حرباً مدمّرة مدّة ثمانية أعوام وصمدت امتنا رغم عمق الكارثة وفداحة المصائب.

أجل لم يستسلم أو يستكين.

فالقرآن الكريم يشير الى هذه الحقيقة: ان العدو يتربّص وينتظر الفرصة.. فرصة الغفلة عن اسلحتنا..

والسلاح الذي يريد استغافلنا عنه ليس مصنوعاً من الحديد.. لأنه يمتلك ما هو

أفضل منه وأكثر تطوراً.. انه يتطلع الى السلاح الذي نصركم، والذي اشار اليه سيدنا ومولانا علي عليه السلام في دعائه المعروف بـ«دعاء كميل» (وسلاحه البكاء).

انه يخشى الانسان الذي تمسك بالقرآن والعترة الطاهرة، ويبكي في رحاب الله لا من أجل دنيا زائلة بل خضوعاً لله رب العالمين.

وهذا هو العلم الذي عدّه الامام الراحل علم خلفاء الله العلم المندك بالتزكية. فمرة يكون الانسان عالماً ويعي أهمية تجسيد علمه بالعمل وهو بذلك من الذين يحاسبون أنفسهم باستمرار الى ان يستحيل علمه عملاً.

ومرة ينطوي الانسان على علم متناغم مع التزكية يعني لفظان ومفهومان ومصداق واحد، وهذا علم لا عذاب فيه. وطبعاً بلوغ هذه المرحلة شاق وصعب ولكن المرء بعدها يسهل عليه عمل الخير.

الله سبحانه يقول في محكم كتابه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْغَيْبِ ﴾^(١).

وهذا يعني أيضاً إنه عندما يقف أمام عمل حرام فانه يرفض ذلك بشدة وبسهولة ولا يعاني من وسوسة الاغراء أمّا الانسان الذي يحاول ربط التزكية بالتعليم، فسيعاني كثيراً لأنه يوحى الى نفسه دائماً: ان الله سبحانه موجود ويحاسبني، وان النار حق والقيامة والمعاد حق.. ويتوجب علي أن اتقي الله. اما الانسان الذي بلغ العلم الشهودي فان علمه هذا هو التزكية، والتزكية هي التعليم ذاته.

وهذا هو علم الانبياء وورثة الانبياء وأولياء الله. وقد اعتبر الامام الخميني عليه السلام هذا الموضوع أصلاً ومبنى في كتابه الجليل «مصباح الهداية»^(٢).

(١) الليل: الآيتان: ٥ - ٧.

(٢) مصباح الهداية / ٧٦.

وقد جعل الله هذه العلوم من نصيب بني آدم، وهذا كتاب الله عز وجل يخاطبهم دائماً ﴿يا بني آدم﴾^(١).

وفي هذا الخطاب خصوصية لا تتوفر في الخطاب العام في قوله تعالى مثلاً: ﴿يا أيها الناس﴾^(٢). لأن الخطاب كقولنا: أيها الأخوة أيها الأخوات.

لأن «يا بني آدم» تخاطب ابناء آدم بصفته «خليفة الله». كقولنا: أيها العلماء!
فـ «يا بني آدم» يعني يا ابناء آدم الذي وهب الله علماً مقروناً بالعمل.. يسر له عمل الخير..

ان هذا الطريق - يا أبناءه - مفتوح لكم وهو ليس شاقاً، إنه ميسر لكم.. ولكن من بخل وكذب فان طريق الشرور سيكون عليه سهلاً، ﴿أما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيصره للعسرى﴾^(٣).

والأصل والمبنى الآخر للامام الراحل، هو وجود انسان جامع تتجلى فيه أسماء الله جميعاً^(٤).

انه لا ينظر الى الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين في وجه الكلام والحكمة حتى يقول: اننا نريد نبياً يصلح المجتمع الانساني ويأتي بشريعة الله بل يريده خليفة لاصلاح العالم كله ويحلّ ايضاً مشكلة الملائكة.

فالانسان العارف لا يريد من النبي ﷺ هداية المجتمع بل يريده خليفة لله في الأرض والسماء.. يعني أن يكون للناس جميعاً خليفة الله.. وأن يحل مشكلة الملائكة. فاذا كان لدى الملائكة مسألة فيتعين عليه أرشادهم.. ولأنه معلمهم فيتوجب

(١) الاعراف: الآية ٢٦.

(٢) البقرة: الآية ١٦٨.

(٣) الليل: الآيتان ٨ - ١٠.

(٤) مصباح الهداية / ٢٧، ٨٣.

عليه حلّ مشكلات تلامذته.

ولذا يقول الامام الراحل: إنّ وجود الانسان الكامل وعلى أساس انه خليفة الله، ضروري في اصلاح المجتمعات البشرية.. وكذا تعليم الملائكة وحلّ مشكلاتهم. فاذا كنا ابناء آدم حقاً فلماذا لا نبلغ درجة تستمدنا فيها الملائكة؟ ان هذا الباب مفتوح للجميع!

طبعاً هناك ملائكة خواص وهم حملة العرش، وهؤلاء حسابهم يختلف عن حساب الناس.

ولكن الكثير من الملائكة هم في خدمة الانسان الصالح.

والموضوع الآخر الذي ذكره الامام الراحل في كتابه «مصباح الهداية» هو ان الانسان، وقبل أن يصل أية مرحلة عليه ان ينظر اليها باعتبارها «مقدّمة» فإذا بلغها يجب أن ينظر اليها كـ«حجاب».

وفي هذا المسار التصاعدي يصل الانسان مرحلة، يرى فيها ان نيل المقام الرفيع «التزكية» هو التعليم الذي هو حتى الآن «مقدمة» ثم يصبح «حجاباً» فيما بعد^(١).

والآن لنرى هل يمكن للانسان أن يدرك كونه عالماً أم لا؟ هل يوجد طريق أم لا؟ في بعض الموارد: نعم، وفي بعض آخر: لا.

فالتالب الجامعي مثلاً اذا ما أراد أن يدرك أنّه فهم الموضوع وأصبح عالماً به فانه يقدّم رسالته ويوجب عن اسئلة الأساتذة المناقشين، فإذا وفق كان عالماً وآلاً فلا.

ولكن ماذا لو اختلف الأساتذة في آرائهم حوله فإن أراد أن يدرك ان الحق معه

(١) مصباح الهداية / ٢٠.

وأنة أصبح عالماً أو لا فما هو الطريق؟ فهل تبقى مشكلته الى ما بعد الموت أم يوجد طريق آخر؟

يقول أهل المعرفة: انه يوجد طريق.. وانه كما يلي:

لو أن شخصاً لم يصب بحجاب «الذاتية» يعني انه لا يرى «العلم» ولا «العالم» وانما يرى «المعلوم» فقط فله ان يشكر الله سبحانه لأنه بلغ درجة.

اما اذا كان يردد باستمرار: ان الحق معي.. أنا أعلم منه.. ان هذا الانسان لم يذق حلاوة العلم الحقيقي، ولم يناغم ويقرن بين «التعليم» و«التزكية».. لأنه لا يفتأ يقول: أنا.. أنا وهذه لغة الشيطان.

ففي قصة الحوار بين الله عز وجل والشيطان قال ابليس: ﴿أنا خير منه﴾^(١).
أنا أفضل من آدم

وعندما نسمع هذه العبارة من أحد: أنا أفضل من فلان تعني أنه يردد كلمات الشيطان!

وهو يرتكب رذيلتين أو واحدة على الأقل في كل الأحوال. فان كان الآخر في الحقيقة أفضل منه فقد ارتكب وازافة الى «الفخر» رذيلة «الكذب» وما دام هذا الهاجس ينتاب المرء فان خللاً يوجد في «تعليمه» لأنه لم يبلغ «التزكية».

ان على المرء في النهاية أن يتجرّد من الاصطلاحات والاعتبارات العلمية.

انقل لكم ذكرى عن الامام الراحل.. كانت سنة تخرّجه في الدراسة الدينية وعلى أساس سنة وتقليد معمول آنذاك.. فعليه أن يرتقي أعواد المنبر لا لقاء موعظة بسبب انتهاء موسم الدراسة حيث جميع الطلبة يعدّون عدّة العودة الى الديار.

وكانت كلمة الامام حول روايات اخلاقية ثم قال: سيأتي يوم تنسون فيه

(١) الاعراف: الآية ١٢؛ ص: الآية ٧٦.

الاصطلاحات العلمية.. في مرحلة الشيخوخة ينسى المرء ما تعلمه، ويتساوى في هذا طلبة الحوزة العلمية وطلاب الجامعات.

هذه مشكلة تشمل الجميع لا فرق.. حيث ينسى طلاب الجامعة وطلبة الحوزة الاصطلاحات العلمية التي حفظوها وتعلموها.. وقد يصل النسيان بأحدهم بحيث يتعذر عليه كتابة سطر صحيح.

وقد أشار الله سبحانه الى هذه المرحلة من العمر في قوله تعالى: ﴿ومنكم من يردّ الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾^(١).

ويموت هذا الانسان كما يموت العوام، وعندما يموت الانسان بهذه الحالة فانه سيحشر أيضاً بهذه الحالة.

لأن ما تعلمه انما كان لتمشيه شؤون حياته.. من أجل الرغبة والشهرة.. لم يتعلم ما تعلمه للآخرة فيتزكى.

اننا لو قرأنا القرآن من أوله الى آخره فلن نجد آية تقول: «قد أفلح من تعلم».. لكننا سنجد آية تقول: ﴿قد أفلح من زكاها﴾^(٢) أو ﴿قد أفلح من تزكى﴾^(٣).

وطوبى لمن أصبح طيباً لا لمن أصبح عالماً، لان صيرورته عالماً هو «مقدمة» - بالطبع - لمن أراد أن يتزكى.

وفي الوقت الذي لا نجد فيه سورة الآ و اشارت الى العلم واهميته ومجده ومنزلة العلماء.. ولكن الحصيلة النهائية للخطاب القرآني تنظر الى العلم ك«مقدمة» ليس اكثر فإذا لم يثمر ثمرته المرجوة فانه سرعان ما يزول ويمحى.

نعم كان هذا محور خطاب الامام آنذاك.. لقد أشار الى سؤال القبر: حيث يُسأل

(١) الحج: الآية ٥.

(٢) الشمس: الآية ٩.

(٣) الأعلى: الآية: ١٤.

الذي يودع الثرى: عن قبلته ودينه وكتابه ونبيه^(١).

لا تظنّوا إن في مقدور الجميع الاجابة.. لأن ضغطة الموت من الشدّة بحيث يتأوّه الانسان «آه لا أكاد أتذكر شيئاً مما قرأت».

فالذي لا يجعل من «التعليم» مقدمة للتزكية ولا يناغم بينهما، لن يبقى من علمه شيء.. ينسى حتى دينه

وقد جاء في الروايات التي تتحدث عن المعاد يوم القيامة، أن بعضهم ان يمكث أحقاباً في العذاب.. يتذكر ان النبي هو الذي جاء بالقرآن.. لكنه لا يتذكر اسم النبي المبارك!!

وعلى هذا فان التزكية هي مقوم لانسانية الانسان ولذا جاء في القرآن الكريم:

﴿قد أفلح من تزكى﴾، ﴿قد أفلح من زكاها﴾.

أو قوله تعالى:

﴿لولا فضل الله ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبداً ولكن الله يزكي من يشاء﴾^(٢).

كما جاء في طائفة أخرى من الآيات حول الحقوق الشرعية وأن أخذها من الناس هو تطهير لهم: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾^(٣).

إذا ما أردنا التزكية فعلياً أن نحرس هذه الشجرة ان نسقيها لتنمو وتشدّب أغصانها.

والأصل في كل هذا بستاني هذا الوجود.. الله سبحانه وتعالى وهو القائل:

(١) تلقين الميت المسائل الاسلامية الابتدائية. حيث يلقن قبل إهالة التراب عليه الاجوبة الصحيحة.

(٢) النور: الآية ٢١.

(٣) التوبة: الآية ١٠٣.

﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴾^(١).

«أنتم فسائل هذا العالم غرسها ربّ هذا العالم»

فأي فسيل يريد النمو وينشد الحمل والثمر.. تلزمه الحراسة ويلزمه تشذيب اغصانه الزائدة وبهذا العمل يتزكى.

ومن موارد التزكية في القرآن الكريم انه في كثير من المناسبات اذا ما أردنا لقاء شخص واعتذر عن استقباله لنا بحجة عدم وجود موعد للقاء فاننا سننتألم بسبب ذلك...

ان في هذا دلالة على عدم تزكيتنا.. لأنه عندما نذهب دون دعوة ودون موعد مسبق ثم نواجه بالاعتذار عن استقباله لنا فسننتألم لذلك.. فمعنى هذا اننا لسنا من أهل التزكية.

أما اذا لم نشعر بالألم لذلك وعدنا من حيث أتينا فاننا من أهلها.

﴿ فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وإذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾^(٢).

وحصيلة هذا البحث ان الامام الراحل لم يكن مجمع فضيلتي التعليم والتزكية وانما «جامع» لهما بمعنى «صناعة الذات».

وخلال كلماته المضيئة نجد ثلاثة اصول ومباني.. ولكل مبنى نبع.

ففي مجال الفقه والحقوق هناك «مواد» تؤخذ من سلسلة مبان واصول، ولكل المباني والاصول «منبع» أيضاً.

فكما انه لدينا في الفقه مادة فقهية وحقوقية تستند الى اصول ومباني كلية في

(١) نوح: الآية ١٧.

(٢) النور: الآية ٢٨.

صورة قواعد فقهية أو قواعد اصولية مأخوذة من منابع. منابع مثل القرآن الكريم سنة المعصومين، العقل والاجماع، فكل ما قاله مستمد من منابع الكتاب والسنة والعقل، والاجماع ليس منبع مستقل بذاته بل كاشف عن السنة.

ولذا رسالته (الامام) أيضاً ستكون دمج التعليم بالتزكية. فنضمن الثورة الاسلامية ونصونها، حتى تكون الحوزة والجامعة المصداق الوحيد لـ(قد أفلح من تزكى) بل المجتمع الاسلامي الانساني باسره، ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١). نسأل الله التوفيق في جمع هاتين الفضيلتين: التعليم والتزكية.

الفصل العاشر

الامام والايفاء بالالتزام الشفائي

- ربيع ١٩٩٣ -

للرجال الالهيين - وبسبب خصائصهم الروحية - مع الخالق التزام خاص يفقده الآخرون.

ذلك الالتزام الذي ينهض على اساس المعرفة، ولأن الانسان أكثر ادراكاً من الكائنات الأخرى في الطبيعة.. فهو الأكثر قدرة واستطاعة في ايفائه معاهدة العبودية مع الله، ومعاهدته هذه مع الله خاصة.. لأنها تشريعية بينما عبودية غيره من جماد ونبات وحيوان انما هي عبودية تكوينية.

وقد تحدث القرآن عن العبودية التشريعية في كثير من آياته كقوله عز وجل:

﴿ ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾^(١).

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾^(٢).

على ان الخضوع التكويني لله تصوّره الآية الكريمة في قوله تعالى يخاطب

الأرض والسماء.

﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾^(٣).

فليس هناك من كائن يمتلك القدرة على التمرد كيف ﴿ والله جنود السموات

(١) يس: الآية ٦٠.

(٢) الاسراء: الآية ٢٣.

(٣) فصلت: الآية ١١.

والأرض ﴿^(١)﴾.

ومن المستحيل بروز العدوان والطغيان في عالم الوجود.. لأنه لا قدرة للكائنات إلا بقدرته سبحانه.

وما يخضع لنفوذ الانسان شيئاً: الأول تشريعي والثاني قابلية العصيان. يعني ان الانسان في هذين مختير ليس مجبراً، لديه القدرة على الطغيان التشريعي، ولكن ليس الى حد التفويض الكامل. ولأن أساس الالتزام هو الوعي والقدرة، فان الذين هم أكثر وعياً وأكثر قدرة يمتازون بالالتزام أكثر مع مولاهم، فيما يعيش الجهال والعاجزون في حرمان من هذا الالتزام.

وقد أشار القرآن الى الالتزام الخاص:

١ - التزام الانبياء والرسل.

٢ - التزام ورثة الانبياء.

قال الله سبحانه في ميثاق الانبياء:

﴿واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾^(٢).

وفي ما يخص ميثاق وارثي الانبياء قال الله سبحانه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^(٣).

ورغم ان الميثاق مأخوذ من الجميع، ولكن الاشرار ينقضون الميثاق وهذا من

(١) الفتح: الآية ٤.

(٢) الاحزاب: الآية ٧.

(٣) الاحزاب: الآية ٢٣.

سوء حظهم إذ فضلوا الدنيا على الآخرة، والعار على الثورة ضد الفجار، والقعود على القيام، فرحين بركونهم الى حياة الدعة مع الخاملين والقاعدين:

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾^(١).

حتى إذا عاد النبي ﷺ واصحابه من الجهاد جاءوا: ﴿ يعتذرون اليكم إذا رجعتم إليهم ﴾^(٢). بعد أن نقضوا العهد وارتضوا حياة الذل والعار: ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار ﴾^(٣).

أما الرجال الصادقين فقد ثبتوا على الميثاق المقدس، وظلوا بمنأى عن حبائل الشيطان وجنوده فهم ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾^(٤).

ولذا فقد قرنوا العرفان بالثورة واباء الضيم، وجعلوا الجهاد الاكبر والجهاد الاصغر في صلب الميثاق الالهي، فكان المحراب لديهم ميدان حرب.

فانطلقوا في سماوات العروج الانساني بجناحين: جناح العلم وجناح العمل، لأنه لا يتيسر الففز من دون جناح العلم ولا يكون الطيران الا بجناح العمل. وقد مجدّ الله سبحانه العلماء في قوله تعالى ذكره: ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(٥).

فالذين ينطوون على الوعي الحق، يخافون الله ويخشونه، ولأنهم يعرفون الله حق المعرفة فهم لا ينفكون من طاعته، ولأنهم عرفاء فهم بذكره مستغفرين..

(١) التوبة: الآية ٨١.

(٢) التوبة: الآية ٩٤.

(٣) الاحزاب: الآية ١٥.

(٤) النور: الآية ٣٧.

(٥) الاحزاب: الآية ٣٩.

وهذه الآية تكشف عن أنه لا عمل اصيل إلا بالمعرفة.. وانه لا وعي عميق إلا بالخوف من معصية الله.

وعلى هذا فان علماء الدين المؤمنين هم الذين يخضعون لأوامر الله ونواهيه وشريعته.

انهم لا يخافون إلا الله فهذا الخوف منحصر بالله سبحانه.. لأنهم لا يخشون غير الله وهذا ما سجلته الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً﴾^(١).

ان خاصية التوحيد الأصل هي أن الموحّد لا يفكر وخلال كل شؤون حياته إلا بالله، فلا أمل ولا رجاء إلا به ولا حبّ إلا له لأنه إذا ما خالط حبّ غير الله حبّ الله اختلّ التوحيد في أعماقه، وكان المرء أقرب للشرك منه إلى التوحيد.

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فترتبصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٢).

وهذه آية أخرى تشهد على هذه الحقيقة:

﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباؤهم أو أبناؤهم أو إخوانهم أو أزواجهم أو عشيرتهم﴾^(٣).

وعلى كل حال فان هؤلاء الرجال الذين يرثون الانبياء بالحق يلتزمون واطافة الى ميثاق العبودية العامة ميثاقاً خاصاً آخر يجعلهم أكثر قرباً من الانبياء، وهذا

(١) الاحزاب: الآية ٣٩.

(٢) التوبة: الآية ٢٤.

(٣) المجادلة: الآية ٢٢.

العهد والالتزام والميثاق هو الذي أشارت اليه الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة في كلمات علي عندما يقول: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم...»^(١).

فمواجهة الظلم الاقتصادي واذرع الاشرار، والثورة من أجل المحرومين والبائسين هو المصداق الظاهري لهذا الميثاق الخاص.

وإلا فان للرزق والشعب والجوع وغيره مصداقاً أهم لا ينبغي استبعاده وهو النمو الثقافي والتعليمي والتربوي الصحيح للمجتمع.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾^(٢) ان على الانسان أن يتأمل في العلم الذي لديه، من أين تعلّمه؟^(٣)

ولذا فان الطعام يشمل حتى الرزق المعنوي والروحي والعلمي والفكري أيضاً^(٤) والعلماء الالهيون مكلفون بمواجهة أي غزو ثقافي حتى يكونوا سداً منيعاً وحصناً حصيناً للبسطاء لا يغويهم الغاؤون ولا يضلّهم الضالّون.

فعلماء الدين يتحملون مسئوليتهم ليس عسكرياً وسياسياً واجتماعياً فقط بل وفي التزامهم الثقافي.. عليهم مسؤولية خاصة تتطلب منهم التضحيات فالميثاق والالتزام الثقافي لعلماء الدين يتوفر على مسؤوليتين:

١- واجب تحصيلي.

٢- وفرض حصولي.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣.

(٢) عبس: الآية ٢٤.

(٣) بحار الانوار: ٩٦/٢ ح ٣٨.

(٤) هود: الآية ٧٧: «ورزقني منه رزقاً حسناً».

وتوضيح ذلك ان علماء الدين ليسوا مسؤولين عن القيام ببعض الوظائف والواجبات فحسب.. بل ويلتزمون باعداد مقدمات تلك الواجبات والاعمال وتهيئة الظروف والشروط اللازمة للقيام بها.

أما الشروط التي لا يمكن توفيرها من قبلهم فهم في حلٍّ منها، ويتوجب عليهم في مثل هذه الحالة الترقب والانتظار حتى إذا حانت اللحظة نهضوا بالأمر. فمثلاً تشكيل الحكم، وتأسيس نظام حكومي له شروطه التي لا تحصى بعضها تحصيلي وبعضها حصولي، وازاء هذه الشروط يتحمل علماء الدين توفير بعضها وتوفّر البعض الآخر.

ان مسألة تعليم قضايا الثقافة من قبيل المقدمات التحصيلية.. لأن شروطها تقع في قدرة العلماء.

ولذا فإنّ وارثي الأنبياء، كالأنبياء يبادرون في المسائل الثقافية، ولا يتقاعسون في توعية الناس لحظة واحدة، لأن محور حملة الرسالات الالهية هو ازدهار الانسانية الاصيلة في المجتمع، وللانسانية جبهتان حساستان:

الأولى: الفكر الصحيح.

الثانية: الاتجاه والسعي الصحيحين.

يعني الادراك الصحيح والتحرّك الصحيح.. اذ لهما الدور الحاسم في البناء الانساني.

ولذا فان المسار المثمر للفكر البشري يتناسب مع: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^(١) والمسار المستمر للعمل والسعي يتوفر مع (يزكّهم).

يقول الامام علي عليه السلام حول تأثير الرسالة المحمدية: «الذي أن بعث الله سبحانه

محمداً ﷺ.. وأهل الأرض يومئذ ملأ متفرقة وأهواء منتشرة، وطوائف معشّنة.. فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة»^(١).

وهذه الخصوصيتان نشهدهما في رسالة النبي الأكرم ﷺ وتآلقان في خطّة المعلم الأول للاستشهاد والاقدام والثورة على طغاة التاريخ أعني سيد الشهداء الحسين بن علي ؑ. وهذا ما نقرأه في زيارة الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

ان للرجال الالهيين ميثاقهم الخاص ووفائهم الفريد.. فكما أن لهم التزامهم في الميدان السياسي وما يتعلق به من قضايا.. فهم يتحملون أيضاً مسؤوليتهم الخاصة في الترشيد الثقافي.

اننا نستطيع أن نشير في هذه المناسبة الى أن الامام من القلائل الذين تهضوا بالميثاق الالهي.

ان العلوم الانسانية يمكن تقسيمها على طرق المعرفة الى علم «شهودي» «عقلي» و «نقلي» تعبدى.

فكل ما يتجلّى في القلب بالشهود يدعى «العرفان» وكل ما يحصل بالدليل والبرهان يدعى «الحكمة» و «الكلام»، وكل ما يأتي عن طريق النقل يدعى «السيرة» و «التاريخ».. وكل ما يحصل بالتعبّد الخاص هو «فقه».

وانطلاقاً من توفر كل علم من هذه العلوم الانسانية على شأن خاص من شؤون النفس البشرية، واهتمام النفس بكل شأن يشغله عن سائر الشؤون الأخرى؛ فان «جامعيّة» فرد واحد للعلوم القلبية والعقلية والسمعية يكون شاقاً للغاية.

لكننا نرى الامام الخميني يجمع بينها جميعاً.. فله في كل منها رأي وقلب وتبصر.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١.

والأعمال الانسانية على أساس المنهج، هي الأخرى تنقسم الى اقسام مختلفة، لأن تهذيب الروح، ادارة الاسرة وقيادة المجتمع، وسياسة الدولة ورعاية الحقوق والمواثيق والقوانين الدولية، تنقسم الى عناوين متعددة مختصة، والحكمة العلمية لكل منها لها طريقها الخاص بها، والميل لأي منها عملياً يمنع من الاهتمام بغيرها. ولذا فليس من الميسور جامعية الشخص لها جميعاً.. ولكن الامام الخميني التزم في ملكاتها العملية.

لم يكن تهذيب الاخلاق بعيداً عن قيادة المجتمع والسياسة الداخلية والدولية.. كما أن مسائل مثل الحرب والسلام، لم تكن تصرفه عن تزكية النفس، ولذا فهو في حد ذاته جامع لحقول مختلفة من العلوم الانسانية، متوفر على ملكاتها الفاضلة من حيث العمل.. فهو متفوق في التزام الميثاق والوفاء بالعهد والمسؤولية.

والمهم فعلاً الجانب الثقافي للامام الراحل وما أدركه من خلال بيانه وبنانه وما التزمه من تعليم الكتاب والحكمة ومن خلال العقل والرعاية في الرواية لا مجرد الرواية واسناد الاخبار^(١).

فأحاديثه وكلماته هي كسلوكه وسيرته، تفسير للقرآن الكريم واحاديث الأئمة الطاهرين، وليس للهوئى فيه نصيب.. فإن كنت من أهل الفكر، فهذه كلماته فانصت لها وأحصل على رزقك المعنوي.. وإن كنت من أهل القلب لأصغيت الى مناجاته ولشهدت الطريق الأقرب في النجوى مع الله.

وإن كنت من أهل البصيرة، لأدركت انه فَوْض أمره الى الله، فحياه الله بالنصر المؤزر.

(١) الامام علي عليه السلام: «اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل» نهج البلاغة: الحكمة رقم ٩٤.

انه لوحة تتجلى فيها الحماسة الانسانية ونصرة المحرومين واتهمار بركات الغيب الالهي.. انه رمز العلاقة الرائعة بين العبد ومولاه.. بين الانسان وخالق الانسان.

وهو في دعائه ومناجاته يعكس ميراث الاسلام في أن الدعاء «القرآن الصاعد» إذ يشهد المرء في دعائه هموم الاسلام في غربته ومظلومية الوطن الاسلامي والأمة الاسلامية... انه لوحة رائعة للعشق الالهي.

فترى كلمات علي عليه السلام في عهده الى مالك الأشتر مكتوبة على شغاف قلبه.. فهي قانونه الذي يتبع على مدى فصول الصراع مع أعدائه.

يواجه المصائب والحوادث المزلزلة بالاسترجاع.. فلم نسمع منه سوى: «إنا لله وأنا اليه راجعون».. المبدأ هو الله والمعاد اليه وقوافل البشر المسافرة التي انطلقت منه تعود اليه.. فإنا جميعاً لله وانا جميعاً اليه عائدون.

وهذا تاريخ الحرب والدفاع شاهد يشهد بالحقيقة في أن هذا الانسان قد بلغ الذروة في التقى والطهر والنقاء والايامن.

وفي النهاية وكما ورد عن ائمة الهدى: «مامناً إلا مسموم أو مقتول»^(١). اذا به رضوان الله عليه يعد موافقته على القرار الدولي ٥٩٨ بمثابة تجرعه لسم قاتل^(٢).

واذا بوصيته بمستوى وصايا الانبياء، إذ يوصي نفسه والامة الاسلامية: «حافظوا على الاسلام ولتكن حياتكم من أجله، وموتوا وأنتم مسلمون» إنّها وصية ابراهيم: ﴿ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا

(١) بحار الأنوار: ٢٧/٢١٦-٢١٧ ح ١٨.

(٢) «قبول هذه القضية بالنسبة لي اكثر من السم القاتل، لكنني راض برضا الله وسأتجرع من أجل رضاه هذه الجرعة» صحيفة نور ٢٠/٢٤١.

تموتنّ إلا وأتمّ مسلمون»^(١).

اننا نرى ظلال هذه الوصايا الالهية في وصيته عندما يقول: «حفظ الاسلام على رأس جميع الواجبات»^(٢).

ونرى ظلال وصية النبي (ﷺ) في القرآن الكريم والعترة الطاهرة^(٣)، وظلالاً من رسالة الامام علي الى الحاكم الأموي^(٤) مبنوثة في وصيته الخالدة^(٥).

فلو إنا دعونا قائلين: «اللهم اجعل محياه محيا محمد وآل محمد ومماته ممات محمد وآل محمد»^(٦) في حق هذا التلميذ الصادق للقرآن والعترة وعاشق أهل البيت ودرع التوحيد والولاية.. ما كان مقالنا جزافاً ولا كان فيه عن الصواب انحرافاً.

واننا نطمع أن تكون حياة ومسيرة هذا الرجل الالهي ومؤلفاته بالفارسية والعربية سواء في العرفان، الفلسفة، الكلام، التفسير، الفقه والاصول، في وعظه الناس ومواقفه السياسية وفي دفاعه عن الحفاة والبؤساء والمسحوقين في المجتمع، وفي سعيه لايجاد الألفة والوحدة بين قلوب الامة برنامجاً للجميع ومحور للثورة الاسلامية في:

أولاً: ضرورة المرابطة الشعبية في سوح الثورة والاستمرار حتى قيام الثورة الالهية.. وانها واجب الرجال المؤمنين والله سبحانه يقول: ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ان

(١) البقرة: الآية ١٣٢.

(٢) صحيفة نور: ١٧٦/٢١.

(٣) المصدر السابق: ١٦٩/٢١.

(٤) نهج البلاغة الرسالة رقم ٢٨، بحار الانوار: ٥٨/٢٣.

(٥) صحيفة نور: ١٧١/٢١.

(٦) مفاتيح الجنان / زيارة عاشوراء.

الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴿^(١)﴾.

فهذا الحضور وهذه المراقبة في المحافل السياسية مكمل لإيمان المؤمن.. ومن هنا يأتي موقف «حنظلة» غسيل الملائكة الذي استشهد بعد ليلة زفافه. ثانياً: ان غياب الأمة عن الساحة السياسية والمناسبات الدينية واهمالها مسألة مصير نظام الحكم.. واعتقادها انفصال الدين عن السياسة أو انشغالها بالكسب المادّي والرفاه الدنيوي وركونها الى حياة الدعة والراحة، سوف يؤدي الى سقوط نظام الحكم.. وعندها ينقض العدو للانتقام.

ولنا شاهد في تجربة الامام علي وابنه الحسن عليهما السلام.. ولقد كانت تجربة مرّة، لأنه حتى في وجود قائد معصوم مفترض الطاعة.. ولكن الخلافات الداخلية والتطاحن، وعدم الشعور بالمسؤولية دفع بالامام علي الى أن يتأوّه من الوضع الشاذ للأمة قائلاً: «أبدلني الله بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شرّاً مني»^(٢).

ودفع بالامام الحسن عليه السلام الى التنازل عن حقوقه في الخلافة والحكم. ولذا لا يمكن الاعتماد فقط على أحقية النظام وقدرات القيادة النائية عن المعصوم، لأن الحضور الشعبي ضرورة باعتباره القاعدة والسد المنيع لعزّة النظام الاسلامي.

وقد أكد الله سبحانه موضوعين بشكل صريح وواضح:

الأول: وجود الله سبحانه وحضور الناس في نهوض النظام الاسلامي: ﴿يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾^(٣).

(١) النور: الآية ٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٩ وكلمتا «خير وشر» تعيينيات لا تفضيلتان.

(٣) الانفال: الآية ٦٤.

الثاني: ان اساس التوحيد ينهض على أنه لا شيء يعدل الله سبحانه ويساويه، ولذا فان حضور الأمة لا يساوي حضور الله ونصرته، ولكن الناس هم أنفسهم جنود الله وزمام أمرهم بيده سبحانه.

فمتى ما تأهلوا لنصرة الدين وتحرروا من غرور الدنيا ومكرها، وفقهم الله ليكونوا مدافعين حقيقيين للاسلام وانصاراً لقائد المسلمين:

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾^(١).

فهناك امداد غيبي، وهناك أيضاً توفيق الهي للناس في نصره الدين في ظروف خاصة.

وإذن فان الأمة لا تساوي الله أبداً بل هي تحت هداية الله وتوفيقه.

وهذا ما يمكن ملاحظته في مناجاة ابراهيم الخليل إذ يقول كما ورد في القرآن: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٢).

إِنَّ أَرْزَمَةَ الْقُلُوبِ بِيَدِ اللَّهِ مَقْلَبُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ عَلِيَ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(٣).

وإذن فان حضور أفراد الأمة وانشداد قلوبهم للامام الراحل وانقيادهم لكلماته إنما كان بتوفيق من الله ومن بركات الغيب.

وفقنا الله لنصرة دينه والدفاع عن نظام الاسلام.

(١) الانفال: الآية ٦٤.

(٢) ابراهيم: الآية ٣٧.

(٣) هود: الآية ٥٦.

الفصل الحادي عشر

وارث ابراهيم

- صيف ١٩٩٢ -

العترة الطاهرة من آل النبي ﷺ هم أناس كاملون، وخالصة الكمال في «المعرفة» و «العلم»، ولذا فإن الإنسان الكامل هو الانسان العالم، وجمال العلم في نشره، وهو ما أشار اليه الامام عليؑ في كلماته المضيئة:

«جمال العلم نشره، وثمرته العمل به وصيانته وضعه في أهله»^(١).

وعلى هذا فان من لا علم له لا كمال له، ومن حاز علماً ولم يفكر بنشره فقد بخسه جماله.. فبالرغم من أنه حاز كمالاً لكنه لم يظفر بجمال، لأن جمال العلم في نشره وثماره في العمل به.

فالعالم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، والأمانة في العلم والمحافظة عليه تكمن في وضعه لدى أهله.

لأن العلم وديعة الله عز وجل ووضع لدى أهله صيانة له.

للعالم ثلاث وظائف:

وظيفة فردية ووظيفتان اجتماعيتان.

الوظيفة الفردية هي ان يعمل العالم بعلمه، والوظيفتان الاجتماعيتان أحدهما

تتعلق بعصره وجيله، والأخرى بالأجيال القادمة.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ١/٣٧٠ ح ٣٨.

فما يتعلّق بعصره هو نشر علمه، وما يتعلّق بالأجيال القادمة هو تربية تلاميذ نموذجيين وتأليف كتب علمية عميقة الغور.

فأي عالم عمل بما ذكرنا فقد حاز جمالاً وكماً.

ولذا كان الأئمة من العترة الطاهرة كذلك.

كان آية الله العظمى الخوئي على قدر كبير من الكمال لأنه كان عالماً كبيراً

وحاز جمالاً لأنه:

أولاً: عمل بما عمل.

ثانياً: نشر علمه في جهات عديدة.

ثالثاً: أودع علوم آل البيت لدى تلامذة لاثنين.

لقد ألف كتباً علمية عميقة، وربّى تلامذة مجتهدين على قدر من الكمال،

واستغرق عمره الذي يناهز القرن بالفقاهة فـ «جزاه الله عن الاسلام خير الجزاء»..

لقد كان كوكباً في سماء الامامة.

ولكن في سماء الامامة من كانت له قيادة للأمة ودفاع عن الانسانية، فهذا ليس

كوكباً بل انه شمس تسطع.

الكواكب كثيرة والشموس قليلة.

ولقد كان الامام الراحل شمساً أضاءت العالم لم تشرق شمس مثله على امتداد

ألف سنة، ولذا فهو مقياس ومعيّار.

وخلال البحث سوف يتضح لنا ان الفقهاء كانوا بمثابة كواكب في سماء

الانسانية، ويبقى الامام بين هذه النجوم بمثابة الشمس الساطعة.

يقول الامام علي عليه السلام: «العلم مصباح العقل وينبوع الفضل»^(١).

(١) المصدر السابق: ٢١/١ ح ٥٨٩.

فالعقل الذي وهبه الله لنا «مسافر» يلزمه «سراج» ومصباح حتى يمكنه رؤية الطريق، العلم مصباح العقل في الاعماق هذا من جهة، ومن جهة أخرى ان روح الانسان تتسع حتى لا يشبعها شيء أبداً يقول الامام علي عليه السلام:

«كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع به»^(١).

ان روح الانسان وعاء للمعرفة والعلم.. لكنه يختلف عن أوعية الدنيا لأنها تمتلأ وتضيق بما يوضع فيها..

فهذا البحر الذي يتسع لعشرات المليارات من الامتار المكعبة من المياه لو اضيفت اليه مياه جديدة لتضاءلت سعته بقدر ما اضيف اليه.

أما روح الانسان فبالعكس تماماً أنها تتسع للعلم كلما اضيفت اليها.. فإذا كانت لدى الانسان سعة ما لاستقبال العلم فان اضافة هذا العلم اليها تزيد من سعته وتضاعف وعائيتها، ولذا فان الانسان لن يصل ابداً الى أن يدعى:

١ - انه امتلأ من العلم حتى لم يعد هناك من مكان لعلم جديد.

٢ - انه تعلم كل شيء في هذا العالم.

وسرّ ذلك ان العلوم ليست نهائية وروح الانسان ليست محدودة لأنها مظهر الهي لان «فوق كل ذي علم عليم» و﴿ بكل شيء عليم ﴾^(٢).

وان كلمات أمير الكلمة تطمأننا انه لا حدود لانتهاال العلم مع الحذر من الغرور.

فادعاء نهاية العلم مهما كان دلالة على الجهل يقول الامام علي عليه السلام:

«من ادعى من العلم غايته فقد اظهر من الجهل نهايته».

فالجاهل من ادعى ان لا علم فوق علمه.

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ١٩٦، بحار الأنوار: ١/١٨٣ الرواية ٨٢.

(٢) الأنفال: الآية ٧٧.

والموضوع المهم الآخر ان العالم يسافر بعلمه والجاهل يدور بيد خاوية وفرق العالم مع الثري هو أن ان الثري مهما كثر من الكنوز يسافر ويده خاليتان. أما العالم مهما جمع من العلم فهو يأخذه معه، فأبي «عاقل يصرف جهده ووقته وكل حياته في جمع شيء لا يستطيع أن يأخذه معه في سفر؟! فمن لا يجمع لسفره شيئاً فهذا ليس بعاقل؛ والعاقل من يسعى في جمع شيء يمكن أخذه معه.

ومن هنا أمر الله سبحانه بالاستنفار والتعبئة «استنفار ثقافي» و «استنفار عسكري».

يقول سبحانه في النفير الثقافي: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل أمة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾^(١). و «لولا» هنا للترغيب.. وهي تتضمن دعوة إليها إلى التوجه إلى المراكز العلمية حتى يتفقهوا في علوم الدين، حتى اذا ارتوتوا عادوا إلى ديارهم لارشاد إخوانهم وابناء قومهم.

ان واجبنا اما أن نصبح علماء أو نسعى في تربية علماء، وعلى هذا فإننا نتوجه إلى الشباب وكذا إلى الآباء فيما لو انسوا في ابنائهم نكاه وخُلُقاً ربيعاً ألا يحولوا بينهم وبين انتحال العلم، ليكونوا جنوداً تحت راية ولي العصر أرواحنا قداه. ليحرزوا دينهم ويصونوا دين المجتمع، فإن لم يصيبوا مالم من دراستهم يكون من نصيبهم كمال وجمال.

ولن يكون المال وسيلة إلى الكمال أبداً.

وسياتي اليوم الذي نعص اصبع الندامة، لأننا لم نجعل الذي نستطيع اصطحابه معنا.

(١) التوبة: الآية ١٢٢.

وما الذّ العلم اذا وجد الانسان حلاوته، وما أعذبه من شراب لمن انتهله.
وما أكثر الذين رأيناهم يضطربون في أواخر عمرهم لأنهم سوف يتركون كل شيء.. ما الذي يستطيعون أخذه معهم؟! ولكن ما رأينا فقيهاً اضطرب في أواخر عمره لأنه انفق سنوات عمره في طلب العلم.

وجوهر رسالة الفقيه ان يذكر الناس يوم المعاد ﴿ لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ﴾^(١).

انه يثبت لهم ان البدن الطيني يتفسخ بعد الموت.. أما الروح في اهابها البرزخي فهي باقية.

وان الانسان لا يفنى أبداً.. الموت هو بدء ميلاده الجديد، والانسان مسافر في رحلة الأبدية.

والجدير ذكره هنا انه لا يمكن السماع بهذه الاذن ولا الرؤية بهذه العين، والسرّ في ذلك ان القرآن وصف طائفة بالصمم والعمى لأنهم اقتصروا على عيون الدنيا وآذانها، وليس في الآخرة متاع دنيوي.

هناك في ذلك العالم اشياء أخرى ينبغي رؤيتها بعين أخرى وانغام داود النبي ﷺ لا تسمع إلا بأذن أخرى وهو لا يمتلك مثل تلك الأذن. ولأنه لا يملك إلا عين الدنيا وأذنها فانه يحشر اصم أعمى^(٢).

قال الله سبحانه: ﴿ من أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾^(٣).

وعمل الفقيه ان يحذر قومه يوم المعاد، فإذا أخذوا للأمر أهبطه تكاملوا. هذا فيما

(١) التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٩.

(٣) طه: الآية ١٢٤.

يخص النفير الأول.

أما النفير الثاني فقد اشارت اليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثباتٍ أو انفروا جميعاً﴾^(١).
واذن فان القرآن الكريم يطرح تعبئتين: الأولى: تعبئة (فقهية وثقافية) و الأخرى (عسكرية وسياسية).

فالأمة وكذلك العلماء يشاركون في هاتين التعبئةتين، والفرق الوحيد هو في ميدان الحضور.. بعض هنا وبعض هناك.. خنادق قتال وخنادق سياسة وخنادق ثقافة.. بعض تفسير للآية في سورة النساء، وبعض تفسير للآية في سورة التوبة. وقد اجتهد كثير من علمائنا وعلى مرّ التاريخ أن يجمعوا بين التعبئةتين فهم في ظروف السلام في التعبئة الفقهية والثقافية، وفي ظروف الحرب في خنادق القتال ومواجهة المستعمر والمعتدي.. وفي قرننا الأخير يتألق اسم آية الله العظمى الشيرازي واسم امامنا الراحل.

ولكن الظروف تختلف، وباختلاف الظروف واختلاف القابليات أيضاً، تختلف درجات العلماء في مضممار الجمع بين التعبئةتين.. فكثير من اعزائنا تدفقوا صوب الجبهات والقليل منهم اصبحوا قادة فرق عسكرية، وهؤلاء كانوا على قدر متفوق من الذكاء والفتنة والشجاعة وفنون الحرب.. وفي الفقاهاة والعلوم والمعرفة ينبغ البعض فيصحبوا قمماً شاهقة، فيما يظل الآخرون في السفوح.

حتى الرسل والانبياء درجات ومراتب قال الله سبحانه: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾^(٢).

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾^(٣).

(١) النساء: الآية ٧٦.

(٢) البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) الاسراء: الآية ٥٨.

«والعلماء ورثة الانبياء والرسل»^(١).

وإذا كان الانبياء والرسل درجات، فورثتهم أيضاً درجات ومراتب.. فهناك فاضل وهناك أفضل..

وقد شاء الله سبحانه أن يظهر فقيهه كالامام الزاحل.. كان عالماً بزمانه، والعالم بالزمان لا يصاب بالحيرة عند هجوم الحوادث المحيرة.. وهنا اشير الى نقطتين:

١- العالم بزمانه لا يُخدع ولا تشتبه عليه الأمور.. فهو ينهض في الوقت المناسب ويقعد في الوقت المناسب لأن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»^(٢).

٢- الزمان لا يعني التاريخ والدهر أو الجوّ الاجتماعي.. وهذا أمير البيان العربي علي عليه السلام يقول: «إذا تغير السلطان تغير الزمان»^(٣).

فالتغير السياسي يتبعه تغير في الزمان.

والحاكم هو الذي يصنع حقبة الزمنية؛ السياسة، السلطة والسلطان هي الزمان.

فمن أدرك ما تفعله الهيئة الحاكمة، لن يخطيء في فهم الزمان، ولن تشتبه عليه الأمور.

أما الذي يفتقد الرؤية السياسية، ولا يمتلك معرفة بالحكم والسلطان والوضع السياسي الحاكم في عصره، فانه سيكون عرضة لهجوم اللوابس، وسيبدو عاجزاً في بعض الموارد.

لنلتفت الى هذه النقطة: ان من يسطع فوق الغيوم هو موجود نوارني سماوي؛ وان الذي لا يحجبه شيء «شمس» ولو تقابل القمر أمامها فان نصفه سيكون بديراً ويبقى الوجه الآخر ظلاماً.

(١) بحار الأنوار: ١/١٦٤ ح ٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٦٨/٧٥ الرواية ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٢/٧٤ الرواية ٢.

وأُن الجزء الذي يستلم النور هو من يُسلم له نفسه.
 كان الامام الراحل العالم الذي لم تلتبس عليه الأمور مهما ادلهمت الخطوب..
 لأنه كان عالماً بزمانه.. والامام علي عرّف الزمان بالسلطان.. فعلى هذا هتف الامام
 الراحل منذ البداية قائلاً: «ان الاسرة البهلوية هي اساس الفساد في هذه البلاد»^(١).
 ولهذا لم يتفوّه أحد بهذه الكلمة غيره: «على الشاه أن يرحل»^(٢).
 لقد ادرك الامام الراحل ان الشاه هو مصدر الفساد.. الشاه يعني سياسة
 الارتزاق.. يعني السياسة السوداء^(٣).

أجل كان عالماً بزمانه لا تشتبه عليه الأحداث، ينظر الى مسار الزمان بوضوح
 تام، نهض بثورته الالهية وكان (على بيّنة من ربّه) كان على خطى جدّه أمير
 المؤمنين عندما قال: «إني لعلى بيّنة من ربّي»^(٤).
 ومن يصل هذه الذروة السامقة لن يخشئ النفي والابعاد، ولن يخاف
 الاستشهاد، ولن يتوجس من العذاب، سوف يتحمل كل ذلك برحابة صدر^(٥).
 وعندما ترون اننا نتألم بسبب بعض الاتهامات، وتنزوي بسبب بعض

(١) «منذ أن وجد النظام الشاهنشاهي وحتى الآن، فان كل مانشاهده من فساد هو بسبب هذا النظام» صحيفة نور ٥٤٠/١ ط جديدة.

(٢) «ان عليه (الشاه) هو الآخر أن يطوي ساطه ليرحل» المصدر السابق.

(٣) «حبّ الشاه يعني الغارة على الاسلام وهتك حرّماته والعدوان على حقوق المسلمين..
 حب الشاه يعني طعن القرآن والاسلام واحراق معالمه.. انه «الشاه» مصدر كل هذا الفساد».
 المصدر نفسه: ٤٤٧/١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٩٦.

(٥) «اننا نتحمل التعذيب، السجن والتشريد» صحيفة نور: ١١٣/١.

«اننا ومن أجل الاسلام نُهان، ونتوقع السجن والاعدام.. دعوا هذا الجهاز الجبّار يهددنا
 بالقتل وهتك الأعراض» المصدر السابق: ٨٢/١.

«اننا مستعدون أن نتحمل الجور والظلم من أجل حرّية هذه الأمة» المصدر نفسه: ١١٦/١.

الاهانات، وتنسحب مقابل الآلام هذا لأننا نواجه العذاب من الخارج، ولا نشعر بلذته في الاعماق.. من أجل هذا تنسحب من الميدان.

أما العلماء بالحق انهم لا يستشعرون العذاب الذي صَبَّ عليهم.. لأنهم يشعرون بلذته في دخيلة أنفسهم.. لهذا يقاومون حتى النفس الأخير.

وهذا العامل في انزواء الانسان وانسحابه لا يوجد لدى قادة الحق.

وقد سئل الامام الباقر عن شهداء كربلاء. كيف تحملوا كل هذا الضرب والظلم والسهام المسمومة والرماح القاسية وحجم الألم الذي عانوه؟! فقال عليه السلام كما يقرص أحدكم جلده!

في يوم عاشوراء استحالت السهام المسمومة والرماح والسيوف الغادرة الى لا شيء.. استحال كل هذه الألم الى لا شيء.. لأنهم انتهلوا من معين الحب الالهي: «الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا»^(١).

لابد وانكم جربتم وانتم منهمكين في اعداد احتفال بهيج لا تشعرون بأية آلام في أقدامكم ومفاصلكم بالرغم من الجهد الجهد الذي ت بذلونه.. لماذا؟ لأنكم تعيشون مشاعر فرح في أعماقكم.. هذه المشاعر شدتكم بعيداً عن الاحساس بالألم. ان اللذة التي يستشعرها العلماء في مناجاتهم الحق لا يمكن قياسها بأية لذة دنيوية.

واذن فمن يستشعر اللذة في أعماقه لن يهزمه العذاب الذي يواجهه.

والفرق بين الامام الراحل وبين سائر الفقهاء هو نفسه الذي بين الانبياء وبين الرسل.

هذا شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل يهتف وهو على أبواب النار النمرودية: ﴿أَفُؤ

لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿^(١)﴾ ولم يتراجع عندما: ﴿قالوا حرّقوه وانصروا الهتكم ﴿^(٢)﴾ ولم تكن ناراً عادية.. كانت جحيماً كبرى أحرقت حتى حبال المنجنيق الذي قذفوه به.. هذا نبي.

وهناك نبي آخر هو يونس الذي تراجع أمام الضغوط.. الله سبحانه يخاطب نبينا الاكرم ﷺ قائلاً: ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم ﴿^(٣)﴾.

انه يوصي رسوله وخاتم رسله بالانطلاق في نشر الدين حتى حدود الاحراق. ويخاطبه أيضاً: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت ﴿^(٤)﴾ لأنه لم يستطع احياء دين الله.. لأن هذه المهمة تحتاج الى نهج ابراهيمي.

وانن وبالرغم من عصمة الانبياء جميعاً، ولكنهم غير متساويين في الشأن والمنزلة.

العلماء ورثة الانبياء بعض يرث ابراهيم خليل الرحمن.. وبعض يرث يونس صاحب الحوت، وبعض آخر يرثهما جميعاً.

اننا عندما نזור الأئمة من العترة الطاهرة نخاطبهم بالتحية قائلين:

«السلام على وارث آدم.. السلام على وارث ابراهيم..»

هكذا نخاطب سيدنا وامامنا الحسين بن علي سيد الشهداء.. انت وارث آدم وابراهيم ونوح وموسى وعيسى وجميع الانبياء والمرسلين.. ومثل هؤلاء الأفراد قليلون جداً.

ولا ينتظر أحد من المرجع الفلاني في النجف أن ينهض لمقاومة ظلم صدام،

(١) الانبياء: الآية ٦٧.

(٢) الانبياء: الآية ٦٨.

(٣) مريم: الآية ٤١.

(٤) القلم: الآية ٤٨.

ذلك ان الاجواء ليست مناسبة هذا أولاً، وثانياً ان الدهر لا يوجد برجل مثل الامام إلا كل ألف عام.

ان حساب الامام يختلف عن الآخرين.

ان بعض الوقائع تزلزل الكثير.. بعد مذبحه الفيضية أصيب الكثير من المراجع بالرعب وقالوا الزمان زمان تقية.. ولكن الامام أمسك بالقلم وقال: «اليوم التقية حرام ولو بلغ ما بلغ»^(١).

فكما أن الانبياء متفاوتين في المنزلة، فكذلك الوارثين لهم يعني العلماء هم أيضاً ليسوا متساويين.

أجل هذه حقيقة لا يمكن الاغماض عنها.

لو أنكم سافرتم الى دول الشرق الأقصى ستجدون كثيراً من المسلمين في الصين لا يعرفون من الاسلام سوى.. لا إله إلا الله» لكنهم يجهلون القرآن والمعاد والنبوة والصلاة.

انهم ينحدرون من أجيال مسلمة تعرف عن الاسلام الكثير، ولكن عندما تعطلت الحوزات العلمية، وعندما لا يهاجر اليهم مبلغ فقيه، تسلط عليهم الاجانب وحكموا الماركسية في حياتهم فوصل بهم الأمر أنهم لا يعرفون سوى «لا إله إلا الله».

كثير منكم شهد ما يجري في مراسم عاشوراء الحسين في العهد البهلوي.. فما الذي لم يفعله الحكم البائد من أجل نقض عرى الدين؟! طمسوا الاسم المبارك للنبي ﷺ غيبوا التاريخ الهجري.. رفعوا صوتهم فوق صوت النبي ﷺ والله سبحانه يقول:

(١) «حضرات السادة: ان اصول الاسلام مهددة بالخطر، القرآن، المذهب، يتعرض للمخاطرة فالتقية حرام واطهار الحقائق واجب ولو بلغ ما بلغ» صحيفة نور: ٧٤/١.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾^(١).
 لكنهم رفعوا اسم كورش (الأكبر) على اسم النبي المبارك، وجاءوا بالتاريخ
 الشاهنشاهي بديلاً للتاريخ الهجري.
 التاريخ الهجري الذي بدأ مع هجرة النبي ﷺ.. مسحوه من المستندات
 الرسمية وسجّلوا بتاريخ كورش وعشرات السوءات الأخرى.
 في مثل هذه الظروف ووفقاً لما جاء في نهج البلاغة حيث «السلطان» هو العامل
 في تغيير الزمان: «إذا تغير السلطان تغير الزمان» ومن خلال ان معرفة الزمان
 السياسة والهيئة الحاكمة فان انساناً كهذا، لن يكون في حيرة من أمره لأن «العالم
 بزمانه لا تهجم عليه اللوابس».

وكان امامنا الراحل من العلماء الذين كانوا على بيّنة من أمرهم.
 آية الله الخوئي تصدّى للمواجهة وقاد وثبة الشعب العراقي.
 لقد قام وهو في أواخر عمره بما نذر الامام الراحل كل عمره من أجله.
 بالطبع تختلف ظروفهم وكذا تفاوت مخزونهم الروحي فأحدهما ورث ابراهيم
 الخليل والآخر ورث يونس.

كلاهما على خير والقرآن الكريم مجّد يونس النبي في قوله عز وجل: ﴿لولا
 تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم﴾^(٢).

لم تكن يومذاك مصلحة في نشر هذا التقرير في الصحافة أو الوسائل
 الاعلامية الأخرى ولكن نشر في الأعمدة الخبرية يعني عندما انتفض الشعب
 العراقي العظيم بتوجيه من فقيه أهل البيت.. سرعان ما انبرى هذا الـ«صدّام»^(٣)

(١) الحجرات: الآية ٢.

(٢) القلم: الآية ٤٩.

(٣) للاحتقار.

والذي لا يعرف غير امتصاص الدماء لقمع هذه الانتفاضة وقام باقتياد هذا الفقيه من النجف الى الكوفة.

يومذاك وفي العالم كله لم يهب لنجدته واعلان دعمه سوى ايران أم القرى بقيادة سماحة القائد^(١).

ربما تحدث البعض ولكن لن تبلغ كلماته الدوي الذي احدثته كلمات قائد الثورة فمن ورائه ستون مليون مسلم في ايران وملايين المسلمين خارج ايران. لقد انذرهم بعدم التعرض لهذا الفقيه الكبير ولأي من أفراد أسرته. وهذا الخبر لم تتناقله وسائل الاعلام وإن ورد في الوقائع الخبرية لأن صدّام العفلقى مصاص دماء وهو الذي أعدم وفي يوم واحد الشهيد «محمد باقر الصدر» واخته العلوية الطاهرة «بنت الهدى».

وقد وضح ان السند الوحيد لذلك الفقيه العظيم هو أم القرى ايران الاسلام. لقد كان لذلك الفقيه مقلّدين كثيرين في كثير من الدول الاسلامية ولكن مابيدهم حول وقوة، الدولة الوحيدة التي اعلنت دعمها هي الدولة التي هتفت عبر مؤسسها: «ان امريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة»^(٢).

وقائد يعلن هذه الكلمة هو انسان «على بيّنة من ربّه» انه انسان عرف الطريق وسلكه.. الطريق المضيء والدرب اللاعب.

جميعنا مسلمون ونعتقد بيوم القيامة، ونعتقد ان المسافر يلزمه دليل اننا لا نعرف شيئاً عن القبر والبرزخ والقيامة.. كل ما نعرفه ونؤمن به هو عن طريق العترة الطاهرة أولئك يعرفون البرزخ ويعلمون القيامة والمعاد وهم من يقول: «لو كشف

(١) مرشد الجمهورية الاسلامية السيد علي الخامنئي.

(٢) صحيفة نور ١٠/١٣٩/١٤٨ ط قديمة.

الغطاء ما ازددت يقيناً»^(١).

يعني انه لن يزداد ايماننا حتى لو رفع الغطاء.. ان ايمانه بلغ الذروة وصل مرحلة اليقين المطلق.

كلنا سمع بحديث الامام الرضا المشهور في مدينة «نيسابور»^(٢) وقد شرع آلاف الرواة أقلامهم لتسجيل الحديث الشريف، وكانت كلمات الحديث مختصرة عميقة: «كلمة لا اله إلا الله حصني»^(٣) فمن ينشد الأمان فالتوحيد وعبادة الله هي الأمان له في الدنيا والآخرة.

وعندما تحركت الناقة أخرج الامام رأسه من «العمارية» ويخاطب تلك الالوف: «بشروطها.. وأنا من شروطها».

ان كلمة لا اله إلا الله لن تكون فاعلة إلا بشروطها ومن شروطها الامامة والايمان بولاية أهل بيت النبي ﷺ.. كثيرون سمعوا بهذا الحديث.. ولكن القليل من سمع بهذا الحديث من زعيم أهل البيت علي بن أبي طالب الذي يقول فيه: ان لـ «لا اله إلا الله».. شروطاً، انا وذريتي من شروطها»^(٤).

ان «لا اله إلا الله» التي هي المنطلق في الوصول إلى الجنة لها شروط، ومن شروطها الاعتقاد بالامامة من علي عليه السلام إلى الامام الثاني عشر.

اننا الآن في عصر سيدنا وامامنا المهدي وهو الرابع عشر من المعصومين

(١) بحار الانوار: ٥/٣ الرواية ١٤.

(٢) الحديث المعروف بحديث سلسلة الذهب، وقد صرح به الامام في ظروف مثيرة عندما كان في طريقه إلى مرو عاصمة المأمون العباسي لمبايعته بولاية المهدي في تلك الفترة العاصفة (١٩٩-٢٠٣)هـ.

(٣) بحار الانوار: ٥/٣ الرواية ١٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٣/٣ الرواية ٢٨.

والثاني عشر من الأئمة الطاهرين.

اننا في زمان غيابه ولا وسيلة للاتصال به.. فهل ان «لا إله إلا الله» اوضحت بلا شروط؟

هل تترك المجتمع بلا قائد، وهل القائد المطلوب هو «الفقيه العادل» أم أي فرد آخر؟

لقد رأيتم ما فعل صدام هذا بفقية أهل البيت^(١) وكأن شيئاً لم يكن.

ولكن الامام الراحل وبعد فاجعة الفيضية وعندما اقتيد من قم الى طهران ماذا حصل؟ الذي حصل ان ايران اهتزت من أقصاها الى أقصاها.
وكان الامام عندما يصدر أمراً فإنَّ الأُمَّة كلها تستجيب.. ايران كلها تهب.. وهذا هو دور القيادة.

لماذا وحتى اليوم يسحق شيعة العراق بالرغم من كل التضحيات؟ لماذا ما يزالون عاجزين حتى الآن عن اسقاط صدام؟

ألم يثوروا؟ ألم يقدموا شهداء؟ ألم يتشردوا؟ ألم يدفنوا في مقابر جماعية؟
ما الذي يتوجب فعله ولم يفعله شعب العراق؟ لقد قاموا بكل ما هو مطلوب، ولكن لم يكن لديهم «قائد».

ان لا إله إلا الله شروطاً وأنا وذريتي من شروطها.

وعلى هذا ففي حضور الامام المعصوم يكون شرط النجاة هو ذات الامام، وفي غيابه تتجلّى أهمية «ولاية الفقيه».

(١) المرحوم آية الله الخوئي.

الفصل الثاني عشر

البعد الكربلائي في الثورة الاسلامية والتاثير والتاثير

- ربيع ١٩٩٥ -

موضوع البحث هو تأثير النهضة الكربلائية لسيد الشهداء في الثورة الاسلامية الايرانية من وجهة نظر الامام الراحل.

في كثير من احاديث ونداءات الامام الراحل سمعنا وقرأنا عن نهضة كربلاء. ولقد تبلورت الثورة الاسلامية في ١٢ محرم سنة ١٣٨٢ هـ ق والتي اكتسبت اسم ١٥ خرداد. لأن ١٥ خرداد ١٣٤٢ هـ ش هو بداية الثورة.. الحقيقة يجب أن نقول ١٢ محرم وكذا في عام ١٣٥٧ وهو عام انتصار الثورة شهد محرم الحرام المسيرات والتظاهرات المليونية، واجتازت الثورة مرحلة «مئات الآلاف».

النظام البائد ومن أجل تعزيز مواقفه حرك مسيرة تأييد له بلغ المشاركون فيها ٤٠٠/٠٠٠ شخص.

ورد الشعب على هذه التظاهرة باربع مسيرات مليونية هي التي حسمت الصراع لصالح الاسلام وكانت كما يلي:

تظاهرة في يوم تاسوعاء. يوم عاشوراء. يوم الأربعاء.

وفي الثامن والعشرين من صفر ذكرى رحيل النبي الأكرم الى الملكوت الأعلى. وشهدت تلك الأيام الخالدة نهضة ايران من أقصاها الى أقصاها.

واذن فإن بدء الثورة كان في أجواء كربلائية وانتصارها كان في أجواء كربلائية.

ومن جهة أخرى نلاحظ ان نداءات قائد الثورة كانت تستمد طاقتها مفرداتها ومحتواها من خطاب وكلمات سيد الشهداء الملتهبة.

فعندما أورد الامام الراحل في أحد نداءاته^(١) التاريخية هذه كلمات الحسين الثائرة: «اني لا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما»^(٢) هب طلبة الحوزات وطلاب الجامعات وانبعثت في صفوف الجميع روح جديدة. كانت كلمات الامام الراحل تستمد روحها من الامام الحسين مندمجة به. نفخت فيه من روعي ﴿^(٣) فتتصل السماء بالأرض وتشتعل شرارة الثورة الالهية.

ولأن الامام الراحل يعرف سرّ الثورة والمنطلق، ويعرف الغاية النهائية نراه عليه السلام يؤكد دائماً على اسم كربلاء وذكرى الحسين بن علي.. وكانت الدموع تتجمع في عينيه وهو يجلس للعزاء في يوم عاشوراء.

وكان جسمه يقشعر لمجرّد ذكر الحسين.. ذلك انه تلميذ في حضرة الحسين.. وكان يعتبر ثورته قبساً من تلك الثورة الخالدة.

واذن فإن بدء الثورة الاسلامية، والمحاور الاساسية في نداءات قائد الثورة وأركان وصايا مؤسس الجمهورية الاسلامية تتحرك في دائرة كربلائية.

كم هي الثورات التي أخفقت هنا وهناك من هذا العالم لماذا؟ لأن الحسين بن علي ليس له حضور فيها.

(١) «سنوذي واجبنا الالهي ان شاء الله وستنال احدئ الحسنين: قطع أيدي الخونة عن حريم الاسلام والقرآن الكريم أو جوار رحمة الحق جلّ وعلا: و «اني لا أرى الموإلأ سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما».

صحيفة نور: ٧٨/١.

(٢) تاريخ التواريخ: ١٦٦/٣، تحف العقول: ٢٤٥.

(٣) الحجر: الآية ٢٩.

لو كان للحسين حضور في ثورة الجزائر.. وفي مصر، وفي السودان لانتصرت في زمن مبكر واثمرت وآتت أكلها.

من الممكن ان يثور الانسان لأشنان أرضية ولكنه سيخلد إلى الأرض. من أجل هذا يخلد الثوريون في مصر، الجزائر، السودان إلى الأرض في أول منعطف تاريخي يثورون، ويخلدون إلى الأرض بين فترة وأخرى.. لأنه ليس هناك من حضور للحسين.. لدموع من أجل الحسين.. الحسين الذي يعني معانقة الموت والاستشهاد.

مرّة يكون الضحك والبكاء بسبب حسي عسبي وفي هذه الحالة ليس هناك من جدوى يعني يبكي الانسان وهو يصغي إلى مارش جنائزي، ويضحك لدى سماعه طرفة ساخرة. ذلك ان لكليهما مبدأ حسي وعسبي.

ولكن من يتأثر عرفانياً ويزرف الدموع حزناً لن يضحك إلا بعد سنوات طوال. السجاد الذي شهد مأساة كربلاء لم يشاهد ضاحكاً مدة أربعين سنة. فيما رفضت احدى السيدات أن يظلها سقف بعد الذي جرى على الحسين. أن الذي يبكي بمارش حزين ويضحك لطريقة لن يجني أثراً عقلياً لا من ضحكه ولا من بكائه.

الدموع ثروة انسانية والعامل من ينفقها على الحبيب..

الجاهل يبعثر دموعه دون طائل.

والله سبحانه يقول: ﴿ وانه هو أضحك وابكى ﴾^(١).

اننا لن نتصر على الغول الكامن في اعماقنا إلا بالدموع.. عندما نعود من ساحات الصراع ظافرين.. نعود لنبكي.

وهذا علي بن أبي طالب بطل الاسلام والسيف الذي لا يهزم، ينظر الى الدموع سلاحاً للرجال الالهيين فيقول في دعاء كميل: «وسلاحه البكاء». فمن لا يكون من أهل النوح على نفسه والبكاء، لن يكون من أهل تهذيب النفس وترويضها.

ومن أراد أن يهزم عدوه في داخله عليه أن يذرف الدموع على سيد الشهداء. الذين عاشوا سنوات الدفاع المقدس الطويلة، شهدوا كيف تهيمن مراثي الحسين على الخطوط الامامية في جبهات الحرب والقتال. لقد شهدت بنفسي كيف يلتهب شعور المقاتلين في الخطوط الامامية، عندما ترتفع في الفضاء مراثي عاشوراء.. إنّ من يذرف الدموع على الحسين يشقائق الى الشهادة.

وامّة كهذه لا تعرف الموت.

من أجل هذا كان الامام الراحل يؤكد باستمرار: كل ما عندنا هو من كربلاء.. من يوم عاشوراء.

وإذا آمنّا بأنّ الثورة الاسلامية هي من بركات النهضة الكربلائية فليُنظر الى من ربّى الحسين لأن كل ما هو في العرض لا بد أن ينتهي الى ما هو بالذات. الحسين بن علي عليه السلام له صحبة مع الرسول الأكرم ﷺ وتربية الرسول ﷺ نجدها في كلماته وهو لا ينطق عن الهوى انما هو وحي يوحى.

ومن هنا يمكن الاشارة الى المحاور الأصلية في النصر في أقسام أربعة:

الأول: التأمل في مشيئة الله سبحانه وعلمه وفعله.

الثاني: التأمل في سيرة النبي الأكرم ﷺ العلمية والعملية الذي هو أول تجلّ

الله سبحانه.

الثالث: التأمل في سيرة أهل البيت عليه السلام عموماً في سيرة الحسين عليه السلام خاصة.

الرابع: التأمل في سيرة نائب الامام المعصوم يعني الامام الراحل عليه السلام.

والآن نشرح هذه الاقسام:

فيما يخص القسم الأول ان الله سبحانه يدبر شؤون العالم باسمين من اسمائه

الحسنى: «الحكيم» و «الغني».

ولأنه حكيم وذو جود وقسط وعدل فان كل أفعاله تنطوي على غاية وهدف.

ولأنه غني صمد^(١)، لا هدف له، فلأنه هو المبدأ ولا مبدأ له.

ان كل عمل انما هو لنيل الكمال، ولكن اذا أراد ذات الكمال المحض فلأنه هو

الكمال.. فمنه يصدر العمل لانه يعمل من أجل بلوغ الكمال.

إذن فلانه الغني، فلا هدف له، بل هو ذاته الهدف، ولأنه حكيم ففعله هادف.

والهدف الذي ذكره الله سبحانه من وراء الخلق عبارة عن «العلم.. والعمل»

يعني:

١ - ادراك أسرار الخلق ورموز الخليفة.

٢ - الخضوع في رحاب الخالق والتواضع في ساحته.

فالذي لا يعلم شيئاً، لا يبلغ الهدف الذي يعلم ولا يملك.. يعني ان من لم يرق

علمه الى الغنى هو أيضاً لا يبلغ الهدف.

ومن لطائف الأدب لدى الخوجة عبدالله الانصاري قوله:

«اللهم إن كنت عالماً» فاجعلني «غنياً» لأنه لا يوجد من يسمع كلام العالم.. على

العكس من كلام الغني.

والغني من حاز علماً..

وما أعمق تأوهات هذا العارف اذ يقول: الهي لا أعرف ما أملك ولا أملك ما

أعرف.

(١) الذي لا يحتاج الى أحد.

الله سبحانه يريد من الانسان عالماً غنياً، وقد أشار القرآن الكريم الى «العلم» في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾^(١). وهذه اشارة الى السيرة النظرية.. يعني خلق العالم من أجل أن يعلم الإنسان عظمة الخلق ويوحده الله ويعرفون ان الله «عليم قدير».

وهناك اشارة قرآنية الى هدفية الخلق في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾^(٢).

وهاتان الآيتان تبيان السيرة النظرية والعملية للخلق يعني ان هدفية الخلق تكمن في:

- خلق العالم من أجل الانسان العالم.

- الخلق من أجل الانسان العابد.

وقد جمع الامام الحسين هاتين الآيتين في قوله عليه السلام: «ان الله سبحانه وتعالى ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبده، فإذا عبده استغنوا عن عبادة ما سواه»^(٣).

ومعنى هذا: «المعرفة + العبادة» فالعارف العابد لا يعترف بغير الله.

القسم الثاني:

فيما يخص القسم الثاني. في أول خطبة في نهج البلاغة يتحدث الامام علي عليه السلام عن الغاية من وراء بعث الانبياء عموماً ورسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً: ان سلسلة الانبياء تتصل حلقاتها حتى تصل الى الرسالة الخاتمة في نبوة سيدنا

(١) الطلاق: الآية ١٢.

(٢) الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) علل الشرائع: ٩، كنز الفوائد: ١١٥.

محمد ﷺ: «فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة»^(١).

فالناس في ضوء رسالة النبي ﷺ علموا وعملوا، استحال جهلهم الى علم، وسلكوا الجادة بعد أن كانوا حيارى تائهين.

ونعود الى القرآن مرّة أخرى لنرى أن هذه الآية في قوله تعالى: ﴿يَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢)، فالتزكية هي السيرة العلمية و «التعليم» هو السيرة النظرية.

القسم الثالث:

وعندما نصل في البحث الى أهل البيت ﷺ وثورة سيد الشهداء العالمية نرى في زيارة أربعين الحسين بن علي ﷺ هذا الخطاب: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»^(٣) فتورة الحسين جاءت انقاذاً للناس من الجهل والتهيه.. من أجل أن يعلموا وأن يعملوا.. الاكتشاف والسير في الطريق المضيء.

القسم الرابع:

والآن نبحث في سيرة الامام الراحل: النظرية والتطبيق؛ ونرى في كلماته وأحاديثه في الخلاء والملا هذين الأصلين وهما ان الانسان عندما يدرك المعارف الالهية يمنح هذه المعارف قيمة عملية.

فمن حاز هذين الاصلين، يعني ادراك نظام عملية الخلق والانصهار في هذا الفهم اصبح حرّاً.

وعندما تتضح له مفاهيم القيامة والجنة والجحيم.

ومن لا يؤمن بالله سوف يعمل بما يمليه عليه الهوى والهوى هو أسوأ إله

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٨.

(٢) آل عمران: الآية ١٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٦/٩٨ الرواية ١٧.

يتخذه الانسان.

فما نراه من قول بعضهم أنا أقول ما أشاء، وأفعل ما أشاء يعني ان الهي هواي:
﴿أقرأيت من اتخذ الهه هواه؟﴾^(١).

فمن كان الهه هواه تكون جنته شهوته وجحيمه غضبه وهو يعيش بين نعيمه
وجحيمه وسيكون معاده في هذه الدائرة فقط.

اذن فمن كان له إله وكانت له قيامة وجنته وجحيمه شاء ذلك أم أبى.

انه يفرح لأقل شيء ويغضب لأدنى شيء.

ولكن لو كان آمن بالله حقاً وصدقاً، لتحرر من عبادة نفسه وهواه وتحرر من
عبادة الآخرين وهذا الذي اشار اليه سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في قوله:
«فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عباده عما سواه» فمثل هذا الانسان لا يعبد غير الله
أبداً كائناً من يكون.

لقد تشرب الامام الحسين هذا الفكر وجسده في نهضته التاريخية فلقد كانت
خطبه تنضح بالتوحيد.

منذ انطلاقة في مكة وهو يتحدث عن الله الوطن.

الوطن هو المكان الذي يولد فيه الانسان ويخرج منه ثم يعود اليه.

الوطن ليس المياه والتراب، وطننا جميعاً هو المكان الذي جئنا منه.. وقد أبدع

شيخ الاشراف في قوله:

وطني ليس مصر ولا العراق وشام

وطني في كل مكان ليس له اسم^(٢)

(١) الجائية: الآية ٢٣.

(٢) الشاعر الباكستاني: اقبال اللاهوري.

فالانسان القادم من الله: ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ موطنه الله، ومن كان له حنين الى الوطن وطن نفسه للقاء.

وقد وطن سيد الشهداء نفسه في اللقاء يوم عاشوراء، عندما اعلن في مكة: «من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

وفي ليلة عاشوراء عرض الامام الحسين على أصحابه الانصراف وأنهم في حلّ من بيعته؛ ولكن ماذا حصل؟ الذي حصل ان اصحابه أعلنوا شوقهم للقاء الحق وانهم لن يتراجعوا عن الطريق الذي اختاروه.

ان من بين أبطال كربلاء رجال قطعوا ١٢٠٠ فرسخ^(١) في ظروف بالغة القسوة.. ومن المحتمل أن ذلك الرجل واسمه سعيد بن عبدالله الحنفي قد قطع هذه المسافات مشياً.

فأية قوّة دفعت بهذا الانسان الى أن يطوي هذه المسافات الطويلة، ونفسه ممتلئة بشوق الاستشهاد!؛

هذا انسان ينهل من «الكوثر» بعد أن تحرر من «التكاثر».

ان المسافة الممتدة بين مكة والكوفة تبلغ ٣٠٠ فرسخاً وكان سعيد من ممثلي مدينة الكوفة.. قطع هذه المسافة ليوصل الامام الحسين رسائل أهل الكوفة.

ثم عاد الى الكوفة بصحبة مسلم في طريق بعيد عن أعين الجواسيس.. عاد الى الكوفة ظامناً جائعاً بعد تيه في صحراء مليئة بالرمال.

وسيقطع المسافة للمرّة الثالثة بعد شهادة مسلم بن عقيل والأحداث الدامية التي أعقبت ذلك.

ثم ليعود مرّة رابعة الى الكوفة برفقة الامام الحسين والآن وهو في يوم

(١) الفرسخ = ٣ أميال عربية، الميل العربي = ٢ كم تقريباً (المترجم).

عاشوراء وقد حان وقت صلاة الظهر. الحسين عليه السلام يستمهل العدو فرصة لأداء الصلاة لكن دون جدوى ويتقدّم سعيد الحنفي ليكون درعاً أمام الحسين يتلقى السهام الغادرة.

ويصلي الامام آخر صلاة في ظروف رهيبة.. لقد كانت سهام الموت تنطلق اليه فيصدّها الحنفي بصدرة وكفّيه.

وعندما امتلاً جسمه بالسهام سقط على الأرض، وكان الامام قد انتهى من صلاته فقال الحنفي بصوت فيه حشجة للحظات الأخيرة من الحياة:

- أوفيت يا ابن رسول الله؟

ويأتيه الجواب: أنت بين يدي في الجنة.

ووفقاً لرواية الامام الباقر عليه السلام فان جنود الحسين يوم عاشوراء لم يكونوا يستشعروا آلام الضرب والطنع والجراح إلا بما تولده القرصة من ألم.. لماذا؟ لأن الروح هي مصدر الألم والفرح.

يصوم أحدهم فيشعر بوطأة الظمأ والجوع.. ويصوم الآخر فلا يرى فيه إلا النشاط والابتهاج.. ليست الظروف الفيزيائية متساوية للثنتين..

فلماذا يتعذب الأول، وينطلق الآخر؟!

لأن الروح لدى الثاني مشدودة الى نقطة بعيدة عن الظروف المادية.

ولقد كان أبطال كربلاء من تلك الروح العظيمة المبهورة بالغيث.

وخلال لحظات نبت في جسم سعيد. ثلاثة عشر سهماً لم تفجر في روحه

العاشقة من الألم إلا بقدر ألم الوخزات.

والان ننقل نماذج عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الامام الحسين عليه السلام وعن الامام

الراحل عليه السلام.

فيما يخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انه في غمرة الظروف العصبية ربّما جاز

للمسلمين التراجع إلا النبي ﷺ فلا.. لأن الله سبحانه يخاطبه: ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين ﴾^(١).

وهذه أيضاً كلمات علي بن أبي طالب يقول: «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»^(٢).

وعندما يصل الدور إلى الحسين نجل علي وسبط النبي ﷺ وفيما كانت التقارير ترد إليه وتؤكد تدهور الوضع في العراق والحجاز، وأنه لم يعد هناك مكان آمن، فلا تجازف بحياتك وحياة أهل بيتك أجاب بإيحاء: «والله لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»^(٣).

الآن ونحن في عصر وارث الحسين الامام الراحل وفي النصف الأول من عام ١٣٥٧هـ^(٤) وفيما كانت الثورة في ذروة الاشتعال أمر العدو الذي يسير كلاً من ايران والعراق أن يتم ابعاد الامام من النجف.

كان من المقرر أن يسافر الامام إلى الكويت بعد ضغوط تعرّض لها الامام في ضرورة مغادرة العراق..

الكويت اغلقت حدودها يومذاك.. لم تسمح للامام أن يلتقط أنفاسه في مطارها وهو الشيخ الذي اتعبته السنون، ماذا كان موقف الامام قال: لو لم يبق لي مكان آمن على وجه الأرض فسأنتقل من مطار إلى مطار ومن ميناء إلى ميناء وأقود الثورة». ليست هذه الكلمات صدئى لكلمات الحسين بن علي؟ ليست هي ترجيعة لكلمات ثائرة هتف بها الامام الحسين قبل اربعة عشرة قرناً؟

(١) النساء: الآية ٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧٥/٣٣ الرواية ٦٨٦.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٨٨/١، تاريخ الطبري: ٢٢١/٧.

(٤) ١٩٧٨م.

لم يكن هناك يومذاك من مأوى للامام ولا ملجأ إلا الله وهذا هو قدر الانسان المؤمن الذي يلتهب وجدانه بقوله تعالى: ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾^(١).
 ميثاق وثيق يربط الامام الراحل بأهل البيت عليهم السلام وسيد الشهداء خصوصاً.
 انه يحمل ميراثهم المقدس، وكلما كان الارتباط وثيقاً كان الميراث عظيماً ولذا انقطع بموته مالم ينقطع بموت غيره من العلماء الربانيين.
 الموضوع الختامي في هذا البحث هو أن الامام الحسين عليه السلام وفي كثير من نداءاته وخطبه ورسائله يؤكد أن ثورته ونهضته لا تنحصر به ولا تقتصر عليه.
 ولذا فهو يعبر دائماً بقوله «مثلي»..
 فهو يقول مثلاً وبعد أن يستعرض شخصية يزيد شارب الخمر و: «ومثلي لا يبايع مثله».

وعندما عرضت عليه البيعة سرّاً قال: «مثلي لا يبايع سرّاً»^(٢).
 حتى عندما عرض عليه أن يسلك طريقاً غير الطريق العام في الهجرة من انمدينة إلى مكة رفض ذلك قائلاً: مثلي لا يفعل ذلك.
 حتى عندما يتحدث عن يزيد يستخدم هذا التعبير كقوله عليه السلام: «وعلى الاسلام السلام إذ قدبلت الأمة براع مثل يزيد»^(٣).
 وإذن فالصراع بين الحسين ويزيد لم يكن صراعاً شخصياً بل هو صراع بين جبهتين.

ولذا فان الامام يقول ان مثلي لا يبايع مثل يزيد.

(١) الكهف: الآية ٢٧.

(٢) ناسخ التواريخ: ٣٨٥/١.

(٣) مقتل العوالم: ٥٣/١، ناسخ التواريخ: ٣٨٨/١.

فالنهج الحسيني ميراث في روح الامام الخميني، وهو النهج المنتصر دوماً باذن الله مهما شنت الحروب عليه لأن الله سبحانه يقول: ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾^(١).

واننا نعيش مصداقاً من هذه الحروب التي أوقدها العدو من أجل اطفاء كلمة الله ولكن هيهات... تنطفىء الحروب وينتهي العدوان.. وتبقى كلمة وهي العليا متألفة الى الأبد.

الفصل الثالث عشر

أعمدة الثورة.. أو زاد الامام الخميني

- ربيع ١٩٩٠ -

محور البحث في هذه المقالة رسم صورة للثورة الاسلامية وشرح أركانها وأعمدتها والاشارة الى قدر من معطياتها ومكتسباتها باعتبارها ميراث الامام الخالد.

١ - ان القرآن الكريم رسم واجبات الانبياء عليهم السلام عموماً والنبي صلى الله عليه وآله خصوصاً وعصارتها جميعاً تجتمع بشكل ثورة فكرية ووجدانية.
الوظيفة والواجب الالهي للنبي صلى الله عليه وآله هي «تلاوة الوحي»، «تعليم الكتاب والحكمة» و«تزكية القلوب».

﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾^(١).

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾^(٢).

هذه هي رسالة النبي صلى الله عليه وآله.. ثلاثة واجبات: تلاوة الوحي الالهي، تزكية القلوب وتعليم الناس الكتاب والحكمة.

وعندما تجتمع هذه الوظائف الثلاثة في فعلها، يحدث تغير اجتماعي وفي غير

(١) آل عمران: الآية ١٦٤.

(٢) البقرة: الآية ١٢٩.

هذه الحالة فلا.

عندما يتلئ الوحي وحده، أو عندما يتم تعليم الكتاب والحكمة، ولكن لم يصل المجتمع مرحلة تهذيب النفوس وتزكية القلوب فلن يحدث التغيير المنشود في المجتمع.

وإن فان التحولات الاجتماعية مرهونة بتحقيق هذه الأركان الثلاثة وقد استخدم الامام علي عليه السلام فعلاً منبثقاً من جذر الثورة لخص فيه رسالات الانبياء في قوله:

«ويثيروا لهم دفائن العقول»^(١).

ولا شك ان الثورة هي أجلى صور التغيير الاجتماعي: وهذا يعني أن الانبياء ثوار، وهم يمتازون على غيرهم بان ثورتهم الأساسية تحدث في الجذور.. في أعماق النفس الانسانية، وعندها تنعكس اشعة هذه الثورة الالهية في المجتمع بشكل جلي.

٢- ان كل ثورة تتألف من ثلاثة اركان هي:

أ - قائد الثورة.

ب - ثوار أوفياء.

ج - ميدان الثورة.

وقد أصبح واضحاً لدينا حتى الآن ان الهدف من رسالة الانبياء هو احداث ثورة في باطن المجتمع، وأن تلك النفوس المقدسة هي التي تحمل هموم هذه الثورة (وهذا هو الركن الأول).

اما سمات وصفات الثوار بالحق (الركن الثاني) فقد وردت في كلمات الناطق

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

باسم الوحي سيدنا علي عليه السلام إذ وصفهم بما يلي:

«أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن: يرتلونه ترتيلاً ويستثيرون به دواء دأئهم»^(١).

يعني أنهم يفكرون بهوم الثورة الوجدانية في أعماق النفس الانسانية. انهم لا يتلون الكتاب العزيز لمجرد التلاوة، بل ويستثيرون من الآيات القرآنية ما يعالجون به الأمراض النفسية والروحية. والاستثارة مشتقة من الثورة.. فهناك ان هوم الثورة يحملها اولئك المصلحون.

وأما الركن الثالث للثورة:

انه ما دام الشعب بأسره لم يتأثر بالفكر، الثوري ولم يستجب لقائد الثورة، فان الثورة لن تثمر.

وعندما تحين اللحظة التي يهب فيها الشعب لنداء قائد الثورة كمحور للجهد الثوري، يتبلور ميدان الثورة، و«الميدان» في الثقافة العربية مجال الحركة المحورية.

ويخاطب الامام علي الناس مشيراً الى ميدان الثورة والمحور وهم أهل البيت عليهم السلام بقوله:

«فبادروا العلم من قبل تصويح نبتة، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستنار العلم من عند أهله»^(٢).

وإذن فان خلاصة هذا البحث هي:

(١) المصدر السابق: الخطبة ١٨٤.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة ١٠٤.

أولاً: أن الانبياء جاءوا لاشغال الثورة.

ثانياً: أن قادة الثورة هم الانبياء.

ثالثاً: الثوار بالحق هم الرجال المتقون.

رابعاً: محور الثورة هو عقيدة أهل البيت عليهم السلام.

٣- ان الانبياء جاءوا للثورة، ولكن يتوجب أن نعرف قادة الثورة في غياب

الانبياء.. من هم قادة الثورة؟

ان حديث الامام الصادق يلقي الضوء على هذا الموضوع:

- ان مقام الامامة مقام شامخ.

- ان استمرار الامامة ضرورة حياتية.

- وحدة القيادة والامامة.

وحديثه عليه السلام جاء في تفسير هذه الآية الكريمة من قوله تعالى:

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً﴾^(١).

ففي رواية هشام بن الحكم ان الامام الصادق قال لدى جواب عن سؤال حول

﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾. «لو علم الله سبحانه وتعالى ان اسماً افضل منه

لسمّانا به»^(٢).

وهذا يعني ان الامامة عهد الهي وأن الائمة اصطفاء الهي.

وأن الامامة هي ذروة الكمال وأعلى مرحلة يمكن للانسان أن يصل اليها، واذا

كانت مهمة الرسل «إثارة دافئ العقول» فمن ينفذ هذه المهمة وهذه الرسالة غير

الامام؟

(١) البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) بحار الانوار: ١٠٤/٢٥.

ومن المستحيل أن يتحقق هدف الانبياء في غياب القائد الديني، ولذا يقول الامام الصادق عليه السلام أنه لا مقام أعلى من الامامة.

وجاء في الروايات هل يترك الله الأرض بغير إمام؟
يقول الصادق ان ذلك محال ولا يمكن أبداً.

و«ان الله سبحانه وتعالى أجلّ وأعظم من ان يترك الأرض بغير امام عادل»^(١).

كما جاء في المأثور من الروايات أيضاً وفي صحيحة الحسين بن العلاء هذا الحوار مع الامام الرضا عليه السلام.

- تخلو الأرض من إمام؟

- لا

- فيكون فيها اثنان؟

- لا.. إلا وأحدهما صامت لا يتكلم^(٢).

٤ - ان الامام علي قد وضع بشكل جليّ مسألة الثورة، وانها تنفلق من القلوب وان المتقين ثوار، لأنهم ومن خلال برنامجهم الديني والقرآني يبدأون حركة الثورة فهم: «يرتلونه ترتيلاً ويستثيرون به دواء دائهم»^(٣).

والدواء هنا يشمل جميع الأمراض الروحية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

واذا كان القرآن قد جاء للشفاء: ﴿يا أيها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾^(٤).

(١) الكافي / ١٧٨ كتاب الحجة ح ٦.

(٢) المصدر السابق ح ١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤.

(٤) يونس: الآية ٥٧.

﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) فإنه أيضاً قد شخص الأمراض.

﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾^(٢).

هذا فيما يخص المرض السياسي.. أما المرض الأخلاقي فاننا نجد الامام علي يشير اليه بقوله: «فتدوّ من داء الفترة في قلبك بعزيمة، ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة»^(٣).

انك لا تعرف عن المستقبل شيئاً.. انت نائم فانفض من نوم الغفلة.. أنت مصاب بمرض الفتور فلتشجذ ارادتك..

وتذكر جيداً انه «لا تجتمع عزيمة ووليمة، ولا بطننة وفطنة»^(٤).

أجل لن يتوقد الذهن الانساني اذا امتلأت البطن بالطعام، وعندما لا يستطيع الانسان أن يعرض عن الموائد الملوّنة.. فانه لن تكون له ارادة وعزيمة.

القرآن الكريم يحذر حتى نساء النبي من الذين في قلوبهم مرض قائلاً: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ إِن اتَّقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾^(٥).

اننا اذا بحثنا هذه المفردة (مرض) لوجدناها عميقة الجذور في الثقافة

(١) الاسراء: الآية ٨٢.

(٢) المائدة: الآية ٥٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٤.

(٤) المصدر السابق: الخطبة ٢١١.

(٥) الاحزاب: الآية ٣٢.

الاسلامية^(١).

كما اننا نجد علاجاً للأمراض الاقتصادية والاجتماعية في أحاديث الامام علي كقوله: «أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرثى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تببت ببطنة وحوالك أكباد تحنّ إلى القَدِّ^(٢)

المجتمع الذي يعيش فيه فقراء مجتمع مريض، والناس الذين يحيا في ظهرائهم حفاة وبؤساء هم مرضى.

انه مرض في الأمة أن يوجد بين أبنائها جياح مشردين، وهذا المرض يجب أن يعالج باقتصاد الاسلام.

وخلاصة البحث هنا ان أمير البيان العربي، عندما يقول ان المتقين هم الذين يرتلون القرآن ليستثيروا به دواء دائهم.. لا يعنى ان من به داء ومرض يقرأ سورة الحمد سبع مرّات فيشفى بالرغم من أن هذه معجزة القرآن الكريم والسبع المثاني أشهر من أن يعرف أحدنا شأنها.

ان الداء الذي يعنيه الامام عليه السلام يتسع ليشمل كل الأمراض النفسية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.. وهذا ما نجده واضحاً في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

٥- اذا كان الامام الخميني عظيماً، فان امته هي الأخرى عظيمة.. كانت مصداق قوله تعالى: ﴿الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الاملائكة الآ تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾^(٣).

لقد هتف الامام الراحل: ربنا الله، واستقام على ذلك حتى النفس الأخير ونهضت

(١) التفسير الموضوعي للقرآن: ٣٨/١.

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٤٥.

(٣) فصلت: الآية ٣٠.

الامة كلها معه تقول: «ربنا الله».. وعليها أن تستمر في الاستقامة.
 واذا ما أردنا أن نعقد مقارنة بين الثورة الاسلامية في ايران والثورة في صدر
 الاسلام ونتساءل لماذا لم ينتصر علي عليه السلام وانتصر وارثه؟!
 اننا سنجد الجواب في كلمات علي نفسها.. في آهاته عندما يقول: «أريد أن
 أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها»^(١).
 فما إن بدأ تجربته في الحكم حتى نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون
 على حدّ تعبيره.
 وهو يدرك أن السرّ في كل ذلك هو حب الدنيا: «حليت الدنيا في أعينهم»^(٢) من
 أجل هذا لم ينتصر علي..
 وهذا لا يعني أن هناك اخفاق في قيادته معاذا لله! كما لا يعني ان الامويين أمكر
 من الاستكبار العالمي اليوم.. كلاً
 ان سياسة الاستكبار العالمي اذا لم يكونوا أمكر من السياسة الامويين فهم
 نظراؤهم.. ولكن لماذا انتصر الامام الخميني ولم ينتصر الامام علي عليه السلام.
 يجب ان نبحت عن السرّ في الركن الثاني والركن الثالث للثورة: اعني «ميدان
 الثورة» و«الثوار الأوفياء» وكان الامام علي عليه السلام يبحث عن مساعديه في العلاج فإذا
 هم مرضى!!
 من أجل هذا خاطبهم علي عليه السلام أداوي بكم وأنتم دائي.
 اما السرّ في انتصار الامام الخميني هو أنه الوارث الاكبر للامام علي عليه السلام، وان
 الشعب الايراني كان وريثاً لاصحاب الحسين عليه السلام فلم يكن في صفوف حواريه ناكث
 ولا مارق ولا قاسط.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٠.

(٢) المصدر السابق الخطبة الشقيسية (٣).

ولو كان للامام الحسين أصحاب كثعبنا لطوى بساط الامويين الى الأبد، ولكن كيف يتأتى له ذلك وكان اصحابه أفراداً قلائل في مقابل آلاف الذئاب؟! اما شعبنا فما يزال حتى هذه اللحظة يملأ حضوره الفاعل ميدان الثورة. ٦- ما قام به الامام الخميني كان فريداً على امتداد القرون الأخيرة.. لقد اعتمد الامام برنامجاً مبتكراً منطلقاً من القرآن الكريم.. على اساس ان الله سبحانه هو مصدر القوة المطلقة.

في قصة جلاء اليهود من المدينة المنورة يقول القرآن الكريم: ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر، ما ظنتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾^(١).

لقد كان اليهود مجهزين بأفضل أنواع الاسلحة، وكانت حصونهم من المناعة بحيث يصعب اقتحامها كما أن مخازنهم متخمة بالمواد الغذائية..

حتى المسلمين لم يكونوا يتصورون أن بإمكانهم الحاق هزيمة باليهود، ولكن القدرة الغيبية فاجأت الجميع بانتصار لم يتوقعه أحد! لقد زال الخطر اليهودي واصبح أثراً بعد عين!

انها قدرة الله سبحانه تجلت في قوة الاسلام.. ربّما يأتي في المستقبل من يهزم القوة اليهودية ولكن الاسلام كان رائد هذا النصر.. ربّما يأتي ساسة يتفوقون على اسرائيل، ولكن السبق الالهي هو الرائد ف ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾.

الأصدقاء والاعداء لم يكونوا يتصورون هذا النصر الساحق للاسلام، ولا تلك الهزيمة المذلّة لليهود..

الاسلام قلب معادلات صراع القوى رأساً على عقب، وها نحن نشهد وبعد

(١) الحشر: الآية ٢.

أربعة عشر قرناً من تاريخ الاسلام المنقوع بالدموع ظهر رجل من سلالة النبي ﷺ ويفاجيء الأعداء والاصدقاء، فيخرج الذين كفروا من أرض ايران، فيكون رائد النصر الجديد.

ومن هنا فأن من يأتي بعده ويطرد الأعداء من بلاد الاسلام فهو من أمة الامام الراحل ﷺ.

أجل اذا انتصرت الثورة الاسلامية في السودان ومصر والجزائر، واذا ما انتصر شعب افغانستان المضحي، والشعب المجاهد في فلسطين واذا ما انتصرت حركات الاسلام هنا وهناك في بقاع العالم المختلفة وهُزم الاستكبار العالمي فان كل أولئك الثوار هم ابناء الأمة الخمينية.

لأن الامام الراحل هو أول من قلب معادلات الصراع وموازن القوى.. وهو وحده الذي فاز بجائزة إمامة القرآن الكريم..

وبعد أن اثبت القرآن السبق الالهي في الظفر، مجّد المهاجرين الأولين باعتبارهم السابقين في قوله تعالى: ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين ﴾^(١).

وقد أشار القرآن الكريم أيضاً الى الفرق الجوهرية بين الذين اعتنقوا الاسلام قبل الفتح الاكبر (فتح مكة) وبين الذين اعتنقوه بعد الفتح: ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾^(٢).

وكما ان هناك فرق شاسع بين العالم والجاهل: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون ﴾^(٣).

(١) التوبة: الآية ١.

(٢) الحديد: الآية ١٠.

(٣) الزمر: الآية ٩.

وأيضاً بين المجاهدين والقاعدين وقد ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين
أجراً عظيماً ﴾^(١).

كذلك هناك فرق كبير بين الثوريين قبل انتصار الثورة وبين الثوريين بعد
انتصارها.

وعندما نعقد مقارنة بين الذين عانوا ما عانوا في زمان الجهاد والكفاح من أجل
أعلاء كلمة الاسلام.. تشردوا طوردوا سجنوا كبتلوا بالسلاسل والاعلال.. وقد
رسمت السياط.. سياط الجلادين خطوطاً زرقاء وسوداء على جلودهم.. عندما
نقارنهم مع الذين تقيأوا ظلال الثورة وقد انتصرت وهزمت حراب القتلة.. عندها
سنجد فرقاً عظيماً.. لا يستوي الثوار قبل الفتح مع الثوار بعد الفتح!

لو ان مسجداً مشرعة أبوابه للجميع، فمن كان - بيته قريباً يلج المسجد مبكراً
ومن كان بيته بعيداً يصل متأخراً.. هناك تفاوت بين الاثنين ولكن القرآن لا يكثرث
له كثيراً لأن هذا سبق زمني لا يعد مجداً.

السبق الزمني الذي يعد أساساً للمجد هو انتخاب المرء عقيدة اكتشف
حقانيتها قبل الآخرين، فبادر الى اعتناقها وتحمل ما تحمل في سبيلها، وبهذا كان
علي بن أبي طالب يحتج على خصومه بسبقه الى الاسلام فيما كان خصومه يومها
غارقين في الكفر^(٢).

ومن هنا ينطلق مجد أهل البيت حيث: «علي اقدمهم سلماً»^(٣).

ومن هنا يفتخر أصحاب النبي المنتجبين بعلي الذي هو «أقدمهم سلماً».. ومن

(١) النساء: الآية ٩٥.

(٢) «ولم يجمع بيت واحد في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما».

نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٩٦/٢٢ الرواية ٤٣.

هنا أيضاً نكتشف مجد الامام الخميني الراحل لأنه كان سباقاً الى المجد فكان من السابقين الأولين لأنه كان امام الثائرين لا ينازعه مجده ثوار الشرق الاقصى والأدنى ولا ثوار يوالون الأدنى والبعيد.

٧- يمكن أن نرى زاد الامام الراحل في كثير من المسائل العادية.. ولكن اعظم شيء فعله الامام هو احيائه علوماً معطلة وفتح آفاقاً مسدودة.. كم من الأذهان شحذ وكم من القلوب زكئ!

كم من القضايا الحساسة في الفقه الامامي حُجر عليها قبل الثورة لأنها ليست محل ابتلاء!!

لقد ظلت مسائل حساسة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد، القضاء، الشهادات، القصاص، الحدود، الديات والتعزيرات في هامش الدراسات الحوزوية فتراكم عليها غبار التاريخ والزمن.

ثم اذا بالامام يثير هذه الدقائق في الكتب، وفي العقول فظهرت كنوز المعرفة الاسلامية من جديد، هذا وفيما يخص الفقه..

أما العلوم العقلية مثل الكلام، الفلسفة والعرفان، التي هي خلاصة الادعية المأثورة والمناجاة لأهل بيت النبي ﷺ فلم تكن نسياً منسياً فحسب بل كانت محاربة مطرودة تستهدفها لعنات اللاعنين، حتى اذا جاء الامام أعاد اليها اعتبارها واحترامها ورونتها.

اننا لو درسنا حياة الذين اعتنقوا الاسلام، لرأينا ان أكثرهم انما تأثروا بمناجاة أئمة أهل البيت وأدعيتهم وعندها سنكتشف أثر «العرفان» في عالم اليوم.

فالائمة من أهل البيت اذا تحدثوا الى الخلق كانت لهم لغتهم البسيطة التي تخاطب الناس على قدر عقولهم لأن مهمهم ارشاد الناس^(١) ولكنهم عندما يخاطبون

(١) «ما كلم رسول الله العباد بكنه عقله قط» اصول الكافي باب العقل والجهل: ح ١٥.

الخالق فلهم لغة أخرى.

لقد أحيا الامام الخميني هذه العلوم، ولهذا ما إن تطبع رسالة أو مقالة في الفلسفة والعرفان فقبل أن تنتشر في ايران يتلقفها الضامثون في خارج ايران لترجمتها الى مختلف لغات العالم..

وهذا معناه إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام.

وهنا يكمن مجد الامام الراحل عليه السلام.

ومن هنا ندرك فجيعة الامام علي، وهو يخاطب الرسول الراحل قائلاً: «لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد»^(١).

وحق لنا أن نخاطب هذا الامام العظيم قائلين: «السلام عليك يا بن رسول الله، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من العلماء الربانيين».

وكما أعرض الامام علي عليه السلام عن الخضاب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة»^(٢).

وكما خاطب الامام علي عليه السلام النبي الاكرم بعد أن أهيل عليه التراب قائلاً: «إنّ الصبر لجميل إلاّ عنك وان الجزع لقبيح إلاّ عليك»^(٣).

فحق لمسلمي العالم أن يفجعوا برحيلك يا سيدي.. ايها الامام الحبيب لأنهم فقدوا بموتك مالم يفقدوا بموت غيرك.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق: الحكمة ٤٦٥.

(٣) المصدر نفسه: الخطبة ٢٢٦.

الفصل الرابع عشر الامام الخميني .. مجدداً

- ربيع ١٩٨٩ -

الثورة العقيدية لا يمكن حصولها دون منطلق فكري أو قاعدة فكرية، والخطاب القرآني للنصارى واليهود يصرح:

﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾^(١).

و«على شيء» تعني قاعدة التوحيد حيث تستمدُّ كلمات الانجيل والتوراة قوتها وشرعيتها..

بالرغم من إن الخطاب القرآني موجه لأهل الكتاب، ولكنه ينسحب على المسلمين.

وإذن فإن المسلمين اذا ما أرادوا أن يكونوا على شيء فعليهم اقامة القرآن الكريم.

والسرّ في إقامة المعصومين عليهم السلام للقرآن الكريم: حيث نخاطبهم ونشهد لهم قائلين: «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة وآتيت الزكاة»^(٢) يكمن في أنهم كانوا «على شيء» ثابت مستقر غير متزلزل فكرياً.

ومن هنا ان من يريد أن تكون لثورته صبغة عقيدية دينية فعليه أن ينطلق من

(١) المائدة: الآية ٦٨.

(٢) مفاتيح الجنان - زيارة الامام الحسين.

قاعدة صلبة وإلّا أخفق هو واتباعه في الثورة.

والآن لننظر الى الامام الراحل ماذا فعل؟ وما هي طبيعة قلعته الفكرية
الحصينة؟

لقد انطلق الامام الراحل في نهضته من الحوزة العلمية بقم، ذلك أن قاعدته
الفكرية انبثقت من (الفقه).

لقد قام بدراسة المواد الخام للفقه ونظمه ثم استخلص بعد ذلك النتيجة.
ولأنه رتبّ في البداية الجهود الكبرى لمن سبقه من العلماء، ثم انطلق من كل
ذلك فان من الضروري ان تناقش مسار التحولات في العلاقة بين علماء الدين
والجماهير.

لقد انطوت سنون متمادية، وكانت العلاقة بين الفقيه والناس هي علاقة
«المحدّث» و «المستمع».

وخلال هذه الحقبة ساد الفكر الاخباري الذي اتسم بالجمود والحجر على
الاجتهاد.

وكانت العلاقة الوحيدة بين الفقيه والمجتمع، تنحصر في نقل الحديث وشرح
معناه الشكلي فقط لأن الفقيه لا يحق له الاستنباط أبداً!

ولكن التيار الاخباري انهار في النهاية على يد المرحوم الوحيد البهبهاني^(١)

(١) محمد بن باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني. شهد انهيار الحكم الصفوي اثر
اجتياح الأفغان لايران وسقوط العاصمة اصفهان. هاجر الى العراق واستقر في مدينة كربلاء
المقدسة، وهناك بدأ نشاطه الديني فتخرج على يديه اساتذة كبار تألقوا في العلوم الدينية
وكان لهم شأن كبير في طليعتهم السيد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء،
والحاج ملا مهدي التراقي و...

تمكن من مواجهة التيار الاخباري الذي سيطر على الحياة الفكرية مدة اربعة قرون وبعده
هزيمة الاخباريين لقب الوحيد البهبهاني - «استاذ الكل».

حيث انبعثت من جديد حركة الاجتهاد وانبعثت الحياة في التيار الأصولي. واكتسبت علاقة الفقيه بالناس شكلاً جديداً، هي العلاقة «المرجعية» حيث المرجع مقلدٌ وعمامة الناس مقلدون.

وحيث المجتهد يتولّى مهمة الاستنباط الفكري واستخراج الحكم الشرعي من مضانته ويقدمه الى الناس للعمل به.

الاجباريون انكفأوا في نشاطهم الفكري داخل دائرة «الحس» لأن عملهم هو نقل التقارير الخبرية، أما الأصوليون فقد انطلقوا في دينا «الحدس» حيث للفقيه حقه في الاستنباط والتحرك في دائرة عقلية واسعة تتضاءل فيها المحسوسات.

فلاجتهاد الاصولي ارتفع بالعلاقة بين الناس والفقيه من مستوى الحس الى مستويات العقل... يعني بدل أن يصغي الناس فقط الى الروايات والأخبار فقلوا عقولهم أيضاً.

أصبح الفقيه «مرجعاً» وعلى الناس أن يقلدوه، واستمر الوضع بهذه الصورة سنوات طويلة، ثم ظهرت فيما بعد من خلال الكتب والمصنفات الفقهية مسألة «ولاية الفقيه».

وبالطبع فان ولاية الفقيه لم تظهر فجأة وانما لها جذور ضاربة في العمق، لكنها لم تظهر بهذه القوة إلا حديثاً، ولم تشغل مكانها الأساس إلا في العصر الحاضر بحيث نمت وترعرعت بل وألقت بظلالها الوارفة على المسائل الفرعية.

يعني إن امثال النراقي عندما طرحوا مسألة ولاية الفقيه^(١) انما طرحوها في دائرة الفقه كأبي مسألة فقهية، وبذلك خرجت من موقعها الأصلي كمسألة كلامية^(٢)

(١) عوائد الايام / الملاً احمد النراقي: ١٨٥.

(٢) ولاية الفقيه (القيادة في الاسلام): ١٣٢ بالفارسية.

واستقرت في علم الفقه وبذلك تحددت تماماً، ولم تشهد أي نموّ يذكر.. أي لم تعد تلك الشجرة الطيبة التي ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾^(١).

وبالرغم من أن طرحها في علم الفقه هو تحول مهم ولكنها لم تزدهر. الامام الراحل هو الذي انتشل هذه المسألة الحياتية من علم الفقه، وأخذ بيدها ليعيدها إلى موقعها الأصلي في علم الكلام؛ ثم لتلقي بظلالها على المسائل الفقهية. وقبل أن نوضح ان مسألة ولاية الفقيه مسألة كلامية، وليست مسألة فقهية يجب أن ننظر إلى الحدود بين التشيع والتسنن، ولماذا تعدّ مسألة الامامة من المسائل الأصولية لدى الشيعة فيما هي تعدّ مسألة فرعية لدى إخواننا أهل السنة؟ ولماذا نبحت نحن الامامة في علم الكلام فيما يبحثها أهل السنة في علم الفقه؟^(٢)

ان السرّ في هذا التفاوت هو اعتقاد الشيعة بان الامامة امتداد للنبوّة.. والنبوّة ليست من شؤون الانسان بل هي عهد الهي، وكل ما هو الهي بحثه عقائدي وكلامي يعني أنه «يجب عن الله» لا «على الله» أن يرسل نبياً كما «يجب عن الله» لا «على الله» أن يكون للنبي خليفة معصوم.

الامامية يعتقدون ان الله خلق الانسان وأنشأه، ولذا فان الشريعة يجب أن تأتي من الله.

فالامامة شأن الهي لا شأن بشري وكل علم يبحث فعل الله يدخل في دائرة «الكلام» ولذا فإنها مسألة كلامية عقيدية.

أما أولئك الذين يعتقدون بأن الانتخاب البشري هو الملاك في تعيين الامام

(١) ابراهيم: الآية ٢٤.

(٢) حول الوحي والقيادة / المقدمة - بالفارسية.

وأن السقيفة يمكنها أن تختار خليفة النبي.. إنَّ هؤلاء هبطوا بالمسألة الكلامية الى مستوى المسائل الفقهية.. من عالم الأصول الى دنيا الفروع.. فاصبحت الامام مجرد مسألة فقهية^(١).

والنقطة الجديدة بالاهتمام هي أن العدو وقبل أن يفكر باقصاء «الفقيه» من ميدان السياسة فإنه يعمل أولاً على اقصاء «الفقه» بعيداً عن السياسة.. وقبل أن يعمل على تحجيم «الولي» فإنه يحاول اقصاء «الولاية» وقبل أن يقوم باقصاء «الأئمة» يقوم باقصاء «الامامة».

«ومن هنا أصبح علياً جليس البيت لأنه لم يصوت له أحد».

والغرض إنَّ الامام لم يُزَوَّ إلا بعد ازواء الامامة، وذلك الرجل الانصاري الذي هتف: «منا أمير ومنكم أمير» جعل من مسألة الامامة أمراً بشرياً وليس أمراً الهياً، فهبط بها من الثريا الى الثرى!

ولذا فإنه عندما يراد ابعاد الفقيه خارج الساحة فإن أول خطوة هي اعتقال الفقه. عندما نلاحظ في مجموعتنا الروائية، أنَّ قسماً من الامامة يزدهر في البحوث العقائدية وقسماً آخر منها يزدهر في علوم الفقه، فنرى الامامة تبحث الى جانب الصلاة الصوم والحج والزكاة والجهاد وكذا نراها تبحث أيضاً الى جانب النبوة، فإنَّ السرَّ في ذلك ان لها (الامامة) ضلعان: ضلع في فعل الله حيث «يجب عن الله»

(١) الفقه علم جليل يبحث فعل المكلف، وعندما يكون الموضوع فعل المكلف فهذه مسألة فقهية سواء كان دليلها منقولاً أو معقولاً.. فعندما تكون الصلاة أمراً واجباً فمعنى هذا انها مسألة فقهية، سواء كان دليل الوجوب عقلياً أو قلبياً، ومن هنا تعتقد طائفة من إخواننا أهل السنة ان الامامة واجبة عقلاً (المعتزلة) فيما تعتقد طائفة أخرى بوجود الامامة بالاستناد الى الدليل النقلى (الاشاعرة) وفي جميع الأحوال فانها تبحث كمسألة فقهية موضوعها فعل المكلف ولذا فهي (الامامة) من فروع الدين.

تعيين الامام، وضلع آخر في فعل الخلق حيث «يجب على الناس» التسليم لولاية الامام.

فكما أن على الناس أداء الصلاة، على الناس قبول حاكمية الامام أيضاً. فعندما تبحث (الامامة) الى جانب الصلاة فمعنى هذا فعل المكلف وعندما تبحث الى جانب النبوة فمعنى هذا فعل الله.

الشيعة ينظرون الى الامامة كما ينظرون الى النبوة، فهي فعل الهي كما يبحثونها الى جانب فروع الدين حيث يجب على الناس قبولها كقبولهم واجبية الصلاة.

فإذا قيل انه لا يناظر الامامة شيء ذلك لأن حدودها شرقاً الأصول وغربها الفروع.

أما الصلاة والصوم فانها محدودة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بالفقه أي بالفروع؛ وهذا هو امتياز الشيعة في رؤيتهم للامامة إن مسألة «ولاية الفقيه» تعني نيابة الامام المعصوم، وهي أن للفقيه الجامع للشروط نيابة الامام في زمن الغيبة.

ولأن الامام المعصوم لا يبين حكم الله فحسب بل ويتصدى لادارة الحكم ونظم العلاقة بينه وبين الأمة، إذن فإن العلاقة بين نائبه بالحق (الفقيه الجامع لشروط العلم والعدالة) وبين الأمة هي ذاتها التي بين المعصوم والامة.

إن الادلة العقلية التي تؤسس للنبوة والامامة، تنهض للتأسيس لولاية الفقيه في زمن الغيبة، ولذا فان هذه المسألة (ولاية الفقيه) هي مسألة كلامية.

وعندما تكون ولاية الفقيه مسألة كلامية فانها ستلقي بظلالها على الفقه كله، وعندما يرى المرء الفقيه برؤية كلامية تجعله مسؤولاً عن الفروع الفقهية، وتمنحه في النتيجة نظاماً محدداً ينقذه (الفقه) من الفوضى.

والسرّ في أن تأكيدات الامام في أن الدين ينطوي بكليته على نظام سياسي^(١) لأنه (الامام) ينظر الى الفقه نظرة كلامية.

إنّ علم الفقه مسألة كلامية وليست مسألة فقهية، إنّ علم الفقه يعني اكتشاف شريعة السماء وهذا نشاط كلامي يخرج عن دائرة الفقه.

ومن هنا فقد قام الامام ببعض المهمّات التالية:

- ١ - اعتباره ولاية الفقيه امتداداً للامامة.
- ٢ - رؤيته للامامة والولاية كمسألة كلامية.
- ٣ - ازدهرت على يديه شجرة الامامة وآتت أكلها.
- ٤ - أعاد الامامة والولاية التي موقعها الاصلي لتلقي بظلالها على الفقه كلّه.

لقد ارتفع الامام الراحل بالعلاقة بين المرجع والمقلّد الى مستوى العلاقة بين الامام^(٢) والامة^(٣).

وبهذا يكون الامام قد أحدث التغيير الثالث في الفقه.

(١) «والله ان الاسلام كله سياسة، لقد عرّفوا الاسلام خطأ.. ان السياسة تنبع من الاسلام.» صحيفة نور: ٩٩/١.

«ان الاحكام السياسية في الاسلام اكثر من أحكامه العبادية، والكتب السياسية في الاسلام أكثر من الكتب العبادية فيه» المصدر السابق: ٤٠٢.

(٢) ان الذي يتولّى الدين يعني ان يكون درعاً له.. فكل خطر يتهدد الدين ينصب على الدرع، وكل سهم يوجه الى الدين يستهدف الدرع، ولا يحق له (المتولّي) أن يشكو اذا أصيب بأضراره.. ان واجبه الأول الصبر والتحمّل.. لأنه اذا انسحب وتراجع فسوف لن يكون إذ ذاك درع للدين.

(٣) «أم» يعني «تصد» و«أمم» الذي اسم الفاعل يعني «قاصد» والأمة تطلق على مجتمع ما ليس بسبب الثقافة المشتركة فحسب بل وتوحدّه بالارادة والقصد، فالثقافة المشتركة ليس وحدها ملاكاً في تعريف الامة.

فإذا كان المرجع الكبير الوحيد البهبهاني عليه السلام استطاع أن يغيّر العلاقة بين الفقه والناس من علاقة محدّث ومستمع إلى علاقة «مرجع تقليد» و «مقلّد» فإن الامام الراحل قد ارتقى بهذه العلاقة إلى مستوى أرقى بكثير وهي علاقة الامام بالامة.

ولو تأملنا الفاصلة منذ وفاة البهبهاني وحتى اليوم توجب علينا بحث ما يلي:

- ١- الجذور الفقهية لولاية الفقيه والثقافة الاسلامية في هذه المسألة.
- ٢- خروج ولاية الفقيه من اطار الولاية على القصر لتشمل كل النظام الاسلامي.
- ٣- الفرق بين الولاية والأمر الحسينية.

٤- ان الفقيه يعدّ ولياً على الامة لا وكيلاً لها، وفرق بين الولاية والوكالة.

٥- ان الفقيه الجامع للشروط ليس ممثلاً للامة ووكيلاً لها بل هو وليّ أمر الامة

ونائباً لولي العصر (الامام المهدي).

وتوضيح هذه المسألة، وهي نيابة الولي الفقيه للامام الغائب وليس النيابة عن

الامة يعني انه لا يستمد شرعيته من انتخاب الامة، بل هو المتولّي عليها لا وكيلاً لها

بل هو نائب الامام وخلال هذه الفاصلة الكبيرة توضح لنا:

١- إنّ عمل الفقيه الجامع للشروط لا ينحصر في الافتاء كما لا يتحدّد في

التأليف والتصنيف والشرح وبيان الحكم الشرعي... فالدين لا يحتاج ما سلف ذكره

فقط بل يحتاج إلى أيضاً إلى «متولّ له» حتى اذا تهيأت الظروف المواتية للتولّي أحياء

«المتولي» الاحكام الالهية وطبقها في واقع الحياة.

٢- إنّ الادلّة المؤسسة للنبوّة والامام تقضي بكيونة نظام الحكم اسلامياً.

٣- ان رسالة الانبياء وائمة الهدى لا تنحصر بالافتاء ولكن مواجهة طغاة

التاريخ ولذا ﴿قتلوا النبيين بغير حق﴾^(١) و ﴿يقتلون النبيين بغير حق﴾^(٢) وكانوا

(١) آل عمران: الآية ١٢.

(٢) آل عمران: الآية ٦١.

جناة ﴿ يقتلهم الانبياء بغير حق ﴾^(١) وهذه آيات تكرر في سورة واحدة، لتشهد على أن رسالة النبيين لم تنحصر بالكلام فقط.

٤ - إن علاقة الفقيه بالناس أسمى بكثير، وتصل إلى علاقة الامام بالامة.

ولم يكن هذا التحول التاريخي نتيجة جهد عادي.. بل وليدة اندكاك في روح الاسلام بنظامه الشمولي...

فالامام رأى شريعة الاسلام تزخر بأحكام من قبيل الحدود والديات وأحكام الحرب والسلام، وهذه الاحكام تنطوي على ضرورة اجرائها، وليس بوسع جماهير الناس أن تنهض بهذه المسؤولية، لأن الجماهير لو فعلت ذلك وكان بوسعها أن تفعل لما احتاجت انن التي قيّم وإمام.

الحدود الالهية ينفذها ويقيّمها الامام المعصوم، وفي غياب المعصوم تكون مسؤولية نائب الامام المعصوم (الفقيه الجامع للشروط).

من أجل هذا فان الامام الراحل بحث بعمق هذه المسألة ونهض بمسؤوليته عندما اعتبر نفسه نائب الامام الحجة.

ومن أجل تحقيق الغاية المنشودة في إحداث هذا التحول أعلن ما يلي:

أولاً: الولي الفقيه هو ولي الامر الامة.

ثانياً: ان ولي امر المسلمين يشغل درجة النيابة العامة للامام الأصيل.

ثالثاً: إن الامام الأصيل هو الثقل الأصغر.

رابعاً: ان الثقل الاصغر فداء «لثقل الاكبر»^(٢).

ولذا عندما يتهدد الخطر «الثقل الأكبر» تجب الثورة «ولو بلغ ما بلغ» قدم

الأصغر فداء من أجل بقاء الاكبر.

(١) آل عمران: الآية ١٨١.

(٢) الثقل الاكبر: القرآن الكريم.

فتفوق الامام على غيره من علماء الدين، إنهم قالوا بولاية الفقيه ولكنهم اعتبروا جميع شروطها أمراً حصولياً يعني تجب متى ما توفرت الظروف المناسبة لإعمالها. اما الامام فقد كان يعتبر الولاية (ولاية الفقيه) كالامامة ويعتقد أن شروط إعمالها تنقسم الى قسمين قسم منها حصولي والقسم الأعظم منها تحصيلي.. يعني يجب توفير تلك الشروط المطلوبة وايجاد العلاقة المنشودة (علاقة الامام بالامة).

وليس الأمر أن تنتهياً الظروف لاقامة نظام اسلامي دون ما خطر وعندها يجب على الفقيه أن يتولّى زمام الأمور، بل إن كثيراً من شروط إعمال الولاية والقيادة تحصيلية لا حصولية.. فهي «شرط واجب لا شرط وجوب».

فالامام الراحل آمن أنه من وجهة نظر فقهية أنه ولي المسلمين وأنه يجب تشكيل الحكومة الاسلامية، وأن كثيراً من شروط الولاية تحصيلية، ولذا نهض بهذه المهمة فاستوجب السجن والتشريد والنفي، وتحمل ما تحمّل في سبيل ذلك.

وكان يستشعر اللذة في أعماقه سواء استشهد أو قدّم الشهداء أو تشرّد^(١).
عندما نقرأ الخطبة الشنشقية نلاحظ هذه الجملة التي تأتي بعد قَسَمٍ: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر و... لألقيت حبلاً على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها»^(٢).

والامام لم يقل «لولا حضور الحاضر» إلا بعد أن أسهم هو وأم السبطين فاطمة الزهراء في الاعداد لهذا الحضور.. بعد احتجاج طويل وبعد حوار مع الانتصار والمهاجرين.. ولم يكن يومها «حضور للحاضر».

(١) اذا كنا نعتقد بعالم ما وراء الطبيعة، فان علينا أن نشكر الله إذا قُتلتنا في سبيله.. اذا كان أقصى

ما تفعلونه بنا هو الاعداد فهو البداية لحياة طيبة» صحيفة نور: ١/١٠٧.

ان قتلة كهذه «شهداء» هي مجد لنا وأسمى ما تتمناه». المصدر السابق: ٥٧٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

وبعد عقدين ونصف حضر الحاضر ونهض الامام علي عليه السلام بمسؤوليته.
لقد وضع الامام الراحل الشروط الحسولية الى جانب الشروط التحصيلية،
وعندها سعى وحاول وثابر من أجل أن يفهم الناس أنهم أمة وأنه الامام..
ولم يرق الامام بهذه المهمة من خلال التدريس فقط، بل من خلال سجنه ونفيه
وتعذيبه وتحمل كل الرنان الاتهامات والاساءات والمصائب.. فهذه شروط تحصيلية
لا يمكن أن تجتمع إلا بـ «ولو بلغ ما بلغ»^(١).

والفرق بين الامام الراحل وسائر العلماء أنهم قالوا:
- ثوروا ايها الناس.. تحركوا.. انهضوا.. اذهبوا الى القتال..
إن المجتمع الأوس واليوم لا يصغي الى من يهتف بهذه الطريقة..
الناس لا يصغون الى من يصدر الأوامر وهو جالس.
لماذا اصغى الناس الى الامام؟ لأنه لم يقل للناس: اذهبوا بل قال: أنا ذاهب
فاتبعوني!

يعني انهم قالوا للناس الجهاد واجب عليكم.. اذهبوا فجاهدوا..
انهم بمثابة المحرك السائق، والسائق من يسوق من الخلف..
وفي هذه الحالة الناس لا يصغون لمن يسوقهم.
أما الإمام فقد انبرى الى الأمام.. وتحمل ما تحمل سنوات طويلة.. تحمل النفي
والسجن وكل مصاعب الطريق الذي طوئ معظمه وحيداً وبعدها هتف: أيها الناس
أنا ذاهب فهلّموا.. من أجل هذا أجاب الشعب: ليك يا إمام.

(١) «لا تأوهوا بسبب السجن .. لأنه بغير هذه المعاناة لا يمكن عمل شيء.. وبدون السجن لا
يمكن الانتصار. ان الهدف أعلى من اطلاق سراح البعض.. اجعلوا الهدف نصب أعينكم»
صحيفة نور: ٩٨/١.

كلما نجم عالم وقال: اذهبوا للناس لا يصغون اليه لأنه «سائق» أما العالم الذي يقول: أنا ذاهب فهلّموا.. فهذا «قائد».

فالمحرّك السائق يخفق في مهمته، والمحرّك القائد يحالفه الظفر. من أجل هذا حدث هذا التحول في الفقه الاسلامي، وارتفع الناس ليس الى مستوى «الثقافة» بل الى مستوى «الانسجام» في الارادة والقصد.. أي الى مستوى «أمة».. انتظموا كأمة بعد أن لمحوا أمامهم إماماً.

لقد حدث هذا التحول على يد الامام في ١٥ خرداد ١٣٤٢ وآتى ثمار النصر في ٢٢ بهمن ١٣٥٧^(١).

يقول ابن سينا: ان من يعظ الناس وينصحهم قائلاً: انتبهوا فالطريق شاق.. واحتاطوا ثم لا يدلهم على طريق الحل مثله مثل بيداء مليئة بالشوك فالسالك فيها يرى كثرة الشوك ويوصي الناس أن انتبهوا للأشواك لا تصيب أقدامكم..

ويقول ابن سينا: بالرغم من ١٣٠٠ عام بيني وبين ارسطو ولم يصلني كتاب سليم من كتبه، ولكنني انظر اليه باجلال ذلك انه لم يكتف بالنصح فاضاف الى النصح طريق حل.. وضع أمام المسافر نعلين ثم قال: ايها السالك في طريق الفكر هذه صغراك وهذه كبراك ألف = ب، وب = ج فإن ألف = ج فإن فعلت ذلك بلغت مقصودك.

والآن عندما ننظر الى جثمان الراحل العظيم ثم نبكي، ذلك لأنه لم يكتف بالنصح..

ما اسهل أن يأمر الانسان بالمعروف وينهى عن المنكر وما أشق أن يصنع الانسان أمة ويرتفع بمستوى العلاقة بين الأمة والفقيه الى علاقة أمة مع الامام.

(١) تاريخ انتصار الثورة الاسلامية شباط ١٩٧٩م.

وانه لشوط طويل جداً ومهمة لا تتحقق إلا على أيدي الأولياء..
فحتى يدرك الناس أنهم أمة، وحتى ينتظموا كأمة في ثقافة توحدهم، ثم في
إرادة تصهرهم في بوتقة تجعلهم أمة قادرة، وحتى تدرك هذه الأمة الإمام الذي
يقودها، وانهما معاً يمثلان الثقل الأصغر الذي يتوجب عليه أن يكون فداءً للثقل
الأكبر.. فمتى يتحقق كل ذلك يحتاج إلى انسان الهي ينطلق من قاعدة فكرية صلبة
وإيمان ملتهب.

من أجل هذا خاطب القرآن أهل الكتاب قائلاً: ﴿ قل يا أيها الكتاب لستم على
شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾^(١).
إن ما حصلت عليه الأمة الاسلامية الايرانية من لآيء العزة والشرف والكرامة
وجواهر السيادة والاستقلال والمجد مدينة فيها إلى الامام الراحل.. وهي جميعاً
ميراثه الذي ورثه من النبي الاكرم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.
والآن لنرى كيف أحدث النبي ﷺ هذا التحول في الحياة العربية بعد بعثته انه
يقول لعلي بن أبي طالب في سفر لهما:

- «ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمنت له الروح عند
الموت»^(٢).

ثم يقول له بعدها:

- «كنا مزة رعاة الابل فصرنا اليوم رعاة الشمس»^(٣).

ببركة الاسلام انتقلنا من أرض الجاهلية إلى سماء المدينة والحضارة.. كنا
أرضيين فأصبحنا سماويين..

(١) النساء: الآية ٢٦٨.

(٢) أمالي المفيد / المجلس السادس عشر: ١٣٦.

(٣) المصدر السابق.

وكذلك كان الشعب الايراني يعيش جاهلية الشاه ونظامه الاستعماري حيث كان يخاطب المستعمر الغربي بـ «السيد». اذا به اليوم يتحرّر ينتقل من راع ابل الى راعي الشمس.

لا يمكن للمرء أن يرحل الى السماء إلا اذا ارتدى قميص «المعراج». وعندما رحل النبي ﷺ الى الملكوت الأعلى ترك لعلي ميراثه، سيفه والقميص الذي عرج به الى السماء قال له: «خذ يا علي ما آتاك الله بقوة»^(١).

وقد سئل الامام الصادق في تفسير الآية الكريمة: ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ قوّة الأبدان أم قوة القلوب فقال عليه السلام: فيهما جميعاً^(٢)..
«يعني الايمان والتعبئة».

ورد في الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ: «اسمعوا واطيعوا لمن ولّاه الأمر، فإنه نظام الاسلام»^(٣).

وجوب طاعة الولي بالأصالة أو بالنيابة، فعلى هذا يتوقف الانتقال من رعي الابل الى رعي الشمس.

للنبي ﷺ شخصيتان: حقيقية وحقوقية، فالحقيقية يسري عليها قانون الموت: ﴿ أنك ميت وهم ميتون ﴾^(٤) أما شخصيته الحقوقية فلا تعرف الموت أبداً. وهذا ما يشير اليه الامام علي في حديثه: «أنه يموت ممّا من مات وليس بميت، ويبلى ممّا من بلى وليس ببالي»^(٥).

(١) البقرة: الآية ٦٣.

(٢) البرهان: ١٠٥/١.

(٣) أمالي الشيخ المفيد: ١٤/١ المجلس ٢ ح ٢.

(٤) الزمر: الآية ٣٠.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

كثير من شارحي نهج البلاغة لا يسبرون غور الخطاب العلوي، وعادة ما يلجأون الى المعنى المجازي أو التشبيه والاستعارة في التفسير.

لأنه ينبغي الارتفاع قليلاً والسمو من أجل فهم مرامي القرآن والصحيفة السجادية ونهج البلاغة، وعندها يمكن تفسير المعاني دون الاستناد الى المجاز.

يعلق ابن أبي الحديد المعتزلي في الجزء الثالث من شرحه لنهج البلاغة عندما يورد كلام الامام بعد قراءته الآية الكريمة ﴿أَلِهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾^(١)! «أيّ الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً»^(٢) يقسم ابن أبي الحديد انه يقرأ «منذ خمسين سنة الى الآن أكثر من ألف مرّة» وفي كل مرّة كان يقرأها تكون له غضة وفيها عظة جديدة و «أحدثت في رهبة وروعاً»^(٣) والأدباء والبلغاء يعرفون كم هي عميقة كلمات علي وانه يجب السجود لدى قراءة الخطبة في محافل العلم والأدب.

في جلسة خاصة مع الاستاذ العلامة الطباطبائي يتساءل العلامة: لماذا قال ابن أبي الحديد ان لو اجتمع العلماء والأدباء ثم قرأت عليهم هذه الخطبة لسجدوا؟ يقول: كما أنّ في القرآن عزائم السور فلعلي عزائم خطب..

وابن الحديد لم يقل ما قال جزافاً لأن عزائم سور القرآن تتجلّى في كلمات علي فالسجود لخطاب علي انما هو سجود لكلام الله جري في كلمات علي.

عندما التحق النبي (ﷺ) بالملكوت الأعلى، وكان الامام علي مشغول في تجهيزه خاطب الراحل قائلاً: بأبي أنت وأمي.. مع أن التدفية لا تقال إلا للاحياء وفسّروا تدفية الامام للراحل العظيم على نحو المجاز غافلين عن ان الخطاب كان

(١) التكاثر: الآية ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

لشخصية النبي ﷺ لا لشخصه لـ «إنه يموت متاً من مات وليس يميت، ويبلى من بلى وليس ببال»^(١).

فالامام يعني شخصية النبي ﷺ (الحقوقية لا الحقيقية).

إنَّ السرَّ في اصرار الامام الراحل ان يكون الفقه على منهج «الجواهر»^(٢).
المرحوم صاحب الجواهر يقول: إنَّ من ينكر ولاية الفقيه فـ«كأنه مذاق من طعم الفقه شيئاً»^(٣) يعني نفس المسألة الكلامية.
والاستدلال الذي يسوقه صاحب جواهر الكلام حول ولاية الفقيه له «صبغة كلامية» فهو يقول لان إقامة الحكم واجبة في زمن الغيبة، والحكم يجب أن يكون الهياً فمن المؤكد أن الشارع المقدس استشرف من يقوم بذلك.
وهذه كلمات فيها صبغة كلامية نطق بها فقيه.

وصاحب الجواهر يقول لمن لا يؤمن بولاية الفقيه بأنه مذاق طعم الفقه.
إنَّ الامام الراحل في هذه المسألة لم يذق طعم الفقه فحسب، وبلى غاص في كوثره ليخرج بلؤلؤة المسؤولية.. ليس استنباط الحكم الشرعي وانما اقامته وتطبيقه في واقع الحياة.. فهمه ليس في بيان الحكم فقط وانما في تنفيذه أيضاً^(٤).
وهذا عبء لا ينهض به إلا أهله وهو الفقيه الذي يقول: «الدفاع عن الاسلام

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦

(٢) «انني اعتقد بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري ولا أجزى التخلف عنه. الاجتهاد بهذا النحو صحيح، على أن لا يكون معنى ذلك ان الفقه الامامي غير متحرك. ان الزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد» صحيفة نور: ٩٨/٢١ ط قديمة.

(٣) جواهر الكلام: ٣٩٧/٢١.

(٤) «انني لست من أولئك الذين يصدرن الأحكام ويطلقون الفتاوى ثم يخلدون للنوم..

والحكم بذاته يذهب ثم أسمن وراءه» صحيفة نور ط جديدة: ١٠٧/١.

واجب ولو بلغ ما بلغ»^(١) ولو بلغ ما بلغ تعني التضحيات تلو التضحيات.. وتعني الجهاد والهجرة ..

والخلاصة ان تجديد الامام في الفقه، ليس منهجه في عملية الاستنباط بل أن التحولات الفكرية والثورة الثقافية التي أحدثها الامام هي:

١ - اقامته قاعدة كلامية.

٢ - ان الفقه ينهض على تلك القاعدة الصلبة.

٣ - ان تطبيق الاحكام الفقهية في زمان الغيبة واجب، كما هو واجب في زمان حضور المعصوم.

٤ - ان شروط الولاية والقيادة تنقسم الى قسمين حصولية وتحصيلية.

٥ - ان الشروط التحصيلية لا تتوافر إلا بتحمل المشاق من سجن وابعاد واتهامات وافتراءات.

٦ - العلاقة بين المرجع والناس هي علاقة أمة بالامام.

٧ - امامة الفقيه نيابة للامام المعصوم.

٨ - الامامة هي الثقل الاصغر.

٩ - الثقل الأصغر فداء للثقل الأكبر.

من أجل هذا أعلن الامام مواصلة الجهاد بعد مذبحة الفيضية «ولو بلغ ما بلغ» فنهضته تنهض «على شيء» وهدفه أن تنتقل الأمة من رعي الابل الى رعي الشمس.

لقد أبى الامام علي النبي الراحل عليه السلام قائلاً: بابي أنت وأمي لقد خصّصت حتى

صرت مسلماً عن سواك ولقد عمّمت حتى صار الناس فيك سواء»^(٢).

(١) المصدر السابق: ٧٤/١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦، أمالي المفيد: المجلس ١٢.

أجل نسي الامام علي مصيبة الخلافة وهو مستغرق في تجهيز جثمان الراحل العظيم فـ«لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد من النبوة والأنبياء وأخبار السماء»^(١).

كم فجعنا بشهداء الثورة وفيهم من سقط في المحراب مضرّجاً بدمائه الزكية لكننا الآن نسينا كل تلك المصائب ونحن نجلس في مأتم الامام الراحل.
الامام علي يخاطب الراحل العظيم محمد ﷺ: يا رسول الله! اذكركنا عند ربك واجعلنا بيبالك^(٢).

وها نحن الآن نتوجه الى امامنا الراحل نقول له: اذكركنا عند ربك.. اللهم اجعل مثواه روضة من رياض الجنة.. وارفع اسمه وهدفه وغايته عالياً حتى يظهر إمامه وإمامنا وإمام الناس جميعاً.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

الفصل الخامس عشر الامام الخميني والحج الابراهيمي

- ربيع ١٩٩١ -

الحج قضية عبادية وسياسية والآثار السياسية في هذه العبادة تتجلى بشكل واضح كما ان آثار الحج العبادية في هذه الظاهرة السياسية واضحة أيضاً. ان الله خالق الكعبة جعل من مراسم الحج مظهراً لجماله ومحوراً لجلاله.. يعني ان في زيارة البيت العتيق تتجلى آثار التهذيب والتزكية، وتبرز حالة البراءة من الشرك والمشركين^(١).

فالتولي العبادي للحج مظهر لجمال الله، والتبري السياسي نموذج لجلال الحق، وقد ورد في الأثر عن الانمة الهداة من آل النبي ﷺ ان «الجمال» و «الجلال» هما في التولي والتبري.

يقول الامام علي عليه السلام أمير البيان العربي: «زيارة بيت الله آمن من عذاب جهنم»^(٢).

ويقول عليه السلام في الحج: «جعل الله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه.. وكتب عليهم وفادته فقال سبحانه:

(١) «الحج مركز المعرفة الالهية وفيه يجد المرء المحتوى السياسي للاسلام».

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٢٦/١ ح ٢٩.

﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ﴾^(١).

ومن أجل أن تبقى سنة ابراهيم حية في الانبياء الابراهيميين فقد جاءت العقود والعهود في اطار الحج.. ربما يكون عقداً استتجارياً عادياً العقد المبرم بين موسى ﷺ بعد لجوئه الى مدين وبين شعيب.. يقول النبي شعيب كما ورد في القرآن الكريم: ﴿ على أن تأجرني ثمانى حجج ﴾^(٢).

فمدة الايجار ثمانية أعوام جاءت بصيغة الحجج، لأن الحج وزيارة البيت الحرام هي في كل عام..

وهذا ابسط العقود.. وسفرى أن أعظم المواثيق يأتي أيضاً في اطار الحج..
كالميثاق الالهي مع موسى الكليم ﷺ قال الله سبحانه: ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾^(٣).

والميقات الالهي يبدأ من بدء ذي القعدة وحتى العاشر من ذي الحجة وحيث تجري أهم مراسم الحج في هذه الاربعين.

وقد ورد في الأثر ان موسى لم يقرب طعاماً ولا شرباً طوال هذه المدة بعد أن استغرق في شوق اللقاء الالهي.

وبعد أن تم ميقات الربّ نزلت التوراة.. وهذا أعظم ميثاق يتم بين الخلق «موسى» والخالق سبحانه وتعالى.

وما ورد في التوراة في رسالة موسى كليم الله ﷺ من أجل هداية الناس قد ورد في القرآن الكريم أيضاً.. وقضية الحج وبناء الكعبة ومسألة البلد الأمين، وسائر القضايا الأخرى التي تعود الى الفقه السياسي للحج قد وردت في القرآن الكريم.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) القصص: الآية ٢٧.

(٣) الاعراف: ١٤٢.

يقول سبحانه وتعالى في رسالة موسى عليه السلام: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكّرهم بأيام الله إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾^(١).

وهذا يعني أن التوراة نزلت في موسم الحج.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «ما من أيام أزكى عند الله سبحانه وتعالى وأعظم أجراً من خير في عشر الأضحى»^(٢).

وهناك حديث آخر أجلى وأهم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبّ الى الله عزوجل من أيام العشر»^(٣).

والسرّ في اعتبار العارف الميرزا جواد الملكي التبريزي هذا الحديث أهم من سابقه لأنه تحدّث عن «الحب» وليس «العظمة».. ففي الحديث الأول هناك الايام «الأعظم أجراً» أما في الحديث الثاني فهناك «الأيام الأحب» الى الله. والحب هنا أسمى منزلة.

وفي الحديث يُسأل رسول الله صلى الله عليه وآله: حتىّ الجهاد في سبيل؟! يجيب النبي: حتىّ الجهاد في سبيل الله لا يرقى الى منزلة العمل في هذه الأيام التي هي أيام الله. ولكن النبي صلى الله عليه وآله يستدرك قائلاً: إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بشيء من ذلك».

يعني الاستثناء الوحيد في ذلك، الجهاد المقرون بالتضحيات والايثار والاستشهاد.

ومجاهد كهذا يهب المجد لتاريخه وللبقعة التي استشهد فيها، وفي ثقافتنا

(١) ابراهيم: الآية ٥.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠/٢٢١.

(٣) المصدر السابق.

عندما نقرأ زيارة عاشوراء نرى هذا المجد في خطاب الشهداء: «طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم».

وحساب الشهادة والشهداء شيء آخر، والشهادة نهاية لجهاد مستمر، وقد يجاهد المرء ثم يتوفاه الأجل في جهاده، ولكن تبقى للشهادة منزلة «لا يعادلها ولا يعادلها شيء».

إنّ دماء الشهيد ضمان لعصره وبلاده؛ ﴿وَالْبَلَدِ الطَّيِّبِ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾^(١).

والسؤال الآن هل انّ الجانب العبادي في الحج الذي يفوق الجهاد ناقصاً الشهادة؟ أم أن الجانب السياسي فيه هو الذي منح هذه القداسة الكبرى؟ من أجل الحصول على الجواب نتأمل الوقائع في ذي القعدة وذي الحجة.

١- في ذي القعدة تم بناء الكعبة ففي ٢٥ ذي القعدة كان (دحو الأرض) التي هي أسّ البناء في البيت العتيق.

٢- في العاشر من ذي الحجة نزلت سورة براءة، وقد قرأها الامام علي عليه السلام الذي هتف في الحرم المكي بآيات الله: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٢).

وكان من الممكن أن يقرأها أحد الذين شهدوا السقيفة، ولكن الوحي الالهي طلب من النبي (لا يؤدّيها إلا أنت أو رجل منك)^(٣). يعني ألا يقرأ الاعلان الآ النبي أو رجل يكون مظهراً للتولّي والتبري، ولأن الامام علي هو نفس النبي بصريح قوله

(١) الأعراف: الآية ٥٨.

(٢) التوبة: الآية ٣.

(٣) أمالي المفيد / المجلس السابع.

تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾^(١) في قصة المباهلة مع وفد نجران.. فقد عهد النبي ﷺ الى علي بن أبي طالب أن يتولى هذه المهمة.

والآن ندرك جيداً لماذا يكتسب الحج كل هذه الأهمية ويكون له كل هذا العمق، ولماذا يحاول الأنبياء اعلان رسالاتهم للعالم من ظلال الكعبة.

فإذا كان الحج مجرد طواف حول أحجار، فلقد كان هذا في زمان الجاهلية أيضاً مع قدر ضئيل في عصر الاسلام.

ومن هنا فإن أساس الحج وروحه شيء آخر.. يقول الامام الباقر وهو ينظر الى الجموع تطوف حول الكعبة العظمى: «هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية».

ثم يضيف مشيراً الى أساس الحج الذي جاء به الاسلام:

«إِنَّمَا أَمْرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَنْفَرُوا إِلَيْنَا فَيَعْلَمُونَا بِوِلَايَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ وَيَعْرَضُوا عَلَيْنَا نَصْرَتَهُمْ.. ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهِ وَتَعَالَى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾»^(٢).

لأن مراسم الحج مشحونة بالرموز التي ينبغي الالتفات اليها من أجل أداء هذه الفريضة الكبرى.

يقول الامام علي عليه السلام: ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى أختبر الأوليين من لدن آدم عليه السلام الى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً»^(٣).

ولذا قال الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا أَمْرُوا أَنْ يَطُوفُوا ثُمَّ يَنْفَرُوا إِلَيْنَا... لِيَعْلَمُوا أَهْلَ الْبَيْتِ

(١) آل عمران: الآية ٦١.

(٢) نور الثقلين: ٥٥٥/٢، وسائل الشيعة: ٢٥٢/١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

ب«حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر»^(١).

ولذا تلا الامام الباقر هذه الآية: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم﴾^(٢).
ولهذه الآية نداءان: النداء الأول أن الناس يأتون من كل حذب وصوب الى بيت الله فيطوفوا بالبيت العتيق، مع انه احجار لا تضمر ولا تنفع ثم تطوف قلوبهم حول أهل البيت.

فالنداء الأول إعلان ابراهيم عليه السلام وأذانه.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣).

أما النداء الثاني فقد أشارت اليه الآية الكريمة: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم﴾.

وبدون اعلان الولاء لأهل البيت عليه السلام فان رسالة الحج تبقى غير تامّة وسيكون الطواف حول الكعبة شبيهاً بالطواف في زمن الجاهلية.

ومن هنا يقول الامام الباقر عليه السلام: «من تمام الحج لقاء الامام»^(٤).

وطبعاً هذا الحديث من باب «التمثيل» لا التعيين لأنه يشمل جميع العبادات ولا يختص بالحج وحده، لأنه حتى «من تمام الصلاة لقاء الامام» و«من تمام الصيام لقاء الامام»، ومن تمام الزكاة لقاء الامام ثم تأتي خاتمة الحديث قوله: «بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية»^(٥).

(١) المصدر السابق: الخطبة ٣.

(٢) ابراهيم: الآية ٣٧.

(٣) الحج: الآية ٢٧.

(٤) بحار الانوار: ٣٧٤/٩٦ الرواية ٢.

(٥) وسائل الشيعة: ٧/١، الكافي /باب دعائم الاسلام: ٤٢٩.

«والوالي هو الدليل عليهن».

وحديث الامام الباقر عليه السلام: «من تمام الحج لقاء الامام» مستمداً من قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(١).
وإنّ فان «من تمام الاسلام لقاء الامام».

فجوهر الحج يكمن في بعده السياسي أيضاً وهو يختلف عن سائر العبادات الأخرى لأنه واجب على والي المسلمين أن يبعث الناس الى حج بيت الله وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ومراقد ائمة الهدى من آله.

وقد جاء في حديث الامام الصادق عليه السلام قوله: «لو عطّل الناس الحج لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحج إن شاءوا وإن أبوا فإنّ البيت انما وضع للحج.. فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين»^(٢).

ومن هنا وبمجرد أن يتصدى الامام عليّ للخلافة يوعز الى عامله ابن عباس قائلاً: «يا بن عباس! أقم للناس الحج وذكّرهم بأيام الله»^(٣).

لقد أقام الامام علي عليه السلام الحج بعد ٢٥ عاماً كان المسلمون خلالها يطوفون حول أحجار لا تضرّ ولا تنفع.. لأن الحج كان لا يتضمن روحه في البراءة من المشركين. إنّ «ذكرهم بأيام الله» في سورة ابراهيم تأتي عقب تأسيس الحكومة الالهية على يد موسى عليه السلام ومؤشراً على ضرورة استقامة الناس وثباتهم: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكّرهم بأيام الله إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾^(٤).

(١) المائدة: الآية ٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥/٨ - ١٦.

(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٦٧.

(٤) ابراهيم: الآية ٥.

الله سبحانه يطلب من موسى أن يذكر قومه بأيام الله لأن يوم الاطاحة بالفرعون كان من أيام الله.. وعندما تتجلى قدرة الله في يوم ما يكون ذلك اليوم من أيام الله.

ومن أجل تشكيل الحكومة الاسلامية يكون التذكير بأيام الله لازم وضروري. لقد أقيم الحج في عهد علي عليه السلام ولكنه لم يقم عصور الأئمة من ذريته. ولعل السر في ورود هذه الجملة في زيارة المعصومين عليه السلام: «اشهد انك قد أقمتم الصلاة وآتيت الزكاة» لا اكثر يكمن في أنهم عليه السلام لم يمسكوا بزمام الحكم حتى يمكنهم إقامة الحج..

لأن «أداء الحج» يختلف عن «إقامة الحج».. لقد أدى الامام الحسن السبط الحج عشرين مرة وطوى المسافات الشاسعة ماشياً.. ولكن لم يسمح له باقامة الحج، اما ابن عباس وهو تلميذ علي عليه السلام فقد تمكن من اقامة الحج. والآن عندما ننظر الى الحج قبل الثورة، والحج بعد الثورة عندها نقيس الفرق بينهما..

كان الايرانيون يؤدون الحج سنين متمادية «ويطوفون حول تلك الاحجار التي لا تضر ولا تنفع».

وعندما جاء ابن النبي صلى الله عليه وآله سيدنا الامام الخميني عليه السلام أعاد الى الحج روحه التي يستمدّها من الاسلام الأمتل وهي «من تمام الحج لقاء الامام»، وارتفع اعلان البراءة ليجعل من الحج حجاً ابراهيمياً أصيلاً.

لأنّ الحج ناقصاً البراءة يساوي حجاً جاهلياً.

اما الحج الذي يرافقه اعلان البراءة من المشركين فهو الحج الابراهيمى ولذا اقيم الحج بالرغم من الذين استشهدوا في سبيل ذلك.

ولذا فانه يحق لنا ونحن الى جوار مرقد الامام الطاهر أن نخاطبه قائلين:

«السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ورسوله وللائمة الهداة المهديين.. أشهد أنك قد أقيمت الحج».

لقد رحل عنا بجسده وترك لنا فكراً حياً وميراثاً خالداً.. حيث الحج الابراهيمي من ميراثه الخالد؛ فلقد انبعثت من جديد مراسم اعلان البراءة من المشركين.. فعاد الحج ابراهيمياً كما ظهر أول مرّة..

فماهي ملامح الحج الابراهيمي؟ اننا نستطيع أن نلمحها في ما يلي:

١ - تطهير مراسم الحج والديار المقدسة من لوث الشرك (البراءة من الشرك والمشركين).

٢ - تنزيه المجتمع الاسلامي من النزاع والفرقة والاختلاف.

ولقد عهد الله الى ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل ببناء الكعبة وتطهيرها: ﴿وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾^(١).
فالكعبة معبد الهي لا وجود فيه لوثن نصب أو سوف ينصب، ولا وجود فيه للوثنية سابقاً ولاحقاً.. ولا حق لوثني أو مشرك أن يلج المسجد الحرام ويطوف البيت الحرام.. فهل ينسجم الحج مع الشرك بالله بعد هذا؟ ثم ألا يحق لضيوف الرحمن أن يعلنوا براءتهم من الشرك والمشركين؟

الله سبحانه أمر ابراهيم أن يؤذن للحج بعد الانتهاء من بناء الكعبة: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾^(٢).
ثم أوجب سبحانه الحج على الناس اذا تهيأت لهم امكانيات ذلك: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً﴾^(٣).

(١) البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) الحج: الآية ٢٧.

(٣) آل عمران: الآية ٩٧.

الفصل السادس عشر

رسالة الامام الخميني الى آخر الزملاء السوفيت

- شتاء ١٩٨٨ -

١ - الثورة الاسلامية انما نهضت على كتاب الله وسنة المعصومين، وعندما قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الانبياء»^(١) لم يقل ﷺ: «العلماء ورثة النبي» وهذا يعني ان العلماء لا يرثون انبياء عصرهم بل ان علماء آخر الزمان يرثون جميع الانبياء لأنهم يرثون النبي ﷺ والنبي ﷺ ورث جميع الرسالات والنبؤات الغابرة وقد جاء مصدقاً لما بين يديه^(٢).

وعلى هذا فان علماء كل عصر انما يرثون نبوة من النبؤات ربّما يرث أحدهم ابراهيم الخليل وربّما يرث آخر موسى ﷺ.

والدعوة الى الاسلام لا تنحصر في الرسالة الأخيرة على يد نبينا ﷺ وانما تشمل كل الرسالات، وقد وردت هذه الدعوة على لسان النبي سليمان ﷺ^(٣).

٢ - اكتسبت الثورة الايرانية صفة «الثورة الاسلامية» منذ البداية وذلك من خلال النداءات.. يعني رسائل المراجع عامة وقائد الثورة خاصة.. سواء كانت موجهة الى المسؤولين في ذلك الوقت والى من لا يظن نفسه مسؤولاً، وفيها دعوة الى «الحكمة» و«الموعظة الحسنة» و«الجدل بالتي هي أحسن».

(١) بحار الأنوار: ١/١٦٤ ح ٢، ٢/٩٢، ١٥١.

(٢) المائدة: الآية ٤٨.

(٣) التفسير الموضوعي: ٧/٤٥٤ سيرة الانبياء..

لأن الله سبحانه يأمر بمواجهة الاستكبار والمستكبرين: ﴿وقاتلوا أئمة الكفر﴾^(١). ﴿انهم لا ايمان لهم﴾ لأنه لا عهد لهم ولا يحترمون المواثيق والمعاهدات والاتفاقيات.

إن الاستكبار العالمي لا يعرف حرمة للمواثيق الدولية والمعاهدات.. انهم لا يعترفون بحقوق الشعب الفلسطيني.. ولا بحقوق الشعب الايراني ولا بحقوق المشردين من أبناء العراق المسلم.

انهم يصوبون ما يحلو لهم من قرارات «مجلس الأمن» انهم لا ايمان لهم لأنهم لا ايمان لهم.

لأنه يمكن التعايش مع انسان ملحد، ولا يمكن التعايش مع انسان لا عهد له ولا ذمة.

انظروا الى أية نقطة من الحضيض وصلت اليه وقاحة الاستكبار؟ انهم يقذفون آلاف الاطنان من القنابل على أرض طبيعتها آلاف القُبل المؤمنة.. انهم يطلقون النار على ابواب المرقد الحسيني حيث ملايين القُبل والأكف التي تتمسح الأماكن الطاهرة.

هذه الأرض الطاهرة هي اليوم تدوسها بساطير البعث الكافر..

انهم يطلقون الرصاص على بقعة شهدت تمتعات الملايين من المصلين المؤمنين على مرّ السنين.

الامام الراحل يؤكد دائماً على أن يكون الحج ابراهيمياً، نبراً فيه من الشرك والاستكبار ونعلن مواجهتنا للمستكبرين وهذا هو نداء الحج الاكبر..

يجب ألا نفرح لأننا ذهبنا الى الحج.. أنتم يا علماء الدين لا تفرحوا لأنكم ذهبتم على رأس قافلة للحجيج..

ان جوهر الحج وروحه هي في اعلان البراءة من الشرك.. حتى الحجر الاسود هو كسائر أحجار الكعبة وهي لا تضر ولا تنفع كما قال الامام الباقر عليه السلام..

لأن الباقر قال ذلك في زمن كان الحج يتم في ظلال الحراب الاموية.. كان حجاً ناقصاً من البراءة.. البراءة من المشركين الذين: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَهَّنَ قَيْدَهُنَّ﴾^(١). من أجل هذا على المسلم أن يحيي الامام اينما كان.. أن يخاطبه قائلاً: اشهد أنك قد أقمت الحج. الامام الراحل لم يذهب الى الحج بعد الثورة، لكنه نجح في اقامة الحج الابراهيمي.

لأن الامام السجّاد وهو في مركز الشام وكانت آلاف الحراب تحيطه.. أسيراً في قبضتهم كان.. لكنه هتف:
..«أنا ابن مكة ومنى»^(٢).

ان الذين استشهدوا في مكة هم ممن ورثوا عرفات والمشعر الحرام ومنى. في بعده السياسي تتجلّى حلاوة الحج.. لقد أمر الله سبحانه ابراهيم الخليل واسماعيل الذبيح: ﴿ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود﴾^(٣).
ليكن هناك سعي للتطهر، لأن القرآن لا يمكن مسّه إلا بالتطهر.. لأنّ القرآن ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾^(٤).

وزوّار بيت الله طاهرون مطهرون، انهم مع القرآن الذي يأمرهم: ﴿وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾^(٥) ﴿ثم محلّها الى البيت العتيق﴾^(٦).

(١) القلم: الآية ٩.

(٢) بحار الانوار: ١٣٧/٤٥.

(٣) البقرة: الآية ١٢٥.

(٤) الواقعة: الآية ٧٩.

(٥) الحج: الآية ٢٩.

(٦) الحج: الآية ٣٣.

هذا البيت رمز للعنق والحريّة.. ملهم للحريّة.. فالذي يطوف حول البيت العتيق ثم لا يشعر بالتحرّر فقد طاف طواف جاهلية.

تأملوا في الأحاديث سوف نجد أنّ الاسلام ناقصاً الامامة والقيادة يعني جاهلية، والحج دون معرفة للامام حج جاهلية لأنه: «من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية»^(١).

والنقطة الهامة في ختام هذا البحث ان اقامة الحج هي اجتياز خطرين:

اولاً: خطر التخلف عن القيادة.

ثانياً: خطر الفرقة والاختلاف.

فأية أمة لا تجتاز هذين الخطرين لا يمكنها أن تدرك الاسلام الاصيل.

ليس هناك قوة مثل التضامن، ولقد وضح لنا جميعاً ان التضامن الداخلي يعصف بهيبة الجميع.

ففي النزاع الداخلي يجب أن يكون السعي للقضاء على العداوة لا العدو، وفي الصراع الخارجي ينبغي السعي للقضاء على العدو لا العداوة.. على انه ينبغي التأكيد على أن مثل هذا الجهد صعب وشاق.

ان تركيع الاستكبار العالمي، وضرب البعث العقلي على مدى ثمانية أعوام من حرب الدفاع المقدس لم يكن عملاً عسيراً، لأن قتل الاعداء ليس بالأمر العسير..

ولكن القضاء على العداوة أمر عسير جداً والقرآن الكريم يدعو الى ذلك.. يعني يدعو الى الوثام داخل المجتمع: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾^(٢).

ويعقب القرآن على ذلك في الآية التالية: ﴿وما يلقها إلا الذين صبروا وما

(١) دلائل الصدوق: ٦.

(٢) فصلت: الآية ٣٤.

يَلْقِيهَا الْآذُ حَظَّ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

ان القضاء على العداوة يتطلب شرحاً للصدور وتحملاً للآخر ونظرة رحيمة بالجميع.. بالعفو والتسامح وغيض الطرف عن أخطاء الآخر لأن المجتمع المؤمن في مقوماته تسوده الرحمة: ﴿رحماء بينهم﴾^(٢). وهذا ليس يسيراً ولكنه ليس مستحيلاً.

(١) فصلت: الآية ٣٥.

(٢) الفتح: الآية ٢٩.

الفصل السادس عشر

رسالة الإمام الخميني إلى آخر الزعماء السوفيت

- شتاء ١٩٨٨ -

١ - الثورة الاسلامية انما نهضت على كتاب الله وسنة المعصومين، وعندما قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الانبياء»^(١) لم يقل ﷺ: «العلماء ورثة النبي» وهذا يعني ان العلماء لا يرثون انبياء عصرهم بل ان علماء آخر الزمان يرثون جميع الانبياء لأنهم يرثون النبي ﷺ والنبي ﷺ ورث جميع الرسالات والنبوات الغابرة وقد جاء مصدقاً لما بين يديه^(٢).

وعلى هذا فان علماء كل عصر انما يرثون نبوة من النبوات ربّما يرث أحدهم ابراهيم الخليل وربّما يرث آخر موسى عليه السلام.

والدعوة الى الاسلام لا تنحصر في الرسالة الأخيرة على يد نبينا ﷺ وانما تشمل كل الرسالات، وقد وردت هذه الدعوة على لسان النبي سليمان عليه السلام^(٣).

٢ - اكتسبت الثورة الايرانية صفة «الثورة الاسلامية» منذ البداية وذلك من خلال النداءات.. يعني رسائل المراجع عامة وقائد الثورة خاصة.. سواء كانت موجهة الى المسؤولين في ذلك الوقت والتي من لا يظن نفسه مسؤولاً، وفيها دعوة الى «الحكمة» و«الموعظة السليمة» و«ليسر بالتي هي أحسن»

(١) بحار الأنوار: ١/١٦٤ - ٢/٩١٧، ٩١٨.

(٢) المادة: الآية ٤٨.

(٣) التفسير الموضوعي: ٥١٧، ٥١٨ سيرة الانبياء.

٣ - عندما انتصرت الثورة الاسلامية تحققت شمولية الاسلام العالمية، لكن الاصلاحات في داخل الحدود مقدّمة على الاصلاح في الخارج.
 واذ كان القرآن: ﴿ ذكّرئ للبشر ﴾^(١) و ﴿ هدى للناس ﴾^(٢) و ﴿ للعالمين نذيراً ﴾^(٣) فان عليه أن يبلغ رسالته اسماع العالم وأن يقدم ثورته الفكرية والعقيدية الى الناس جميعاً. لم تنتصر الثورة بالقوة بل بالتضحيات والايثار وهذه هي وسيلتها إذن في الانتشار.

٤ - وكما ان الثورة الاسلامية انتصرت على يد الامام فعلى يده أيضاً يتم تصديرها.

٥ - ان تصدير ثقافة الثورة الى زعماء العالم يعني إسماع أمم العالم.
 هذه هي الاسس التي تشكل الغائية في اعداد رسالة الامام الخميني الى غورياتشوف زعيم الاتحاد السوفيتي السابق.. عندما انتهت سنوات الدفاع المقدس الثمان وثمانين وقت اعادة البناء والاعمار فان الأولى «اعادة بناء الثقافة والعقيدة» ولقد كانت الشعوب التي من المحتمل أن تتأثر هي التي ادركت بأن الشيوعية قد وصلت الى طريق مسدود بعد سبعين سنة من الحكم الدكتاتوري.. ان مجرد احتمال تأثر تلك الشعوب يجعل من ارسال النداء التاريخي ضرورياً جداً.

ولذا فانه لدئى عودتنا من موسكو خاطبنا الامام مبتسماً..

- هل رأيتم أثراً محتملاً؟

هذا لأنه كزعيم احتمال التأثير فهو يعتبر نفسه مسؤولاً.. لأنه لو كان جازماً بعدم التأثير فان ارسال ندائه يكون مجرد عبث. الآن وقد مرّ عام على ارسال الوفد

(١) المدثر: الآية ٣١.

(٢) البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) الفرقان: الآية ١.

من قبل الامام الخميني إلى الاتحاد السوفيتي لدعوته إلى الاسلام وترشيد النظام السياسي الحاكم فان علينا أن نحيي هذه الذكرى التاريخية.

لأن دعوة الكتلة الاشتراكية والعالم الماركسي إلى الاسلام كان عملاً رائداً وما تزال هذه الخطوة تؤتي أكلها وثمارها حتى الآن.

وما نريد مناقشته في هذا البحث هو تحليل حركة الامام التاريخية ودراسة مواقف الكتلتين في الشرق والغرب والآثار السيئة التي تركتها الكنيسة والفايكان في المسار العالمي ونداء الامام الخالد.. ومن تحليل هذه الأبعاد ينبغي أولاً تحليل جاهلية القرن العشرين، وعندما تتجلى ضرورة نهضة الامام التاريخية، كما حلل الامام علي عليه السلام الآثار المباركة لبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ليوضح ضرورة بعثة النبي ورسالته.

والذي تطرق إليه أمير المؤمنين عليه السلام في تحليل العصر الجاهلي هو انحسار الحنيفة دين سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام، وسيادة العبادة الوثنية والتباهي بالظلم والقهر واعتبار ذلك مجداً: ﴿قد أفلح اليوم من استعلى﴾^(١) لقد ساد شعار الفراغة هذا في الحياة الجاهلية حتى كان المجد للغالب والقوي دون أي اعتبار لملاك أخلاقي.

الحكماء خائفون آنذاك والجهال بيدهم زمام السلطة وأدوات القهر.. وكانت النتيجة هي انزواء الحق وظهور الباطل^(٢) ثم شاء الله هداية الضالين و ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا﴾^(٣) وحمل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله أعباء الرسالة. وما نراه في العصر الحاضر والقرن العشرين يشبه الجاهلية القديمة فاضافة

(١) طه: الآية ٦٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢.

(٣) آل عمران: الآية ١٦٤.

الى سيادة القوة والتسلط ظلاماً، نرى انحسار الأديان السماوية وسيادة الفكر الالاحادي.

وخمود المسيحية يتجلّى في سيطرة المسيحية الامريكية على الفاتيكان، ولم يبق من آثار المسيحية العيسوية شيء يذكر.

فما هو شائع الآن بين مسيحي العالم لا يمت بصلة الى سيرة المسيح ﷺ.. لأن منح القداسة للخمر الذي يعصف بعقل الانسان واعتباره ركناً دينياً، وتبني الكنيسة لذلك رسمياً يشكل تناقضاً مع رسالة المسيح ابن مريم.

وكذا مسألة السفور والعري، الموسيقى المخدّرة تحظى بمباركة الكنيسة.. الكنائس نفسها تحفل بالتمائيل والرسوم.. كل هذا يشكل بمجموعه «ديناً مخدّراً» مما دفع بالبعض مثل «ماركس» و «انجلز» الى اعتبار «الدين أفيون الشعوب».

وبالطبع المسيحية بوضعها الحالي تسوغ للذين يقولون بان الدين مجرّد «أفيون» لأنها تعتبر ظلم الظالمين قدراً الهياً، وتحاول اقناع المظلومين بذلك لأن الثورة ضد الظلم انما هي تمرّد على القدر الالهي! والكنيسة تمنح عطفها للجميع ظالمين ومظلومين: في حين ان الله سبحانه ليس الجميل الرحيم الرحمن فقط بل هو المنتقم الجبار القهار..

والله سبحانه لم يخلق الجنّة وحدها بل خلق الجحيم.. ولم يدع الى الصفح والعفو فقط بل أمر بالجهاد والمقاومة.

أما المسيحية اليوم فهي الحب للجميع ظالمين ومظلومين، ولأن الظالم كما هو الذي يقبل بالظلم كلاهما يحظى بعطف الكنيسة، فان تكريس هذه الحالة من الظلم ستؤدي الى أن يتفاقم القهر أكثر فأكثر.

وهذه هي المسيحية الامريكية التي تمتد من الفاتيكان الى اقسس نقطة في

العالم المسيحي.

ان القوتين العظميين تسلكان ذات السيرة المشؤومة للطغاة والمتسلطين، وقد أشار القرآن الكريم الى حالة التنافس في القهر والتسلط والنفوذ: ﴿ أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾^(١).

فكلا القدرتين تتباهيان بالسلاح والثراء ومن: ﴿ هم أحسن أئاماً ورءياً ﴾^(٢). وفي أجواء عالمية يسودها القهر الاجتماعي والظلم الاقتصادي وحيث يغطي الحرمان مساحات سكانية واسعة ظهر الامام الخميني. ظهر كما ظهر موسى وهارون وواجهها الفرعون.. ظهر الامام الخميني ليوافقه فراغته الشرق والغرب.

المحور الأساس في الرسالة: دعوة الناس الى الله، ثم يأتي عن الأرض والمياه في مرحلة ثانية لأن المهم ايقاظ القلوب الغافية وضاءة الفكر، لأن الحديث ليس في دائرة الجبال والبحار والسهول بل في دائرة القلوب.. قلوب الناس.

لقد ملأ آل فرعون قلوب الناس رعباً، فجاء موسى ليخاطب آل فرعون: ﴿ أن أدّوا اليّ عباد الله إني لكم رسول أمين ﴾^(٣) أو ﴿ أن ارسل معنا بني اسرائيل ﴾^(٤). وجاء جواب فرعون الذي تردده اليوم دول معسكر الشرق ومعسكر الغرب: ﴿ وتنادى فرعون في قومه أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ﴾^(٥).

(١) النحل: الآية ٩٢.

(٢) مريم: الآية ٧٤.

(٣) الدخان: الآية ١٨.

(٤) الشعراء: الآية ١٧.

(٥) الزخرف: الآية ٥١.

ولقد كان الفراغة ﴿ يذبون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾^(١) واليوم اذا ما تأملنا ما يجري في افغانستان و فلسطين لرأينا أعمال الفراغة بالأمس تنفذ اليوم في مذابح لا حد لها واضطهاد وظلم وقهر.

ولذا فان رسالة موسى بالأمس هي نفسها اليوم، ونداء التوراة بالأمس يترجمه القرآن الكريم في هذا العصر الفرعوني الجديد.

عندما بعث الله موسى ﷺ الى فرعون كانت عناصر الرسالة كما يلي:

١ - علم الله موسى منهاج الدعوة.

٢ - علمه نص الدعوة.

٣ - وضع له محور القيادة.

٤ - اثبت جواب الفرعون كسند تاريخي.

٥ - وضع آثار الرسالة وآثار الجواب أيضاً.

الله سبحانه في منهاج وطريقة الدعوة خاطب موسى ﷺ وأخاه هارون:

﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾^(٢).

أمره أن يذهب الى فرعون بالمعجزات الالهية، وأمرهما بالذكر ولا يشعرا بالضعف.. ولم يستخدم القرآن الكريم هذه المفردة «ونئ» وهي بمعنى «وهن» إلا مرة واحدة في هذه المناسبة فقط كما أمرهما باسلوب الدعوة: ﴿ فقولا له قولاً لينا لعله يذكر أو يخشى ﴾^(٣).

فهناك من خلال الآيات دعوة قوية واثقة، ولكن باسلوب لين بعيد عن العنف.. اسلوب يعتمد القوة والمرونة.. القوة في الايمان والمرونة في الخطاب.

(١) ابراهيم: الآية ٦.

(٢) طه: الآية ٤٢.

(٣) طه: الآية ٤٤.

أما نص الدعوة فيجب أن يكون مستمداً من البراهين والادلة، ولذا عندما سأل الفرعون موسى: ﴿فمن ربكما يا موسى؟﴾^(١) قال موسى: ﴿ربنا الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى﴾ إن ربنا الذي منح هذا الوجود بأسره نظامه المتقن، ومنح كل شيء نظامه الداخلي ضمن غائية شاملة.. ولقد عرض موسى في كلماته القصيرة ثلاثة أنظمة:

١- النظام الداخلي للأشياء؛ وقد أثبت العلم التجريبي الى حد ما ذلك.

٢- النظام الفاعلي للأشياء وقد اثبتت الفلسفة الالهية ان لهذا الكون خالقاً وهو

الله.

٣- النظام الغائي للأشياء وقد اثبتته الفلسفة الالهية أيضاً وهو هدفية الوجود وحركته باتجاه «المعاد».

كلمات معدودة وردت على لسان موسى ﷺ كشفت عن ثلاثة محاور: «الفاعلية» حيث الله خالق كل شيء والنظام الداخلي لكل شيء وأخيراً الغائية التي تحرك جميع الأشياء.

وعندما تساءل الفرعون عن محور الدعوة قال موسى وهارون: ﴿أن أرسل معنا بني اسرائيل﴾^(٢).

تحرير بني اسرائيل من مسلسل العذاب والقهر الذي يرزحون تحت نيره. الرسول الالهي أمين على النوع الانساني ولهذا قال موسى ﷺ يخاطب الفراعنة: ﴿أن أدوا اليّ عباد الله إتّي لكم رسول أمين﴾^(٣) ولكن الفرعون اعتبر هذا المطلب تدخلاً في شؤون دولته الداخلية.

(١) طه: الآية ٥٠.

(٢) الشعراء: الآية ١٧.

(٣) الدخان: الآية ١٨.

وقالت أجهزته القمعية: ﴿تالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهب بطريقتكم المثلثي﴾^(١).. فسّر آل فرعون هذه الدعوة المخلصة بأنها تدخل في الشؤون الداخلية ومحاولة للقضاء على التمدّن والحضارة الفرعونية!

واختتم موسى ﷺ نداءه ورسالته بأن حيّا الذين يتبعون الهدى والحق: ﴿قد جنناك بآية من ربك، والسلام على من اتبع الهدى﴾ لم يقل له السلام عليك فالسلام على من يتبع الحق والحقيقة ولا سلام للفراعنة.

والذكريات المريرة التي ظلّت في ذاكرة الفراعنة ان الله سبحانه قال: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾^(٢) حتى ﴿غشيهم من اليم ماغشيهم﴾^(٣).

ما تطرّقنا اليه كان جانباً ونموذجاً لقيادة الانبياء ﷺ ولأن محور البحث هو رسالة الامام الخميني الى زعيم الاتحاد السوفيتي السابق، فينبغي أن نرى من هو الامام وفي أي عصر نهض، ومن خاطب، ومنهج الخطاب، ونص دعوته ومحور قيادته وكيف ذيل رسالته وأخيراً النتائج التي تمخضت عن كل ذلك؟

ما فعله موسى مع فرعون جاء امتداده في ما فعله الامام الخميني مع ميخائيل غورباتشوف باعتبار الأخير زعيماً للنظام الشيوعي.

الامام الخميني آمن بأنه «ولئى المسلمين».. كثير من الفقهاء قالوا بولاية الفقيه ولكن الذين اعتقدوا بالفقه الولاىي كانوا قلة قليلة^(٤).

فمن الممكن ان يعتقد الانسان بولاية الفقيه، لكنه يقول لست أنا الفقيه بل هو شخص آخر.

(١) طه: الآية ٤٧.

(٢) القصص: الآية ٤٠.

(٣) سورة طه: الآية ٧٨.

(٤) «آواى توحيد» / نداء التوحيد، رسالة الامام الخميني الى غورباتشوف: ٢٤.

الامام لم يقل بولاية الفقيه فحسب بل آمن باتساعها الى الحد الولائي وأدرك ايضاً بأنه الفقيه الولي..

فقال أنا ولي الفقه وواجبي اذا رأيت فقهاً متمدداً افقياً أن أعيده الى حالته العمودية.

ولذا نهض الفقه بجناحين فقد أيقظ الفقه النائم ليكون الفقه القائم. وأصولاً «الولي الفقيه» هو من يقيم الفقه من حالته الأفقية الى حالته العمودية والدين الافقي الى دين عمودي.. يعني أن ينهض بالقرآن الكريم ليغادر الرفوف الى ميدان الطوفوف.

ان واجبه أن يأخذ بهذا الدين الذي أخذ الى الأرض، ليكون الدين القائم فوق الأرض.. ومالم يكن الدين قائماً لن يصدر نداءات القيام والمقاومة.

الامام الخميني يقول بالفقه الولائي، واطافة الى ذلك ان الامام عندما قال بذلك آمن به عقلاً وروحاً ونهض بمسؤولياته.

أما أولئك الذين قالوا بولاية الفقيه عندما حانت لحظة المواجهة مع الظلم قالوا: وما ربطني أنا بهذا الموضوع للدين صاحب يقوم في آخر الزمان^(١).

انهم اکتفوا بالاعتراف الرسمي بولاية الفقيه ولكنهم لا يعتبرون أنفسهم أولياء وإلا لنهضوا بما نهض به الامام الراحل عليه السلام.

الامام رأى نفسه ولياً للفقه وكان أهلاً لذلك حقاً.. الامام لم يكتف برؤيته الى القرآن الكريم كتاباً سماوياً يقص علينا أحسن القصص، ويذكر ما حلّ بالماضين

(١) «أحد العلماء عليه السلام هكذا كان يقول: ان قلبي لا يحترق من أجل الاسلام اكثر من صاحب الزمان عليه السلام حسناً انه يرى كل ذلك وهو الذي يأتي فلماذا أنا.. هذا منطلق أشخاص يريدون التنصل من عبء المسؤولية.. الاسلام يرفض هؤلاء..» صحيفة نور: ٤٧٥/١.

الذين كذبوا الانبياء والرسالات.. لتتلى آياته في المساجد والحسينيات، وإنما نظر اليه كتاب العصر الفياض بالحياة.. الكتاب الذي ما يزال يشع بالنداءات والرسالات وما يزال يخاطب العالم بأسره^(١).

ومن هنا ظهر الامام عليه السلام في عصر جاهلية جديدة بصفته وارثاً لكتاب الله وسنة نبيه وفي طليعة تلامذة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وسليل من ظهر في الجاهلية القديمة وسليل من جاء بالقرآن لمحو الجاهليات القديمة والجديدة: ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل﴾^(٢).

الآن وقد وضح لدينا محور دعوة موسى عليه السلام ورسالته ماذا كان موقف فرعون؟ وآثار رسالة موسى عليه السلام؟. فلنتأمل في رسالة الامام الخميني الراحل الى سيادة ميخائيل غورباتشوف.. لنتأمل منهج الدعوة فيها ومضمون الرسالة.. محاورها الأساسية وجواب الكرمين، وأخيراً الآثار التاريخية لكل ذلك. إن رسالة الامام كانت «رسالة تعليم» ولم تكن «رسالة تسليم» وقد خرقت بذلك الاطار الدبلوماسي الى ما هو أوسع بكثير.

وكما أمر الله سبحانه موسى بالانطلاق الى فرعون وإليني في ذكره ولا يشعر بالوهن، فان الوفد الذي حمل رسالة الامام الى غورباتشوف انطلق يحمل هذه الروح التي تستمد قوتها من صلابة الآيات.. آيات القرآن الكريم.. وللأمانة فقد أصغى الرجل بكل أدب الى كلمات الرسالة حرفاً حرفاً.

ونص الدعوة اشتمل على أدلة التوحيد واثبات ماوراء الطبيعة: والغائية التي

(١) «طالما قرأنا القرآن ونقرأه.. فرعون كان كذا وموسى كان كذا.. ولا نتدبر في كل ذلك.. حسناً لأي شيء يذكر القرآن هذه القصص؟.. من أجل تصبح مثل موسى وتواجه فرعون عسرك»: صحيفة نور: ٤٨١/١.

(٢) سبأ: الآية ٤٩.

ينطوي عليها الوجود: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لالعين﴾^(١).
ومن محاورها أيضاً «قيادة الجماهير المحرومة في العالم» ولم يرو حديث عن الأرض والمياه بالرغم من تصورات غورباتشوف وتوقعاته، لأن إيران قد وافقت على القرار (٥٩٨) القاضي بوقف اطلاق النار وبداية مزحلة إعادة البناء.
كان يتصور أن هناك دعوة للتعاون الاقتصادي وطرح مسائل مثل النفط والغاز.. لقد كانت تصورات مسبقة أعدوا لها أجوبة حاضرة.

لكنه عندما أصغى إلى رسالة الامام ودعوته إياه إلى الاسلام.. تبددت كل تصوراتهم وأوهامهم كسراب أو كضباب بعد شروق شمس دافئة، ولهذا لم يجد بُدّاً من الخضوع والاصغاء.

إنّ نص الدعوة يجب أن يرافقه برهان ودليل، ومحورها الدفاع عن حقوق المحرومين والحفاة في العالم، وإلى هذا اشار الامام ﷺ: انكم سحقتم شعوباً حرّة وراء ستار الشيوعية الحديدي، بحيث لم يعد أحد يسمع صوتاً حرّاً من العالم ولا سمحتم لأنّات المظلومين أن تصل إلى آذانكم.. دعوا الناس يتأقّهون بحرّية ودعوهم يسمعوا صوت الاسلام..».

ثم يخاطب الامام غورباتشوف:

حاذر أن تجتذّبك حضارة الغرب على اساس: ﴿أن تكون أمة هي أرى من أمة﴾^(٢) ولا يفرك بريق الغرب على اساس ان ﴿هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾^(٣) إنّ الأفق الغربي هو أفق السقوط.. والغرب على حافة السقوط لأن ﴿من يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾^(٤).

(١) سبأ: الآية ٤٩.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٢.

(٣) مريم: الآية ٧٤.

(٤) الحج: الآية ٣١.

وكان أهم جواب يمكن لغورباتشوف أن يقدمه للوفد الإيراني انه يعتبر الرسالة تدخلاً في الشؤون الداخلية لدولة أخرى!
وقد ردّ الوفد على ذلك قائلاً: إنكم احرار في أرضكم وسمائكم.. وهذا النداء لا يتدخل في مياهمكم ولا بحاركم ولا ترابكم ولا مناجمكم.. انه يهتم في إضاءة نفوسكم.

ان ما نراه اليوم من انتشارٍ لظاهرة الانتحار والكآبة مردهً الى الاحساس بالضيق وافترقاد الأهداف التي تبرّر للمرء الحياة.. انه بالرغم من الرفاه المادي نرى ظاهرة الهيبيز ونرى جنوحاً للانتحار وسقوطاً في هاوية الكآبة.

هذا كلّه في وجود الامكانيات التي ترافق الانسان من المهد الى اللحد.
هذا كلّه والجامعات مفتحة الأبواب فلا «كونكور»^(١) ولا هم يحزنون، وأبواب المستشفيات مفتوحة فالجميع ينعمون بضمان صحي واجتماعي.. كل هذا ونسبة الانتحار تتفاقم.. لانهم صموا أسماعهم عن نداء الفطرة الانسانية.

لقد تضمنت رسالة الامام الراحل براهين الانبياء وكلمات المرسلين وكان جواب غورباتشوف جواب الفراعنة إذ قالوا عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ يريدان أن يخرجاكما من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾^(٢).

وكما ختم سيدنا موسى خطابه لفرعون قائلاً: (والسلام على من اتبع الهدى) انه عليه السلام يحيي الذين يعيشون الى نور الحقيقة ويتبعون الهدى والحق.

ولم يطل الزمن حتى شهدوا بأعينهم كيف انهار جدار برلين، واعلان معظم الدول الشيوعية سقوط الاشتراكية الى الابد.. لقد سقطت النظم الشيوعية هذه النظم

(١) امتحانات القبول في الجامعات الإيرانية حيث يعيش خريجو الاعدادية هاجس القبول وتعيين المصير! (المترجم).

(٢) آل عمران: الآية ٧٩.

التي نهضت على مئات الآلاف من جماجم الأبرياء.

ولقد كان من الصعب عليهم ان يعترفوا بسقوط الماركسية، وفشل الحزب الشيوعي.

وكان هذا من آثار الرسالة التاريخية للامام الراحل.. ولقد كان هذا مدهشاً للجميع في الشرق والغرب، ولذا تلقفوا ترجمات هذه الرسالة بمختلف لغات العالم: وانه من الضروري أن تبقى هذه الذكرى حية في ذاكرة الأمة.

وأساساً لقد جاء القرآن الكريم من أجل تربية رجال عظماء مثل الامام الراحل عليه السلام وانه ليس القرآن وحده يؤكد على أن تكون للانسان همّة عالية وإرادة قوية وانما هو مسار النبوات وغايتها الرسالات الالهية.

ولا تنحصر دعوة القرآن الكريم للناس بالعدالة والقسط والتقوى في اطار الفردية، بل تتسع دعوة القرآن الى بيان الغاية النهائية للرسالات الالهية والنبوات جميعاً الى تربية عالم رباني، حر ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾^(١).

و«الرباني»: الشديدا الارتباط بالرب.. والانسان الرباني تجلّت له مواهب الله لأنه يعبد الله اكثر من غيره، فمنحه ملكة التدبير.. ولأن قلبه ذائب في حب الله فان قلوب الناس تهفوا اليه.

فرسالات الانبياء جاءت من أجل تربية عالم رباني ينهض بدوره ومسؤوليته، وفي عصرنا الحاضر يتألق اسم الامام الراحل مصداقاً للعالم الرباني.

ولم يقتصر تأثير رسالة الامام على الشرق وحده بل تعدى ذلك الى الغرب،

(١) آل عمران: الآية ٧٩.

لأن الامام جذر الغرب بشكل غير مباشر عندما حدس بان غورباتشوف قد يخطف بصره بريق الغرب فينجو من خطر الماركسية ليسقط في خطر آخر هو الرأسمالية. وكما أن لموسى عليه السلام معجزات كبرى لكنه كان مسلحاً بمعجزتين عظيمتين: «اليد البيضاء» وعصاه التي هزم بها السحرة، الامام أشار الى معجزتين في رسالته احدهما بمثابة اليد البيضاء والأخرى تعدل عصا موسى.

ان سقوط نظام حكم جثم على ايران مدة ٢٥٠٠ سنة ليس بالأمر الهين. لقد كان ذلك خارقاً للعادة، ولا يمكن لأية قوّة عادية أن تقوم بذلك.. كان معجزة حقيقية، وهذه المعجزة ليست للشعب ولا للامام إنها معجزة القرآن الكريم والعترة الطاهرة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

كيف يمكن لنظام ضرب جذوره في أرواح الناس على امتداد ٢٥٠٠ عام، أن ينهار؟! هذا النظام الذي بلغت هيمنته النفسية والثقافية الى حدّ محو التاريخ الهجري واثبات تاريخ كورش الكبير!

لقد بلغت هيمنة النظام الطاغوتي أن الناس كانوا يمحوون التاريخ الهجري من على شواهد قبور الموتى ليثبتوا بدلها تاريخ كورش والتاريخ الشاهنشاھي. ولم يكن ليحبرهم أحد على ذلك.. الالزام الوحيد كان في الدوائر الرسمية، ولكنها الهيمنة الثقافية التي يفرزها نظام طاغوتي متجذّر في روح الامة.

كيف يمكن أن يسقط هكذا نظام وبأيد عزلاء لينهض على أنقاضه نظام اسلامي؟ في حين كان الاسلام في هذه البلاد نسياً منسياً.. وفي وقت كان الفتیان والفتيات يعيشون علاقات حرّه في شمال البلاد وفي أيام عاشوراء!

وإذا كان من حديث للاسلام في هذه الزاوية أو تلك من ايران فان المقصود هو الاسلام الامريكي!

انه عمل يرقى الى المعجزة، تحقق على يد انسان ذاب في العشق الالهي فوهبه

الله معجزات الانبياء.

واذن فان ظهور الاسلام كان معجزة، وسقوط النظام الشاهنشاهي كان معجزة أيضاً.

فلم يكن الامام الراحل يفكر في أي اعتبار شخصي، كان همه الوحيد هو رضا الله وحده^(١).

وقد بين القرآن الكريم قانون المعجزات في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢).

وفي ظلال هاتين المعجزتين القرآن والعترة انبعثت ثقافة الاسلام على يد وارث علوم الثقلين، واصبحت ايران اليوم قبلة طلاب العلم والثقافة الاسلامية.

بالأمس قال النبي ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٣) واليوم نرى حتى الصينيين يولّون شطرهم الى ايران من أجل العلم، وشعارهم اطلبوا العلم ولو في ايران.

وهذا هو معنى تصدير الثورة لأن المسلمين من الصين والباكستان و... يتدفقون الى ايران من أجل انتهاز الثقافة الاسلامية.

ومع ظهور معجزة القرآن والعترة في عصرنا الراهن اجتثت على يد الامام الراحل ﷺ وباذن الله ومشيئته كل جذور الفساد والانحراف، وانطوت ثقافة النظام البهلوي المنحط لتكون أثراً بعد عين، كأن لم تغن بالأمس ﴿فجعلناها حصيداً كأن

(١) إنّ هذا القرار (الموافقة على قرار مجلس الأمن ٥٩٨ لوقف الحرب بين العراق وايران) هو من أجل مصلحة الاسلام وأملي الوحيد رضا الله ورحمته.. صحيفة نور ٢٤١/٢ الطبعة القديمة..

(٢) محمد: الآية ٧.

(٣) نهج الفصاحة: ج ٣٢٤.

لم تغن بالأمس ﴿١﴾.

لقد أشارت رسالة الامام الراحل الى هاتين المعجزتين: انتصار الثورة الاسلامية وسقوط النظام الشاهنشاهي.

ان انتصار الثورة الاسلامية يفنّد مقولة (الدين افيون الشعوب) لأن الدين المقصود هو دين الكنيسة وليس الاسلام.

الله سبحانه انقذ المسيحية بعد نزول القرآن وحفظ اليهودية، ولولا القرآن الكريم الذي نرّه الانبياء، واعلن مريم بأنها العذراء البتول، وأعلن التوحيد لكان للتدين اليوم شكل يجعل الناس ينفرون من المسيحية ولا يبقون في اليهودية.

القرآن الكريم مجّد اليهودية الحقّة والمسيحية الأصيلة، ونزه موسى وعيسى ورفعهما الى مقام العصمة والطهارة، ذكر جهادهما وجهودهما ومجدهما، ولولا القرآن لما ظل اليوم يهودي يؤمن بموسى ولا مسيحي يمجّد عيسى كما قال ذلك المرحوم كاشف الغطاء.

لا يوجد عاقل اليوم يقول ان الله تصارع مع فلان من الانبياء أو ارتكب كذا من الحرام والشور، إنّ هذه الاتهامات والافتراءات هي صورة للمسيحية واليهودية الامريكية على اساس ان امريكا هي الشيطان الأكبر.

ولولا ظهور الامام في العصر الحاضر، ما عاد للكنيسة اعتبارها، ان هؤلاء الذين نراهم يتحدثون عن المسيحية انما يقصدون المسيحية الامريكية.

ولو أنكم زرتم الفاتيكان عن كذب وقرب لرأيت الحضور الامريكي بجلاء.

عندما سألت المسؤول عن المجمع الكنسي: كيف تمنحون المحبة للظالم

والمظلوم على السواء؟!

قال: ديننا دين المحبة.

قلت: الغضب من الظالم لا ينسجم مع المحبة له.

انكم تعتقدون ان المسيح قتل في هذا الطريق.. انه لو لم يصرخ.. لو لم يغضب فلن يقتله أحد.. ولولا كان يمنح المحبة فقط، لأحبه الجميع.. ظالمين ومظلومين ولم يصلبه أحد حسب اعتقادكم!

ان كلمات المسيح ﷺ وموسى (عليه السلام) لم تكن كما يدّعي هؤلاء. كل الأنبياء كانوا يقولون لأقوامهم الوثنيين: ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾^(١). أجل كانوا يعلنون غضبهم واستيائهم ازاء الوثنية والظلم والظالمين، ولو كان منهجهم كما يدعي هؤلاء هو «المحبة للجميع» لكانت قوى التسلط تحميهم لا تضطهدهم، لأن مثل هذه الافكار تبرر للظالمين ظلمهم وتمنع المظلومين من الثورة. لقد حدد الامام الخميني الحدود الفاصلة بين المسيحية الاصلية وبين المسيحية الامريكية:

﴿ واستاثوا اليوم ايها المجرمون ﴾ ايران اليوم قوة جديدة ولكن ليست من أجل ايران بل من أجل الاسلام.

انكم تلاحظون أن ايران اليوم لا تتمتع بالرفاه المادي الموجود في بعض الدول ولكن ما هو موجود هو الفكر الذي منح ايران العزة والشرف والكرامة.

الله سبحانه هو اله الاسلام الاصيل، ولذا فهو عندما يكون رب العالمين يصرح بانه ولي الذين آمنوا فقط وان الكافرين لا مولى لهم.

الله سبحانه لا يكلم زعماء المذاهب والأديان الباطلة.. يقول سبحانه: ﴿ إن الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في

بطونهم الآ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ﴿^(١)﴾.
والذين لا يكلمهم الله سوف يكونوا من نصيب الشيطان يغذيههم الأوهام
الباطلة: ﴿ان الشياطين ليوحون الي أولياتهم ليجادلوكم﴾ ^(٢).
الله سبحانه يكلم الجميع وما هذا الوجود الآ كلمات الله عز وجل: ﴿ولو أن ما
في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات
الله﴾ ^(٣) و﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات
ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ ^(٤)... إنها كلمات التكوين في كل نقطة، وفي كل ذرة من
هذا الوجود الفسيح.
ولكن الله له كلمات خافية هي من نصيب أهل القلوب لا يكلم بها الذين اتخذوا
دينهم لعباً وهزواً.

وهو الله ﴿بكل شيء بصير﴾ ^(٥) وهو ﴿على كل شيء شهيد﴾ ^(٦) ﴿عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾ ^(٧) وهو لا ينظر الى
المستكبرين ولا يشملهم بلطفه لا في دنياهم ولا في آخرتهم، ومن لا ينظر اليه الله
سيكون تحت نظر الشيطان، والذي لا يكلمه الله من الذي سيكلمه حينئذ؟ من سيكلمه
غير الشيطان، سوف يسقط في براثن الشيطان، ويكون الشيطان سمعه الذي يسمع

(١) البقرة: الآية ١٧٤.

(٢) الانعام: الآية ١٢١.

(٣) لقمان: الآية ٢٧.

(٤) الكهف: الآية ١٠٩.

(٥) الملك: الآية ١٩.

(٦) النساء: الآية ٣٣.

(٧) سبأ: الآية ٣٤.

به وعينه التي بها يرى^(١).

وعندها لا يمضي شيئاً إلا ما ارتضاه الشيطان الاكبر، والآهل يعقل ان الفاتيكان لم يسمع أنين المظلومين وصراخ المعذبين في فلسطين؟! لقد جاء عيسى عليه السلام مصدقاً لرسالة موسى عليه السلام لأنه جاء: ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾^(٢) فماذا قال موسى عليه السلام؟ لقد خاطب بني آدم ونهاهم عن الظلم والآي يقتل الانسان أخاه الانسان ولكن آل فرعون كانوا: ﴿ يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾^(٣) كان أول اعتراض لموسى عليه السلام هو على المذابح.. على قتل الانسان لأخيه الانسان، وكانت رسالة عيسى عليه السلام هو التصديق لرسالة موسى عليه السلام. ولكن الفاتيكان يكتم هذه الحقيقة.

ولذا فان المسيحية الامريكية هي التي وقّرت الأرضية لقيام النظام الماركسي في روسيا.

ولقد اصبح لدينا واضحاً الآن من هو الامام وماذا كانت رسالته وما هو مضمون نهضته وحجم التضحيات التي قدمها الشعب.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧.

(٢) آل عمران: الآية ٣.

(٣) ابراهيم: الآية ٧.

الفصل السابع عشر

مرحلة الايمان في ظلام الاتحاد

تقرير اجمالي حول رحلة وفد الامام الخميني الى الاتحاد السوفيتي
- خريف ١٩٨٨ -

كانت مهمة الوفد مايلي:

- ١ - الاحتفاظ بسريّة الخطاب حتى لحظة الابلاغ، وبالرغم من دقة الأجهزة المكلفة بكشف أسرار الرسالة، لكن أحداً لم يوفق في معرفة المضمون العام لها: ولذا تضاربت احتمالات من قبيل القرار ٥٩٨، حالة اللاحرب واللاسلم فيما ظل المضمون الأساس للرسالة وهو الدعوة الى الاسلام سرياً.
- ٢ - مراعاة جانب الأدب الذي هو القاعدة العريضة للعلاقات الدولية الاسلامية، وقد أمرت الشريعة بمراعاة الأدب حتى مع اليهودي.. واليهودي يومذاك كان مثال العدو الأكثر شراسة ولؤماً وحقداً ووقاحة.
- ٣ - أن يكون اعضاء الوفد بمستوى شخصية الموفد الكبرى، والآ يشعروا بالضالة أو الصغار في حضرة زعيم الاتحاد السوفيتي الدولة العظمى، كما ان مضمون الرسالة من السمو ما ينبغي على أعضاء الوفد أن يسمو الى مستواه. ولذا فان الصلابة والاعتداد بالنفس هي المطلوب في حركات الوفد وسكناته.. والرسالة من القول الثقيل الذي يتطلّب أناساً بمستوى هذه المهمة.
- ٤ - لا تسلّم الرسالة الى السيد غورباتشوف وانما تقرأ حرفاً حرفاً وترجم جملة جملة ثم تسلّم اليه حتى لا يقول انه سيقراها في فرصة مناسبة.. فالرسالة

تقرأ بالتفصيل واذا كان هناك استيضاح فيقدم حالاً.

٥ - وحتى يمكن ابلاغ الرسالة الى الاتحاد السوفيتي بأسره، فقد ارفقت مع الأصل الفارسي لرسالة الامام ترجمة كاملة باللغة الانجليزية، وبالرغم من أن الخطاب موجه الى زعيم الاتحاد السوفيتي ولكنه يعد خطاباً موجهاً الى العالم بأسره.

وقد انتخبت اللغة الانجليزية لأنها الأكثر شيوعاً في العالم، ولذا فقد سلّمت الرسالة الأصل والترجمة الانجليزية فور انتهاء القراءة.

في الساعة الحادية عشر من يوم الاربعاء ١٤ دى ١٣٦٧^(١) تم اللقاء في قصر الكرملين مع الزعيم السوفيتي.

كنا قد سئلنا قبل ذلك عن عدد أعضاء الوفد؟ - كانوا يريدون اختصار أعضاء الوفد الى واحد أو اثنين - قلنا ان الوفد يتألف من ثلاثة أعضاء ولن ينقص منهم أحد علاوة على السفير الايراني في موسكو الذي سيكون حضوره حتماً.. واذن نحن أربعة اشخاص.

ولذا استقبلنا غورباتشوف ورفقته ثلاثة اشخاص.. مسؤول العلاقات السياسية للحزب، معاون وزير الخارجية، مترجم وصحفي اتخذ مقعداً بعيداً لاعداد تقارير للحزب.

عندما دخل الوفد قصر الكرملين أستقبل بكل أدب واحترام، وامتد اللقاء الى حدود الساعتين ودقائق.

الدقائق الأولى كانت لتبادل عبارات ودية، ومن المواضيع التي تطرق اليها السيد غورباتشوف في البداية هي: اننا وبالرغم من الاختلاف الايدلوجي بيننا على

(١) المصادف لسنة ١٩٨٨م.

استعداد للتعايش بسلام الى جانب بعضنا البعض، ولأنكم تحملون رسالة هامة فلن أبدد وقتكم.

وبدأ الوفد الايراني مهمته بتقديم التبريكات: نقدم لكم خالص التبريكات بمناسبة ميلاد واحد من أعظم الانبياء، وبهذه المناسبة نقرأ عليكم نداء أحد القادة الالهيين. ولأن الرسالة كانت مطولة فقد كنا مضطرين الى قراءتها جملة جملة لكي يتسنى ابلاغها بأمانة ودقة.

وفي بعض الموارد كان المترجم يطلب منّا التوقف، وتكرار العبارة من أجل فهمها وخلال هذه المدة التي استغرقت ثلاثة أرباع الساعة ثم الساعة مع الترجمة كان السيد غورباتشوف يصغي بأدب تام، وخلال ذلك كان يسجل بنفسه بعض الكلمات وكذا معاونيه أيضاً.

لقد كان مضمون الخطاب العام الدعوة الى الاسلام وهذا هو معنى الدين عين السياسة والسياسة هي عين الدين^(١).

ولم يرد ذكر لأية مفردة سياسية لا الى القرار (٥٩٨) ولا الى حالة الاحرب والاسلم سوى اشارة الى أفغانستان: انكم اذا عرفتم الاسلام على حقيقته لأعدتم النظر في مسألة افغانستان.

وبالرغم من غياب المفردة السياسية في الخطاب، إلا انه يعد خطاباً سياسياً، وقد جاء في ذيل الرسالة: واننا كذلك نؤمن بالتعايش السلمي وحسن الجوار.

وعصارة الموضوعات التي تطرق اليها السيد غورباتشوف وما نقلها المترجم بالفارسية عبارة عن:

اولاً: أقدم شكري بقلكم رسالة الامام الخميني.

(١) ولايت فقيه (رهبري در اسلام) / ١٣، ١٤.

ثانياً: انه يستعد لارساله الجواب.

ثالثاً: انه سوف يصلح بعض أخطاء الماضي حتى لا تتكرر.

رابعاً: أننا بصدد المصادقة على قانون حرية الدين والمعتقد.

خامساً: وكما اشرت في مقدمة حديثي اننا ومع اختلافنا في الفكر والعقيدة

نستطيع الحياة بسلام في ظلال من حسن الجوار.

ثم سكت لحظة قبل أن يقول بابتسامه: «اننا أيضاً لنا فكر وعقيدة ولنا فلسفتنا

التي نؤمن بها».

يتبسم مرّة أخرى: انني اقول هذا الكلام على سبيل المزاح: يبدو أن الامام لا

يرتاح لايدلوجيتنا.. فهل يحق لنا أن ندعوه نحن أيضاً الى اعتناق عقيدتنا؟ (ثم يردف

فوراً): انه مجرد مزاح!

تأملوا الفرق بين الزعيمين: الامام يدعوه الى الاسلام بكل اخلاص والآخر

يعتذر ويقول: إنني امزح!

وفيما يتعلق بالقسم الثاني من حديث غورباتشوف فهكذا قال: - أما القسم

السياسي للرسالة فانه يجب الانتباه الى ان هكذا رسائل تعتبر أحياناً تدخلاً في

الشؤون الداخلية لدولة أخرى..

وكان هذا الموضوع المحور الهام في حديثه.

عندما انتهت حديثه جاء الدور للوفد ليجيب وكان جوابنا كما يلي:

أولاً: نقدر لكم اصفاءكم لهذا النداء على امتداد اكثر من ساعة ونشكركم على

صبركم وكمال أدبكم.

ثانياً: ونقدر لكم استعدادكم للاجابة.

ثالثاً: نقدر لكم قراركم باصلاح أخطاء الماضي.

رابعاً: نقدر لكم أيضاً لائحة قانون حرية الدين.

ولأنه اعتبر رسالة الامام شكلاً من أشكال التدخل في الشؤون الداخلية لدولة ذات سيادة فقد جاء جوابنا كمايلي:

سيد غورباتشوف!

أنكم أحرار من أعماق الأراضي الروسية والى ذرى المجزات في سماء بلادكم.. تفعلون ما تشاءون لأنكم في بلدكم.

ولكن هذا القائد الالهي لا يرنو الى ترابكم، ولا الى سماء روسيا مايهمه فقط أرواحكم ونفوسكم^(١).

سيد غورباتشوف!

عندما تموت فهل يكون مصيرك كمصير الشجرة تعمّر ستين أو مئة سنة ثم تجف وتيبس؟ أم كطائر - حبس في قفص مدّه من الزمن ثم ينطلق حرّاً الى الأبد؟^(٢) هذان طرازان من التفكير يختلفان تماماً..

ان هذا الرجل الالهي يقول لكم: انك لست شجرة.. انه يقول: انت موجود وأبدية الفكر صفاتك وأفعالك..

هذه مشكلتكم الاساسية عندما تتصورون ان الموت فناء.

هذا ما قاله الوفد وكان اللقاء قد تجاوز الساعتين بقليل.. نهضنا وقلنا أثناء التوديع: في أمان الله.. ومن الله التوفيق..

قال: شعبنا يقول: العمل.

قلنا: وشعبنا قال: الهنا نتوكل عليك في ثورتنا.. ولقد ثار الشعب والزم القوي الكبرى حدودها.

(١) ويشيروا لهم دفائن العقول، نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) تفسير الميزان: ٣٦٨/١، تفسير القرآن الكريم / صدر المتألهين: ١١٠/١.

وكان من ضمن الوفد أخت كريمه لها تاريخ مشرق في الجهاد السياسي، وقد قدّمتها الدبلوماسية الايراني: سيدة لها تاريخ في النضال ودخلت السجن بسبب ذلك وهي الآن نائبة في البرلمان (حتى لا يقال ان الاسلام حرم نصف المجتمع من امتيازاته الاجتماعية وأن المرأة مشطوب عليها في الاسلام).

وقد أبدى الزعيم السوفيتي اعجابه ومدّ يده ليصافح السيّدة، وفوجيء بأنها تمتنع عن مصافحته.. هذا في الوقت الذي يعدّ الدخول في قصر الكرملين وحده أمنية للكثيرين فما بالك بمصافحة زعيم دولة عظمى؟!

كان موقفها يمثل ثقافة الاسلام الذي مكّن المرأة وفتح لها آفاق العمل السياسي بحجابها الشرعي الذي يصون عفتها ويحفظ لها كيانها الانساني. انها تمثل ثقافة الاسلام في نظامه الجمهوري، الذي حملها مسؤولية ابلاغ رسالة هامة الى دولة كبرى تتزعم الالحاد في العالم، وقالت كلمتها في قصر الكرملين دون أن تتأثر بأي لون من المؤثرات.

على هامش الرحلة:

استغرقت الرحلة اقل من ٢٤ ساعة يعني من الساعة الحادية عشر صباحاً وحتى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي، حيث غادرنا موسكو وكان قد استغرق منا أربع ساعات.

وفي هذه الرحلة كان لقاءنا مع السيد غورباتشوف الوحيد الذي اتسم بالاحترام الكامل سواء في الاستقبال والتوديع.

عندما حطت طائرة الجمهورية الاسلامية الايرانية في مطار موسكو كانت المدينة يغطيها الثلج، وقد حضر ممثل من السيد غورباتشوف، ومعاون وزير

الخارجية وامام جمعة موسكو وكان إماماً حزبياً، وقد اشار الامام مرّة الى الاسلام السوفيتي وكان ذلك الامام ممن ينتخبه الحزب.. حضر هؤلاء لاستقبالنا. منذ نزولنا الى أرض المطار وحتى قاعة الاستقبال رافقنا ممثل غورباتشوف ومن صالة الاستقبال الى العاصمة موسكو رافقنا معاون وزير الخارجية. وكان من المقرر لوفدنا ألا يتحدث الآ في شؤون العقيدة.. لأن يسأل عن درجة الحرارة في موسكو مثلاً هل هي تحت الصفر؟ أو عن موسم الثلوج وأسئلة من هذا القبيل.

كان همهم أن يظهرنا لنا أهمية لقاء الغد وان زعيمنا مع كثرة مشاغله وضع أعماله جانباً من أجل استقبالكم.. وان لقاء الغد سيكون فائق الأهمية ولذا خذوا قسطاً وافياً من الراحة و..

كانت مهمة الوفد أن يبلغ رسالته الى الجميع وأن يقوم بسفارته على أكمل وجه.

وساقنا الحديث الى الزلازل التي خربت أرمينيا وأعربنا عن أسفنا. وهم أيضاً اعربوا عن تقديرهم للجمهورية الاسلامية الايرانية التي هبّت للمساعدة. وتساءلوا: هل تتعرّض ايران للزلازل؟ قلنا في بعض الاحيان ولكن ليست بهذه القوّة، ولكننا تحملنا زلازل الحرب المفروضة مدّة ثمانية أعوام.

قال المترجم: ان ايران تعرّضت للزلازل قبل ثمانية أعوام. وصححنا له ذلك. قالوا: انه بعد ٢٤ يوماً من الزلزال في أرمينيا عثر على أطفال وكبار تحت الانقاض أحياءً. وحتى لا يفسر ذلك بما وراء الطبيعة و«عالم الغيب» قالوا صادف وجودهم قرب سايلو القمح ولأنه تصدّع بسبب عنف الزلزال، فقد كانوا يتغذون منه وكانوا يشربون من الثلج الذي يذوب. ومع ذلك فقد لمسنا منهم اعتقاداً بإله ولأن الذهب والأياب وفر فرصة مناسبة لطرق مسائل من هذا القبيل فلسفية أو فطرية.

قلت: ألا يوجد لهذا العالم الزاخر بالنظام منظم؟

قال: المادّة أزلية الماضي وأبدية المستقبل.

قلت: وهل هذا النظام صادر عن مادّة عديمة الادراك؟ هل للمادّة ادراك؟

قال: المادّة في الانسان لها روح وادراك.

لقد كان جوهر القضية عن المادة الأولى.. مادّة البدء.. ورأيت محاورى يجهل

هذه المسائل الفلسفية.

ولذا رأيت أن اطرق الموضوع من نافذة أخرى.. نافذة الفطرة الانسانية.

لقد جاء في الروايات المأثورة عن الامام الحسن العسكري عن أبان عن الامام

الصادق عليه السلام انه سئل عن الله ما هو الله؟

فكان جوابه بهذه الطريقة

كان الجواب مجموعة من التساؤلات الوجدانية:

- هل سافرت يوماً في سفينة؟

- نعم!

- فهل صادفتك أمواج عالية ورياح عاتية وظننت ألا منقذ؟

- نعم

- فهل شعرت بأن قلبك اتجه الى شيء قادر على خلاصك ونجاتك؟

- نعم

عندها قال الامام الصادق:

- فذلك الشيء هو الله القادر على الاتجاء حيث لا منجى.. وعلى الإغاثة حيث لا

مغيث.

ولقد تحدثت الى محاورى بهذه الطريقة.. قلت له: إذا شعرت بالحاجة الى شيء

فإلى من تراجع.

قال: جهاز الحزب!

قلت: فإذا كنت بين السماء والأرض ولا يمكنك الاتصال بأحد؟
سكت لحظات ثم قال: هذه المنطقة لا تدخل ضمن عقائد الناس.

عندما يرى المرء نماذج من هذا القبيل يشعر تماماً بأنهم ﴿صَمَّ بكم عمي فهم لا يعقلون﴾^(١).

لقد سَدَّت عليهم سبيل الإدراك خلال هذه السبعين سنة حتى ان فطرتهم اندثرت أيضاً.

وخلال هذه الرحلة لم يتسنَّ لنا الاتصال بالناس لأن مهمتنا لم تكن ذلك ولم تكن هناك فرصة للاتصال.

حتى المترجم الذي رافقنا من المطار الى القصر انتهى دوره ليأتي مترجم آخر في القصر!!

تأملوا حجم الضغوط التي يتعرض لها الناس هناك!

عندما انتهى الحوار بيني وبين معاون وزير الخارجية سألت المترجم عن موسم الثلوج كم يستغرق هنا؟ حتى هذا السؤال ترجمه الى معاون الوزير. ولدى عودتنا الى المطار سألته أين تعلم الفارسية وهو ترجم السؤال الى معاون الوزير أيضاً؟!.. هذه ضغوط هائلة.

من أجل هذا قال الامام الراحل عليه السلام لو قُدر لنا أن نفقد نعمة (الحريّة) مقابل الرفاه المادّي، فان امتنا لن تنسى الطريق الأصيل أبداً..

وهذا هو الملاك والأساس والمعيار.

اننا عندما نقبل أضرحة ائمتنا الاطهار علي وابناء علي عليهم السلام قلأنهم ارشدونا الى الهدى.

ان هذه الدول مع كل امكاناتها الكبرى تعيش زمنا أسود.. لأنها فقدت نعمة
الايمان.

الله وحده يعلم أية هاوية كانت بانتظارنا لو أننا خسرنا نعمة التوحيد التي
أهدانا إياها أهل البيت عليهم السلام.

إنَّ بحبوحه البركات التي ننعم بها هي من آثار الامام الراحل، وهو وارث
اجداده الطاهرين.

الامام الراحل كان يعتقد ان الانسان لن يكون شيئاً ما لم يكن في رحاب أهل
البيت.

وما لم يسافر المرء هنا وهناك من عالمنا الذي يزرع تحت نير الالحاد والشرك
لن يدرك مجد الجمهورية الاسلامية ونعمة الاسلام الحنيف.

الفصل الثامن عشر

الحكومة الإسلامية.. النعمة الكبرى

- شتاء ١٩٩٢ -

لم يترك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عهده إلى مالك كل ما يمكن عدّه من خصائص نظام الحكم الّو وأشار إليه.. قال فيه مثلاً: «وأَمْض لكل يوم عمله فإنّ لكل يوم مافيه»^(١) فلا مكان لتأجيل عمل اليوم إلى غد.

عند تقسيم الوقت وبرمجة الزمن خلال «٢٤ ساعة»: ينبغي ان نختار الوقت الأفضل لتعزيز علاقتك بالسماء: (واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله سبحانه وتعالى أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الاقسام)^(٢). ومن هنا يؤكد الامام علي عليه السلام على انتخاب الوقت اليومي الأفضل من أجل الصلاة والارتباط بالغيب.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾^(٣). ولذا لا ينبغي القول: «العمل أولاً ثم الصلاة» لأنها لن تكون قرباناً طيباً متقبلاً لأن الصلاة: «قربان كل تقي» كما انّ قراءة القرآن في الصلاة في حالات الاجهاد البدني لن تكون قرباناً.

وما يقرب العبد إلى ربّه هو قربانه، وهذا لا يقتصر على الأضاحي في العاشر من ذي الحجة، بل ان كل عبادة تقرب الانسان إلى خالقه وبارئه هي قربانه الذي

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) النساء: الآية ٤٣.

يقتَرَب به.

فكما جاء في الصلاة: «الصلاة قربان كل تقي». جاء في الزكاة أيضاً. ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام موضحاً فلسفة العبادة بشكل عام، حيث كل الاعمال في اطار النظام الاسلامي تستحيل الى عبادة يقول عليه السلام: (وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرغبة)^(١).

فهناك ركنان يحوّل العمل الانساني الى عبادة:

١ - النية الطيبة الحسنة.

٢ - خدمة الشعب.

فكل عمل يتوفر فيه شرطان: «حسن الفاعل» و «حسن الفعل» هو عبادة لله سبحانه وتعالى وحسن الفعل ما عاد على الأمة بالخير والصلاح.

القسم الثاني من البحث يرتبط بموضوع «النعمة» التي أنعمها الله علينا ولا يعرف قدرها أحد.

ولقد ادرك الامام علي قدر تلك النعمة جيداً.

ففي خطبته عليه السلام المعروفة بـ «القاصعة» وقد جاءت بعد ثلاثة حروب خاضها الامام ضد «الناكثين» و«القاسطين» و«المارقين» استعرض ثلاثة فصول تاريخية لسلالة الانبياء ليؤكد ان الله سبحانه لا يجامل أحداً فسُنن التاريخ التي هي سنن الله سبحانه تمضي في الجميع.

الفصل الأول من مسلسل التاريخ يبدأ مع قيام ابراهيم الخليل ونهضته التوحيدية المباركة.. وتسّم بسببها أبناؤه واحفاده وذريته ميراث النبوات والإمامة وبتعبير القرآن الكريم «الملك»: ﴿وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٥٢.

العالمين ﴿١﴾

هذه هي الحلقة الأولى من التاريخ، أما الحلقة الثانية فالاعتبار بتاريخ ذرية اسماعيل واسحاق: «فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل فما اشدّ اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الامثال»^(٢).

لقد جرت عليهم قوانين التاريخ وتمزقوا وهنا يدعو الامام الى تأمل مصيرهم: «وتأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرّقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق، وخضرة الدنيا الى منابت الشيع ومهافي الرياح ونكد العيش فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر ووبر»^(٣).

تقاسمت أرضهم دولة فارس وامبراطورية الروم، وضاعوا بين نفوذ كسرى وحكم قيصر واصبحوا عبيداً بعد ان كانوا أحراراً.. وهم لم يستعبدوهم فقط وانما شرّدوهم الى مناطق جافة.. فكانت حياتهم في ضيق (ونكد معاش) هذه هي سنن التاريخ مع ذرية ابراهيم وابناء اسماعيل، واحفاد اسحاق وبني اسرائيل.. اضحوا أصحاب «دبر ووبر»^(٤).

أصبحوا حفنة من الشخّاذين اذلة مساكين. ولم يلقهم هذا المصير البائس الا لأنهم تركوا «الدين الحق» وسقطوا في هاوية النزاع والاختلاف، وحتى نأمن الوقوع في مثل ذلك المصير مطلوب منا «الايان» و«التضامن».

وهذه هي الحلقة الثانية من تاريخ سلالة الانبياء قبل ظهور الاسلام.. ثم يأتي

(١) المائة: الآية ٢٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) اشارة الى استخدامهم في الرعي وسكنهم في مخيمات في حياة شبيهة بالترحّل (المرجم).

الفصل الثالث والحلقة الثالثة من هذا التاريخ التي تبدأ بظهور سيدنا محمد (صلوات الله عليه وآله) وظهور الاسلام و«عصر كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة» ولينتهي زمن الشتات: «فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويُمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم، لا تغمزُ لهم قناة ولا تفرع لهم صفاة»^(١).

فعاد مجدهم بالاسلام بعد ان كان نسياً منسياً مندثراً دارساً، ليصبحوا هم الحكام على من كان حاكماً عليهم فقهروا القياصرة وهزموا الأكاسرة، وتدفتت غنائم الحرب إلى أرض الحجاز.

وهذا هو الفصل الثالث من تاريخهم.

ثم يشير الامام علي عليه السلام - وبعد أن استعرض الحلقات الثلاث من ذلك التاريخ الملحمي - إلى ظهور بوادر التمرد على الشريعة وما يؤدي له ذلك من أخطار التمرد الداخلي.

«ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية»^(٢).

أنكم تنقبون هذه القلعة الكبرى والحصن الحصين، وتتركون الاعتصام بحبل الله: «وقد امتنَّ الله سبحانه وتعالى على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها ويأوون إلى كنفها بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة لأنَّها أرجح من كل ثمن وأجلُّ من كل خطر»^(٣).

والآن لتأمل في مكونات هذا التحليل الهام للتاريخ في حلقاته الثلاث.. إذا ما

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق.

أردنا التأمّل في دور الامام الخميني القيادي في إعادة السعادة والسيادة للشعب الايراني.

الامام الراحل الذي هو الوارث بالحق للنبي الاكرم ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام أدرك الأدوار الثلاثة في ايران جيداً، فنهض بما ينهض به الوارثون.. اذ من الصعب جداً أن نخلص لأحد ونحبّه ونتعلّق به الى الحدّ الذي نفديه بأرواحنا ونفوسنا ولكن الامام كان أهلاً لذلك.

سوف لن نذهب بعيداً في الماضي، بل سنتحدث عن القرن الماضي فقط وبالتحديد منذ عصر الميرزا الشيرازي^(١) فمن ذلك الوقت وحتى الآن نكون قد اجتزنا ثلاث حلقات تاريخية.

لقد كان الاسلام في ذروة مجده ابان الفتوى التاريخية، وبلغ علماء الدين ذروة مجدهم لان المسلمين ابان تلك الفترة كانوا يرجعون اليهم في الاستفتاء والقضاء. ثم اعقبت تلك الفترة فترة أخرى شهدت انحساراً في التدوين ووصلت بالمسلمين الامور أن ﴿ ضربت عليهم الذلّة والمسكنة ﴾^(٢) الذين شهدوا السنوات بين (١٣٠٨ - ١٣٢٠) هـ ش يعرفون ان الاثني عشر سنة تمثل حلقة مذلّة في تاريخنا.

طبعاً سبقت الذلّة هذا التاريخ، وأعقبته أيضاً ولكنها كانت أسوأ فترة كانت «أصحاب دبر ووبر»: مساجد كثيرة في شمال البلاد تحولت الى مخازن... المدرسة الفيضية كانت مخزناً، دكان الكسبة الذين ينتشرون في أطراف الحرم يضعون الصناديق الخالية في حجرات المدرسة.. وقد اشار الامام مرّات الى الطلاب كانوا يذهبون الى البساتين في النهار ويعودون أثناء الليل خوفاً.

(١) المرجع الميرزا محمد حسن الشيرازي صاحب فتوى التباكو التاريخية (المترجم).

(٢) البقرة: الآية ٦١.

وحقاً أن ﴿ ضربت عليهم الذلّة والمسكنة ﴾ تصدق على الأمة الايرانية آنذاك..

هناك عاملان وراء هذا المصير البائس للامة الاسلامية:

١ - ترك الدين.

٢ - الاختلافات الداخلية

ثم بعث الله الينا ابن النبي والوارث بالحق للائمة المعصومين الامام الراحل ليعيد الى الاسلام مجده، ويرقع رايته عالياً، واصبح الاسلام قوّة يحسب لها ألف حساب وحساب.. حتى الشيطان الاكبر «عليه لعائن الله والملائكة والناس اجمعين» يتملق المسؤولين في بلادنا من أجل إعادة العلاقات.. ان ابن النبي ﷺ هذا قد أعاد الى الاسلام مجده منذ ١٥ خرداد ١٣٤٢^(١) ومنذ ذلك الوقت بدأت قوافل الشهداء.

وانه من المناسب الآن أن اشير الى محاور تلك الوثبة الدامية التي وفرت الأرضية التي أعادت العزّة والكرامة والمجد لايران وكانت الطليعة من نهضة الأمة الايرانية المجيدة بقيادة الامام الراحل ﷺ.

في يوم ١٥ خرداد كانت دفقة ضوء أنارت طريق الثورة، ورسمت ملامح القائد في الوجدان.. كانت شعلة كشفت عن مخزون الثورة وروح الثائر القائد.

الامام الخميني جسّد أبعاد الثورة التي انطلقت يوم ١٥ خرداد:

الأول: البعد العاشورائي عندما تزامن يوم الثورة مع ١٢ محرّم ١٣٨٣ هـ ق وشرارة الخطاب الخميني فأصبح عاشوراء ظرف زمني للثورة.

الثاني: مهد هذه الانطلاقة وهي المدرسة الفيضية مهد الفقه.. هذان بعدان أساسيان يشكلان «زمكان» الثورة وهنا نرى الامام يشير الى البعد الثالث في تأمل

(١) تاريخ مذبحة الفيضية (المترجم).

شهداء مذبحة ١٥ خرداد.

اقرأوا شواهد اضرحة الشهداء هل تجدون شخصاً واحداً غير مسلم؟ أم كانوا جميعهم مسلمين موالين لأهل البيت عليهم السلام.

البعد الرابع: لتأمل الآن في حياة الشهداء من أية طبقة كانوا؟ هل كانوا مسرفين، مترفين أم طبقة الفقراء والمستضعفين والمحرومين؟.

إذا ما تأملنا في هذه الابعاد الأربعة سوف ندرك الحداد السنوي الأبدي في ذلك اليوم الذي تجلّى عاشوراء فيه.

لقد هب المحرومون والمستضعفون من زوايا المدارس الدينية.

ان الحلقات الثلاث في تاريخ البلاد ماتزال في الذاكرة، حتى لا تتكرر التجربة المريرة في «ترك الدين» و«الاختلافات الداخلية».. تلك التجربة المرّة يوم ﴿ ضربت عليهم الذلّة والمسكنة ﴾ ^(١) وقد جاء في الحديث المأثور: (لا يلسع العاقل من جحر مرّتين) ^(٢).

القسم التالي من البحث هو في أن ما بيّته أمير المؤمنين حول أهداف بعثة النبي صلى الله عليه وآله تصدق عليه ذاته أيضاً، وعلى من ورثه من نرّيته الى أن نصل الى شخص الامام الراحل عليه السلام.

فالخطاب العلوي للنبي صلى الله عليه وآله نراه أيضاً في زيارة أربعين الامام الحسين سيد الشهداء وهذا ما يمكّننا أن نخاطب به الامام الراحل في زيارته لأنه تلميذ أهل البيت. في زيارة الأربعين نرى نهضة الامام الحسين من أجل هدفين:

١ - توعية الناس

(١) البقرة: الآية ٦١.

(٢) بحار الأنوار: ١٣٢/١ الرواية ٢٩.

٢ - انقاذهم من الضلالة والحيرة^(١): «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة». وقد قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»^(٢). فالهدف الحسيني من الثورة هو ذات الهدف المحمدي من البيعة.. يقول الامام علي عليه السلام: «فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة»^(٣).

فالمطلوب من الانسان الوعي أولاً، والعمل ثانياً فالأول علم والثاني عمل. ان سنن التاريخ طرق مشرعة.. طريق يؤدي بالناس الى: ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾^(٤) وطريق يوصل بالناس الى المجد (فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين)^(٥) وهذه هي سنن الله، وحركة التاريخ التي يؤكدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إن عدتم عدنا﴾^(٦) وقوله عز وجل: ﴿إن تعودوا نعد﴾^(٧) فإذا تفهقت الأمة الى ذات الحالة المنحرفة، انحسر عنها فيض النصر وهذه من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ومن الممكن أن تبدأ الذنوب والمعاصي في ما يخامر الانسان في فعل المكروه ثم ارتكاب ذنوب صغيرة، ثم التورط في الكبائر وبعدها يسقط - معاذ الله - في أكبر الكبائر..

الأنانية والغرور تجرّان الانسان الى المخاطرة، يخدع الانسان نفسه بالتسوية أي التوبة فيما بعد، ثم يصل الى مرحلة أسوأ عندما تسدّ عليه منافذ

(١) من الممكن أن يكون الانسان متعلماً ولكنه ضالاً.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/٢٧ الرواية ٤٠.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١، بحار الأنوار: ٣٢/٨٨ الرواية ٣٦.

(٤) البقرة: الآية ٦١.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

(٦) الاسراء: الآية ٨.

(٧) الانفال: الآية ١٩.

التشخيص فيظن نفسه على الحق، وهو على باطل فهو يهدم ويظن نفسه يبني:
﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾^(١).

في بحثه المغالطة يقول ابن سينا ان الانسان قلماً يغالط عندما يتباحث مع آخر لأنه يصغي بحذر، لكنه عندما يكون لوحده في مكتبته الشخصية يطالع مثلاً فكثير ما يقع في المغالطة لأنه لا يحتاط، وهو غافل عما يفعله العفريت في باطنه.

اننا نتوهم ان المقصود من: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢) النفس الأمارة بالسوء في حين أن الحقيقة غير ذلك.

ان الشيطان لا يترك الذين ليسو من أهل المعصية وحالهم.. انه يطمع في اغوائهم دائماً، ربما ينجح في ايقاعهم في مغالطات فكرية.. أم تراه يتركهم يدركون الحق مباشرة؟ انه ينفذ من خلال الوهم والخيال ويقوم بتغيير الحدود الوسطى، كما لو أنك ترتب منضدتك وأوراقك ثم يأتي شيطان صغير ويعبث في الأوراق مقدماً ومؤخراً.

كذلك شيطان الباطن يقوم بتغيير الحدود الوسطى باستمرار؛ واذا حدث ولو أقل تغيير في الحدود الوسط في البرهان فان ذلك يوقع الانسان في المغالطة فيخدع نفسه وهو لا يدري!

يقول العلامة الطباطبائي^(٣): «ربما يقضي الانسان عمره في ولاء للشيطان وهو لا يدري» ان معرفة النفس ليست أمراً ميسوراً.

يتساءل أبان بن تغلب حول حديث من قال لا إله إلا الله يوم القيامة دخل الجنة:
«من شهد أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة.

(١) الكهف: الآية ٤ - ١.

(٢) نهج الفصاحة ٦٦/ حديث ٣٣.

(٣) صاحب تفسير «الميزان» (الترجم).

قال: قلت له (الامام الصادق): انه يأتيني كل صنف من الاصناف فأروي لهم هذا الحديث؟

قال: نعم يا أبان انه اذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين فيُسلبُ منهم لا إله إلا الله إلا من كان على هذا الأمر»^(١).

وكيف يستطيع غير الصادق أن ينطق بكلمة التوحيد الخالص في: ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾^(٢) انه يوم تتحرّر فيه جوارح الانسان ولن تكون سيطرة على ملكاته، لأنها لو كانت خاضعة لنا ما شهدت ضدنا.

ان من لا يراقب نفسه فانه سيكون عرضة لعفريت المغالطة الكامن في أعماقه، هذا العفريت الذي سوف يعبث بالمعايير.. وعندها يتصور المرء أنه على حق وهو على باطل وهذه المغالطة لا تقتصر على العلماء بل تشملنا جميعاً يخزّبون: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(٣).

والامام علي عليه السلام يؤكد على هذه النعمة الكبرى، نعمة الحكم الاسلامي.. هذه النعمة التي وهبها الله للبشر فاذا لم تصن وتحفظ، فان كل الاشياء السيئة سوف تظهر بمظهر براق كالحسنات، وتكون النهاية للجوء الى الاجانب والغرباء:

«وانكم إن لجأتم الى غيره حاربكم أهل الكفر... ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل، ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم، إلا المقارعة بالسيف بينكم حتى يحكم الله بينكم»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ١٢/٣ الرواية ٢٥.

(٢) النور: الآية ٢٤.

(٣) الكهف: الآية ١٠٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

أجل سوف يحدث هذا عندما تديرون ظهوركم للاسلام وتتركون الثقلين..
 كتاب الله وعتره النبي ﷺ.. عندما تفعلون ذلك وتولّون وجوهكم شطر الاجنبي...
 سنكونون يومها عرضة لهجوم الكفار ولن تغينكم السماء فلا جبريل ولا
 ميكال يأتيان لنجدتكم.

هذا: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) والملائكة لا تستطيع أن تهب للقتال
 إلا بأذن ربهم ولا أنن لهم يومئذ.

يروى صاحب الاحتجاج (الطبرسي) عن رجل شامي سأل أمير المؤمنين
 علي عليه السلام عن البعد بين السماء والأرض فقال عليه السلام:
 - «مدّ البصر ودعوة المظلوم».

ويعلق العلامة الطباطبائي على هذه الاجابة (ربما في بحثه استجابة الدعاء)
 «ان هذا الحديث من غرر رواياتنا ومن لطائف بيان أهل البيت عليه السلام».
 لأن السائل اذا كان قصده المسافة والفاصلة فأنها مدّ البصر واذا كان
 المقصود «سما الغيب»^(٢).

من المستحيل ان لا تفعل دعوة المظلوم فعلها.. من غير الممكن أن تنبعث دعوة
 من القلب ثم لا تصل الى الله سبحانه.

ان الذين يظلمون انما يستندون في قدرتهم الى قبيلة والى سلطة، اما المظلوم
 فيرنو الى السماء فتنبعث من أعماقه نداءات الاستغاثة التي هي أجلى صور التوحيد
 في الأفعال ومن المستحيل ألا تستجاب.

(١) الفتح: الآية ٤.

(٢) سما الغيب هي السماء التي لا تفتح أبوابها للكافرين: «ان الذين كذبوا بآياتنا
 واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء» الاعراف: ٤٠
 لا هذه السماء التي تجوبها سفن الفضاء.

فلماذا كل هذا الظلم اليوم ثم لا ترى أثراً للدعاء؟ هنا يكشف الامام علي عليه السلام عن سرّ ذلك: لأن المسلمين أهملوا أصول الاسلام وتركوا الدين، وفي هذه الحالة وعندما تتعرضون أيها المسلمون الى الظلم، لن يهب أحد لمساعدتكم وتقديم العون لكم: «ثم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ينصرونكم الا المقارعة بالسيف بينكم حتى يحكم الله بينكم».

ثم يحذّر الامام عليه السلام من ترك «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (فإن الله سبحانه وتعالى لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم الا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(١).

الموضوع الآخر في هذا البحث هو بيان القرآن الكريم واشاراته الى أسباب السقوط واندثار الظالمين.

فالخطاب القرآني موجه الى الفئة التي حققت نصرها من خلال ارتباطها بالسماء واصبحت قوة سياسية وكياناً ذا سيادة:

﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال﴾^(٢).

ها أنتم الآن تجلسون في نفس الموقع الذي كان يحكم فيه الظالمون، وقد عرفتكم اسباب سقوطهم ان هذه الاسباب لا تعرف استثناءً لأحد. انها قوانين السماء وحركة التاريخ تسري على الجميع.

ان موقعكم هو اختبار لكم: ﴿فينظر كيف تعملون﴾^(٣). وانكم في هذا الموقع لا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤.

(٢) ابراهيم: الآية ٤٥.

(٣) الأعراف: الآية ١٢٩.

لشيء إلا ﴿لنتظر كيف تعملون﴾^(١).

والقرآن الكريم بشكل عام تنقسم آياته الى قسمين «بشير» و«نذير» والانبياء والرسل جميعاً «مبشرون» و«منذرون».

اننا نجد القرآن الكريم زاخراً بالعلم والحقول العلمية، لكننا اذا تأملنا جانب الموعظة نجد له انتشاراً أوسع لماذا؟ لأن الموضوع العلمي لا يحتاج الى تكرار، فمسألة رياضية يتعلمها الانسان لا تحتاج الى تكرار لقد اتقنها وانتهى «أما الموعظة فلازمة التكرار والتأكيد لماذا؟ لأن العدو الداخلي لا يهزمه العلم.. الشيطان عقد العزم على إغواء البشر منذ ظهور آدم.. عقد العزم على إغرائهم واستخدامهم مطايا له وقال صراحة يخاطب ربّ العزة: ﴿لئن أحرّتي الى يوم القيامة لاحتكنّ ذرّيته الآ قليلاً﴾^(٢) و﴿لأغوينهم أجمعين﴾^(٣) و﴿لأزيننّ لهم في الأرض﴾^(٤) و﴿لأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم﴾^(٥) وهو لا يكتفي بهذا فقط بل وسيستخدمهم مطايا له.

وما دامت حالة الشيطان هي الاحتناك ومحاولة الركوب، فان علينا ألا نهمل الموعظة والنصح، وأعمال مثل الطهارة الدائمة والصلاة في أول الوقت والجلوس باتجاه الكعبة، ولا نقوم بنفي أو اثبات كلام لم نتأكد بعد أحقيته أو بطلانه.. ومثل هذه الأعمال هي مقاومة للشيطان الذي يحاول ركوبنا وتسخيرنا واحتلالنا. ومن هنا يمكن ان ندرك بان جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، لكنه بطبيعة الحال

(١) يونس: الآية ١٤.

(٢) الاسراء: الآية ٦٢.

(٣) ص: الآية ٨٢.

(٤) الحجر: الآية ٣٩.

(٥) النساء: الآية ١١٩.

ليس عسيراً على الذين هذبوا أنفسهم ورؤضوها فهي راضية مرضية و ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾.

والسرّ في صعوبة الجهاد الاكبر لأننا نواجه عدوّاً نذلّاً لا يمتلك أدنى صفة في الفروسية والنبل.

مثلاً اننا عندما نواجه عدوّاً يتمتع بالفروسية والنبل فهو إذا شئ الحرب علينا فإنه سيعلن ذلك وانه سيهاجمنا في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية ونحن بدورنا نستعد للهجوم هذه فروسية.. أما أن يأتي عدوّ بقناع من الصداقة المزيفة فيحتل مواقعنا ويخرّب خنادقنا ثم يعلن تحديّه لنا فهذه نذالة وخسّة وانحطاط، وستكون حربنا معه صعبه وشاقة جداً... وهذه هي حربنا مع العفرية الكامن في أعماقنا!

عادة ما يظهر العقل في بدايات سن البلوغ ثم يصل ذروته في سن الأربعين وإذن فأمامنا أربعون سنة حتى نعمل، أما الفترة التي تسبق هذه السن ومنذ مرحلة الطفولة حيث تموج النفس الانسانية بالشهوة والغضب وحب الجاه والنفوذ والأنانية وهي تتحرك بكامل أسلحتها..

وفي الوقت الذي نبلغ فيه الأربعين ليدخل العقل ميدان الوعي تكون جميع المواقع محتلة.

ولذا جاء في ثقافة الاسلام وأدبياته تأكيد على ألا يسمع الطفل في لحظة الميلاد سوى كلمات الله فيؤذن في أذنه اليمنى ويهمس في أذنه اليسرى بالإقامة.

والآ تغذوه الآ الحلال والآ نتفوه على مقربة منه الآ بما يرضي الله سبحانه تلاوة قرآن أو موعظة أو قانون أخلاقي نابع من سورة النور لماذا؟

لأن الانسان حتى في هذه المرحلة يحتاج الى جهد وتعبئة عامّة.. إنّه في حالة حرب.

ومن المؤسف أننا لسنا كذلك ندرك المخاطر والعدو المتربص بنا وعندما ننتبه

الى ذلك نجد مواقعنا وخذائنا محتلة في قبضة العدو.. وتكون مهمة تحرير المواقع وطرده العدو شاقة وعسيرة..

ولكن الله لا يخذل عباده فالدعاء مستجاب، وعمل الخير يضاعف لنا، و لطف الله يحمينا وهو معنا في جهادنا الأكبر.

الفصل التاسع عشر

الحكومة الاسلامية.. الفلسفة والأهداف

- صيف ١٩٩٢ -

ان ضرورة تشكيل نظام للحكم وإدارة المجتمع وقيادة الحياة وفق القانون أمر يؤمن به جميع المفكرين.. أما أولئك الذين يدعون إلى القوضوية ويرفضون النظام القانوني فهم امتداد للخوارج.

كل نظام حكومي ينهض على قاعدة عقيدية، وتكون غاياته منبثقة من أصول العقيدة التي ينطلق منها.

والحكومة الاسلامية ليست استثناءً في هذا الاتجاه.. أن لها أهدافها وغاياتها التي تنسجم والأصول التي تنتسب إليها.

وهنا اشارات إلى مقاصد وأهداف الحكومة الاسلامية التي تشكل في مجموعها «فلسفة للحكومة الاسلامية».

أولاً: ان قيادة المجتمعات البشرية وسياستها، تعد في طليعة العلوم الانسانية ومن اكثرها اهمية، ومعرفة العلوم الانسانية تحتاج إلى معرفة الانسان.

الانسان مخلوق يدرك نفسه من خلال غيره، والعالم كذلك أيضاً مثل الانسان يدرك وجوده من غيره، والانسان والعالم مرتبطان معاً لأن كلاهما يتأثر ويؤثر في الآخر.

ومن المستحيل أبداً أن تتم معرفة الانسان من دون معرفة المبدأ الفاعل الذي وجوده عين ذاته، والذي منح الانسان والعالم نعمة الوجود وجعلهما منسجمين مع

بعضهما البعض بالنتيجة لا يمكن معرفة سياسة المجتمع الانساني وحكومته.
ثانياً: الانسان وفق الرؤية الاسلامية يقع على رأس ثلاثة نظم والتي لا تعتبره
العقائد الغير الهية موجداً لهذه النظم الثلاثة: الأول: النظام الفاعلي؛ الثاني: النظام
الداخلي المخصوص الثالث: النظام الغائي الخاص.

والنظام الفاعلي هو ان جميع العلل التي سببت ظهوره ونموه انما هي مخلوقات
لإله واحد أحد. والمبدأ الفاعل الوحيد للعالم والانسان انما هو الله سبحانه، ولا يوجد
عامل مستقل أبداً أسهم في تحقق وجود الانسان.. وكذا لا يوجد مخلوق له دور
مستقل في نموّه.

النظام الداخلي للانسان هو ان حقيقة مؤلفة من روح مجردة وجسم مادي؛
يعني ان الانسان ليس مثل الملائكة روح بدون جسم.. وليس مثل الاجرام والكواكب
جسم بلا روح، وان المقوم لانسانية الانسان هو الروح التي لا تعرف الفناء والزوال
لأنّ الجسم قابل للزوال لأنه من تراب.

النظام الغائي له هو أنه بالموت لا يفنى بدنه، بل هو حي معه يلج عالماً ثانياً بعد
زوال عالم الدنيا هو عالم القيامة وبيد مناسب للعالم الخالد، وأن جميع عقائده
وافكاره وكذا جميع أخلاقه وأوصافه وجميع أفعاله وتصرفاته تحشر معه ولا يمكنه
الانفكاك عنها.

الانسان في المذاهب المادية يفتقد النظام الفاعلي بمعناه الأنف الذكر وكذلك
يفتقد النظام الغائي بالمعنى المذكور أعلاه، وينحصر نظامه الداخلي في المادة
والجسم وسيكون للروح والافكار الروحية تفسير مادي أيضاً.

القرآن الكريم هو أرقى مفسر للانسان والعالم، وقد بين القرآن الكريم في
كثير من آياته نظم الحلقات الثلاثة، وفي طبيعة هذه الآيات التي اختصرت هذه النظم
قوله تعالى: ﴿قال ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(١).

ففي هذه نلاحظ النظام الفاعلي الذي هو الخالق، والنظام الغائي المتمثل في الهداية نحو الهدف، ولكن النظام الداخلي ذكر على انه هبة الله وعطيته التي تناسبه.. كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ أَنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾^(١).

وهذه الآية تكشف عن البعدين اللذين يؤلفان الانسان.. فالانسان الذي خلقه الله ليجعله خليفة في الأرض، خلق من طين فهو مرتبط بعالم الطبيعة والتراب والبعد الآخر يربطه بعالم التجرد بعد ان نفخ الله فيه من روحه.

الثالث: إن أهم غايات الحكومة الاسلامية والتي تنسجم مع النظم الثلاثة للانسان هو شيئان.. توفير الأرضية المناسبة لتحقيق خلافة الانسان أولاً وثانياً ببناء المدينة الفاضلة.

حيث توفر مبادئ الحضارة الحقّة في اطار من العلاقات الداخلية والخارجية الثابتة.. ان النصوص الدينية جميعاً بما في ذلك القرآن الكريم وسنة المعصومين وسيرة الأولياء الصالحين، وبالرغم مما تزخر به من معارف لكن عصارتها جميعاً تصبّ في هذين البعدين.

الانسان في نظامه الداخلي كما قلنا يتألف من الروح والبدن ولكن الأصالة فيه للروح، والبدن تابع لها، وان سلامة البدن والاهتمام بها هي من أجل سلامة الروح وصونها من العقائد المنحرفة والسقوط الاخلاقي والسلوك الهابط.

كما أن تأمين وبناء المدينة الفاضلة أيضاً هو من أجل تربية الانسان، ليكون «خلق الله»، والأصالة في هذين الركنين انما هي للخلافة الالهية.

ذلك أن البدن مهما كان سالماً فإنه يأتي يوم يتصمخ فيه بعد لحظة الموت.

ولكن الروح تبقى مستمرة في الحياة. وكذلك المدينة الفاضلة فأنها مهما عمرت فأن مآلها إلى الخراب والاندثار وزوال حضارتها.. أما خليفة الله وهو الانسان الكامل فلا يعرف الفناء والزوال.

ومن هنا فإن المدينة الفاضلة بمثابة البدن في الانسان وخليفة الله بمثابة الروح. وكما أن على أساس اصالة الروح حيث هي من وراء سلامة البدن، فكذلك على أساس اصالة خليفة الله فان المدينة الفاضلة يبينها الانسان الكامل. رابعاً: ان لازمه الخلافة الالهية هي في توفر كل الكمالات المستخلقة عنه في الانسان الكامل الذي هو خليفة الله باتساع وجوده.

ومن هنا فان العدل والقسط وامثاله باعتبارها أهداف الحكومة الاسلامية وبالرغم من كونها معدودة في الكمالات، لكن جميعها جزء من فروع الكمالات الاساسية، لأن الانسان المتعالي الذي هو خليفة الله سيكون مصدراً لجميع تلك الكمالات، لأن الخلافة تستلزم في خليفة الله أن يكون مظهر جميع الاشياء التي تسهم في تحقيق سعادة المجتمعات البشرية.

خامساً: حدد القرآن الكريم في مطلع سورة ابراهيم الهدف من نزول القرآن وهو الهدف الاسمى للرسالة يعني الغرض الاصيل للحكومة الاسلامية: ﴿كتاب انزلنا اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾^(١).

والابتعاد عن الله الذي هو الوجود المحض والكمال الصرف ظلام، والانفصال عنه الذي هو النور التام ظلمات، والمبدأ الوحيد الذي له القدرة على الانقاذ من الظلمات إلى النور هو النور بالذات، ولأن الله وحده نور السموات والأرض فقد جعل

لنفسه الولاية كما قال عز وجل في آية الكرسي: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾^(١).

وعندما نرى في مطلع سورة ابراهيم ان الله اسند مهمة الإخراج الى الرسول الاكرم ﷺ فلأن الانسان الكامل هو خليفة الله، ويقوم بذلك على أساس الخلافة والنيابة لا الأصالة، ولذا فإن الآية المذكورة حدّدت جوهر الموضوع وصور الإخراج من الظلمات الى النور وقيدته بإذن الله.

ان الهدف الأعلى للرسالة ونزول الوحي هو «الحكومة الالهية» ونورانية المجتمع الانساني، وحماية الانسان النوراني من ظلمات الهوى وصددمات الهوس والمحافظة عليه من الوسواس والمغالطة، فيتحرر فكره من الوهم، ويطهر عمله من لوث الشهوات.

وعلى هذا فان الهدف المهم من وراء تأسيس النظام الاسلامي انطلاقاً من قاعدة الوحي والنبوة من أجل أن يكون الانسان «خليفة الله».

واضاعة طريقه بالنور الالهي كما قال الله عز وجل: ﴿.. وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾^(٢) ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾^(٣).

والسيرة المعلّمة للانسان النوراني هي عين رعاية الأدب وحماية انسانية الآخرين، وآلا يعتبر الانسان أيّا كان أهلاً للتمجيد والعبادة؛ وفي نفس الوقت الذي يمجّد فيه جمال العالم فإنه لا يعتبر أيّا من موجوداته الأرضية والسماوية أهلاً للعبادة والتقديس.. بل أن الخليقة بأسرها آيات الله الذي ليس كمثلته شيء، وأن جميع الموجودات لا يمنحها قيمة أكثر من قيمة الدلالة.

(١) البقرة: الآية ٢٥٧.

(٢) الانعام: الآية ١٢٢.

(٣) الحديد: الآية ٢٨.

كما عبر عن ذلك الانسان الكامل علي بن أبي طالب وهو يعرف الانسان النوراني: (عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في أعينهم)^(١).

وخاصية النور انه يمنح الانسان الكامل الرؤية، فيرى الله عظيماً مطلق العظمة ولذا تتضاءل جميع الاشياء وتتناهى في الصغر كما قال الامام علي عليه السلام: (عِظْمُ الخالق عندك يُصَغِّرُ المخلوق في عينك)^(٢).

وجعل الله سبحانه هذا النور من نصيب المتقين: (من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم)^(٣)

النقطة الأخرى التي يتوجب ذكرها هي ان ليس القرآن وحده السبب في نورانية الناس، بل مصدر النور ومبدأه وهو الحكمة الاسلامية في ضوء الوحي ومن حرم ذلك فقد حرم النور لأن الله سبحانه يقول: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾^(٤).

سادساً: ان الاسلام هو دين الله الأوحيد: ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾^(٥) ولا يقبل الله ديناً غيره: ﴿ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه﴾^(٦) وعلى هذا فان رسالات الانبياء جميعاً كانت رسالة الاسلام.. وحكوماتهم كانت حكومات اسلامية، واننا لنكتشف ذلك من خلال تأملاتنا في القرآن الكريم وهو يذكر حركة الانبياء واهدافهم:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤.

(٢) المصدر السابق: الحكمة ١٢٤.

(٣) المصدر السابق: الخطبة ١٨٣.

(٤) النور: الآية ٤٠.

(٥) آل عمران: الآية ١٩.

(٦) آل عمران: الآية ٨٥.

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾^(١).

وتتجلى في هذه الآية الهدف العام للرسالات الالهية، وهو تنفيذ العدالة في المجتمع الانساني وانّ هذا لا يتم الا من خلال الأفراد النورانيين.. ذلك ان خليفة الله الذي هم الانسان النوراني هو وحده المدافع الحق عن حقوق الآخرين.

وما أوردته الآية الكريمة حول مهمّة الانبياء انما هو هدف غير نهائي فالهدف النهائي هو أن يصبح الانسان الكامل خليفة لله.. لأنه المعلم الوحيد للانسانية وهو الذي يعلمهم الكتاب والحكمة ويهذب النفوس البشرية بل ويعلم الملائكة أسرار الأسماء الالهية.

ولذا فان دائرة الخلافة الالهية لا تنحصر بالأرض بل تمتد لتشمل المخلوقات السماوية بالرغم من حضوره الجسماني في الأرض.

سابعاً: بالرغم من ان البرهان العقلي والتحليل القرآني، دليل كاف على أن الهدف الأصيل للحكومة الاسلامية، هو خلافة الله.. ومن خلال ذلك يتم إقامة العدالة في الأرض، ولكن استعراض الآيات القرآنية يعزز من هذه الحقيقة أكثر.

ذكر القرآن الكريم داود بطلاً محارباً وقائداً للثورة في عصره: ﴿ وقتل داود جالوت ﴾^(٢) وان الله آتاه كتاباً: ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾^(٣).

وكانت الجبال تردد تسبيحه والطيور أيضاً: ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطيور ﴾^(٤) وأنعم عليه بأن وهب ولداً صالحاً عالماً: ﴿ ولقد آتينا داود

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) البقرة: الآية ٢٥١.

(٣) النساء: الآية ١٦٣.

(٤) الانبياء: الآية ٧٩.

وسليمان علماً ﴿^(١) وعلمهما الله سبحانه لغة الطيور: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾ ^(٢) ومنحه الله قدرات هائلة، ورزقه نعمة الخضوع في رحاب الله والتواضع: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ ^(٣).

هكذا وصف الله داود بأوصاف تجعله خليفة الله الحق ولذا جاء الخطاب الالهي

لداود:

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ ^(٤).

فقائد المجتمع الانساني هو النموذج الكامل للسالك في طريق الكمال وخليفة الله، يستند في قدرته الى امكانيات الخلافة الالهية.. وعندها يمكنه تشكيل الحكومة الاسلامية ويعلن حاكمية القانون الالهي وشريعة السماء في الأرض، حيث الهدف الاسمى الحكم بالحق وتنفيذ العدالة باحترام الحقوق المتقابلة بين الناس.

ما ذكرناه حتى الآن هو بيان مختصر للهدف الأول للحكومة الاسلامية وأما الهدف الثاني وهو «تأسيس المدينة الفاضلة» فهناك نقاط نتطرق اليها في المستقبل. ثامناً: للمدينة الفاضلة شروط ومقومات لكننا سنشير الى طائفة منها على نحو

الاجمال:

ألف: النمو الثقافي حيث يتكفل ذلك الماسك بزمام الحكومة الاسلامية:

﴿هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ ^(٥).

(١) النمل: الآية ١٥.

(٢) النمل: الآية ١٦.

(٣) ص: الآية ١٧.

(٤) ص: الآية ٢٦.

(٥) الجمعة: الآية ٢.

ان الجهل والضلال هما العاملان اللذان ينحطآن بالمجتمع، وان اهم هدف للحكومة الاسلامية هو مكافحة الجهل ونقض غبار الضلال والضياع في المجال الثقافي، فيحل مكانها الكتاب والحكمة، وبمكافحة الضياع الأخلاقي والانحراف العملي تأتي التزكية وتهذيب الروح، فالمسار التعليمي يكافح الجهل، والمسار التربوي يكافح الانحراف الخلقي.. والآية تحدد هذه المهمة في المجتمع الأمي الجاهلي وتدعوه الى العلم والوعي والثقافة، كما تدعوه أيضاً الى التسامي عن الانحطاط الاخلاقي والى تطهير الروح والنفس.

وبطبيعة الحال ان النجاح في هذه المرحلة سوف يوصل المجتمع الى امكانية تأسيس المدينة الفاضلة.

ب: النمو الاقتصادي حيث ينهض القادة الاسلاميون بمهمة بيان الخطوط الكلية للاقتصاد في النظام الاسلامي، وتحديد السياسة المالية وفقاً للشريعة الالهية. وازضافة الى دعوة الناس وحثهم على الزراعة والاهتمام بالجانب الاقتصادي في اطار من العمل الحلال والنشاط المشروع، فانهم يتحملون مسؤولية الأمن الاقتصادي، والاشراف على التوزيع العادل للثروة، وكل ذلك وانما يتم من خلال اقتصاد معافى، ومجتمع متوازن والذي سنشير الى بعض ملامحه.

الاسلام يعترف بأصالة الملكية الخاصة على أن يكون معنى ذلك ان الانسان الذي حصل على المال من خلال العمل هو وحده يملك ذلك المال ولا يجوز لأي كان أن يتصرّف به دون إذنه ورضاه.

ولكن هذه الملكية الخاصة ستتوقف وينتهي مفعولها في حدود مالكية الله، وما الانسان هنا سوى أمين على المال والمخول بالتصرّف به في حدود الشرعية.

قال تعالى: ﴿ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿ وَأَنْفَقُوا

مما جعلكم مستخلفين فيه ﴿^(١)﴾.

ومن هنا فان حق التصرف بالمال لا يجوز الا في اطار رضا الله واذنه. الاسلام ينظر الى مجموع الثروة على اساس الرفاه الاجتماعي العام، ومن هنا فان الملكية الخاصة يجب الا تتحول الى ورم مالي يؤدي الى الحرمان الاجتماعي ويشطر الأمة الاسلامية الى شطرين اثرياء متخمين وفقراء حفاة. الاسلام يعتبر الثروة العمود الفقري والدماء التي تجري في عروق المجتمع الاسلامي.

فالمجتمع لا ينهض مادام فيه فقراء بائسين.. لأن الفقراء هم فقرات الظهر الاجتماعي فأى انزلاق فيها يؤدي بالمجتمع الى عجز عن القيام والنهوض، فضلاً عن الحركة والنشاط.

ولأن الثروة بمثابة الدماء التي تجري في العروق فلذا يجب الا تكون في تصرف السفيه والجاهل.. لأن ذلك يعني منح قدرة النهوض الاجتماعي والقيام الى من لا يحسن التصرف بهذه الامكانيات، ومن هنا نفهم هذه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾^(٢). لأنه يمكن نسبة المال الى عموم المجتمع واعتباره سبباً في القيام ولذا لا ينبغي أن يكون تحت تصرف السفهاء والصبيان.

الاسلام يمنع الاحتكار وكنز المال، لأن الكنوز واحتكار السلع بمثابة حبس الدماء في العروق مما يؤدي الى اصابة أعضاء الجسم بالشلل.. ولذا يجب أن تتدفق الثروة وان تجري الاموال وتتحرك البضائع في عروق الجسم الاجتماعي لتحقيق النمو المطلوب: ﴿الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

(١) الحديد: الآية ٧.

(٢) النساء: الآية ٥.

فبشرهم بعذاب أليم ﴿^(١)﴾.

والاسلام لا يذكر تدفق المال في عروق الجسم الاجتماعي بشكل محدود وانما يشدّد على توسيع نطاقه الى أبعد الحدود وعدم الاقتصار في حركته على مجال ضيق، بل يجب أن يسلك دورة كاملة تامّة: ﴿كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾ ^(٢) لأن أي محاولة لحصر حركة المال في نطاق محدود ستؤدي الى الحرمان وبالتالي تمزق النسيج الاجتماعي.

لأنه ليس المطلوب لا النظام الرأسمالي في الغرب حيث هيمنة الرأسماليين وليس المطلوب أيضاً نظام زعامة الدولة والمذهب الماركسي الذي انهار مؤخراً في الشرق.

وفي كل الأحوال يجب ألا يكون المال تحت تصرّف شخص أو أشخاص حقيقيين أو شخصيات حقوقية، بل يجب أن يتحرك ليشمل في حركته كل شرائح المجتمع.

وهذا هو منطلق الإسلام في بناء الأقتصاد السليم والمعافى فمن بين «فرث» الرأسمالية و«دم» زعامة الدولة الماركسية يتدفق لبن سائغ طيب مبرء من افراط الأول وتفريط الثاني، ليحقق هدفه المركزي في العدالة الاجتماعية على أساس الاسلام والانسانية.

ويؤطر الاسلام حركة المال بين جماهير الشعب في اطار التجارة التي تحظى برضا الجميع. وهذا هو المسار الأصلي ثم تأتي طرق أخرى كتوزيع الميراث ومنع الهدايا والهبات.

ومن هنا يجب أن يتوفر بعدان، فأى تجارة دون رضا كما أن أي رضا بدون

(١) التوبة: الآية ٣٤.

(٢) الحشر: الآية ٧.

تجارة كالقمار مثلاً يخرج عن نطاق الشرعية، وترسم الآية الكريمة اطاراً واضحاً في هذا المضمار: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾^(١).

وخلاصة البحث:

١ - ان سليمان الذي بسط حكومته الاسلامية على مساحات شاسعة من الأرض ودعا أحد حكام عصره الى الاسلام، ونجح في ذلك كانت تحت تصرفه امكانات واسعة وقد اشار القرآن الكريم إلى جوانب تلك المملكة الكبرى: ﴿وأسلنا له عين القطر﴾^(٢) الله سبحانه أسال له النحاس وكانت هناك حركة صناعية وفنية كبيرة: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾^(٣) ففي ظل ذلك الحكم ظهرت حركة عمرانية وفنية كبرى، فبنيت قصور منيفة، ونحتت تماثيل رائعة تصوّر الملائكة والأنبياء، لتكون وسيلة إلى شدّ الناس إلى الفن وادخال السعادة في قلوبهم وفي صناعة الفلزات فقد صنعت قدور ضخمة جداً للافادة الاجتماعية.

وكانت تلك الفترة من الفترات التي شهد فيها الانسان حضارة العلم إلى جانب الايمان، فإزاء هذه النعم في اكتشافات المواد الخام ووجود الذهنية التي تؤهلهم للاستفادة منها كانوا يشكرون الله الذي وهبهم هاتين النعمتين، وسنجد أن هذه الحضارة والنهضة الصناعية الكبرى كانت موظفة من أجل الدعوة إلى الاسلام والايمان:

(١) النساء: الآية ٢٩.

(٢) سبأ: الآية ١٢.

(٣) سبأ: الآية ١٣.

﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لُجَّةٌ وكشفت عن ساقبها قال إنه صرح ممرد من قوارير ﴾^(١).

٣- ان داود أبو سليمان عليه السلام وهو الذي هياً أرضية الحكومة الإسلامية بعد أن قاد الثورة والمواجهة ضد الظلم فى عصره، وأفاد من الامكانات المناسبة ومنحه الله عز وجل الافادة من نعم الغيب من خلال تطويع الحديد له. بحيث يصبح كالشمع بين يديه فأمر ان يصنع منها الدروع يقول القرآن الكريم: ﴿ ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنا له الحديد ﴾

﴿ أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً ﴾^(٢) ﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾^(٣).

والنقطة الجديرة بالاهتمام ان صناعة الدروع من العلوم العملية والفنية القابلة للانتقال والاكساب، ولذا استخدم القرآن مفردة «التعليم» أما تطويع الحديد ليصبح كالشمع في اليدى فانه لا ينتمى الى العلوم النظرية والعملية أبداً.

ذلك أن هذه المسألة ترتبط بكرامة ولي الله ونزاهة نفس الرسول والنبى. ولذا لم يستخدم القرآن مفردة «التعليم» وانما قال: ﴿ وألنا له ﴾ لتبقى هذه الظاهرة جزء من قدرة الغيب، أما تطويع وتليين الحديد بالنار فهذا من العلوم العملية العادية والمعروفة قديماً.

٣- لم يكن سيدنا نوح عليه السلام شيخ الانبياء رائداً في الرسالة والوحي والنبوة فحسب بل ورائداً في الافادة من العلوم والصناعة. الله سبحانه علمه كيف يصنع السفينة وعهد اليه العمل في صناعتها.

(١) النمل: الآية ٤٤.

(٢) سبأ: الآيتان ١٠-١١.

(٣) الانبياء: الآية ٨٠.

قال تعالى: ﴿ اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾^(١) ﴿ فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾^(٢).

وخلاصة ذلك:

١ - ان أصل التقدم الصناعي في الحكومة الاسلامية أمر ممدوح تحث عليه الشريعة.

٢ - ضرورة الافادة الصحيحة من ذلك من خلال سيرة زعماء الدين.

٣ - ان في طليعة الفوائد الصحيحة من الصناعات المتطورة هي تأمين الحاجات العلمية والعملية.

٤ - ان ما أورده القرآن في هذا الخصوص على سبيل التمثيل لا التعيين، يعني ان القرآن مثل لنوع الافادة الصحيحة لان الافادة الصحيحة منحصرة في ما ذكره من امثلة.

٥ - ان صناعة سفينة نوح عليه السلام هو قدوة من أجل صناعة كل اشكال وسائل النقل البحري والغواصات، وحتى وسائل النقل البري والجوي.

كما ان صناعة داود للدروع قدوة لتصنيع كافة الوسائل الدفاعية المضادة للرصاص وفي قبال الهجمات الكيميائية والجرثومية.

كما ان ما تم انتاجه في حكومة سليمان، قدوة لانتاج كافة الوسائل الحياتية التي تلبي حاجات الفرد والمجتمع وعلى الاصعدة الاقتصادية والفنية والادبية.

وما دام الحديث قد ساقنا الى بحث سيرة قادة الحكومة الاسلامية في مضمار الافادة من الصناعة، فمن المناسب أن نتأمل في ما ورد عن ذي القرنين.

وبالرغم من أن القرآن لم يتحدث عن نبوة ذي القرنين، ولكن الله سبحانه مجّد

(١) هود: الآية ٣٧.

(٢) المؤمنون: الآية ٢٧.

سيرته في الافادة من الصناعات والعلوم وفي طليعتها بنائه سدأ عظيماً لا يمكن نقبه أو اجتياز أو هدمه ولم يكن هذا السد مصنوعاً من الآجر والاسمنت، بل من الحديد والنحاس وقد ورد ذكر ذلك في القرآن في قوله تعالى: ﴿أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال أتوني افرغ عليه قطراً﴾^(١).

ولنا أن نتصوّر سدأ هائلاً يتألف من سبيكتين من الحديد بينهما طبقة من النحاس ليؤلف من كل ذلك سدأً فلزياً لا يمكن اجتيازه.

ومن مجموع هذه النماذج يمكن استكشاف منهج الحكومة الاسلامية في مضمار الافادة من التصنيع والتكنولوجيا في جميع المجالات... بتعبير اكثر وضوحاً في الدائرة المشروعة والعمل والبناء.. أما الاتجاه بالتصنيع الى ميادين التخریب والهدم وتدمير البيئة وانتاج اسلحة الدمار الشامل، فإن كل ما يلحق اضراراً بالبحار والفضاء والنبات والحيوانات والناس والمناطق السكانية وسائر ما هو أخضر فان ذلك مستنكر بشدة في منهاج الحكومة الاسلامية.

وهنا يمكن فهم الفرق بين الكادر الصناعي في المدينة الفاضلة، الذي هو هدف الحكومة الاسلامية، وبين الكادر الصناعي في الدول التهاجمية والمخرّبة والتي تدعى التمّدن والحضارة.

د - النمو الحقوقي على الصعيدين الداخلي والدولي حيث يتحمل مسؤولو النظام الاسلامي بيان وتدوين وتنفيذ القوانين الحقوقية.

ذلك أن المجتمع الانساني ومهما حقق من رقي في كل المجالات الاقتصادية وما يحققه من تقدم في ميادين التصنيع والانتاج، فإن كل ذلك وفي غياب القوانين الحقوقية التي تضمن الحقوق الكاملة والمتقابلة فإنه لن يحقق أمله المنشود في الحياة.

لأنّ هذا الرقي الاقتصادي والتقدم الصناعي وفي غياب المؤهلات الاخلاقية سوف يكون سلاحاً للتدمير والفناء.

ولنا في الحربين العالميتين والحروب المحدودة هنا وهناك عشرات بل مئات الشواهد.. مما أفرز وضعاً عالمياً مؤسفاً جعل الأشرار والمخربين في مواقع السلطة والقرار، والطيبين في المواقع المحاصرة دوماً والمستهدفة بالغازات والعدوان.

فالحكومة الاسلامية تعتمد اصولاً في هذا المضمار منها:

١ - رفض كل حالات التسلط والقهر الذاتي والاجنبي: ﴿ لا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(١).

٢ - احترام القوانين والمواثيق الدولية: ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾^(٢).

وهذا لا يقتصر على دائرة محددة من العهود بل يتضمن منطوق الآية الكريمة اطلاقاً في واجبية الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات.

قد جعل القرآن الكريم من هذا الشرط مقياس للمؤمنين في بلوغهم مرحلة الابراز: ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾^(٣) كما اعتبر الغدر ونقض المواثيق والمعاهدات من ملامح الشخصية المشرقة والكافرة: ﴿ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرّة ﴾^(٤).

فاحترام الحكومة الاسلامية للمعاهدات والقوانين والعمل بالمواثيق، هو من أجل تأسيس مجتمع ملتزم يرقل بالحريّة والأمن، اللذين هما من مقومات الحضارة

(١) البقرة: الآية ٢٧٩.

(٢) الاسراء: الآية ٣٤.

(٣) البقرة: الآية ١٧٧.

(٤) الانفال: الآية ٥٦.

ومن أسس المدينة الفاضلة.

فالمجتمع الذي لا يرعى المواثيق، سوف يقضي على حرّيته وأمنه ويدمر حضارته.

وقد حدد القرآن الكريم اطاراً انسانيّاً عامّاً لا يتأثر أبداً بأي من متغيرات الزمان والمكان واللغة والعرف والعرق واللون والتقاليد والعادات وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾^(١)

فليس هناك من مجال للشعور بالتفوق العرقي والتمييز العنصري والاتجاهات العدوانية بسبب القومية ومحاولات السيطرة على شعوب وأمم بسبب ذلك.

ومن هنا نرى القرآن الكريم يهاجم الاستكبار لأن في طليعة سلوكه الاجتماعي وسياساته الغدر ونقض العهود والقوانين وعدم احترام المواثيق.

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾^(٢).

ففي طليعة مبررات الحرب ضد الاستكبار، هو نقض المستكبرين المواثيق وعدم احترامهم المعاهدات، ولذا فإنا لا نرى «الإيمان» سبباً في الحرب وإنما «الأيمان» أي العهود والمواثيق.

ومن هنا يمكن التعايش مع الكافر الذي لا إيمان له أما المستكبرين فلا يمكن التعايش السلمي معهم لأنه: ﴿لا أيمان لهم﴾. ففي غياب احترام المواثيق والمعاهدات لا يمكن لاجنحة السلام أن ترفرف في سماء الحدود.

(١) الحجرات: الآية ١٣.

(٢) التوبة: الآية ١٢.

لقد كان الغدر من سمات الجاهلية الأولى، وهو اليوم من سمات جاهلية القرن العشرين، وعصرنا الحاضر متقل بانتهاك الحقوق الدولية والمواثيق الانسانية العالمية.

٣ - احترام الأمانة وشجب الخيانة في الأموال والحقوق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١) وقال سبحانه يمتدح الأمانة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٢). وسورة الشعراء زاخرة ومعبرة عن هذه الصفة الحميدة من صفات الانبياء والمرسلين.

وهي الأمانة وأداء الأمانات والاحترام المتقابل في هذا المضمار الذي يلعب دوراً مؤثراً جداً في ارساء دعائم الأمن والحرية وتحقيق المدينة الفاضلة. والقرآن الكريم يقرّر قانوناً انسانياً شاملاً وثابتاً لا يقبل التغيير.. ولذا فهو يهاجم ويستنكر الرؤية الصهيونية التي تنطلق من التمييز العنصري: ﴿ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل﴾^(٣) فهناك فريق من اليهود لا يمكن أن يؤتمن حتى على دينار واحد إلا باستخدام القوة وهم يبررون لأنفسهم ذلك على أساس شعورهم بالتفوق على غيرهم، فهم شعب الله المختار وباقي الناس أميين وحيوانات فلا بأس بعدم الوفاء لهم.

تاسعاً: ان سلالة الأنبياء الابراهيميين أقاموا لسنوات متمادية الحكومة الإسلامية ويقول القرآن في هذا المضمار: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا﴾^(٤).

(١) النساء: الآية ٥٨.

(٢) المؤمنون: الآية ٨.

(٣) آل عمران: الآية ٧٥.

(٤) المائدة: الآية ٢٠.

فالمخطوط الكئيّة للامامة والقيادة والاصول السياسية في الحكم، حددها مؤسس الكعبة وباني البيت العتيق.. وهو لم يلتزم بها فحسب بل وجعلها ميراثاً في ذريته، ودعا الله سبحانه أن يبعث خليفته والانسان الكامل من أجل بناء المدينة الفاضلة.

وهذه كلمات ابراهيم عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم وهو يدعو الله: ﴿ رَبِّ اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات ﴾ (١) فالأمن والخصب من مقومات المدينة الفاضلة.. ثم يتضرّع الى الله سبحانه: ﴿ واجنبنني وبنني أن نعبد الأصنام ﴾ (٢) انه طريق التكامل الانساني الذي يؤهل في صياغة خليفة الله، وخليفة الله هو من يعلم البشرية اسلوب الحياة المثلى: ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٣).

عاشراً: ان الامام علي عليه السلام توفّر على تجربة طويلة في الحكومة الاسلامية، فقد كان الى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المرحلة التأسيسية لسياسة الاسلام في الحكم، كما تولّى مسؤولية الحكم بعد ذلك لسنوات، وقد بين خلال تلك الفترة أهداف الحكومة الاسلامية التي اشرنا اليه بشكل موجز ومضغوط.. كما أشار عليه السلام الى أسباب السقوط السياسي والاضمحلال الاجتماعي، اضافة الى الأفول الاقتصادي أيضاً وقد علل هذا السقوط في عدم رعاية الاصول المذكورة.. ففي مضممار السقوط السياسي والاجتماعي يقول عليه السلام: (يستدلّ على إدبار الدول بأربع، تضييع الاصول والتمسك بالغرور وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل) (٤).

فهذه اسباب أربعة هي العوامل في السقوط:

(١) البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) ابراهيم: الآية (٤٥).

(٣) البقرة: الآية ١٢٩.

(٤) الفرر والدرر للآمدي / ٣٤٢ ط قم.

١ - ضياع الاصول الأساسية.

٢ - الغرور.

٣ - تقديم الأوباش والاراذل ومنحهم مسؤوليات هامة.

٤ - اهمال واقصاء الناس الطيبين والأفاضل، مما يؤدي فشل اداري وسياسي.

أما في مضمار السقوط الاجتماعي والاقتصادي فيقول عليه السلام: (سوء التدبير وقبح التبذير وقلة الاعتبار وكثرة الاعتذار)^(١).

فالسقوط في الجانب الاقتصادي وراؤه أسباب أربعة أيضاً:

١ - ضعف الإدارة.

٢ - التبذير وبعثرة الامكانيات الاقتصادية.

٣ - عدم الافادة من أخطاء التجارب السابقة.

٤ - الاعتذار المتكرر الناجم عن الفشل، وعدم المبادرة الى اصلاح الاخطاء.

فسقوط الدولة اقتصادياً إنما هو نتيجة لغياب الإدارة الناجحة والتوازن في

الانفاق وتكرار الخطأ.

ندعوا الله سبحانه الى أن تلتفت مجتمعاتنا الاسلامية الى الأهداف العليا للحكم

الاسلامي الالهي، في تحقيق الجهاد والاجتهاد وتمهيد الطريق، لاقامة العدل الالهي

في ربوع المعمورة.

الفصل العشرون

الثورة الإسلامية... طريق الاستمرار

- شتاء ١٩٨٤ -

ان الدفاع وحراسة واسناد الثورة الالهية من الواجبات التي اكدها القرآن الكريم.. وفي طليعة الطرق التي يتم بها ذلك هو استذكار الثورة الاسلامية ويوم انتصارها.

وعندما يشير القرآن الكريم الى ثورة الرسالات الالهية، ويخاطب نبينا ﷺ فانه يذكرها كقوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم ﴾^(١) أو ﴿ اذكر في الكتاب اسماعيل ﴾^(٢) فذكريات الرسالات الالهية، هي تذكرة، لأن مجرد استعادة الذكرى يعزّز من بقائها.

فذكرى انتصار الثورة واحياء هذه الذكرى، هو شكر على نعمة الله كما أن الاحتفال باليوم الذي عاد فيه الإمام الى أرض الوطن، والاحتفال بعشرة الفجر سوف يكون مؤثراً أبلغ التأثير في حفظ وحراسة الثورة حتى يوم الفتح الاكبر وانتصار الحق على الباطل..

الثورة منتصرة مادامت مستمرة، سواء في مرحلة الحدوث وفي مرحلة البقاء أيضاً، فسلوك طريق الانبياء لا ينحصر في اجراء بعض المراسم الاحتفالية.. فمجرد

(١) مريم: الآية ٤١.

(٢) مريم: الآية ٥٤.

الاحتفال ببعض الايام أو تسميتها بأسماء ما غير كاف.
والآن لتأمل في الطريق الذي يمكن به استمرار وتداوم الثورة كما يرسمه القرآن الكريم.

عندما يستعرض القرآن الكريم الصراع بين موسى ﷺ وفرعون نرى موسى ﷺ يتمم بهذه الكلمات: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً للمجرمين ﴾ (١).

فهذه الامكانيات من علم ومن قوّة بأس ستكون في طريق الخير، ولن تكون اسناداً للمجرمين والطغاة، سوف لن ينبض قلبي إلا بذكرك ولن أخطو خطوة واحدة إلا برضاك.

وعندما قاد موسى شعبه وبأمر من الله الى أرض لا يحكمها الفراعنة، ووصل ساحل البحر ولاحت لبني اسرائيل جيوش فرعون الجرّارة تطاردهم أيقنوا بالنهاية السوداء: ﴿ فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ (٢).

ولكن موسى ﷺ وهو يدرك ان الله سبحانه ينصر عباده هتف واثقاً: ﴿ كَلَّا إِنَّ معي ربّي سيهدين ﴾ (٣).

هذا هو طريق موسى ﷺ مقاومة الظلم ومواجهة الأخطار، وقد عقد موسى ﷺ العزم ألا يكون ظهيراً للمجرمين: ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً للمجرمين ﴾ (٤).

هذا هو خط موسى ﷺ الذي يحظى بالامداد الغيبي.
ومن شروط هذا الخط الصلاة.. لقد أجمل القرآن الصلوات الخمس في آية

(١) القصص: الآية ١٧.

(٢) الشعراء: الآية ٦١.

(٣) الشعراء: الآية ٦٢.

(٤) القصص: الآية ١٧.

واحدة من قوله تعالى: ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ﴾^(١) وهذه جملة قصيرة أشارت الى الصلوات الخمس... والصلاة لا تتم الا بقرآءة سورة الحمد فاتحة الكتاب العزيز فماذا فيها!

اننا نقرأ فيها هذه الآية: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾^(٢) وهذا تضرع الى الله نطلب فيه أن يرشدنا الى طريق الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء.. الطريق الذي قال فيه موسى عليه السلام: ﴿ رب بما أنعمت عليّ ﴾.

واذن فطريق استمرار الثورة انما يكمن في الصلاة: صلاة الفجر وصلاتي الظهرين والعشائين. فمواجهة الظلم ومقاومة الفراعنة هو جوهر الصلاة.. فالمقاتلون المحاصرون في الجبهات عندما يقول أحدهم: ﴿ كلاً ان معي ربي سيهدين ﴾ فهذا من بركات الصلاة.. وعندما يكونون في غمرة الخطر يهمسون: ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾^(٣) فان هذا من ظلال الصلاة.. ومن هنا فان استعادة ذكريات الانتصار والشكر لله على نعمة الظفر هو الطريق الذي يصون الثورة ويحرسها.

وواجب الأمة الاسلامية في قبال هذه النعمة الالهية هو التزامها الميثاق.. وقد ذكر القرآن الكريم فريقين، قالوا نعم للاسلام: فريق عاهد الله سبحانه على عدم التراجع والهزيمة ولكنه انزلق وتناسى الميثاق: ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً ﴾^(٤).

وهؤلاء صوتوا من أجل الاسلام وعاهدوا على المقاومة والثبات ولكنهم فرّوا عند الخطر.. غادروا سوح الجهاد وتركوا الاسلام وحيداً.

(١) الاسراء: الآية ٧٨.

(٢) الفاتحة: الآية ٦ و٧.

(٣) التوبة: الآية (٤٠).

(٤) الاحزاب: الآية ١٥.

وقد هاجمهم القرآن الكريم ونكّرهم بخطرورة ما أقدموا عليه: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون الا قليلا﴾^(١).

أما الفريق الآخر فقد صمد حتى النهاية.. لقد كانوا أمثلة في الوفاء بالعهد والميثاق: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾^(٢) لقد عاهدوا الله وأعطوا الميثاق على المقاومة حتى الموت ثم وفوا بما عاهدوا فمجّدهم الله عز وجل، لأنهم آمنوا بالحق ودافعوا وقاموا وقاتلوا واستبسّلوا ولم يبذلوا رأيهم ولم يتراجعوا عن ميثاقهم ﴿وما بدّلوا تبديلا﴾.

والقرآن الكريم ومن أجل أن يرّبي الناس على ادامة الثورة وأن يعوا واجباتهم ويقوموا بأدائها وحتى يدركوا أسرار الامداد الغيبي وسرّ انتصار الاسلام، فإنه يشير الى ذلك بوضوح تام كقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾^(٣).

المسلمون ما كانوا يتصوّرون ذلك ولم يدر في خلد أحدهم أن ينهار الطغاة بهذه السرعة وتسقط قلاعهم وحصونهم، وتذهب كل خططهم الجهنمية أدراج الرياح..

كما أشارت سورة الفتح الى ظنون المنافقين ورعبهم من الموت وقد صورت لهم عقولهم المريضة أن الرسول ﷺ وجنوده سوف لن يعودوا الى ديارهم وسوف يلقون حتقهم في الصراع والمواجهة.

(١) الاحزاب: الآية ١٦.

(٢) الاحزاب: الآية ٢٣.

(٣) الحشر: الآية (٢)

لقد كانوا في غفلة عن امدادات السماء والغيب الالهي، الذي لا يترك عباد الله المخلصين دون اسناد:

﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهلهم أبداً ﴾^(١) إنها الظنون التي راودت البعض في هزيمة الثورة امام جيش مجهز بالسلاح. وإن حرس الثورة بتسليحه الضعيف سوف يهزم لا محالة، ولكن الله سبحانه نصر الحق وجاء الامداد الغيبي أجل آنهاالظنون التي تنبعث في القلوب المرضى: ﴿ وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ﴾^(٢) ﴿ وكنتم قوماً بوراً ﴾^(٣) عندما أرسل الامام علي عليه السلام مالك الاشتر لادارة الاقليم المصري زوده بكنز من الحكم والأسرار ومنه هذه النظرة العميقة في أهداف الثورة والتغيير الاجتماعي: قال له وللشعب المصري الأصيل: (ان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى ويُطلب به الدنيا)^(٤).

فالهدف النهائي للنهضة انما هو تحرير الدين من أسر الطغاة الذين كانوا يمزرون طغيانهم باسمه.. وتحرير الدين يكون بالقضاء على الخرافة والأوهام التي تنظلي على عموم الناس لتأخذ حالة القداسة بحيث تصبح الأسطورة هي الدين أما الدين فمكبل بالقيود ممنوع من ممارسة دوره في صياغة الحياة الانسانية. ومن هنا يؤكد الامام علي عليه السلام على مالك الاشتر قائلاً: (وأكثر من مدارس العلماء ومناقشة الحكماء)^(٥).

فالعلماء لهم دور كبير وفاعل في تحرير الدين من أسر الخرافات ومن أطماع الذين يحاولون التسلُّط باسمه!

(١) الفتح: الآية (١٢).

(٢ و٣) الفتح: الآية ١٢.

(٤) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣ (عهد علي عليه السلام الى الاشتر).

(٥) المصدر السابق.

وعندما يتحرر الدين من أسر الخرافة والاسطورة ومن مخالب وعاظ السلاطين عندها يمارس دوره في تحرير الشعوب.

ان مالك الاشر في هذا العصر والذي استجاب للامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو قائد الثورة الاسلامية الكبرى الامام الخميني الراحل عليه السلام.

انه القائد الالهي الذي حرر احكام الدين واعتق الحكم الالهية، فهو الذي أَلَف السفر العظيم «مصباح الهداية الى الخلافة والولاية» عندما كان في الثلاثين من عمره.. ذلك السفر المشحون بكل معارف العرفان الذي اجتاز الفلسفة.

وان المرء ليعجب وهو يسير هذه المعارف العالية كيف يمكن ان يؤلفه شاب في شرح الشباب؟! ألا إن ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ^(١).

فهو ليس في «الفقه الاصغر» فقيه عالم بل وفي «الفقه الاكبر» عارف وحكيم جليل القدر.

لقد حدّد الامام علي عليه السلام واجب القائد في مهمة تحرير الدين.

وأما واجب الشعب فقد عبر عنه الامام عليه السلام في خطابه الى الشعب المصري يومئذ قائلاً: «من نام لم يثم عنه».. ان استمرار الحكم الاسلامي في مصر مرهون بالصحوّة وعدم الغفلة لأن العدو الماكر «عمر بن العاص» يتربّص.. انه لم يثم ولكنه ينتظر.. انه يترقب اللحظة التي يغفو فيها الشعب لينقض... وغياب الغارات لا يعني انعدام المغيرين.. انهم في سكم ما وفي كمين ما.

لأنه (من نام لم يثم عنه، إن أخ الحرب الأرق) ^(٢)، والمحارب الحقيقي الذي يلازمه الأرق، انه يدرك خطط العدو الكامن المتربص، فلهذا فهو على أهبة الاستعداد دوماً.

(١) المائدة: الآية ٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٦٢.

ومن أجل هذا يوصي الامام جنوده: «لا تذوقوا النوم الا غرراً و مضمضة»^(١)، وهذه الوصايا العلوية ما تزال حتى اليوم تنبض بالحياة..

ان حضور الامة في ميادين الصمود والمقاومة هو وحده الذي يحرس الثورة، وان سعي العلماء من أجل تحرير الدين من الخرافات والأساطير هو السبيل الوحيد لتحرير الدين وبالتالي تفعيله لممارسة دوره التحرري.. ان على العلماء أن يلهبوا الوجدان الاجتماعي في ضخ هذه الحكم العميقة التي من شأنها بعث الحياة في الامم والشعوب.

إنّ (من نام لم ينم عنه) كلمات معدودة موجزة لكنها يمكن أن تكون منهج في حراسة المجتمع من غارات المغيرين فالعدو يتربص ونحن لا نراه كالشيطان ﴿إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾^(٢).

الشيطان يحرك قواته لتنفذ من مواقع الغفلة وغياب الرؤية ولذا يوجه الامام خطابه التاريخي للشعب المصري: «ان من نام لم ينم عنه، إنّ أخ الحرب الأرق».

واذا ما نام الشعب يبدأ زمن الغارات الاجنبية، وهذه نتيجة الغفلة وغياب الصحوة.

فاستمرار الثورة مرهون باستمرار الصحوة وقد ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾^(٣) ومرهون بنصر الله الذي لا ينصر الا من نصره: ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾^(٤).

وهذا هو طريق الانبياء.

(١) المصدر السابق: الرسالة ١٨.

(٢) الأعراف: الآية ٢٧.

(٣) المجادلة: الآية ٢١.

(٤) الحج: الآية ٤٠.

الفصل الحادي والعشرون خصائص الامام الخميني ومقومات الاستمرار

- ربيع ١٩٩٣ -

الحديث عن الشخصيات التي بلغت مدارج رفيعة من الكمال الانساني شاق للغاية، ولكن الاشعاع الانساني لمثل هذه الشخصيات يتسع لمديات بعيدة يمكن للخطباء والادباء الجولان في رحابها الرحب.

وبالرغم من أن تمجيد شخصية الامام عليه السلام واجب على كل السالكين في دروب الكمال، إلا ان الأهم من ذلك بكثير في الحاضر والمستقبل هو بيان واجبات الأمة الاسلامية وتحديد الاصول والمحاور في خط الامام الراحل وشرح خصائص ومقومات من يريد الاستمرار في نهجه وخطه.

ومن هنا يتوجب التفكير (وكما سيأتي تفصيله لاحقاً) بين «البقاء على تقليده» وبين «ادامة نهجه».

ان اصطلاح «خط الامام»، أو «ادامة نهج الامام» أو «الاستمرار في طريقه» والى آخره من المصطلحات الجذابة تستدعي التحليل العميق وعندها سوف تظهر كثير من الحقائق الكبرى في هذا الطريق، بحيث يتضاءل عدد من يسمح لنفسه الادعاء انه على خط الامام.

كان للامام الراحل مسؤولية هي المرجعية (مقام الافتاء) حيث سطرت عصارة فتاواه في رسائل عملية بالفارسية والعربية، وتشتمل على كليات المسائل التي تطرّق اليها الفقهاء.

الفاصلة بين الامام وبين الفقهاء الآخرين ليست كبيرة، كما ان درك المعاني

الكلية ليس شاقاً ولذا فان البقاء على تقليده بعد رحيله ﷺ لن يكون صعباً. واصولاً فان البقاء على تقليد المرجع المتوفى أمر سهل ذلك ان مرجع التقليد كان قد بين كليات الفتاوى، وهذه الفتاوى حيّة ومستمرة أما إدامة خط الامام الراحل هو ادامة لطريق «القائد» و «الولي».

فالولي والقائد يتعامل مع القرار يومياً. انه يتخذ قراراته يومياً فمرة يرتشف رحيق النصر ومرة يتجرّع سمّ الموافقة على قبول «قرار»^(١).

والآن لننظر من يستطيع القول: «أنا على خط الامام» وما هو معنى أتباع خطه؟ «التابع للامام» هو من تكون له رؤية كرؤية الامام ﷺ، بحيث يدرك اليوم الذي يتوجب عليه أن يتجرّع السم بالرغم من كل مرارته ولا يتردد في ذلك لحظة واحدة. ولو أدرك أنّ الوقت حان لارتشاف رحيق النصر فانه يفعل ذلك شاكراً لنعمة الله متواضعاً له. لا تباهاً بذلك النصر مهما جَلَّ شأنه.

«البقاء على الولاء» معناه الاحتفاظ بعلاقة روحية مع الولي.

ومسألة ادراك الانسان للوقت المناسب للصراخ أو التزام الصمت وارتشاف الرحيق وتجرّع السم أمر ليس ميسوراً.

وما نراه اليوم من اختلاف في السبل، فان سرّه يكمن في تشخيص الواجب في الخطوط الجزئية، ومن هنا ينجم الاختلاف بين السالكين في دروب الامامة لأن تشخيص الواجب ليس ميسوراً.

وما نراه في بعض الاحيان من اختلاف في الذوق، ذلك لأن تجرّع السم أمر صعب. من الممكن أن يكون ارتشاف الرحيق عذب أما تجرّع مرارة السم فأمر صعب جداً. فناهيك عن الاختلاف في التشخيص، فان مسألة القبول بعد التشخيص

(١) اشارة الى خطاب الامام الراحل عشية الموافقة على قبول قرار وقف اطلاق النار في الحرب العراقية الايرانية (٥٩٨هـ).

فيها اختلاف أيضاً.

وهنا يتضح أن البقاء على تقليد ميت مثل الامام الراحل أمر ميسور، ولكن البقاء على «ولاية ولاء» الامام أمر شاق. لأنه أمر جزئي تفصيلي وليس أمراً كلياً وأمر يومي وليس أمراً سنوياً.

واستحقاقات ذلك تتطلب تجرّع المرارة، وارتشاف الشهد، وقبول قرار مؤلم وسماع خبر مزلزل كفتح «خرمشهر».

ومن هنا ينبغي ألا يسمح أحد لنفسه بالادعاء بأنه سائر على خط الامام، إلا اذا شعر بان ولاء ذلك الراحل يملك عليه وجوده.

وهذا لا يكون إلا اذا رُوّض نفسه على تجرّع المرارات وتحمل المعاناة.. حتى إذا قيل له: هذا أوان اجتراع السم القاتل هذا زمان قبول القرار (٥٩٨) فإنه لا يتردد في ذلك لحظة واحدة وانما يقدم محتسباً صابراً.

وحتى لو زُفّت اليه بشرى كبرى في دويّ فتح خرمشهر، فإنه يتلقى ذلك الخبر العظيم الذي يهزّ النفوس طرباً بالشكر لله سبحانه.. في مثل هذه الظروف يمكن للانسان أن يدعي متابعة خط الامام.

وعلى هذا فان امكانية تحقق ذلك ضئيلة للغاية.

والآن لننظر من يكون الامام الرجل ومن هو؟

ربما تصنع المصادفات تاريخاً مثل انفجار بركاني يصب حممه على مناطق خضراء فيحيلها الى أكوام من رماد، وتستحيل أكوخ القرى الى خواء. وربما تهاجم سيول مدمرة مناطق زراعية واسعة لتحيلها الى وادي غير ذي زرع.. هذا تاريخ تصادفي.

اذا أراد الانسان أن يغير التاريخ. فيجب أن تتجلى في أعماقه رؤية الهية بحيث يكون تشخيص أيا منها «أدق من الشعر وأحد من السيف»^(١).

وقد جاء في الأثر ان الصراط المستقيم أدق من الشعر وأحد من السيف واذا أراد الانسان أن يصنع التاريخ، فعليه ان يدرك ان «الزمان» في يد «المتزمن»، يعني أن الانسان هو الذي يغير الزمان والعصر.

وهذا هو الأصل الذي يشير اليه الامام علي عليه السلام في قوله: (لا ضمان على الزمان) فلا تلومَنَّ الزمان أبداً فالزمان لا يضمن سعادة أو شقاء الأمم والشعوب وليس هو المسؤول عما يلحق بنا من أضرار وخسائر.

ثم يضيف الامام علي عليه السلام قائلا: «العالم بزمانه لا تهجم على اللوابس»^(١) فمن يدرك عصره وزمانه ومن يتفهم ما يجري حوله من احداث، فانه لن يواجه مشكلة في اتخاذ الموقف المناسب، ولن تعتريه الحيرة أبداً لأنه من يعرف سنن التاريخ يكون مؤهلاً لصناعة التاريخ.

ويقول الامام علي عليه السلام في رسالته الى نجله الحسن سبط النبي صلى الله عليه وآله: «قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل... إذا تغير السلطان تغير الزمان».

الابتعاد عن الجهلة من الناس تعدل في الأجر الاتصال بالحكماء من الناس، واذا ما أردت أن تفهم عصرك فافهم أولاً سياسة الحكم القائم، لأنه اذا تغير نظام الحكم تغير الزمان والعصر وهذه هي المباديء الأولى في صناعة التاريخ.

انه (الامام الراحل) لم يدرك سياسة ايران بل الشرق الأدنى والأقصى والغرب وما وراء البحار والأرض كلها. لقد أدرك ان باستطاعة الانسان تغيير التاريخ والزمان.

أجل أدرك ان الانسان ينطوي على هذه القابلية في التغيير الواعي للتاريخ، وان هذا لا يتم بـ «الاجتهاد» فقط بل بـ «الولاية»، لأنه سبر ان الأحداث التفعيلية اليومية

(١) اصول الكافي باب العقل والجهل: ٢٦/١ الرواية ٢٩.

تزامن «الولاء» لا الاجتهاد الكلي.

والامام الراحل استند في قابلياته في سبر عصره الى قدرة الله لأن «الثقة بالله ثمن لكل غالٍ وسلم إلى كل عال»^(١).

وعندها يمكنه الثورة بمفرده، كان يعيش حالة الموحّد في الخوف والرجاء وكان لديه رؤية الموحد في ميثاقه مع الله في استمداد النصر.. وأخيراً في الاعتماد والتوكل عليه سبحانه، لأنه عندما كان وحيداً كان يهتف: «الله» وعندما اصبح في قلب الملايين كان يهتف أيضاً «الله» ويوم كان ولا ناصر له كان يقول الله ويوم هبت الامّة بأسرها لنصرته لم يقل شيئاً سوى: الله... ومن كان هذا ديدنه لابد وأن ينصره الله ومن كان مع الله كان الله معه:

لم يقل مجازاً يا ربّ قالها في الحقيقة والقلب.

في ما مضى قذفوا كتبه ومؤلفاته في الشارع ومزّقوا كتاباته وهي حاصل عمره، ثم ظهرت بعد سنوات طويلة في أيدي باعة الكتب في قارعة الطريق. في تلك الأيام لم يهب لنصرته أحد.

ويوم كان اصدار البيانات يعود على المرء بالشعبية كانت البيانات كثيرة والتوقعات كثيرة. ولكن يوم كان توقيع البيان الجهادي يعني الموت ويعني الابعاد يوم ينحسر الا المخلص ويتراجع غير المخلص.. لأن الامام علي عليه السلام يقول: «لو ارتفع الهوى لأتف غير المخلص من عمله»^(٢).

يوم يعود الجهاد على المرء بهتك الحرمات لا اكتساب الشهرة والمجد، ويوم يكون الجهاد بعيداً عن الهوى مقروناً بالاحطار. عندها ينزوي الجميع الآ

(١) بحار الانوار: ٣٦٤/٧٥ الرواية ٥ وهذا الحديث من كلمات الامام الجواد تاسع ائمة أهل البيت عليه السلام.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ٢/٦٠٣ ح ٩.

المخلصين.. وفي مثل هذه الظروف ظهر الامام الراحل عليه السلام، فهاجم النظام الفاشم ولم يكن حاله يومذاك جبلاً بل شجرة خضراء في وادي غير ذي زرع.. ولذا ينسحب عليه ثناء الامام علي عليه السلام في مالك الاشتهر عليه السلام: «لو كان حجراً لكان صلدأ»^(١) فطوبى له رحمن سآب.

فإذا أراد أحد أن يسلك درب الامام ويتابع خط الامام فعليه أن يدرك زمانه وعصره.. عليه أن يتصفح جيداً كتاب السياسة المحليّة والدولية صفحة صفحة، والآ يصطحب في رحلته هذه الهوى.

ولو اعتنق أحد الاسلام الأصيل واندك فيه اندكاً لتجرّع كأس السمّ في سبيل نصرته... ولقبض على الجمر من أجل مصلحة الاسلام، لأنه لن يرى شيئاً غير الاسلام ولتساوى لديه النصر والهزيمة، ولا تأخذه في الله لومة لائم وعندما نبليغ هذا المستوى... عندما نكون مستعدّين لتجرّع كؤوس السم عندها يمكننا ان نكون من «السائرين على خط الامام».

يجب أن تتألق روح الامام العظيمة في نفوسنا حتى يمكننا ان نخطو في ذات الطريق الذي سلكه وعبده لمن يتابعه.

والامام الخميني كان آية الله الكبرى، ولكن هذا لا يعني أنه لن يأتي أحد يعدله أو يماثله لأن ذلك ينحصر فقط في شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال الله سبحانه: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(٢).

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو وحده الاستثناء تخصّصاً لأن وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمر في القرآن الكريم وعترته، وهما الثقلان اللذان أوصى أمته بالتمسك بهما الى يوم القيامة.

(١) البقرة: الآية (١٠٦).

(٢) البقرة: الآية ١٠٦.

سيدنا محمد ﷺ لا يفقد مادام الدهر ينبج المئات من أمثال الامام الراحل وهو من أعاد للإسلام مجده في الدنيا.

والسؤال هنا كيف تأتى للامام الراحل أن يطوي هذا الطريق؟ لقد كان طريق الامام مليئاً بالأخطار منقوعاً بالدماء القانية.. إنَّ طريقه هو الطريق الدامي المرير.. الطريق الذي يتطلّب الاخلاص الكامل في كل خطوة من خطاه.

طريق الامام هو الطريق الذي عجز عن سلوكه مئات الفقهاء في مستوى صاحب الجواهر والشيخ الانصاري والبروجردي، ولكن يجب التأكيد على امكانية طي هذا الطريق بالرغم من مشاقه.

يقول أمير البيان العربي: «وأعظم ما افترض الله سبحانه وتعالى من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على واليها»^(١).

وبعد أن بيّن الامام ﷺ الحقوق المتقابلة يقول: «فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى لكلّ على كلّ»^(٢) وعندما تتحقق هذه الحالة في ارساء معادلة الحق والواجب تكون النتيجة: «فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويأست مطامع الأعداء»^(٣).
فصناعة التاريخ.. انتاج التاريخ يتوقف على ادراك وتفهم الواجبات المتقابلة بين الامام والامة.

فالمسؤول الأعلى في المجتمع عليه واجبات تجاه الأمة وله أيضاً عليها حقوق. وعندما تستقر معادلة الحق والواجب عندها يطمئن على استمرار النظام وبقاء الدولة ويومها ييأس الطامعون.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

ولذا تقع عليكم مهمة صناعة التاريخ وتكونوا حينئذ من السائرين على خط الامام وهذه مسؤولية ليست يسيرة.

والقيام بهذه المسؤولية والنهوض بهذه المهمة، لا يتم بالدراسة والبحث بل ان أغلبه يتحقق بـ«الالهام» الالهي.. وعندما نستنتق هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾^(١) تجدها تهتف بهذه الحقيقة.. ان تتقي الله يعني إضاءة مصباح ينير لك الطريق.. الطريق الذي يوضح الحق عن الباطل.. وتمييز الحق عن الباطل ليس أمراً سهلاً.

وعندما نشخص الحق عن الباطل، يمكننا اتخاذ الموقف الصائب وسوف لن يكون هناك مجال للهوى أن يملئ علينا رغبته وإرادته وميوله.

فالقلب الذي يملأه الهوى لا مكان فيه لتقوى الله، سوف يعيش حالة مدمرة من الحرمان وانعدام الإرادة الحرة المستقلة.

وعندما نعيد ترتيب معادلة الآية الكريمة الأنفة الذكر تصبح: «ان لم تتقوا الله لا يجعل لكم فرقاناً» وهو يعادل مضمونه قول الامام علي عليه السلام: «من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل» فالدراسة وحدها والثقافة بمفردها لن تجدي شيئاً مالم يصاحبها ترويض للنفس وتهذيب لها.

وعندما سأل الامام الصادق عليه السلام أبا حنيفة عن مبانیه في الافتاء أجاب الأخير: بالقرآن!

وهنا نرى الامام الصادق يستنكر عليه ذلك قائلاً: تزعم أنك تفتي بالقرآن وئست من ورثه!»^(٢)..

(١) الانفال: الآية ٢٩.

(٢) بحار الانوار: ٤٨٨/٢ الرواية ٤.

وهذا يعني أن الافتاء بالقرآن يحتاج إلى علم وراثه في الغالب لا «علم دراسة». فخط الامام ليس علماً يدرس بقدر ما هو ميراث يرثه الذين «لا يخافون في الله لومة لائم»^(١) وهم الذين طلقوا الدنيا طلاقاً علوياً..

الزهاد الذين انزروا بعيداً ويتصوّرون أنهم طلقوا الدنيا، هؤلاء طلقتهم الدنيا.. هذا «طلاق خلعي» أو «طلاق مباراة» طلاق ليس فيه من الرجولة شيء.. الطلاق الذي فيه شهامة هذا الطلاق العلوي، حيث ترمي الدنيا أمام قدميه تتوسل اليه تخريه بكل كنوز الشرق الأوسط فيقول لها: «طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي بعدك»^(٢).

كثيرون ابتعدوا عن الدنيا ولكنهم لم ينتهجوا نهج علي لأنهم «من ترك الدنيا للدنيا»^(٣) لأنّ «أفضل الزهد إخفاء الزهد»^(٤).

وهذا هو جوهر القضية.

ومن هنا يتضح المعيار في متابعة خط الامام.

والموضوع الهام الذي يتوجب طرقة ونحن إلى جوار هذه البقعة المباركة التي تضمّ جثمان سليل رسول الله ﷺ الامام الخميني عليه السلام هو ان الانسان يمكنه بلوغ مرتبة يكون مختلفاً للملائكة.

والمؤمن الحق هو من يتربّى في مدرسة الانبياء عليهم السلام والاولياء ليكون منزله في حياته ومرقده بعد وفاته مختلفاً للملائكة. ونحن إذا تأملنا في الروايات والأحاديث سوف يتضح ما إذا كان مرقد الامام الطاهر مهبطاً للملائكة أم لا؟

الامام علي عليه السلام يعرف أهل البيت قائلًا: «نحن شجرة النبوة ومهبط الرسالة

(١) «لا يخاف في الله لومة لائم» المصدر السابق: ٤٢٧/٣٢ الرواية ٣٨٩.

(٢) بحار الانوار: ٣٢٨/٤٠ الرواية ١٠.

(٣) بحار الانوار: ٨٤/٢ الرواية ١٠.

(٤) المصدر السابق: ٣١٦/٦٧ الرواية ٢٣.

ومختلف الملائكة»^(١) هنا نزلت الرسالة وهنا تهبط الملائكة.. فالعترة الطاهرة من آل النبي هم أغصان شجرة النبوة ثم يقول الامام علي عليه السلام: «لا يقاس بهم أحد من الناس»^(٢) ويقول: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»^(٣) ويقول أيضاً: «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد»^(٤).

و«أحد» نكرة في سياق النفي ولا تختص بالناس فقط حتى الملائكة من حملة العرش لا يمكنهم تفضيل أنفسهم على علي عليه السلام، وقد سمعتم من الامام الراحل عليه السلام ان أعظم الملائكة كان يهبط على الزهراء عليه السلام.

ومن هنا فنَدَّ الامام الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عليه السلام شرعية السقيفة، لأن الامام لا يتم انتخابه بشرياً وانما الهياً.

لأن: «الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين، فأين العقول من هذا وأين الاختيار من هذا؟»^(٥).

ولا يمكن للسقيفة أبداً ولا للاجماع أبداً انتخاب إمام معصوم، فالانتخاب البشري بشكل عام عاجز عن ذلك ف«أين العقول عن هذا؟ وأين الاختيار من هذا؟». ولذا قال الامام علي عليه السلام: «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة».

والاختلاف يعني هبوط وصعود الملائكة حتى لا يخلو المكان بقول القرآن

(١) المصدر السابق: ٨٧/٤٠ الرواية ١١٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٤/٢٤ الرواية ٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠٦/٢٢ الرواية ٤٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ١١٧/٢٣ الرواية ٣٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٢٥/٢٥ الرواية ٤.

الكريم: ﴿ هو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾^(١).
ولذا فان المراقد الطاهرة لأئمة الهدى هي كالحرمين الشريفين محلّ لتردد
الملائكة واختلافهم هبوطاً وعروجاً.
والآن لنرى هل يمكن لتلامذة أولئك الطاهرين أن يكونوا محللاً لاختلاف
الملائكة؟

لقد خاطب الامام علي عليه السلام جنوده في صفين قائلاً: «إني متكلم بعدة الله
وحجته»^(٢) يعني انه يتحدث بالقرآن.. كلامه مستمد من القرآن ودليله دليل القرآن
وحجته.

انه ينطلق من هذه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا ننزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون ﴾^(٣).

ولذا قال لجنوده: «وقد قلت ربنا الله فاستقيموا على كتابه ومنهاج أمره»^(٤).
وهذا الكلمات المضيئة تخاطب تلامذة علي عليه السلام تقول لهم أن الملائكة لا تهبط
على المعصومين فقط إنها تنزل على المؤمنين المتقين الذين يسرون على منهاج
ربهم.

والنقطة المهمة في هذا الخطاب انه لم يكن في المسجد أمام جموع المصلين في
حال صلاة أو صيام - وإن كان مقاماً مناسباً - بل كان ذلك في ميدان الصراع
المسلح وفي سوح الحرب والقتال.

(١) الفرقان: الآية ٦٢.

(٢) بحار الانوار: ٧١ / ١٩٠ - الرواية ٥٦.

(٣) فصلت: الآية ٣٠.

(٤) بحار الانوار ٧١ / ١٩٠.

فالانسان الذي يعلن ايمانه بالله ثم لا يهاب الشرق ولا الغرب وهو ينتهج طريقاً لا يميناً ولا شمالاً سوى طريق الله المستقيم ومنهاج الرب العظيم فهذا انسان تنزّل عليه الملائكة وتبشره ورفاقه واخوته: ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١).

ولقد قال الامام الراحل: ربي الله، ثم استقام ويحق لنا أن نخاطبه اليوم ونحييه

قائلين:

السلام عليك ايها العبد الصالح.. السلام عليك يا مختلف الملائكة. ان هؤلاء الذين يحجّون الى مرقد مشياً على الأقدام ويقطعون المسافات الشاسعة انما يفعلون ذلك لأنه قال ربي الله ثم استقام على منهج الله.. فمن أجل هذا تزوره الملايين من المؤمنين وتتنزّل عليه الملائكة فطوبى له وحسن مآب.

الملائكة الذين هم مظاهر الله سبحانه قولهم فعلهم: «انما قوله فعله»^(٢) انهم يتحفون المؤمن بالنشاط وهذا في ذاته تبريك.. انهم يحملون اليه الروح والريحان وهو في ذاته تهنئة.

والسرّ في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣) هو أن ذكر الله في ذاته فعله لأن فعل الله «انزل السكينة» وعندما يكون نصيب القلب السكينة يكون محصناً ضد كل عوامل النفوذ المخزّبة.

ولهذا ينعم قلب المؤمن بالله بالسكينة والطمأنينة والسلام.

ومن أجل هذا كان جنود الاسلام في الصدر الأول يلوذون بالنبي ﷺ: (كنا إذا

(١) فصلت: الآية ٣٠.

(٢) بحار الانوار: ١٢٢/١ الرواية ١١.

(٣) الرعد: الآية (٢٨).

حمي الوطيس لذنا برسول الله)، (كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ) لأن رسول الله ﷺ في مأمن الهي: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾^(١).

وفي مثل هذه الحالة يعيش الانسان في مأمن من خطر الرعب.. يثور بكلطمأنينة ويقضي على النظام الشاهنشاهي المشؤوم، ويعيش عشرة أعوام قائداً عاماً للدولة تغمره السكينة.. ثم يرحل الى الملكوت الأعلى بضمير مشرق وقلب يغمره الأمل ويودّع أخوته في الانسانية وأخوته الى ديار الحبيب^(٢).

والنقطة الجديدة بالذكر في ختام هذا الفصل، هي أن احياء اسم الامام الراحل يكون في ظلال الالتفاف حول سماحة القائد (الخامني) الحكومة، القضاء، ومجلس الشورى وكلّ المؤسسات التي ترتبط بـ «ولاية الفقيه» هذا من جهة وتعزيز عرى التضامن والوحدة واجتنب الفرقة والنزاع من جهة اخرى.

حذار أن نردد فقط: اسم الامام.. حرم الامام.. لأن هذا المرقد الطاهر الذي يحفّ به الزوّار من كل حذب وصوب وفي غياب الامّة عن الساحة سيكون عرضة أن يداس ببساطير الشرق والغرب (معاذ الله)، كما نرى ذلك اليوم ومع شديد الأسف، كيف تداس تربة الحسين والبوابة التي هي محل للقبل العاشقة على امتداد عشرة قرون تحت بساطير الجلادين العفّالقة؛ وكيف اصبح الضريح الطاهر لبطل الاسلام الخالد علي بن أبي طالب أسيراً في قبضة صدام الكافر العفّلي.. وعليّ هو القاتل: «ينحدر عني السيل ولا يرقى اليّ الطير»^(٣).

ومن هنا لا يكفي وجود الامام أو المعصوم لوحده أبداً بل «حضور الشعب»

(١) التوبة: الآية ٤٠.

(٢) «بقلب مفعم بالسلام وبروح مبتهجة وضمير يرجو فضل الله استأذن أخواتي وإخوتي وأرحل الى عالم الأبدية» من وصية الامام الراحل (المترجم).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٣ (الشقشقية).

وهذا يتأتى من خلال النمو الثقافي والفكري، والنمو الثقافي لا يتأتى إلا من خلال إخلاص ووفاء مسؤولي الدولة.

والذي يهب الاخلاص لمسؤولي الدولة هي العلاقة الوثيقة بين الامام والامة وبين القائد والشعب واجتئاب الهوى، والآ فان ما نراه اليوم هو إن سيدنا الحسين محاصر في ضريحه، وصدّام هو المنتصر: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾^(١).

ما الذي يا ترى أخفى مرقد علي بن أبي طالب عشرات السنين^(٢)، ثم هو اليوم في قبضة صدّام الكافر الذي انتهك حرمة بل هو في الحقيقة تحت سلطة الغرب والكفر؟

فأي مرجع تقليد لم يفخر بأنه قبل عتبة المرقد العلوي ويتباهى بشمها واستنشاق عبير الكرامة الانسانية، ثم يودع ذلك المشهد المبارك في انسان عينه. ولكن هذا المكان المقدس هو الآن تدوسه بساطير البعثيين.

النمو الثقافي اليوم والحضور السياسي، والاخلاص لشعب ايران المسلم والانسجام بين الحكومة والامة، هو الذي جعل الضريح الطاهر للامام الراحل يتألق بالنور والحب والسلام.

وقفنا لله سبحانه وابناء أمتنا للسير في طريق الامام وفي خط الامام.

(١) آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) ظل قبر الإمام علي عليه السلام سرّاً منذ سنة ٤٠ هـ وحتى سقوط الحكم الأموي (المترجم).

الفصل الثاني والعشرون

الإمام الخميني.. المجد الأخلاقي والفضيلة

- شتاء ١٩٩٤ -

لم تكن تمض مدة طويلة حتى ودّعنا الحاج السيد أحمد الخميني ذكرى الامام ليحلّ في جوار والده الراحل: «اللهم جافي الأرض عن جنبه وأصعد بروحه اليك ولقّه منك تحية ورضواناً».

لقد كان هذا العظيم من أبرز مصاديق الحديث الشريف: «المرء يُحفظ في ولده»^(١)، ومن أسطع المثل القائل: «الولد بسرّ أبيه» هناك الكثيرون ممن لا يحفظون كل الأسرار، ربّما يحفظون اسماً من اسمائه ولكن البعض يسلك خطى والده ويحفظ كل أسراره.

وتوضيح هذه امسألة لو إنّ الأب مظهر الاسم الجامع للحق وهو سالك في مسار التكامل، وقطع خطوات في ذلك.. فان مثل هذا الأب ينطوي على كثير من أسماء الله، فهو مظهر العليم، القدير، الرؤوف والرحيم ومظهر لـ «اشدّاء على الكفار في موضع النعمة»، ومظهر الرحمة والرأفة: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^(٢) وأمثال ذلك.

وبالطبع أن مظهرية الاسم الاعظم خاصّة بالنبي الاكرم خاتم الانبياء محمد

(١) بحار الاتوار: ٣٠٢/٢٨: الرواية ٤٨.

(٢) التوبة: الآية ١٢٨.

المصطفى ﷺ وأهل بيته الطاهرين والأنبياء أولي العزم بالدرجة الاولى ثم تأتي مرتبة الأنبياء الآخرين ثانياً وبعدها الأولياء والعلماء الربانيين ثالثاً. في المرتبة الثالثة التي هي تنزّل للمرحلة الأولى والثانية يصبح العلماء الربانيون في ساحة الوجود «خلفاء الله».

وعندما تنزّل من الخليفة الأول الذي هو في لغة الحكمة «أول صادر» وبلغه العرفان «أول ظاهر» وهو شخص النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، ومن الانبياء أولي العزم وسائر الانبياء الآخرين من أولي العزم يصل الدور الى ورثة الانبياء وهم العلماء الربانيين^(١).

فإذا كان العلماء الربانيين هم ورثة الانبياء، وكان الانبياء خلفاء الله، والخلفاء مظهر «الاسم الأعظم» فإن سيكون بعض العلماء الربانيين بالنتيجة جامعاً للجمال والجلال الالهيين، ويمكنهم أن يكونوا خلفاء الله بالحق، وبالطبع أن امثال هؤلاء هم من نوادر الدهر.

بعض فقط في قسم من الاسماء خلفاء الخالق، ولكن بعض في جميع الاسماء خلفاء الله وكل له شأنه.

الامام الراحل بدوره بعد الانبياء وبعد الائمة المعصومين من بين العلماء الذين هم ورثة الانبياء.. هو خليفة بالحق ومظهر هذا الاسم الالهي. ولذا كان فقيهاً عادلاً وعالمياً عاملاً؛ فهو في البحث العلمي مظهر للتعليم وفي البحث العملي مظهر للتقدير.

ولأنه وضع خطاه في طريق الدين وكانت كل هجرته وجهاده واجتهاده من أجل ذلك: ﴿ لتكون كلمة الله هي العليا ﴾^(٢) لذا فهو مظهر «الحي القيوم».

(١) بحار الانوار ١/١٦٤ ح ٢.

(٢) التوبة: الآية ٤٠.

وكما أن أهل الجنة أحياء خالدون، فإن الرجال الالهيين الذين نهضوا من أجل صون الشريعة واحياء دين الله وتحملوا ما تحملوا في سبيل ذلك، فهم أيضاً يصبحون «كلمة عليا»، وهم باقون ما بقي الدهر.

وقد قال أمير البيان والبلاغة الامام علي عليه السلام: «العلماء باقون ما بقي الدهر»^(١). والسرّ في ذلك هو أن العلماء ورثة الانبياء والأئمة المعصومين. وإنّ أكمل أولياء الله في هذا العصر هو الامام المهدي (أرواحنا فداءه) ونحن نذكره على انه «بقية الله».

«وبقية الله كل ما هو خالد باقٍ..»

الله سبحانه بالدرجة الأولى هو الباقي بالذات: «هو الباقي»، فالعلماء العدول باقون ما بقي الدهر.

الامام الراحل هو بين العلماء الربانيين كالنجم الساطع والكوكب اللامع. بعض الناس يكونون آباء لابنائهم ليس بالجسم فقط ولكن آباء روحيين لهم؛ وبعض الابناء يكونون أبناء روحيين لآبائهم.

مثلاً عبدالله بن جعفر الصادق، موسى بن جعفر الصادق عليهما السلام كلاهما ابن لأبيه. ويحتج عبدالله بن جعفر قائلاً: «أليس أصلي وأصله واحداً؟» ولكن الامام الصادق يبيّن له الفرق الشاسع قائلاً: «أنت ابني.. وهو من نفسي»^(٢).

نعم أنت ابني جسماً وموسى ابني روحاً ونفساً.. انه ينطوي على امكانية حمل الأسرار..

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٩.

(٢) ارشاد القلوب للديلمي ٢٩٦، مجمع الزوائد ١٨١/٩، الصواعق المحرقة ١١٥، كنز

لبعض العلماء ابناء ادركوا أسرار آبائهم وآمنوا بها وحفظوها، وهكذا كان نجل الامام الراحل الحاج مصطفى الخميني لقد صحبتته وكنا معاً من تلامذة الامام الراحل أدرك أسرار أبيه وحفظها وأظهرها وكان هو الآخر «سرّ أبيه» وعندما يقال «يحفظ المرء في ولده» ففي أولاد كهذا.

وكما أن للائمة أبناء كثيرون ولم يكونوا جميعاً في مرتبة سواء، فالعلماء ايضاً ربّما يكون لهم أولاد كثيرون ثم لا يتساوون في المرتبة، وكان من فضل الله الذي ﴿اسيخ عليكم نِعْمَةٌ ظاهرة وباطنة﴾^(١) أن رزق الله الامام الراحل ولدين يحفظان كلاهما أسرارهما.

وعندما نتأمل في كتابات السيد مصطفى العلمية سنشاهد أفكار الامام عليه السلام في علم المعقول والمنقول، وعندما نتأمل سيرته نجده الى جانب والده الامام دائماً.. كان له نعم التلميذ ونعم الناصر المعين وكان أملاً لأبيه.

وعندما رحل عن الدنيا جاء الدور لأحمد، لقد شغل ذات المكان الذي شغله أخوه وشقيقه من قبل فهو التلميذ المخلص والنصير القوي يحفظ آثار أبيه وأسراره.

هاجر مع والده فهو صاحبه في الهجرة، وعندما رحل والده عن الدنيا سعى أحمد في حفظ ميراث والده وهو أسرار نهضته وثورته.

كان عالماً دينياً وكان في قلب الأحداث السياسية وله رؤيته النفاذه ورثها من والده. كان كأبيه يسعى لتكون: ﴿كلمة الله هي العليا﴾^(٢).

ولأن كان السيد مصطفى في رحيله دفعةً للثورة، فقد كان أحمد ايضاً لأن

(١) لقمان: الآية ٢٠.

(٢) التوبة: الآية ٤٠.

روحه النقية وهي تغادر هذا العالم، تلج في روح الثورة.

ونحن نسأل الله سبحانه «الذي قبض اليه الروح المطمئنة» أن يجعل ذلك في صلاح أمرنا فـ «يامن لا تبدل حكمته المسائل»^(١) ان تجعل ذلك سبباً في ازدهار كلمتك العليا وتثبت أركان الثورة الاسلامية في الداخل لتؤتي ثمارها المرجوة في الخارج.

الذين يذكرون تلك الحادثة المؤسفة في رحيل الحاج مصطفى سنة ١٣٥٦^(٢) يتذكرون الآثار الطيبة التي تركتها الحادثة في تقدم عجلة الثورة وتحقق أنتصارها. اللهم فاغفر له واسكنه فسيح جناتك.

فإذا كان العلماء باقون ما بقي الدهر، اذا كان هذا العالم حافظاً لاسرار الامام الراحل، وحافظ لامامته وحافظ لولايته على المسلمين، فان افضل طريق لتخليده هو انضاج ثمار الثورة لتؤتي أكلها ليس في داخل ايران بل وخارجها أيضاً، لأن الله على كل شيء قدير.

وان الشيء الذي بإمكانه أن يشمل العالم يجب ألا يكون مرهوناً بالطبيعة. والعالم الذي يستطيع في حياته أو بعد مماته ان يشمل العالم يجب ألا يكون مرهوناً بطبيعة هذا العالم. لأن الذي يعيش في أسر الطبيعة لن يستطيع أن يؤدي رسالة ما وراء الطبيعة.

فعندما لا يُسمع نداء غيبي من أحد فإنه لن يكون أثر غيبي، فالطبيعة لا تتأثر بالطبيعة إلا عابراً.

ولكن الطبيعة تتأثر بما وراء الطبيعة ويكون هذا الأثر مستمراً.

(١) الصحيفة السجادية.

(٢) ١٩٧٨ م (المترجم).

وان الذي بإمكانه أن يحفظ الأثر في الطبيعة هو الله سبحانه وحده.
وعندما لا يكون الفعل الهياً فإنه لا يبقى، لأن: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(١)
و﴿كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾^(٢).
ان آخر ذكرى لنا من هذا العظيم اعني الحاج أحمد الخميني هي حضوره في
الاجتماع الخامس لمجلس الخبراء (اسفند ١٣٧٣ هـش)^(٣).
وقد اشترك معهم في افتتاح سدّ الخامس عشر من خرداد، ولم يلبث بعد ذلك
الأ قليلاً فلَبّي دعوة الحق فخرجت روحه إلى الملاء الأعلى حيث ﴿جَنّاتِ عدن مفتحة
لهم الأبواب﴾^(٤).
انه من اولئك: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾^(٥).
إنّ روح الخميني وابناء الخميني ترفرف فوق أرض ايران الاسلام.. فأينما
قرعت باباً من الأبواب طالعك صورة الراحل العظيم.. إنها تنطق بالحق لتقول انه هو
الذي أعاد إلى هذه الأرض المترامية العزّة والكرامة والانسانية.
عندما يكون التنافس في الروح والسموّ والتقرب إلى الله بالتقوى يكون دعاء
المؤمن: ربّنا ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾^(٦).
ولكن عندما يكون التنافس في الدنيا الزائلة والسلطان تتوهج ثقافة الايمان
لتوحي للمؤمن قائلة: (كن ذنباً ولا تكن رأساً)^(٧)، فهاجس الرئاسة هاجس مطرود

(١) القصص: الآية ٨٨

(٢) الرحمن: الآية ٢٦-٢٧.

(٣) ١٩٩٤ م.

(٤) ص: الآية ٥٠.

(٥) المؤمنون: الآية ١١.

(٦) الفرقان: الآية ٧٤.

(٧) بحار الانوار ٢٢٦/٧٥ ح ٩٥.

في دنيا الايمان والتقوى لأن التنافس فيها سوف يؤدي بالناس الى الندم والى التضرع يوم القيامة: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾^(١).

قد يصل العمل بالانسان أن يخاطبه الله قائلاً: ﴿ انه عمل غير صالح ﴾^(٢) هذا في عالم الماديات ولكن في عالم الروح يأتي النداء الألهي: ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾^(٣) و﴿ سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾^(٤) ولكن شرط ذلك ان يتحقق ألا بتحمل المسؤولية الكبرى التي تشير لها الآية: ﴿ واجعلنا للمتقين اماما ﴾^(٥).

ولقد كان الراحل عظيماً وكانت ذكراه عظيمة نسأل الله أن يخلد ذكرهما ما بقي الدهر.

اللهم انا نسألك ان تجعل هذا المكان الطاهر من البيوت التي: ﴿ أذن الله أن ترفع ﴾^(٦) والآ ينطفئ هذا النور الذي اضاء القلوب.. وأن تطفىء يارب النار التي يقودها الأعداء لحربنا فانك قلت وقولك الحق: ﴿ كلّموا أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ﴾^(٧).

(١) المؤمنون: الآية ١٠٦.

(٢) هود: الآية ٤٦.

(٣) البقرة: الآية ١٤٨.

(٤) آل عمران: الآية ١٣٣.

(٥) الفرقان: الآية ٧٤.

(٦) النور: الآية ٣٦.

(٧) المائدة: الآية ٦٤.

الفصل الثالث والعشرون

تأملات في وصية الراحل

- خريف ١٩٨٨ -

في نظام الوجود الذي قائم على أساس الحق والصدق يكتسب الكلام والتأليف التأمين الصادق الذي يستمد من الحق والصدق.

ويتناسب مقدار التأثير مع شدة الارتباط الوجودي لذلك الشيء مع الحق المحض والصدق الصرف، الذي هو الله سبحانه وتعالى، ولذا فإن الوحي الالهي هو الأصدق: ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾^(١).

ولأن أغلب فقرات الوصية الالهية السياسية للامام الخميني، هي بمنزلة شرح آية في القرآن الكريم أو رواية من احاديث العترة الطاهرة.

ولأن التعرّف على منابع الدينية له تأثير عميق، لذا فإن هذا الفصل سوف يتعرّض الى جانب من منابع القرآنية والروائية ليؤلف ذلك نموذجاً لسائر القضايا وخدمة ذلك في عدة محاور.

الأول: ان الاسلام هو الدين الحق، والدين الوحيد لدى الله سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾^(٢) وهو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه للبشر: ﴿ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^(٣).

(١) النساء: الآية ١٢٢.

(٢) المائدة: الآية ٣.

(٣) آل عمران: الآية ١٩.

وسرّ الثبات والرضا يكمن في كمال وتمام النعمة فيه: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي﴾ (١).

فالاسلام هو وصيّة الله الخالدة ورسالة جميع الانبياء: ﴿ووصّني بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون﴾ (٢). كما ان الانحراف عن الاسلام يعدّ سفاهة في العقل: ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه﴾ (٣).

الثاني: ولأن حقيقة الاسلام تتألف من وجوده التشريعي والتكويني، فإنّ النبي ﷺ وهو يوصي بالاسلام بأمر بالتمسك بكتاب الله عز وجل والعترة الطاهرة: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) (٤).

كما نرى الامام علي عليه السلام يعتبر وصيّة النبي في الكتاب والعترة الركنيين الأساسيين والمصباحين اللذين يضيئان الطريق: (أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين) (٥).

فالعترة من ائمة الهدى هم الذين يفسرون الوحي، والذين يمثلون القرآن الكريم في سيرتهم وسلوكهم ولذا قال ﷺ انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. كما أن الأخذ بأحدهما يستلزم الأخذ بالآخر: وترك أحدهما يعني ترك الآخر (٦).

(١) المائدة: الآية ٣.

(٢) البقرة: الآية ٣٢.

(٣) البقرة: الآية ١٣٠.

(٤) اثبات الهداة ١/٧٣٥.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٩.

(٦) بحار الانوار ٢٢/٤٧٧ ط بيروت.

الثالث: ان القادة الالهيين هم أولياء الناس، وولايتهم توجب عليهم ألا يغفلوا عن التوصية بالحق، وسيكون لازماً على المجتمع الاسلامي العمل بالوصية خاصة عندما تكون الوصية حياتية ومصيرية، بحيث يكون تركها سبباً في الانحراف كما قال رسول الله ﷺ: (ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً)^(١).

ومن هنا يتضح لماذا صدر الامام الراحل وصيته الهامة بحديث الثقلين المتواتر، واعتبر حياة الامة الاسلامية التمسك بهما.. ووصل أحدهما لا يتم إلا بوصول الآخر^(٢).

وان تسبيح الحق مقرون بالحمد له: ﴿ان من شيء إلا يسبح بحمده﴾^(٣)، ﴿فسبح بحمد ربك﴾^(٤).

الرابع: وفي الانسجام بين القرآن والعترة، يمكن استنباط معارف عميقة من الوصية:

١- فكما انّ القرآن يشمل على آيات الرحمة فان العترة الطاهرة هم من مظاهر جمال الحق عز وجل.

٢- وكما انّ القرآن يشتمل على آيات القهر، فهم أيضاً مظاهر للجلال الالهي.

٣- وكما أن القرآن الكريم تجلّ لكل اسماء الله عز وجل: (فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا رأوه)^(٥) فان العترة الطاهرة هم تجلّ للاسماء الالهية، لأن مظاهر الاسم الاعظم لن تخرج عنهم.

(١) اثبات الهداة ١/٧٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاسراء: الآية ٤٤.

(٤) النصر: الآية ٣.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

٤ - ولأن هذه الذوات الطاهرة قد بلغت كمال الفناء والفناء الكامل، فقد تلاشت كل الحجب الغيرية، فلذا ان الاسرار التي لا يعرفها غير الحق هي مشهودة لهم على أساس: «ما علمت إذ علمت ولكن الله علم».

٥ - ان كنه الذات واكتناه الصفات لن تتيسر لأي أحد من الانبياء والأولياء لأنه «لا يدركه بُعد الهمم ولا يناله غوص الفطن»^(١) ولأنه «لم يطلع العقول بتحديد صفتة ولم يحجبها من واجب معرفته»^(٢) لكن من الممكن بلوغ مظاهر الاسم الاعظم بتمام الظهور الفعلي للحق.

القرآن الكريم من جهة كونه كلام الله فهو فعله، وكل الوان التجلي في ذلك لا تخرج عن دائرة الفعل والفيض الأول الذي هو العترة الطاهرة واقف عليه.

٦ - وكما أن القرآن الكريم مصون من الكثرة والاختلاف والتشتت، فإن العترة الطاهرة معصومة من الكثرة والتشتت أيضاً ولذا فهما (القرآن والعترة) يردان حوض الكوثر معاً.

٧ - ولأن نهج البلاغة والصحيفة السجادية وسائر الأحاديث الصحيحة عن المعصومين هي التفسير الحق للقرآن الكريم ولا يوجد فيها ما يخرج عن دائرة الوحي، فان تلك الآثار مدعاة للفخر والأمة الاسلامية وهي تدافع عن هذين الثقلين فهي أمة مجيدة.

وما دام هدف الوحي، تزكية الروح الانسانية وان روح الانسان ليست انثى ولا ذكراً^(٣) فان أيأ من الكمالات المعنوية لا يتوقف على الذكورة أو الانوثة، وان ذروة الكمال هي «الولاية» فان الجنسين معاً مشمولين بهذا الفيض بالرغم من التفاوت في

(١) المصدر السابق: الخطبة ١.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة ٤٩.

(٣) زن در آئينه جلال وجمال: ٦٦، ٢٥٦ (المرأة في مرآة الجمال والجلال).

الاجراء والتنفيذ بحسب خصوصيات كل جنس.

ولان الاسلام على وضوح كامل في هذا الموضوع، فان النساء نظائر الرجال في مهمة اعتلاء أهداف القرآن الكريم والعترة الطاهرة.

الخامس: إن برهان النبوة يعدّ الدين مجموعة من القوانين الفردية والاجتماعية والدولية ويعتبر وجود قوّة تنفيذية وقائد مسؤول ومعصوم أمراً حساساً ولازماً وهذا هو الدين الممتزج بالسياسة.

وانّ الأصدقاء المشؤومة لشعار فصل الدين عن السياسة سوف تؤدي الى اقضاء الكتاب والسنة عن الساحة السياسية وتوفير الفرصة المناسبة للهجوم على اركان الاسلام.

ذلك ان فريقاً من المتحجّرين اقصوا قضايا الدين بعيدا عن القدرة السياسية، ولكن السياسة بالاعيبهم قهروا الدين وأخذوا الفتاوى المناسبة من القائلين بفصل الدين عن السياسة، فجرى على بعض المراكز الدينية ما جرى على الكنيسة فتعطّلت جميع حدود الاسلام في عصر الغيبة.

السادس: وكما انتصر الاسلام في المدينة المنورة وتواری الاسرائيليون المتفطرسون الحاقدون، وكان ذلك أمراً مستبعداً لم يخطر على بال المسلمين ولا اليهود ولكن الله ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾^(١) فقد جاء اليوم انتصار الثورة الاسلامية هدية من عالم الغيب ولم يكن ليخطر ذلك على بال أحد^(٢).

السابع: ان العترة الطاهرة وهي الثقل الاصغر لا تتأخر في نداء الدفاع وحراسة

(١) الحشر: الآية ٢.

(٢) صحيفة نور ط القديمة ١٧٥/٢١، ١٧٦.

الثقل الاكبر حتى الشهادة في سبيل ذلك^(١) والآ: (ما قام للدين عمود ولا اخضرَ للايمان عود)^(٢).

الثامن: ان رمز انتصار الثورة الاسلامية هو نفسه سيكون سرّاً بقائها^(٣) واستمرارها واهم أركان الزفر ركنان:

١ - الهدف الالهي: وهي أن تكون: ﴿كلمة الله هي العليا﴾^(٤).

٢ - الاتحاد والتضامن: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٥) و﴿أن اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾^(٦).

وتأثير الركن الثاني هو اتجاه جميع القوى صوب هدف واحد وبالتالي انحسار جميع الموانع، ذلك أن الله سبحانه يقول عن المتمزقين: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾^(٧).

ومن هنا أيضاً يحذّر الامام من الاختلافات والنزاعات الداخلية لأنها سوف تجر على الأمة الدمار والويل: «لا تباغضوا فإِنَّها الحالقة»^(٨) ويقول أيضاً: «وانّ الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقةٍ خيراً ممن مضى ولا ممن بقي»^(٩).

كما علّق عليه السلام استمرار الأخوة بصفاء القلوب: «وانما انتم اخوان على دين الله ما

(١) المصدر السابق.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٥.

(٣) صحيفة نور ط قديمة ١٧٧/٢١.

(٤) التوبة: الآية ٤٠.

(٥) آل عمران: الآية ١٠٣.

(٦) الشورى: الآية ١٣.

(٧) الحشر: الآية ١٤.

(٨) نهج البلاغة: الخطبة ٨٥.

(٩) المصدر السابق: الخطبة ١٧٥.

فرّق بينكم ألا خبث السرائر وسود الضمائر»^(١) أما إذا انسحبت ظاهرة الاختلاف والتباغض إلى العلماء فتكون الطامة أكبر وأكبر.

فالجروح إلى الكثرة يعقبه التمزق والاختلاف كما أن الاتجاه نحو عالم الوحدة سيتبعه الاتحاد؛ وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة^(٢) ولم يذمّ الدنيا بكلمات منقّرة تعكس هذا الجروح المنحط إلى شيء يشمئز منه العاقل كما ذمّها الامام عليّ عليه السلام فهو تارة يصفها بـ «عراق خنزير في يد مجذوم»^(٣) ومرّة يصفها بـ «عقطة عنز»^(٤) والمرعى الوبيل^(٥) و...

التاسع: بالرغم من ان الظفر والنصر لا يتيسر إلا بوجود قائد امام عادل ومصمم، ولكن حضور الامة الواعية المصممة شرط ضروري.. كما ان معرفة الحق ستكون لازمة أيضاً، ذلك ان في القضايا الاجتماعية السياسية بوجود القائد يكون الهدف واضحاً ومنصوراً.

الله سبحانه يقول عن المؤمنين بالحق: ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾^(٦).

الامة الاسلامية في ايران عملت بهذه الآيّة ولم تغادر الساحة السياسية أبداً وبذلت النفس والنقيس من أجل الدفاع عن الاسلام المحمدي الاصيل.

الله سبحانه مجد الانصار في المدينة المنورة لأنهم: ﴿يحبّون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم

(١) المصدر السابق: الخطبة ١١٢.

(٢) اصول الكافي ٣١٥/٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق: الخطبة (٣).

(٥) المصدر السابق: الحكمة ٣٥٩.

(٦) النور: الآية ٦٢.

خاصة ﴿^(١)﴾.

ومؤسس الجمهورية الاسلامية شكر الشعب بأسره وبخاصة أهالي مدينة أمل الشرفاء في «حادثة الغابة» السادس من بهمن ١٣٦٠ هـش^(٢) على ثباتهم ومقاومتهم.

العاشر: ان الاكتفاء الذاتي هو جزء من معرفة الذات، ولو أدركت الأمة الاسلامية أصالتها واتجهت الى استنباط معارفها العلمية واستثمار مواردها الاقتصادية، فإنها حينئذ لن تهاب التقدم العلمي الذي احرزته المذاهب الأخرى، ولن تتطلع الى ما يلوح به الغرب والشرق من منتجاتهما.

وبحيث تنبري الحوزة العلمية الى نقد وتحليل ومقارنة المعارف والنظريات الاسلامية مع افكار مفكرى العصر، وتقدّم أجوبتها لكل مسائل العصر، وعلى الاصعدة الاخلاقية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية وتعتبر نشاطها هذا عملاً عبادياً.

بالرغم من أن الاسلام قسم العلوم الاساسية الى ثلاثة أقسام: (انما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة وما خلاهن فهو فضل)^(٣)..

لكننا عندما نفسر هذه الاقسام من العلوم سوف نجد علوماً تجريبية تنضوي تحتها كما أشار الى ذلك الامام الصادق عليه السلام في قوله: «لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفرغ إليهم في أمر دنياهم وآخرتهم، فأن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع وأمير خيّر مطاع وطبيب بصير ثقة»^(٤).

(١) الحشر: الآية ٩.

(٢) ١٩٨١ م (المترجم) صحيفة نور ط القديمة ١٩٧/٢١.

(٣) اصول الكافي / باب صفة العلم وفضله ج ١ ص ٣٢.

(٤) تحف العقول كلمات الامام الصادق عليه السلام / ٣٢١.

فكلما ان للفقه دوره في الحضارة الاسلامية، فإنّ الطب، والقيادة السياسية الموافقة لهما دورهما في انقاذ المجتمع من الحياة الهمجية.

وفي كلمة الامام الصادق تأكيد على المسؤولية الاخلاقية.. يعني اقران العلم بالايامن، الفقيه عالم لكنه يجب أن يكون تقياً، والطبيب عالم وبصير لكنه يجب أن يكون أميناً ويحظى بالثقة، وكذا القيادة السياسية فالجدارة وحدها لا تكفي بل الانسانية، الطيبة والالتزام الاخلاقي يجب أن يكون كل ذلك في جوهرها وفي صميمها بحيث لا تنفك السياسة عن المبادئ الاخلاقية والانسانية.

وفي ضوء هذه الشروط ينتقل المجتمع من حالة الهمجية الى الحالة الانسانية والحضارية.

الحادي عشر: ان دور المال في الثقافة الاسلامية هو في اهمية العمود الفقري للجسم الاجتماعي ولذا يجب ألا يكون السفهاء أحراراً في التصرف بالثروة: ﴿ لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾^(١).

وعندما يتحطم العمود الفقري في الجسم الاجتماعي، لا يمكن للمجتمع حينئذ النهوض.

وكما ان المال يجب ألا أن يكون في تصرف السفهه فانه أيضا (المال)، يجب ألا يكون محصوراً في حركته بين الاغنياء: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾^(٢).

لأن انحصار الثروة بين فئة من المجتمع، يفقده القدرة على النهوض فضلاً عن النمو والتقدم، سواء كانت هذه الفئة حقيقية الشخصية كما هو الحال في

(١) النساء: الآية ٥.

(٢) الحشر: الآية ٧.

الرأسماليين في الغرب، أو جهة حقوقية كنظام زعامة الدولة القائم في الشرق. أما في نظام زعامة الدين فالاساس الاسلام، حيث الطرق مفتحة للكسب المشروع، و عندما تتفاوت القابليات والطاقات في العمل، فبطبيعة الحال يكون الدخل الفردي متفاوتاً ولكن في اطار يوفر العدالة الاجتماعية للمجتمع، وفي دائرة شرعية وهي لا تكافح الاسراف والترف الى جانب مكافحتها البخل وتجميد الأموال وتعطيل حركته (الاكتناز) وكذا الاحتكار فحسب بل وترفض تمرکز القدرة الاقتصادية في شخصية حقيقية أو حقوقية حتى لو لم تقترن بالاسراف والترف. مع التأكيد على أن لازمية استمرار سهم الامام أو الزكاة في الاسلام لا يرتبط باستمرار ظاهرة الفقر.

فكما انه في زمان ظهور الامام الغائب يبقى أصل الزكاة محفوظاً حتى مع اختفاء ظاهرة الفقر، لأن أهم مصارف الزكاة هو في سبيل الله وهذا سيكون محفوظاً.

فإن وانطلاقاً من كون الزكاة حكم دائم في الاسلام وأن الفقير أحد مصارفه الثمانية فان استمرار وجود الفقراء في المجتمع الاسلامي يزعزع من اسلاميته! وبالرغم من ان مكافحة الحرمان من ابرز وظائف المجتمع الاسلامي وانه يتوجب التخطيط الاقتصادي من أجل ذلك، لكن توجد موارد تحظى بالأولوية في مسألة الانفاق:

- ١ - تأمين احتياجات بعض الفقراء الذين يفضلون الموت جوعاً على أن يمدوا يد السؤال ولذا ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾^(١).
- ٢ - المهاجرين والمجاهدين بالحق الذين شردوا من ديارهم ظلماً وعدواناً

(١) البقرة: الآية ٢٧٣.

فهاجروا في سبيل الله ونصرة نبيه ف ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (١).

ومن هنا ندرك سرّ حماية الامام الخميني للمحرومين بسبب ظروف الحرب. الثاني عشر: ان صحوة الشعب خير حارس لحماية منجزات ومكتسبات الثورة لأن الغفلة يعقبها هجوم الاجانب والغرباء وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من نام لم ينم عنه» (٢).

ومستوى صحوة كل أمة مرهون بمستوى وعيها، ومستوى الوعي يقاس بالانتباه لأية حركة مضادة للدين.. والقرآن الكريم يحدد معادلات هامة في هذا المضمار:

١ - استمرار روح التآمر: ﴿ لا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ (٣).

٢ - إنّ خيانتهم ومؤامراتهم سوف لن تنحصر في القضايا العسكرية والاقتصادية.. وأن هدفهم المرحلي التشجيع ودعم الحركات المضادة للاسلام لابعاد المسلمين عن دينهم: ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (٤).

٣ - إنّ الهدف النهائي للالحاد والشرك العالمي ليس انسلاخ المسلمين عن دينهم بل وأن يعتنق المسلمون افكارهم: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم ﴾ (٥).

(١) الحشر: الآية ٨.

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٦٢.

(٣) البقرة: الآية ٢١٧.

(٤) المائدة: الآية ١٣.

(٥) البقرة: الآية ١٢٠.

٤- إنَّ تحقق أهدافهم المشرومة يتوقف على وجود الطابور الخامس: ﴿ وفيكم سمّاعون لهم ﴾^(١).

ومن هنا نفهم تأكيدات الامام الخميني على الصحوّة والانتباه لحركات العدو ومحاولات الاختراق والنفوذ التي يقوم بها داخل المجتمع، خاصّة في الحوزة والجامعة وضرورة مواجهة الاعلام المعادي.

وصيانة النظام الاداري في المجتمع بالافادة من العاملين المخلصين لا المتعطشين للسلطة والنفوذ.

أمل أن يعتبر الجميع وصيّة الامام الراحل منهاجاً لهم في الحياة على الاصعدة كافة والعمل بمضامينها الثرة السامية.. لتنعم روح الامام في مجاورة الصّديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

الفصل الرابع والـصـرون

الثقلان.. النداء الأخير

- ربيع ١٩٨٨ -

الرجال الالهيون في فصول الحياة اسباب الرحمة. الله سبحانه وتعالى بارك يحيى وحياه.. وأوحى الى عيسى أن يسلم على نفسه تحية من عند الله مباركة طيبة. قال الله عز وجل في يحيى: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾^(١).

وفي المسيح عيسى بن مريم: ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾^(٢).

الناس الصالحون الذين يقتدون بآل البيت عليهم السلام ويتخذونهم أسوة يحق لنا أن نقول عن أحدهم: «والسلام عليه يوم يموت ويوم يبعث حيا»، ومن هؤلاء الامام الراحل فقد كانت حياته بحق رحمة ورحيله رحمة.. وفي هذا الفصل توضيح موجز حول وصيته رضوان الله عليه.

تنقسم وصيته الى قسمين:

- وصية تملكية.

- وصية عهدية.

(١) مريم: الآية ١٥.

(٢) مريم: الآية ٢٣.

والوصية التمليكية وهي عامّة حيث كل انسان يوصي فيما يتعلق بأملكه من مال وعقار والى آخره.

والوصية العهدية عبارة عن العهد الذي يربط المرء بمولاه، والسّر في تسميتها بالعهد هو ما تشير اليه الآية الكريمة: ﴿ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾^(١) فهناك عهد بين الانسان وخالقه وهذا العهد أيضاً له طرف ثالث يرتبط بالناس وهو ما يتحدد مفهومه في الوصية العهدية.

ويروي المرحوم الكليني عن النبي ﷺ ان المرء اذا شعر بدنو أجله ولم يوص فليس من العقل والاباء والفتوة بشيء، وعندما سُئل ﷺ عن كيفية الايضاء قال صلوات الله عليه: أن يقول: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم..»

اللهم اني اعهد اليك في دار الدنيا اني أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك.. وأنّ الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق، والحساب حق والقدر والميزان حق، وأن الدين كما وصفت وأن الاسلام كما شرعت، وأنّ القول كما حدثت، وأن القرآن كما أنزلت وأنت الله الحق المبين.

جزئى الله محمداً ﷺ خير الجزاء، وحيّا محمداً وآل محمد بالصلاة.

اللهم يا عُدّتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدّتي ويا وليّ نعمتي.

إلهي إله آبائي: لا تكلني الى نفسي طرفة عين أبداً فإنك إن تكلني الى نفسي طرفة عين أقرب الى الشرّ وأبعد من الخير فأنس في القبر وحدتي واجعلني أحداً يوم ألقاك منشوراً».

وهذه الكلمات خلاصة العهد الذي يوصينا رسول الله أن نتخذه مع ربّنا وعندما

نطالع وصية الامام الراحل نجدها تتحرك في هذا الاطار الذي صدر به وصيته ثم نجده يتطرق الى حديث الثقلين المشهور والمتواتر والذي يشكل هو الآخر جوهر وصية رسول الله ﷺ أيضاً.

وكذا سائر قضايا الاسلام الأخرى من توحيد ومعاد وبرزخ ووحى وكتاب وسنة والرسالات الالهية.

وهناك تأكيدات كثيرة من الرسول ﷺ والأئمة الطاهرين من آله في الوصية العهدية يقول الامام الصادق: «إن أُجِلت في عمرك يومين فاجعل أحدهما لأدبك لتستعين به على يوم موتك»^(١) وهذا يعني اهتمام كبير بمستقبل المجتمع. وهناك تأكيد على أن يكون الانسان وصي نفسه، ولا يترك بعد وفاته من العقد ما يسبب في بروز المشكلات.

يقول الامام علي عليه السلام: «كن وصي نفسك وافعل في مالك ما تحب أن يفعله فيه غيرك»^(٢).

وهذا التأكيد نجده في حديث للامام الصادق عليه السلام أيضاً: «أعدّ جهازك وقدم زادك وكن وصي نفسك ولا تقل لغيرك يبعث اليك بما يصلحك»^(٣).

ومن هنا يجب أن ننظر الى وصية رسول الله ﷺ في الثقلين وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي»^(٤).

كما نجد في تراث الوصايا النبوية: «الأ تعلقوا على الله في عباده وبلاده»^(٥).

(١) روضة الكافي / ١٥٠.

(٢) غرر الحكم ودرر اللكم ٥٦٧/٢ ح ٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٢٧٠/٧٥ ح ١١١.

(٤) اثبات الهداة ٧٣٥/١.

(٥) بحار الانوار ٤٥٥/٢٢ ح ١.

وسنجد ان هذه الكلمات هي شرح لحديث الثقلين الذي يؤكد امير المؤمنين عليه السلام وهو يوصي الأمة الاسلامية أن: «أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين»^(١).

كما سنجد أن التوصية بالتمسك بالثقلين سوف تستمر عبر الزمن.. حيث نجد المعصومين من النبي صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء وذريتها يؤكدون على ذلك في وصاياهم الخالدة.

والآن نتأمل كيف وصّى الامام الراحل.. انه يمثل النيابة العامة عن الامام المعصوم الغائب!

لقد صدّر الامام الراحل وصيته بالثناء والتمجيد على الثقلين وعلى الارتباط الوثيق والمستمر والخالد بينهما.

كما أشار الى ضرورة الاحتفال بذكرىات مواليدهم والحداد في وفياتهم ونجد ان الامام يسهب في شرح الحديث النبوي الشريف، والحديث العلوي يعني حديث: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

وحديث: «أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين» وبالطبع فإن الخطاب النبوي والعلوي شامل وممتد عبر الزمن.. والامام علي يصرّح بهذه الحقيقة عندما يقول في وصيته الخالدة: «أوصيكمما (الحسن والحسين عليهما السلام) وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي»^(٢).

«وهذا خطاب شامل وممتد».

ومن هنا تأتي وصية الامام الراحل.. انها لا تنحصر بالشعب الايراني وإن كان

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٢٣/٨٧٤

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٤٧.

هو المخاطب الأساس لأنهم (الايرائيون) يحملون لواء المسؤولية في الوقت الحاضر
 قهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن تنفيذ بنودها.

والوصية الخالدة تمتد وتتسع لخطاب انساني يتجاوز المليار مسلم
 اي ما هو أبعد الى المجتمع الانساني.. انه يدعو الجميع الذين يؤمنون بالله
 والذين لا يؤمنون دعاهم الى التأمل الصحيح وإعادة النظر في مذاهبهم الفكرية.
 وعندما نتأمل في الحديث النبوي الشريف نجد الرسول ﷺ يدعو المسلمين
 الى احياء الحق: «أحيوا الحق»^(١) وآلا يتخلفوا عن القرآن والعتره فيهلكوا والآ
 يتقدموهما فيتفرقوا، فالاتحاد الذي هو رمز الاخوة الاسلامية سيكون فقط في اطار
 الالتزام بحديث الثقلين الذي يأمر بالتمسك بالكتاب والعتره.

وهذه الدعوة نجدها في متن الوصية الخالدة للامام الراحل.. إذ دعا المسلمين
 الى الوحدة، وفي ظلال التمسك بالقرآن والعتره، لأن هوية النظام الاسلامي لن
 تتبلور بوضوح الا في تلك الظلال الوارفة.

فكل كلمات الامام الراحل في وصيته في تحديد أصول النظام في «لا شرقية،
 ولا غربية» وفي الدفاع عن المحرومين ودعم المستضعفين، وفي مكافحة الفقر
 والترف وفي واجبات الجيش والحرس الثوري، والحكومة ومجلس الشورى
 والسلطة القضائية ومجلس صيانة الدستور.. وكل المؤسسات الثورية والادارية. إن
 كل ذلك يعدّ شرحاً وتفصيلاً وخطاباً شمولياً للمحور الاساس في الحديث المذكور.
 الإمام علي عليه السلام عندما يعبر عن ذلك في قوله: «أقيموا هذين العمودين وأوقدوا
 هذين المصباحين» انما يؤكد وجود مصدرين للنور وكشافتين يتدفق منهما الضياء
 فتحدد معالم الطريق.

(١) بحار الانوار ٢٣/٤٧٥.

عندما أطلت الأيام الأخيرة من حياة النبي الاكرم ﷺ كان عليه الصلاة والسلام يتردد على المسجد يعظ فيختصر ويصلي فيخفف وكانت صلاته الأخيرة في المسجد خفيفة، واننا عندما نلاحظ آخر صلاة أداها الامام قبل رحيله نجدها خفيفة فننتذكر صلاة النبي ﷺ في أخريات عمره فنكتشف حالة النبي يومذاك. وعندما نطالع وصية الراحل ﷺ نجده يهمس في القلوب قبل الأذان قائلاً: «بقلب مفعم بالسلام وبروح مبتهجة وضمير يرجو فضل الله استأذن أخواتي وإخوتي وأرحل صوب الأبدية»^(١).

ان هذه الكلمات المثقلة بحزن سماوي المنقوعة بالدموع تذكرنا بالعبودية الخالصة لسيدنا محمد ﷺ وهو يستعد للرحيل إلى الملكوت الأعلى. اننا نتذكر جميعاً مشهد الامام الراحل في المستشفى وهو في حالة صلاة انها حالة من التسليم الانساني لله سبحانه.. قلبه غارق بذكر الله وكانت الطمأنينة والسكينة تشع من حركاته وسكناته: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٢).
واذا كان هناك من سلاح للمؤمن فهو البكاء: «وسلاحه البكاء»^(٣).

كان رسول الله ﷺ يتأوه في صلاته الأخيرة.. يئن بسبب الآلام وهو عندما قرأ هذه الآية في سورة النصر: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ تتم بين القراءة والتكبير: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»^(٤).

لكنه عندما سئل في اللحظات الأخيرة من حياته: إلى أين المنقلب؟ قال ﷺ: «والمقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وجنة المأوى والعرش الأعلى، والكأس الأوفى»

(١) صحيفة نور ط القديمة ٢١/٢٠٤.

(٢) الرعد: الآية ٢٨.

(٣) مفاتيح الجنان / دعاء كميل.

(٤) تفسير مجمع البيان تفسير سورة النصر ١٠/٨٤٤.

والعيش الأهنأ»^(١).

وكان رسول الله ﷺ في حياته وقد بثّره الله بالمغفرة: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾^(٢)، يتأوّه ويستغفر حتى اذا قيل له: لمّ وقد عُفِر لك ما تقدم وما تأخر؟

إذا به صلوات الله عليه يقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(٣).

وهذه هي صفات الايمان الكامل والعبودية الخالصة.. حالة من الثقة بوعد الله والخشية من وعيده

وفي مثل هذه الظروف تطمئن النفس وتغمر الأعماق السكينة والسلام.
وفي حياة الامام الراحل كم رأيناه يتأوّه وهو يقرأ المناجاة الشعبانية ويتمتم:
«ما الذي تفعله هذه المناجاة؟!» وعندما نراه يفسّر الآية الكريمة: ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾^(٤) يقول الدخول في زمرة عباد الله المخلصين ولوج «جنة اللقاء» وهي خط الصالحين السالكين.

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم نعجز عن معانيها الحقيقية فنفسرها مجازاً ولكن بعد أن نطوي جميع هذه المراحل نفسرها بشكل آخر مثلاً قوله تعالى:
﴿يعدّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تqlبون﴾^(٥) وهذه من الآيات الرفيعة في القرآن الكريم، وتعبير «إليه تqlبون» أقوى وأغنى من التعبير في قوله تعالى: ﴿انا لله وإنا إليه راجعون﴾^(٦).

(١) بحار الانوار ٢٢/٤٥٥ ح١.

(٢) الفتح: الآية ٢.

(٣) بحار الانوار ٤٢/٢٠١.

(٤) الفجر: الآيتان ٢٩ - ٣٠.

(٥) المنكوت: الآية ٢١.

(٦) البقرة: الآية ١٥٦.

«الرجوع» له معنى و«الانقلاب» في معناه أرقى وأعلى من الرجوع، ولم يعبر النبي ﷺ قائلاً: «المرجع إلى الله» بل قال: «والمقلب إلى الله».

في حادثة اغتيال أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت أم كلثوم تبكي وهي إلى جانب فراش والدها المسجى، وكان السم يسري في جسده.. أم كلثوم لم تسمع لحظة هوى السيف على هامته: «فزت وربّ الكعبة»، انها الآن ترى رأسه المعصوب وجبينه المرصع بحبات العرق.. كانت تراقب أباهما وهو يستعد للرحيل وكانت تذرف الدموع بصمت وفجعية.

قال لها: لو ترى ما أرى لما ذرفت الدموع قالت: وما ترى قال: «أرى صفوف الأنبياء والملائكة».

من أجل هذا نرى الامام الخميني الراحل يتمتم: «بقلب مغمم بالسلام واعماق تغمرها السكينة وضمير يرجو فضل الله.. أرحل صوب الأبدية».

ف(السلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) ومن هنا فان الواجب علينا فرداً فرداً - وعملاً بوصية الامام الراحل - هو الحفاظ على النظام الاسلامي والحفاظ على الاتحاد والتضامن وروح الاخوة.

لقد صلّت الملايين في انحاء ايران الاسلامية من أجل الراحل وودّعت جثمانه الطاهر، واستمرت مراسم التوديع ثلاثة أيام تأسياً برسول الله الذي لم يوار الثرى إلا بعد ثلاثة ايام ليودّع المسلمون جثمانه الطاهر الزكي.

انها مراسم تكريم كبرى سوف تسهم في حفظ وتعزيز دعائم النظام الاسلامي.

وكان الوداع من الجلال ما يعجز وصفه، وداع شعب يشعر بالإمتنان لذلك العظيم الذي أوقف عمره من أجل شعبه ثم نراه يخاطب أمته: «أمل أن تعذرني الأمة على تقصيري وقصوري وأن تواصل طريقها بكل عزم وإرادة وتصميم ولتعلم ان

غياب خادم لن يفتأ أبداً بالسدّ الفولاذي الذي أقامته باتحادها»^(١).
 إنّه الانسان الذي بعث الحياة في أكثر من مليار انسان ثم يقول انه خادم
 صغير وانه برحيل خادم سيبقى الصف مرصوفاً!
 كان هاجس الامام علي عليه السلام كيف ينقذ وصيّة رسول الله في اجراء مراسم
 الغسل والتجهيز لأنه يعرف منذ حادثة تحطيم الاصنام يوم فتح مكة انه عاجز عن
 حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لثقل الرسالة.. عندما انحنى علي للنبي ليصعد على سطح الكعبة لم
 يستطع علي تحمل ثقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي هو الذي انتزع باب حصن كبير في قلاع
 خيبر!

وسرّ ذلك ان من يرتقي عاتق النبي يشعر أنه سوف يرقى الى العرش وهذا ما
 شعر به علي يوم فتح مكة^(٢).

ومن هنا جاءت هواجس علي عليه السلام: كيف يتأتى له تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
 وجاء جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيأتي من عينك وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني الملائكة.
 وانتم لمستم عن قرب اهتمام الامام الراحل بالمناسبات الدينية كمواليد الأئمة
 ووفياتهم وبخاصة مراسم العزاء الحسيني.

وها أنتم ترون كيف جرت مراسم دفن الامام الراحل، وكيف يحتفّ به
 المؤمنون القادمون من كل حدب وصوب لزيارة مرقد الطاهر والتبرك به.
 والسرّ في ذلك انه من سلالة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومن ذرية علي ومن تحققت
 على يده معجزة الاسلام في العصر الحاضر.

ولكن هذه المعجزة لم تكن تتحقق لولا يوم عاشوراء إذ: «لا يوم كيومك يا ابا

(١) صحيفة نورط القديمة ٢١/٢٠٤.

(٢) المناقب للخوارزمي ١٢٣/، ارشاد القلوب للدليمي ٢٢٩/٢.

عبدالله.. ثلاثة أيام يبقى جسد الحسين في العراء بلا رأس ينتظر.. وعندما جاء الامام السجاد لمواراة اجساد الشهداء أعانه بنو أسد.. ولكن عندما وصل الدور لدفن جسد الحسين الطاهر قال زين العابدين لبني أسد انه سيتولّى ذلك بمفرده فقالوا كيف قال: ان معي من يعينني.

سنعمل بوصيتك يا سيدي ايها الامام الراحل، لقد أوصيتنا بتخليد ذكر الحسين بن علي والآ ننسى فاجعة كربلاء وأن نذرف الدموع من أجل الحسين.

لقد سئل الامام علي لم لا تخضب شيبك؟ قال: «الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة»^(١) وكان يقصد مصيبة رحيل النبي ﷺ الى المأ الأعلى.

أجل كان رحيل النبي ﷺ مصيبة للامة الاسلامية حتى ان الزهراء (سلام الله عليها) تسأل أنس: «كيف ممكنك قلبك أن تسلم للأرض رسول الله؟».

لأن رسول الله ﷺ كان رحمة للعالمين.

ونحن أيها الامام العزيز كيف نتحمل فاجعة رحيلك عنّا؟ إنّ سلوتنا الوحيدة ميراثك الذي تركته بين ايدينا ووصيتك الخالدة وسنعمل بها.

اننا يا سيدي سوف لن ننسى الحسين بن علي.. سنقيم المآتم في عاشوراء كل عام وسنذرف الدموع كما أوصيتنا..

ما الذي فعله السجّاد عندما وارى جثمان أبيه الثرى؟ متم وهو يشير الى الله: «هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً»^(٢).

انها شهادة للتاريخ والاجيال.

الحسين اليوم في ذمة التاريخ والخلود.

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٦٥.

(٢) مقتل المقرّم / ٣٢٠.

انه خالد في الجنان وفي قلوب الأحرار.
 انه هناك يستقبل الذين سلكوا دربه.. درب الجهاد والقتال
 اللهم انا نقسم عليك بعزتك وجلالك. أن تجعل امامنا الراحل ممن يستقبله
 الحسين بن علي والائمة من ذريته!
 اللهم وانصر نهضته واحمها من شرور الاعداء حتى ظهور الامام المعصوم.
 اللهم واجعلنا ممن يعرف الحق فيتبعه، وضاعف اللهم لنا بركاتك في الدنيا
 والآخرة.

اللهم وقنا كيد الاعداء وردّ كيد المتآمرين الى نحورهم.
 اللهم والهمنا الصبر الجميل.
 اللهم واجعلنا من المتمسكين بكتابك ونبيك والهداة من آل نبيك ﷺ.
 واختم لنا بالسعادة.. يا أرحم الراحمين



المحلق الأول

دعوة إلى الإيمان

النص الكامل لرسالة الإمام الخميني قائد الثورة الإسلامية
ومؤسس الجمهورية الإسلامية

إلى الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف

صادرة بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

عن مؤسسة الامام الخميني الثقافية - الشؤون الدولية ١٩٩٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فخامة السيد غورباتشوف رئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجمهوريات
الإشتراكية السوفيتية.

بعد الإعراب عن الأمانى بالتوفيق والسعادة لكم وللشعب السوفيتي، فقد رأيتُ
من الضروري التذكير ببعض القضايا إنطلاقاً من أن تصديكم للقيادة قد وُلد إحساساً
بأنكم قد أصبحتم في حالةٍ جديدةٍ تتسم بإعادة النظر والتغيير والتعامل الجديد في
تحليل الحوادث السياسية العالمية، لاسيما المرتبطة بالقضايا السوفيتية، عسى أن
تكون جرأتكم وشجاعتكم في التعامل مع حقائق الواقع العالمي منبعاً لإحداث
تغييرات؛ وسبباً لقلب المعادلات الحاكمة فعلاً في العالم.

وعلى الرغم من أن تفكيركم وقراراتكم الجديدة قد تكون محصورةً في إطار
إسلوب جديد - وحسب - لحل المشكلات الحزبية؛ والى جانبها حلّ بعض أزمات
شعبكم؛ إلا أن هذا المقدار - بحدّ ذاته - جديرٌ بأن تُقدّر فيه شجاعتكم في إعادة النظر
بالمذهب الفكري الذي سجن الثوريين في العالم بين أسواره الحديدية لسنين
متمادية.

وإذا فكرتم بما فوق هذا المقدار؛ فإن القضية الأولى التي ستكون - يقيناً - سبباً
لنجاحكم هي أن تعيدوا النظر في سياسة أسلافكم المتمحورة حول محاربة الله
واستئصال الدين من المجتمع فهذه السياسة - بلا شك - هي التي أنزلت أكبر وأهم
ضربة على جسد الشعب السوفيتي؛ واعلموا أن التعامل مع القضايا العالمية لا يمكن

أن يكتسب الصبغة الواقعية إلا من خلال هذا الطريق.
ومن الممكن أن يبدو العالم الغربي أمامكم وكأنه جنان خضِرٌ. فهذا نتيجة
للأساليب الخاطئة والسياسات المنحرفة لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال
الإقتصادي؛ ولكن الحقيقة هي في مكان آخر.
إنكم إذا أردتم أن تحصروا جهودكم لحل العقد المستعصية في الإقتصاد
الإشتراكي والشيوعي - في هذه المرحلة - باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فاعلموا
أن نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبكم، بل ستتجاوز
ذلك إلى إيجاد حالة تستلزم مجيء مَنْ يعالج آثار أخطائكم؛ لأن العالم الغربي مبتلٍ
أيضاً بنفس ما ابتليت به الماركسية اليوم من وصول مناهج تعاملها مع القضايا
الإقتصادية والإجتماعية إلى طريق مسدود، بل وهو مصاب بمشاكل أخرى أيضاً،
والفرق هو في الصور والظواهر.

السيد غورباتشوف...

الواجب هو التوجه نحو الحقيقة...

إن مشكلة بلدكم الأساسية لا تكمن في مشكلة الملكية والإقتصاد والحرية؛ بل
إن مشكلتكم الأساسية هي فقدان الإيمان الحقيقي بالله؛ وهي نفس مشكلة العالم
الغربي التي قادته إلى الإنحطاط وإلى الطريق المسدود، أو ستجره إلى ذلك؛ إن
أزمتكم الحقيقة تكمن في محاربتكم الطويلة والعقيمة لله مُبدئ الوجود والخلق.

السيد غورباتشوف

لقد اتضح للجميع أن البحث عن الشيوعية يجب أن يتوجه - من الآن فصاعداً -
إلى متاحف التاريخ السياسي العالمي!! أما لماذا؟! فلأن الماركسية لا تلبى شيئاً من
احتياجات الإنسان الحقيقية، لماذا؟! لأنها مذهب مادي؛ ومحال إنقاذ البشرية

بالمادية من الأزمة التي خلقها فقدان الإيمان بالمعنويات، وهو الذي يمثل العلة الأساسية لما تعانيه المجتمعات الإنسانية - شرقية كانت أم غربية -

السيد غورباتشوف...

من المحتمل على نحو «الإثبات» أن لا تكونوا معرضين عن بعض جوانب الماركسية؛ ومن المحتمل أن تظهروا عبر مقابلاتكم - مستقبلاً - إيمانكم الكامل بها؛ ولكنكم أنفسكم تعلمون على نحو «الثبوت» حقيقة أن الواقع غير ذلك.

لقد وجّه الزعيم الصيني الضربة الأولى للشيوعية، وها أنتم تنزلون الثانية، ويبدو أنها القاضية؛ فلم يَعدَ اليوم - في عالمنا المعاصر - شيءٌ باسم «الشيوعية» ولكني أطلب منكم - بصورة مؤكدة - أن تحذروا الوقوع في سجن الغرب والشيطان الأكبر وأنتم تحطمون جدران أوهام الماركسية.

آمل ان تنالوا الشرف الحقيقي لإنجاز مهمة استئصال آخر الأوكار المتهترئة لحقبة السبعين عاماً من انحراف العالم الشيوعي، إستئصالها من وجه التاريخ ومن بلدكم.

إن الحكومات الحليفة لكم والتي تخفق قلوبها لمصالح أوطانها وشعوبها لن تكون على إستعداد - بعد الآن - لهدر ثرواتها - بكلا نوعيها الجوي وغيره - من اجل إثبات نجاح الشيوعية بعدما وصل صرير تهشّم عظام الشيوعية الى أسماع أبناء تلك البلدان.

السيد غورباتشوف...

عندما ارتفع نداء «الله اكبر» وإعلان الشهادة برسالة خاتم الأنبياء - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - من مآذن المساجد في بعض جمهورياتكم، فجّر دموع الشرق في أعين أنصار الإسلام المحمدي الأصيل كافة؛ الأمر الذي ألزمني أن أذكركم بضرورة إعادة

النظر في الفلسفتين المادية والإلهية.

لقد وضع الماديون في فلسفتهم تجاه قضايا الكون، «الحس» معياراً للمعرفة؟ فاعتبروا الشيء غير المحسوس خارجاً عن دائرة العلم، واعتبروا الوجود قرين المادة الملازم لها، فما لا مادة له لا وجود له، وعليه اعتبروا - طبعاً - أن عالم الغيب - كوجود الله تبارك وتعالى والوحي والنبوة والمعاد - ضرباً من الأساطير. في حين أن معيار المعرفة في الفلسفة الإلهية يشمل «الحس والعقل» فيدخل «المعقول» (المدرَك بالعقل) دائرة العلم حتى لو إنعدم إدراكه بالحس، لذا فإن الوجود يشمل عالمي الغيب والشهادة؛ فبالإمكان أن يكون «لما لا مادة له» وجود، وكما أن الوجود المادي يستند إلى «المجرد» كذلك حال المعرفة الحسية فهي مستندة على المعرفة العقلية.

والقرآن الكريم ينتقد أساس التفكير والفلسفة المادية ويرد على الذين يتوهمون عدم وجود الله استناداً على أنه لو كان موجوداً لشوهد ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ يرد عليهم قائلاً ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

وحيث نمز على القرآن العزيز الكريم واستدلالاته فيما يرتبط بقضايا الوحي والنبوة والمعاد وهي من وجهة نظركم - أول البحث - فإنني لم أرغب في أن أزجكم في تعقيدات مباحث الفلاسفة وتشعباتهم - خاصة الإسلاميين - لذا فإنني أكتفي بمثالين بسيطين اخترتهما بالإمكان إدراكهما فطرياً وجدانياً، ويستطيع السياسيون أيضاً الانتفاع منهما.

فمن البديهيات أن المادة والجسد مهما كانا، فهما جاهلان بذاتهما؛ فالتمثال الحجري والجسم المادي للإنسان لا يعلم أي من شطريه بحال الشطر الآخر. لكننا نشهد عياناً أن الإنسان - وكذا الحيوان - مطلع على ما حوله من كافة الجهات؛ فهو يعلم أين هو، وماذا يجري حوله، ويعلم أي ضجة تلف العالم. إذن فهناك في الحيوان والإنسان شيء آخر فوق المادة ومن غير عالمها، وهو باقٍ لا يموت بموتها.

وإن الإنسان بفطرته طالب لكل كمال - بصورته المطلقة - وأتم تعرفون جيداً أن الإنسان ينزع إلى أن يكون القوة المطلقة فلا يتعلق بأية قوة ناقصة محدودة؛ ولو أنه امتلك العالم وقيل له إن هناك عالماً آخراً، لمال فطرياً إلى إخضاع ذلك العالم أيضاً لسلطته.

ومهما بلغ الإنسان من العلم وقيل له: إن هناك علوماً أخرى. لمال - مدفوعاً بفطرته - إلى تعلمها؛ إذن فلا بد أن تكون هناك قوة مطلقة وعلم مطلق ليتعلق الإنسان بهما؛ وهذا هو «الله» تبارك وتعالى؛ الذي توجه إليه جميعاً حتى لو كنا أنفسنا نجهل ذلك.

الإنسان يريد الوصول إلى «الحق المطلق» ويفنى فيه، إن هذا الشوق إلى الحياة الخالدة المتأصل في فطرة كل إنسان هو - في الأساس - دليل وجود عالم الخلود المنزه عن الموت.

وإذا رغبتُم فخامتكم في التحقيق حول هذه الموارد فيمكنكم أن تأمروا المختصين في هذه العلوم بأن يراجعوا - إضافة إلى كتب الفلاسفة الغربيين - مؤلفات الفارابي وأبي علي ابن سينا - رحمة الله عليهما - في حكمة فلسفة المشائين ليتضح أن قانون «العلية والمعلولية» الذي تستند إليه كل معرفة هو معقول وليس محسوساً، ولبتضح أيضاً أن إدراك المعاني والمفاهيم الكلية والقوانين العامة هو عقلي وليس حسياً رغم أن جميع أشكال الاستدلال - حسياً كان أم عقلياً - تعتمد عليه.

وكذلك يمكنهم الرجوع إلى كتب السهروردي - رحمة الله عليه - في حكمة فلسفة الإشراق لكي توضح لكم كيف أن الجسم وكل موجود مادي مفتقر إلى النور المطلق المنزه عن أن يُدرك بالحس، وأن الإدراك الشهودي من نفس الإنسان لحقيقته منزه أيضاً عن الظواهر الحسية.

واطلبوا من كبار الأساتذة أن يراجعوا أسفار الحكمة المتعالية لصدر المتألهين - رضوان الله تعالى عليه وحشره مع النبيين والصالحين - لكي يتضح أن حقيقة العلم هي

ذلك الوجود المجرد عن المادة؛ وأن كل معرفة منزهة عن المادة ولا تخضع لأحكامها.

ولا أتعبكم، فلا أتطرق إلى كتب العارفين - لاسيما محي الدين بن عربي - فإذا أردتم الإطلاع على مباحث هذا العظيم فيمكنكم أن تختاروا عدداً من خبرائكم - من الأذكياء الذين لهم باع طويل في أمثال هذه المباحث - وترسلوهم إلى قم ليستمروا - بالتوكل على الله، وبعد عدة سنين - على العمق الحساس والدقيق غاية الدقة لمنازل المعرفة؛ ومحالاً بدون هذا السفر الوصول إلى هذه المعرفة.

السيد غورباتشوف

والآن وبعد ذكر هذه القضايا وتلك المقدمات أطلبُ منكم أن تحققوا بدقة وجدية حول الإسلام؛ ليس لأن الإسلام والمسلمين بحاجة إليكم؛ بل لما يتضمنه الإسلام؛ من قيم سامية، ولما يمتاز به من شمولية بحيث يستطيع أن يكون وسيلة لراحة وإنقاذ الشعوب، وحل كافة الأزمات الأساسية التي تعاني منها البشرية. إن التدبّر والتوجّه الجاد للإسلام يمكن أن ينقذكم من مشكلتكم في أفغانستان وأمثالها في العالم.

إننا نعتبر مسلمي العالم كافة كمسلمي بلدنا؛ وعلى الدوام نرى أنفسنا شركاء في مصيرهم.

لقد أثبتّم - عبر الحرية النسبية في أداء الشعائر الدينية التي سمحتم بها في بعض الجمهوريات السوفيتية - أنكم لم تعودوا تفكرون بأن «الدين أفيون الشعوب» وكيف ذلك؟

فهل أن الدين الذي صمد في إيران كجيل أشم هو أفيون الشعوب؟ وهل أن الدين الذي يطالب بتحكيم العدالة في العالم وبتحرير الإنسان من كافة أشكال الأسر المادية والمعنوية هو أفيون الشعوب؟

نعم... إن الدين الذي يُحوّل إلى أداة من أجل نهب ثروات البلدان الإسلامية وغير الإسلامية وإمكاناتها المادية والمعنوية - استجابة للقوى الكبرى السلطوية؛ والدين الذي يصمّ أسماع الجماهير بمقولة فصل الدين عن السياسة. هو أفيون الشعوب. ولكن هذا ما هو بالدين الحقيقي؛ بل هو ما تسميه جماهيرنا بـ «الدين الأمريكي».

وختاماً؛ فإنني أعلنها صراحةً: إن الجمهورية الإسلامية في إيران وباعتبارها أكبر وأقوى قاعدة للعالم الإسلامي؛ تستطيع بيسر أن تسد الفراغ العقائدي في نظامكم.

وعلى أية حال فإنّ بلدنا - وكما كان في السابق - يؤمن بمبادئ حسن الجوار والعلاقات المتبادلة المتكافئة ويحترم هذه المبادئ.

والسلام على من اتبع الهدى
روح الله الموسوي الخميني

الملحق الثاني

نص وصية الإمام الراحل
التي تليت في مجلس الشورى

عن منظمة الحج والأوقاف والشؤون الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابِ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلِ بَيْتِي فَإِنَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(١).

«الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ مَظَاهِرِ جَمَالِكَ وَجَلَالِكَ وَخَزَائِنِ أَسْرَارِ كِتَابِكَ الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ الْأَحَدِيَّةُ بِجَمِيعِ أَسْمَائِكَ حَتَّى الْمُسْتَأَثَّرِ مِنْهَا الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ وَاللَّعْنُ عَلَيَّ ظَالِمِيهِمْ أَصْلِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيَّةِ».

وبعد:

فأني أرى من المناسب التذكير بِسْمَةِ قصيرة و قاصرة في باب الثقلين. لا من حيث المقامات الغيبية والمعنوية والعرفانية، فمثلي قلمه عاجز عن التجرؤ على مرتبة، عرفانها ثقيل على كل دائرة الوجود من «الملك» حتى «الملوكوت الاعلى» ومن هناك حتى «اللاهوت»، ونحمل كل ما لا يدركه فهمي وفهمك تنوء عنه الطاقة، ان لم أقل أنه ممتنع؛ ولا من حيث ما مر على البشرية جراء التباعد عن حقائق المقام السامي للثقل الاكبر والثقل الكبير^(٢) الذي هو اكبر من كل شيء عدا الثقل الاكبر الذي هو اكبر مطلق، ولا من حيث ما مر على هذين الثقلين على يد اعداء الله والطاغوتين المتلاعبين، اذ أن احصاء ذلك غير ميسور على مثل ذي الاطلاع القاصر والوقت المحدود. بل رأيت مناسبا ان اشير اشارة عابرة وقصيرة جداً الى ما مر على هذين الثقلين.

لعل جملة «لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ» اشارة الى ان ما مر على احد هذين الاثنين بعد فترة الوجود المقدس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مر على

الآخر. والتباعد عن كل واحد منهما، تباعد عن الآخر، حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله. وهل هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة، واضمحلال القطرات في البحر، او انه شيء آخر ليس له الى عقل البشر وعرفانه من سبيل؟! لابد من القول ان الظلم الذي حلّ بوديعتي الرسول الاكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - هاتين من قبل الطواغيت قد حلّ بالأمة الاسلامية، بل بالبشرية وان القلم لعاجز عن (شرح) ذلك.

ومن اللازم ان نذكر هذه النقطة وهي ان حديث الثقلين متواتر بين جميع المسلمين، ومنقول بالتواتر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في كتب اهل السنة (ابتداء) من الصحاح الستة وحتى كتبهم الاخرى بالفاظ مختلفة وفي مناسبات متعددة. وهذا الحديث الشريف حجة قاطعة على البشر جميعاً، وبخاصة المسلمين (منهم) بمذاهبهم المختلفة. وعلى جميع المسلمين الذين تمت عليهم الحجّة ان يتحملوا مسؤولية ذلك، وان كان للجهلة الغافلين عذر، فليس لعلماء المذاهب (اي عذر).

والان لِنَرِّ ما مرّ على كتاب الله هذه الوديعة الالهية، وعلى الذي تركه نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم . المسائل المؤسفة التي يجدر البكاء لها دماً قد بدأت بعد استشهاد حضرة (الامام) علي عليه السلام. الانانيون والطواغيت جعلوا من القرآن الكريم وسيلة (لاقامة) حكومات معادية للقرآن، وعمدوا بأعذار مختلفة ومؤامرات مدبرة سلفاً الى اقصاء المفسرين الحقيقيين للقرآن؛ والمطلعين على حقائقه والآخذين القرآن بأكمله من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان نداء «اني تارك فيكم الثقلين» يدوي في اسماعهم؛ عن الساحة وابعادهم عنها) بالقرآن الذي هو في الحقيقة كان ولا يزال دستور الحياة المادية والمعنوية للبشرية حتى يرد الحوض، وصادروا حكومة العدل الالهي التي هي احدى اهداف هذا الكتاب المقدس، ووضعوا اساس الانحراف عن دين الله وعن الكتاب والسنة الالهية. حتى بلغ الامر

درجة يخجل القلم من شرحها. وكلّما تقدّم هذا البنيان الاعوج، ازداد الاعوجاج والانحراف حتى ان القرآن الكريم الذي تنزّل من مقام الاحدية الشامخ الى الكشف التام المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم لتكامل العالمين وليكون مركز جمع كل المسلمين بل العائلة البشرية، وليوصل البشرية الى ما ينبغي ان تصل اليه، وليخلص ابناء من علّم الاسماء من شرّ الشياطين والطواغيت، وليوصل العالم الى القسط والعدل، وليسلم مقاليد الحكم الى أيدي اولياء الله المعصومين عليهم صلوات الاولين والآخرين، كي يُسَلّموها الى من فيه صلاح البشرية، (هذا القرآن) اخرجوه من الساحة حتى كأنه قد فقد دوره في الهداية. وبلغ الامر ان دور القرآن بيد الحكومات الجائرة ورجال الدين الخبيثاء، الاسوأ من الطواغيت، عاد وسيلة لاقامة الجور والفساد وتبرير (ظلم) الظالمين واعداء الله تعالى. اصبح القرآن، هذا الكتاب المصيري، مع الاسف، على يد الاعداء المتآمرين والاصدقاء الجاهلين وكأنه لا دور له سوى (التلاوة) في المقابر ومجالس تأبين الاموات. وبدل ان يكون وسيلة جمع المسلمين والبشرية ونهج حياتهم، اصبح وسيلة للفرقة والاختلاف، او انه اخرج من الساحة نهائياً، وقد رأينا أنه إذا تفوّه احد بالحكومة الاسلامية، وتحدث عن السياسة التي تحتل مساحة كبيرة من الاسلام وحياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ القرآن والسنة مشحونان بها، فكأنه ارتكب معصية كبرى. واصبحت كلمة العالم الديني السياسي مرادفة لكلمة من لا دين له. ولا تزال الآن كذلك.

واخيراً فقد اقدمت القوى الشيطانية الكبرى، بواسطة الحكومات المنحرفة الخارجة عن تعاليم الاسلام والمدّعية ارتباطها بالاسلام كذباً، الى طبع القرآن بخط أتيق، وارساله الى الاطراف من أجل محو القرآن وترسيخ الاهداف الشيطانية للقوى الكبرى. وبهذه الحيلة الشيطانية يبعدون القرآن عن الساحة. نحن رأينا جميعاً ان محمدرضا بهلوي طبع قرآناً وخدع جماعة، وطفق بعض رجال الدين الجاهلين بالاهداف الاسلامية يمدحونه. ونرى ان الملك قهد ينفق سنوياً مبلغاً هائلاً من ثروة

الجماهير الطائفة لطبع القرآن الكريم وللإنفاق على عملاء الدعاية الى المذهب المعادي للقرآن، ونشر الوهاية هذا المذهب المليء بالخزعبلات والخرافات، ولسوق الشعوب الغافلة نحو القوى الكبرى، ولاستغلال الاسلام العزيز والقرآن الكريم من اجل هدم الاسلام والقرآن.

نحن والشعب العزيز الملتزم التزاماً لا حد له بالقرآن والاسلام، نفخر باننا اتباع مذهب يستهدف ان يخلص حقائق القرآن الداعية باجمعها الى الوحدة بين المسلمين، لا بل البشرية، من المقابر ليقدمه باعتباره اعظم وصفة انقاذ للبشرية من جميع ما يكبل ايديها وأقدامها وقلبها وعقلها من قيود وما يدفعها نحو الفناء والابادة والعبودية والخضوع للطواغيت.

نحن نفخر اننا اتباع مذهب مؤسسه رسول الله بامر من الله تعالى، وامير المؤمنين علي بن ابي طالب هذا العبد المتحرر من جميع القيود والمأمور بتحرير البشرية من جميع أنواع الاغلال والاستعباد.

نحن نفخر ان كتاب نهج البلاغة^(٣) الذي هو بعد القرآن اعظم نهج للحياة المادية والمعنوية واسمى كتاب تحرري للبشرية، وإن تعاليمه المعنوية والادارية هي أرفع طريق للنجاة، هو من امامنا المعصوم.

نحن نفخر ان الائمة المعصومين^(٤) من علي بن ابي طالب حتى منقذ البشرية سيدنا المهدي صاحب الزمان عليه آلاف التحيات والسلام الذي هو بقدره الله القادر حي ومراقب للامور، هم ائمتنا.

نحن نفخر أن تكون الادعية الباعثة للحياة التي تسمى قرآناً صاعداً، هي من ائمتنا المعصومين.

نحن نفخر ان تكون مناً* المناجاة الشعبانية^(٥) للائمة ودعاء عرفات^(٦)

(*#) يعود الضمير (نا) الى أتباع مذهب أهل البيت الاثني عشري.

للحسين بن علي والصحيفة السجادية^(٧) التي تعدّ زبور آل محمد، والصحيفة الفاطمية^(٨) وهي الكتاب الملهم من قبل الله تعالى إلى الزهراء المرضية.

نحن نفخر ان يكون منا باقر العلوم^(٩) الشخصية الأسمى على مرّ التاريخ، والذي ما ادركه ولن يستطيع ادراكه أحد سوى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين عليهم السلام. ونفخر ان يكون مذهبنا جعفرياً^(١٠) وأن يكون فقهننا بيحره الزاخر واحداً من آثاره، ونفخر بكل الائمة المعصومين عليهم صلوات الله وملتزمون بالسير في طريقهم.

نحن نفخر ان يكون الائمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم قد عانوا السجن والتشريد في سبيل رفعة الدين الاسلامي وفي سبيل تطبيق القرآن الكريم، واقامة حكومة العدل الالهي باعتبارها واحداً من ابعاد (هذا التطبيق). واستشهدوا في النهاية في سبيل الاطاحة بالحكومات الجائرة والطاغوتية في زمانهم. ونحن نفخر اليوم بأننا نريد تطبيق اهداف القرآن والسنة، وفي هذه المسيرة المصيرية الكبرى، تبذل فئات شعبنا المختلفة بلهفة منقطعة النظير، النفس والمال والأعزة في سبيل الله.

نحن نفخر بأن النساء على اختلاف اعمارهنّ حاضرات زرافات ووحداناً في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية ويبذلن الجهد جنباً إلى جنب الرجال، او متدمات عليهم، في سبيل إعلاء الاسلام وتحقيق اهداف القرآن الكريم. واللآني منهنّ قدرات على الحرب يشاركن في تلقي التدريب العسكري الذي هو من الواجبات الهامة للدفاع عن الاسلام والبلد الاسلامي. ويحررن انفسهن بشجاعة والتزام من الحرمان الذي فرض عليهن بل على الاسلام والمسلمين نتيجة دسائس الاعداء وجهل الاصدقاء باحكام الاسلام والقرآن. ويخلصن أنفسهنّ من قيود الخرافات التي خلقها الاعداء لمصالحهم على أيدي الجهلة وبعض رجال الدين غير الواعين بمصالح المسلمين. واللآني منهنّ غير قادرات على الحرب فهنّ منهمكات في الخدمة خلف الجبهة بشكل رائع يجعل قلوب الجماهير تخفق شوقاً واعجاباً ويدخل الرعب في

قلوب الاعداء والجهلة الذين هم أسوأ من الاعداء. ونحن رأينا مراراً نساء يرفعن اصواتهن كزینب^(١١) عليها سلام الله (ويقلن) انهنّ قدمن ابناهن وتخلین عن كل عزيز لديهن في سبيل الله تعالى والاسلام العزيز، ويفخرن بذلك، ويعلمن ان ما كسبه اسمى من جنات الثميم، فكيف بمتاع دنيوي حقير.

وشعبنا، بل الشعوب الاسلامية والمستضعفة في العالم تفخر بأن اعداءها، وهم اعداء الله تعالى والقرآن الكريم والاسلام العزيز، وحوش كاسرة لا تتورع عن ارتكاب اية جريمة وخيانة لتحقيق اهدافها المشؤومة والاجرامية، ولا تفرق بين عدو وصديق من اجل تحقيق تسلطها ومطامعها الدنيئة، وعلى رأس هؤلاء الاعداء امريكا، التي تأصلت في ذاتها طبيعة الارهاب، هذه الدولة التي اضرت النار في جميع انحاء العالم، مثلها في ذلك مثل حليفها الصهيونية العالمية التي ترتكب من اجل بلوغ مطامعها جرائم يخجل القلم عن تدوينها واللسان عن ذكرها. وان اوهاهما البلهاء في اسرائيل الكبرى تدفعها الى ارتكاب كل جريمة.

والشعوب المسلمة والمستضعفة في العالم تفخر بأن اعداءها حسين الاردني هذا المجرم المتسول، وحسن، وحسني مبارك المتحالفين مع اسرائيل، هم مجرمون، ولا يتورعون عن ارتكاب اية خيانة بحق شعوبهم خدمة لأمريكا واسرائيل.

نحن نفخر ان يكون عدونا صدام العفلق الذي يعرفه العدو والصديق بجرائمه وبانتهاكه الحقوق الدولية وحقوق الانسان، ويعلم الجميع ان خياناته الشعب العراقي المظلوم وسكان امارات الخليج ليست باقل من خياناته الشعب الايراني.

ونحن وشعوب العالم المظلومة فخورون بأن وسائل الاعلام واجهزة الدعاية العالمية تتهمنا نحن وكل المظلومين في العالم بكل جريمة وخيانة تأمرها بها القوى الكبرى المجرمة.

اي فخر اعظم واسمى من ان تصير امريكا، بكل ادعاءاتها وجميع اسلحتها ومعداتها الحربية وكل تلك الدول العميلة لها، وبجميع ما لديها من ثروات طائلة

(منهوبة) من الشعوب المظلومة المتخلفة، وبما عندها من جميع وسائل الاعلام، (ان تصير) عاجزة مفضوحة امام الشعب الايراني الغيور وامام دولة سيدنا بقية الله ارواحنا لمقدمه الفداء، حتى ما عادت تعرف بمن تتوسل، واينما ولّت وجهها القمت حجراً، وليس هذا إلا نتيجة الامدادات الغيبية من الباري تعالى جلّت عظمته، التي أيقظت الشعوب وخاصة الشعب الايراني المسلم واخرجته من ظلمات ظلم الشاه الى نور الاسلام.

أنتي الآن اوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الايراني العزيز ان يستقيموا باستحكام وضمود والتزام ومقاومة على هذا الطريق الالهي المستقيم الذي منّ الله به على البشرية والمتحرر من الارتباط بالشرق الملحد والغرب الظالم الكافر. وان لا يغفلوا لحظة عن شكر هذه النعمة، وان لا يسمحوا للأيدي الآئمة لعملاء القوي الكبرى، سواء عملاؤها الاجانب ام عملاتها في الداخل الافطع من الاجانب، ان تنفذ اليهم لتزلزل نيّاتهم الطاهرة وارادتهم الحديدية، وليعلموا ان وسائل الاعلام العالمية والقوي الشيطانية الشرقية والغربية، مهما ازدادت تعنتاً فان ذلك دليل على القدرة الالهية لهذه (الشعوب). جزاها الله تعالى خيراً في هذه الدنيا وفي العوالم الاخرى انه ولي النعم ويده ملكوت كل شيء.

اطلب من الشعوب المسلمة بكل جدّ وبكل تواضع ان تقتدي بالائمة الاطهار وبما قدمه هداة البشرية العظام هؤلاء من فكر سياسي واجتماعي واقتصادي وعسكري، وبصورة لائقة وعن رغبة عميقة ويبدل النفس وتقديم الاعزة.

من ذلك ان لا تنحرف (الشعوب) قيد انملة عن الفقه التقليدي^(١٢) الذي هو عطاء مدرسة الرسالة والامامة وضمن تكامل الشعوب وعظمتها، سواء الاحكام الالوية منه ام الاحكام الثانونية^(١٣)، فكلاهما يمثلان مدرسة الفقه الاسلامي. وان لا تصيخ السمع الى اي وسواس خناس معاند للحق والمذهب. ولتعلم ان اية خطوة منحرفة ستمهد لإسقاط المذهب والاحكام الاسلامية وحكومة العدل الالهية.

ومن ذلك، ان لا تغفل اطلاقاً عن صلاة الجمعة والجماعة، فهي التعبير السياسي عن الصلاة. وصلاة الجمعة هذه من اعظم منن الله تعالى على الجمهورية الاسلامية.

من ذلك، ان لا تغفل عن مراسيم عزاء الائمة الاطهار^(١٤)، وبخاصة سيد المظلومين والشهداء سيدنا ابي عبدالله الحسين صلوات الله الوافرة وصلوات الانبياء وملائكة الله والصالحين على روحه الأبية الكبيرة. ولتعلم ان تعاليم الائمة عليهم السلام لاحياء هذه الملحمة التاريخية الاسلامية، وما ينصب من لعن على ظالمي اهل البيت انما هو باجمعه يمثل صرخة الشعوب البطولية بوجه الحكام الظلمة على مر التاريخ والى الابد. وتعلمون ان لعن بني امية لعنة الله عليهم والحديث عن ظلمهم - مع انهم قد انقضوا وراحوا الى جهنم - انما هو صرخة بوجه ظلمة العالم، وهو احياء لهذه الصرخة (الحسينية) المبيدة للظالمين. ومن اللازم ان نذكر في العزاء واشعار الرثاء وقصائد الثناء على ائمة الحق عليهم السلام، بشكل قارع، فجائع ظلم الظالمين في كل عصر ومصر. وفي هذا العصر، وهو عصر مظلومية العالم الاسلامي بيد امريكا وروسيا وسائر اتباعهما ومنهم آل سعود خونة الحرم الالهي لعنة الله وملائكته ورسله عليهم؛ يجب ذكر (ظلمهم) بشكل قارع (مقرون) باللعن. ولنعلم جميعاً ان ما يبعث على الوحدة بين المسلمين هو هذه الشعائر السياسية التي تحفظ هوية المسلمين وخاصة شيعة الائمة الاثنى عشر عليهم صلوات الله وسلامه.

وما يجب ان اذكر به هو ان وصيتي لا تختص بالشعب الايراني المعظم، بل هي وصيتي الى جميع الشعوب المسلمة، والشعوب المظلومة في العالم بمختلف قومياتها ومذاهبها.

اتضرع الى الله عز وجل ان لا يكلنا نحن ولا شعبنا الى انفسنا طرفة عين أبداً، وان لا يحرم أبناء الاسلام والمجاهدين الاعزاء لحظة من ألطافه الغيبية.

روح الله الموسوي الخميني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهمية الثورة الاسلامية العظمى التي هي عطاء الملايين من الناس الكرام والآلاف من شهدائها الخالدين والمعوقين الاعزاء - هؤلاء الشهداء الاحياء - والتي تعدّ محط امل الملايين من المسلمين والمستضعفين في العالم؛ تبلغ درجة اسمى وأعظم من استطاعة القلم والبيان ادراكها.

انا روح الله الموسوي الخميني الراجي كرم الله تعالى العظيم، على الرغم من كل الخطايا، وان تعلق قلبي بكرم الكريم المطلق هو زاد طريقي المحفوف بالاعطار، باعتباري طالباً صغيراً^(١٥) اعقد الامل، مثل سائر اخوتي في الايمان، على هذه الثورة وبقاء معطياتها وتحقق اهدافها اكثر فاكثراً، أوصي الجيل الراهن والاجيال العزيزة القادمة بأمر وان كانت تكرارية. سائلاً الله سبحانه خلوص النية في هذه الوصايا.

١ - نعلم ان هذه الثورة العظمى التي قلمت اظافر الناهيين الدوليين والظالمين في ايران الكبرى قد انتصرت بتأييد الهي غيبي. ولو لم تكن يد الله القادرة لما كان بإمكان مجموعة بشرية مكونة من ٣٦ مليون نسمة (ان تحقق ما حققته)، مع كل ذلك الاعلام المعادي للإسلام والمعادي لعلماء الدين، خاصة خلال هذا القرن الاخير، ومع تلك النشاطات الواسعة التي بذلها الكتاب والخطباء لتمزيق الصف في الصحافة والخطابة والمجالس والمحافل المعادية للإسلام، والمعادية للوطنية المتظاهرة بها، ومع كل ذلك الشعر الماجن، ومراكز الفساد والفحشاء والقمار والمسكرات والمخدرات التي اتجهت باجمعها الى جرح جيل الشباب، الفعّال؛ الذي يجب ان يبذل

جهده في دفع عجلة بلاده نحو التقدم والرفق؛ إلى الفساد وإلى اللامبالاة من خلال الاعمال الخيانية التي ارتكبت بيد الشاه الفاسد وأبيه الجاهل والحكومات والمجالس الشكلية المفروضة على الشعب من قبل سفارات القوى العظمى، وافظع من ذلك ما كان من وضع الجامعات والمدارس الثانوية ومراكز التعليم التي أوكلت إليها مقدرات البلاد وباستخدام معلمين واساتذة تابعين للغرب أو الشرق معارضين تماماً للإسلام وللثقافة الاسلامية بل الوطنية الصحيحة مع تفمصهم الوطنية والقومية، وعلى الرغم من أن رجالاً ملتزمين ومخلصين كانوا بين هؤلاء إلا أن ضآلة عددهم وما كان يحيطهم من تضيق لم يسمح لهم ان يؤدوا عملاً ايجابياً، وبسبب كل ذلك وعشرات القضايا الاخرى، ومنها دفع علماء الدين إلى العزلة والانزواء، (بل) جرّ كثير منهم إلى الانحراف الفكري بفعل قوّة الدعايات المضللة، (نعم، لو لم تكن يد الله القادرة) ما كان بإمكان هذا الشعب، المحاط بمثل هذا الوضع، ان ينهض كتلة واحدة، وان يستطيع بهدف موحد في جميع انحاء البلاد وبصوت الله اكبر، وببذل تضحيات إعجازية محيرة ان يطيح بكل القوى الداخلية والخارجية ويمسك بيده مقدرات بلاده.

ومن هنا يجب ان لا يُشكَّ في ان الثورة الاسلامية في ايران لا نظير لها بين الثورات، في النشأة وفي كيفية النضال، وفي دوافع الثورة والنهوض، ومما لا تردّد فيه أنها كانت عطاء الهياً وهدية غيبية وهبها الباري المنان لهذا الشعب المظلوم المنهوب.

٢ - الاسلام والحكومة الاسلامية ظاهرة الهية يضمن تطبيقها السعادة في الدنيا والاخرة على أحسن وجه. و(الاسلام) له قدرة الشطب بقلم أحمر على كل محاولات الظلم والنهب والفساد والمدوان، وقدرة ايصال الناس إلى الكمال الذي ينشدونه.

انه مدرسة تختلف عن المدارس غير التوحيدية في تدخله في جميع الشؤون الفردية والاجتماعية، المادية والمعنوية، والثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ومراقبته لها. ولا تغرب عنه ادنى مسألة ترتبط بتربية الانسان والمجتمع وبالتقدم المادي والمعنوي. لقد بين ما يقف في طريق تكامل الفرد والمجتمع من عقبات

ومشاكل، وسعى إلى ازالتها.

والآن، حيث وضع، بتوفيق الله وتأييده، اساس الجمهورية الاسلامية بيد هذا الشعب الملتزم المقتدر، وحيث تنصبّ الاهتمامات في هذه الحكومة الاسلامية على الاسلام واحكامه السامية، فما على الشعب الايراني المعظم الا ان يسعى إلى تحقيق محتواه في جميع الابعاد، وان يصونوه ويحرسوه، فصيانة الاسلام قمة جميع الواجبات، والانباء العظام من آدم عليه السلام حتى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم بذلوا في سبيل ذلك الجهود والتضحيات الجسام، ولم يمنهم أي مانع من اداء هذه الفريضة الكبرى، كما بذل بعدهم، الصحابة الملتزمون وائمة الاسلام عليهم صلوات الله مساعي مضية بلغت حدّ التضحية بدمائهم من أجل الحفاظ عليه.

واليوم، يجب على الشعب الايراني خاصة وعلى جميع المسلمين عامة ان يصونوا بكل ما اوتوا من قوة هذه الامانة الالهية والثورة الاسلامية في ايران والتي انجزت مكتسبات عظيمة خلال مدة قصيرة، وان يبذلوا الجهد في سبيل ايجاد مستلزمات بقائها وازالة العقبات والمشاكل التي تعترضها. ومن المؤمل ان يشع نورها على جميع البلدان الاسلامية، وان يسود التفاهم بين جميع الحكومات والشعوب في هذه القضية المصيرية، وان يبتروا إلى الابد أيدي جناة التاريخ والقوى المتجبرة الناهبة المسيطرة على المظلومين والمحرومين في العالم.

وها انا اذ الفظ انفاس آخر عمري اتقدم، انطلاقاً من واجبي بعرض قدر مما يرتبط بحفظ هذه الوديعة الالهية وبقائها وشر من العقبات والاختطار التي تهددها، إلى الجيل الحاضر والاجيال القادمة راجياً من رب العالمين التوفيق والتأييد للجميع.

الف - رمز بقاء الثورة الاسلامية هو دون شك رمز الانتصار نفسه، والامة تفهم رمز الانتصار، والاجيال المقبلة سوف تقرأ في التاريخ ان الركنين الاساسيين للانتصار هما الدافع الالهي والهدف السامي (التمثل في) الحكومة الاسلامية (اولاً)، وتلاحم

الشعب في جميع انحاء البلاد واتفاقهم على كلمة واحدة من اجل ذلك الهدف (ثانياً).
اوصي جميع الاجيال المعاصرة والقادمة انكم اذا اردتم أن يكون الاسلام قائماً، وان تكون الحكومة الالهية قائمة، وان تكون أيدي المستعمرين والمستغلين من خارج بلادكم ومن داخلها مقطوعة، فلا تضيعوا هذا الدافع الالهي الذي اوصى به الله تعالى في القرآن الكريم. أما نقيض هذا الدافع الالهي الذي هو ورمز الانتصار وبقاؤه فهو نسيان الهدف والتفرقة والاختلاف.

ليس عبثاً ان تبذل الابواق الاعلامية العالمية وربائبها المحلية كل طاقاتها في بث الاشاعات والاكاذيب المفارقة، منفقة في سبيل ذلك مليارات الدولارات.
ليس عبثاً هذه الجولات المستمرة لمعارضى الجمهورية الاسلامية في المنطقة، والذين نرى من بينهم - مع الاسف - زعماء وحكومات بعض البلدان الاسلامية الذين لا يفكرون إلا في مصالحهم الشخصية والمستسلمين تسليماً اعمى وأصم لامريكا، وقد التحق بهم بعض المتشبهين بعلماء الدين.

إن ما يجب على الشعب الايراني وعلى جميع مسلمي العالم في عصرنا هذا وفي المستقبل ان يفكروا به ويدركوا أهميته هو احباط الدعايات الهدامة.
وصيتي الى المسلمين وبخاصة الايرانيين وبالاخص المعاصرين منهم ان يظهروا ردود فعلهم ازاء هذه المؤامرات وان يعمقوا انسجامهم ووحدهم بكل الطرق الممكنة، وبيعثوا اليأس في الكفار والمنافقين.

ب - من المؤامرات الخطرة التي ظهرت للعيان واضحة في القرن الاخير وبخاصة خلال العقود الاخيرة وبالاخص بعد انتصار الثورة، الدعايات الواسعة ذات الابعاد المختلفة لبث اليأس من الاسلام بين الشعوب وبخاصة الشعب الايراني المضحي. احياناً يصرحون ببلادة ان احكام الاسلام التي سنت قبل الف واربعمئة عام لا تستطيع ادارة البلدان في العصر الراهن. او (يقولون) ان الاسلام دين رجعي يعارض

كل تجديد وكل مظاهر الحضارة، ولا يمكن للبلدان في العصر الراهن أن تنعزل عن الحضارة العالمية ومظاهرها. وامثال هذه الدعايات الفارغة، والخبيثة والشيطانية والمتظاهرة بالدفاع عن قداسة الاسلام، وكون الاسلام والاديان الالهية الاخرى تهتم بالمعنويات، وتهذيب النفوس، وتحذر من المناصب الدنيوية، وتدعو الى ترك الدنيا والاشتغال بالعبادات والاذكار والادعية التي تقرب الانسان من الله تعالى وتبعده عن الدنيا. وان الحكومة والسياسة والتصدي لادارة الامور تتعارض مع ذلك المقصد والهدف المعنوي الكبير!! لأنها جميعاً من أجل إعمار الدنيا ومتعارضة مع سلوك الانبياء العظام!!

ومن المؤسف ان الدعايات على النحو الثاني قد تركت آثارها على بعض رجال الدين والمتدينين الجاهلين بالاسلام، حتى عدوا التدخل في شؤون الحكم والسياسة ذنباً وفسقاً، ولعل بعضهم لا يزال يعتقد بذلك، وتلك مأساة كبرى ابتلي بها الاسلام. المجموعة الاولى ينبغي ان نقول بشأنها انها اما ان تكون جاهلة بمسائل الحكم والقانون والسياسة، او انها مغرضة في تجاهلها، ذلك لان تنفيذ القوانين وفق معيار القسط والعدل، ومواجهة الظالمين والحكم الجائر ويسط العدالة الفردية والاجتماعية، ومنع الفساد والفحشاء وانواع الانحرافات، ومنح الحرية وفق معيار العقل والعدل، وتحقيق الاستقلال، والاكتفاء الذاتي، ومقارعة الاستعمار والاستغلال والاستعباد، وتطبيق الحدود والقصاص والتعزيرات وفق ميزان العدل من اجل الحؤوله دون فساد المجتمع وانحلاله، وسياسة المجتمع وادارته بموازين العقل والعدل والانصاف ومثبات من هذا القبيل... ليست بالامور التي تبلى بمرور الزمان وعلى مر التاريخ البشري والحياة الاجتماعية. هذه المزاعم بمثابة قول القائل ان القواعد العقلية والرياضية في القرن الراهن يجب ان تتبدل لتحل محلها قواعد جديدة!

لو ان تطبيق العدالة الاجتماعية ومنع النظم والذمب وانتقل كان ضرورياً في

صدر الخليفة فهل أصبح ذلك اسلوباً بالياً لأن القرن الـ 21 هو قرن اندرة؟!

ان ادعاء معارضة الاسلام لكل تجديد - كإدعاء محمدرضا بهلوي المخلوع القائل: إن (علماء الدين) هؤلاء يريدون ان يسافروا في هذا العصر بواسطة الدواب! لا يعدو أن يكون اتهاماً أبلهياً. اذ لو كان الهدف من مظاهر الحضارة والتجديد (العصرنة) هو الاختراعات والابتكارات والصناعات المتطورة المؤثرة في رقي الانسان وحضارته، فلم يعارض الاسلام وسائر المذاهب التوحيدية ذلك أبداً، ولن تعارضه، بل ان العلم والصناعة قد اكد عليهما الاسلام والقرآن المجيد. (اما) اذا كان الهدف من العصرنة (التجديد) والحضارة هو ذلك الذي يردده بعض ادعياء الثقافة المنحرفين القائلين بالحرية في ارتكاب جميع الوان الفحشاء والمنكرات بما في ذلك الشذوذ الجنسي وامثال ذلك، فان جميع الاديان السماوية والعلماء والعقلاء يعارضون ذلك، وان كان المتغربون والمشرقون يروجون ذلك عن تقليد اعمى.

اما المجموعة الثانية، التي تلعب دوراً خبيثاً، وترى الاسلام منفصلاً عن السياسة والحكم، فينبغي ان نقول لهؤلاء الجهلة: إن ماورد في القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله من احكام الحكم والسياسة لم يرد في سائر المجالات الاخرى، بل ان كثيراً من الاحكام العبادية للاسلام هي عبادية سياسية، ادت الغفلة عنها الى كل هذه المصائب. ومن القضايا الثابتة تاريخياً أن نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم قد اقام حكومة مثل سائر حكومات العالم، ولكن بدافع بسط العدالة الاجتماعية. وأن خلفاء الاسلام الاوائل كانت لهم حكومات واسعة. كما ان حكومة علي بن ابي طالب عليه السلام كانت بنفس الدافع وبشكل أوسع وأشمل، واستمر وجود الحكومات القائمة باسم الاسلام، بعد ذلك، والذين يدعون اليوم ايضاً إقامة الحكومة الاسلامية إتباعاً للاسلام والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، كثيرون.

في هذه الوصية اكتفي بالاشارة، لكنني أمل ان يعمل الكتاب وعلماء الاجتماع والتاريخ على تصحيح هذا المفهوم في اذهان المسلمين. وما يقال بأن الانبياء عليهم السلام كانوا يهتمون بالمعنويات وان الحكومة وادارة الامور الدنيوية شيء مرفوض

كان الانبياء والاولياء والائمة يتجنبونه، وانا ينبغي ان نفعل مثل ذلك أيضاً، (مثل هذه الاقوال) خطأ مؤسف تؤدي نتائجه الى إفساد الشعوب الاسلامية والى فتح الطريق امام المستعمرين، مصاصي الدماء. لان المرفوض هو الحكومات الشيطانية والديكتاتورية والظالمة ذات الاهداف السلطوية والمنحرفة. والدنيا المذمومة منها هي تكديس الثروة والمال والعلو في الارض وانتهاج طريق الطاغوت، وبالتالي الدنيا التي تجعل الانسان غافلاً عن الباري تعالى. اما حكومة الحق المقامة لصالح المستضعفين ولمنع الظلم والجور ولاحلال العدالة الاجتماعية فهي التي سعى اليها امثال سليمان بن داود ونبي الاسلام الاعظم صلى الله عليه وآله واوصياؤه الكرام، وهي من اعظم الواجبات، واقامتها من اسمى العبادات، كما ان السياسة السليمة الموجودة في مثل هذه الحكومات تعد من الامور الملازمة لها.

على الشعب الايراني الواعي اليقظ ان يحبط هذه المؤامرات بفهم اسلامي وان يهَبَ الخطباء والكتاب الملتزمون لمعاوضة الشعب ولقطع ايدي الشياطين المتآمرين.

ج - ومن قبيل هذه المؤامرات، بل، وربما أخبثها، ما يشاع على مستوى واسع في أنحاء البلاد، وعلى الأكثر في المدن، بشأن عدم قيام الجمهورية الاسلامية باي عمل (ايجابي) للناس.

(يقولون): مساكين هؤلاء الناس، ضحوا بشوق ولهفة كي يتخلصوا من نظام الطاغوت الظالم، فتورطوا بنظام اسوأ! (يقولون) اضحى المستكبرون اكثر استكباراً والمستضعفون اكثر استضعافاً، وان السجون اصبحت مملوءة بالشباب الذين هم امل مستقبل البلاد! وامسى التعذيب فيها اسوأ مما كان في النظام السابق وأبشع!، وكل يوم يتم تنفيذ حكم الاعدام بمجموعة باسم الاسلام! ليتهم لم يرضعوا اسم الاسلام على هذه الجمهورية!! (ويقولون) ان هذا العصر اسوأ من عصر رضاخان وابنه، فالناس يعانون من نَصَبٍ وعذاب وغلاء فاحش! والمسؤولو، دائبون على دفع هذا النظام الى

نظام شيوعي! تصادر الاموال! وتسلب الحرية من الشعب في كل المجالات؟ وكثير من مثل هذه الاقاويل التي تشاع وفق خطة مدبّرة. والدليل على ان هناك خطة ومؤامرة هو انه بين الفينة والاخرى تجد اشاعة من الاشاعات على الالسن في كل حذب وصوب وفي كل محلة ومنطقة، في سيارات الاجرة وفي الحافلات ايضاً تجدد الدعاية نفسها، وفي التجمعات الصغيرة تجدد نفس الكلام، وما ان تصبح احدى هذه الاشاعات قديمة تشتهر واحدة اخرى. ومن المؤسف ان بعض رجال الدين الغافلين عن الحيل الشيطانية يتصل بهم واحد او اثنان من رموز المؤامرة فيظنون ان الامر (صحيح) كما هو شائع.

واساس القضية هو ان كثيراً من اولئك الذين يسمعون تلك الاشاعات ويصدقونها لا اطلاع لهم على اوضاع العالم وما حدثت فيه من ثورات وما اعقب هذه الثورات من مشاكل عظيمة لا بد منها. كما انهم ايضاً ليس لهم اطلاع صحيح على التحولات التي حدثت (بعد الثورة الاسلامية) لصالح الاسلام. فيسمعون هذه الاقاويل وهم مغمضي الاعين غافلين ويرددونها ايضاً عن عمد او غفلة.

اوصي هؤلاء ان يطالعوا اولاً الوضع العالمي الراهن، وان يقارنوا بين ثورة ايران الاسلامية وبين سائر الثورات، وان يتعرفوا على اوضاع البلدان والشعوب وهي تمر في مرحلة الثورة وما جرى لها بعد ثورتها، وان يطالعوا مشاكل هذا البلد المبتلى بالطاغوت من قبل رضاخان^(١٦) واسوأ منه محمدرضا^(١٧) اللذين خلفا للشعب خلال مدة نهبهما تركة تتمثل بالوان التبعية الكبيرة المهلكة وبالاوضاع (المتردية) في الوزارات والدوائر والاقتصاد والجيش، وبالمواخير، وحانات الخمر، والانحلال في جميع شؤون الحياة، وباوضاع التعليم والتربية واوضاع المدارس والجامعات، ودور السينما، ومراكز الفساد ووضع الشباب والنساء، وهكذا وضع علماء الدين والمتدينين والاحرار الملتزمين والنساء العفيفات المظلومات والمساجد في زمن الطاغوت. (اوصيهم) ان يدرسوا ملفات المعدومين والمسجونين (في ظل الجمهورية الاسلامية)، وان يطالعوا (اوضاع) السجون وكيفية تعامل المسؤولين فيها، وان يمعنوا النظر في كيفية محاسبة

اموال الرأسماليين والاقطاعيين الكبار والمحتكرين والمتلاعبين بالاسعار وان يراجعوا المحاكم المدنية ومحاكم الثورة ويقارنوها بالوضع السابق للقضاء والقضاة. (اوصيهم) ان يراجعوا حالة النواب في مجلس الشورى الاسلامي واعضاء الحكومة وحكام المحافظات (المحافظين) وسائر المسؤولين الذين تولوا الامور في هذا العهد ويقارنوها (بما كان عليه الوضع) في العهد المباد. وان يطالعوا منجزات الحكومة وجهاد البناء في القرى المحرومة من كل الخدمات حتى من ماء الشرب والمستوصف ويقارنوا ذلك (بما انجز) طيلة عهد النظام السابق، مع الاخذ بنظر الاعتبار مشاكل الحرب المفروضة وما خلفته من ملايين المشردين وعوائل الشهداء والمعوقين في الحرب (هذا غير) الملايين من المشردين الافغانيين والعراقيين، ومع الاخذ بنظر الاعتبار ايضاً الحصار الاقتصادي والمؤامرات المتتالية التي دبرتها امريكا وعملاؤها في الخارج والداخل، اصف الى كل ذلك قلة المبلفين (الدعاة) الواعين بالقضايا، عن الحاجة؛ وقلة عدد القضاة الشرعيين، وهكذا ما اثاره معارضو الاسلام والمنحرفين بل وحتى الاصدقاء الجهلة من ضجيج وتهريج، وعشرات المشاكل الاخرى.

اطلب منهم ان لا يعمدوا الى خلق الاعتراضات والى الانتقاد الهدام والسب والشتم قبل ان يطالعوا تلك القضايا. وان يرحموا حال هذا الاسلام الغريب الذي هو اليوم، بعد مئات السنين من ظلم الظالمين وجهل الجاهلين، طفل يحبو ووليد محفوف بالاعداء في الداخل والخارج. انتم يا من تنتحون الاعتراضات فكروا (واسألوا انفسكم) اليس من الافضل ان تجدوا في الاصلاح والمساعدة بدل القمع و(الطمع)؟!، وان تدافعوا عن المظلومين والمسحوقين والمحرومين بدل الدفاع عن المنافقين والظالمين والرأسماليين والمحتكرين الجشعين الغافلين عن الله؟! وان تهتموا بامر الذين اغتالهم الارهابيون من علماء الدين المظلومين والمسؤولين الخدوميين ملتزمين المظلومين بدل الدفاع غير المباشر عن المجموعات القوضوية والارهابيين المفسدين.

انا لم أقل اطلاقاً ولا اقول ان الاسلام العظيم بكل ابعاده قد تم تطبيقه في هذه الجمهورية، او انه لا يوجد اشخاص يعملون عن جهل وفوضى بخلاف مقررات الاسلام، لكنني اقول ان السلطات الشرعية والقضائية والتنفيذية تسعى بجهد جهيد الى تعميق الاسلام في هذا البلد، والشعب بعشرات الملايين يعاضدها ويساندها، ولو ان هذه الاقلية التي تحترف الاعتراض والعرقلة هبت لمساعدتها فان تحقق هذه الامال سيكون اسهل واسرع. وان لم يعد هؤلاء - لا سمح الله - الى انفسهم، فان هذه الامال الانسانية ستتحقق بشكل واسع باذن الله لما تتحلى به الجماهير المليونية من يقظة ووعي بالقضايا وحضور في الساحة، وسوف لا يستطيع محترفو الاعتراضات ان يقاوموا هذا السيل الهادر.

انا ازعم بجرأة ان الشعب الايراني بجماهيره المليونية في العصر الراهن افضل من اهل الحجاز في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله، (وافضل من اهل الكوفة في العراق على عهد امير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما، فالمسلمون في الحجاز على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله (منهم من) أبو أن يطيعوا الرسول ورفضوا - بأعدار مختلفة - التوجه الى جبهات القتال حتى انزل الله آيات من سورة التوبة^(١٨) توبخهم وتعدهم بالعذاب، ثم انهم كذبوا على (النبي) كثيراً حتى روي انه دعا عليهم على المنبر^(١٩)، واهل العراق والكوفة اساؤوا التعامل مع امير المؤمنين كثيراً وعصوه وشكاوى الامام منهم معروفة في المأثور وكتب التاريخ،^(٢٠) ومسلمو العراق والكوفة فعلوا ما فعلوا بسيد الشهداء (الحسين بن علي)، اولئك الذين لم يرتكبوا اثم قتله، اما انهم فروا من المعركة، او جلسوا حتى وقعت جريمة التاريخ تلك. ولكننا نرى اليوم ان الشعب الايراني بقواه المسلحة النظامية والانتظامية والحرس والتعبئة وسائر القوى الشعبية من عشائر ومتطوعين في الجبهات، والجماهير خلف الجبهات (يندفعون) بشوق وشغف ليفدموا التضحيات، واية تضحيات! وليسجلوا الملاحم واية ملاحم! ونرى ان الجماهير المحترمة في جميع ارجاء البلاد تقدم

المساعدات القيمة آية مساعدات! ونرى ان عوائل الشهداء ومعوقى الحرب وذويهم يواجهوننا نحن وانتم بوجوه طافحة بالحماس وباعمال واقوال تنم عن شوق وإيمان، وذلك كله نابع من عشق هؤلاء وتعلقهم وإيمانهم المتزايد بالله تعالى والاسلام والحياة الخالدة، بينما لا يعيش هؤلاء في بركة محضر الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولا في محضر الامام المعصوم صلوات الله عليه، ودافع هؤلاء هو الايمان والثقة بالغيب. وهذا هو رمز الموقية والنجاح في الابعاد المختلفة، وللاسلام ان يفخر بترتيبه افراداً كهؤلاء، ونحن نفخر جميعاً ان نكون في عصر كهذا وفي كنف امة كهذه.

وهنا اتقدم بوصية الى الاشخاص الذين يعارضون الجمهورية الاسلامية بدوافع مختلفة، والى الشباب فتية وفتيات من الذين استغلهم المنافقون والمنحرفون الانتهازيون والنفعيون، ان يحكموا ضميرهم بدون تحيز وبفكر حرّ، وان يدرسوا بدقة وبمعزل عن هوى النفس اولئك الذين يستهدفون الاطاحة بالجمهورية الاسلامية، وكيفية عملهم، وسلوكهم مع الجماهير المحرومة، والفئات والحكومات التي ساندهم و تساندهم، والمجموعات والاشخاص الذين التحقوا بهم في الداخل ودعموهم، وما يسود بين اولئك ومؤيديهم من خلق وسلوك، وما حدث فيهم من تغيير في المواقف على اثر الاحداث المختلفة، ثم ادرسوا احوال اولئك الذين استشهدوا على يد المنافقين والمنحرفين وقارنوا بين هؤلاء واعدائهم، اشربة تسجيل اصوات هؤلاء الشهداء متوفرة الى حدّ ما، ولعل اشربة المعارضين بايديكم، انظروا آية واحدة من المجموعتين هي حامية المحرومين والمظلومين في المجتمع.

ايها الاخوة، انتم لا تقرأون هذه الاوراق قبل مماتي، بل قد تقرأونها بعدي، انا لست بينكم آنذ ومن هنا لا اريد ان اتلاعب بقلوبكم الشابة لمصلحتي، او لكسب تأييدكم طمعاً في سلطة ومنصب. انكم شباب لانقون ومن هنا اودّ لو تقضوا شبابكم في سبيل الله والاسلام العزيز والجمهورية الاسلامية لتنالوا سعادة الدارين. واسأل الله الغفور ان يهديكم الى صراط الانسانية المستقيم، وان يعفو برحمته الواسعة عما سلف

منا ومنكم. وانتم ايضاً اسالوا الله ذلك في خلواتكم فانه الهادي والرحمن. ووصية الى الشعب الايراني الشريف والى الشعوب الاخرى المبتلاة بالحكومات الفاسدة، والرازحة تحت اغلال القوى الكبرى. اما وصيتي الى الشعب الايراني العزيز فهي ان (تقدروا) النعمة التي حصلت بجهادكم العظيم وبدماء شبانكم البواسل، حق قدرها كأعز ماتملكون، وحافظوا عليها واحرسوها، وابذلوا الجهد في سبيلها فهي نعمة عظيمة الهية وامانة كبيرة ربانية. ولا تهابوا المشاكل التي تواجهكم في هذا الصراط المستقيم: ﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾، وشاركوا حكومة الجمهورية الاسلامية بكل وجودكم في مشاكلها واسموا لحلها، واعتبروا الحكومة والمجلس جزءاً منكم، وحافظوا عليهما محافظتكم على حبيب عزيز. واوصي المجلس والحكومة والمسؤولين ان يقدروا هذا الشعب حق قدره، وان لا يألوا جهداً في خدمته وبخاصة المستضعفين والمحرومين والمظلومين منهم، فهؤلاء أنوار اعيننا وأولياء نعمتنا جميعاً، والجمهورية الاسلامية هديتهم وتحققها كان بفضل تضحياتهم، وبقاؤها رهن خدماتهم. اعتبروا انفسكم من الجماهير والجماهير منكم، واسموا دائماً الى اذانة الحكومات الطاغوتية (فحكماها) غزاة ناهبون متوحشون ومتعتون فارغون.. (هذه الادانة) طبعاً (يجب ان تتم) باعمال انسانية تليق بحكومة اسلامية.

واما وصيتي الى الشعوب الاسلامية فهي الاقتداء بحكومة الجمهورية الاسلامية والشعب الايراني المجاهد. وان أبت حكوماتكم الجائرة الرضوخ لارادة الشعوب، التي هي ارادة الشعب الايراني، فواقفوها عند حدّها؛ اذ أنّ علة مأساة المسلمين هي الحكومات المرتبطة بالشرق والغرب، واوصي مؤكداً ان لا تستمعوا الى الابواق الدعائية لاعداء الاسلام والجمهورية الاسلامية، فالجميع يسمعون دائماً ان يخرجوا الاسلام من الساحة لتأمين مصالح القوى الكبرى.

د - من الخطط الشيطانية للقوى الاستعمارية والاستغلالية الكبرى التي يجري تنفيذها منذ سنوات بعيدة، وبلغت ذروتها في إيران على يد رضاخان واستمرت متابعتها في زمن محمدرضا باساليب مختلفة، هي دفع علماء الدين الى الانزواء. ففي زمن رضاخان (كانت الخطة تنفذ) بالتضييق والقمع وخلع الذئب (الخاص برجال الدين) والسجن والنفي وهتك الحرمات والاعدام وغير ذلك، وفي زمن محمدرضا بسبل واساليب اخرى وأحدها خلق العداء بين الجامعيين وعلماء الدين، وقد حُشد لذلك اعلام واسع، وحصلت مع الاسف على نتائج كبيرة بسبب غفلة الفتين عن التآمر الشيطاني للقوى الكبرى. فمن جانب بذلوا الجهد (في المؤسسات التعليمية) من المدارس الابتدائية الى الجامعات، ليوظفوا فيها معلمين ومدرسين واساتذة ومدراء جامعات من بين المتفرجين والمتشركين والمنحرفين عن الاسلام وسائر الاديان، وليجعلوا المؤمنين الملتزمين في اقلية، حتى يربّوا الفئة الفاعلة التي ستمسك زمام امور الحكم بيدها في المستقبل، من الطفولة الى المراهقة والى مرحلة الشباب، تربية تجعلهم يكرهون الاديان مطلقاً وخاصة الاسلام (ويكرهون) المرتبطين بالاديان وبخاصة الروحانيين^(٢١) والدعاة، وكانوا يسمون (الروحانيين والدعاة) في ذلك العصر بانهم عملاء بريطانيا، ثم بعد ذلك بانهم انصار الرأسماليين والاقطاعيين وانصار الرجعية، ومعارضوا الحضارة والرقى.

ومن جانب آخر عمدوا بدعايات مضللة الى بث الخوف في نفوس علماء الدين والدعاة والمتدينين تجاه الجامعة والجامعيين، واتهموا الجامعيين جميعاً بانهم لا دينيون ومتحللون وضدّ الاسلام والاديان، وكانت النتيجة ان اصبح الحكام اعداءً للأديان والاسلام وعلماء الدين والمتدينين وأضحت جماهير الشعب المنشدة الى الدين وعلماء الدين معادية للدولة والحكومة وما يرتبط بهما. ومهدت الخلافات العميقة بين الحكومة والشعب والجامعي والروحاني، السبيل امام الغزاة الطامعين، يشكل جعلوا فيه كل شؤون البلاد تحت سلطتهم وجميع ثروات الشعب في جيوبهم،

وقد رأيتم ما جرى على هذا الشعب المظلوم، وما كان. والان، وقد تحطمت اغلال الأسر باذن الله، وانهدمت سدود القوى الكبرى، ونجا البلد من ايدي هذه القوى وعملائها، بفضل جهاد الشعب (بكل فئاته) من علماء الدين والجامعيين وحتى الحرفيين والعمال والفلاحين وسائر الفئات، فوصيتي هي ان لا يعيش الجيل الراهن واجيال المستقبل في غفلة. وان يوثق الجامعيون والشباب المعطاؤون الاعزاء اواصر الود والتفاهم مع الروحانيين وطلاب العلوم الاسلامية اكثر فاكثر، وان لا يغفلوا عن مخططات ومؤامرات العدو الغدار، وبمجرد ان يروا فرداً او افراداً يحاولون نثر بذور النفاق باقوالهم واعمالهم عليهم ان يرشدوه وينصحوه، وان لم يُجد ذلك نفعاً فليتبعدوا عنه وليعزلوه، وان لا يسمحوا للمؤامرة ان تمتد بجذورها، فيمكن درأ الخطر في مهده بسهولة. واطمئنوا بالذكر انه اذا كان بين الاساتذة من يريد ان يوجد انحرفاً، فعليهم ان يرشدوه وان لم يُجد نفعاً، فعليهم ان يطردوه عنهم وعن قاعة درسه. وهذه التوصية موجّهة اكثر الى الروحانيين وطلاب العلوم الدينية. والمؤامرات في الجامعة ذات عمق خاص ويجب على الفئتين المحترمتين (الجامعيين والعاملين في حقل العلوم الدينية)، وهما العقل المفكر للمجتمع، ان تكونا واعيتين تجاه المؤامرات.

هـ - من المخططات التي تركت مع الاسف تأثيراً كبيراً على البلدان وعلى بلدنا العزيز، ولا تزال آثاره باقية الى حد كبير هو ابعاد البلدان المستعمرة عن هويتها، ودفعها الى التبعية للغرب او الشرق. حتى ما عادت تقيم وزناً لنفسها وثقافتها وقدرتها، وراحت تنظر الى القطبين المقندين الغربي والشرقي على انهما من جنس ارقى، وعلى ان ثقافتها اسمى، وان هاتين القوتين قبله العالم، وان الارتباط باحد هذين القطبين هو من الفرائض الحتمية!!

وقصة هذه المأساة طويلة، والضربات التي تلقيناها جرّاءها ونلتقاها الان ايضاً

قاتلة وقاصمة. وافظع من ذلك ان الشعوب المظلومة المقهورة قد ابقيت في تخلف شامل وجعلوا منها بلداناً مستهلكة، وبثوا في قلوبنا الرعب من الاقدام على اي تطور ومن (مواجهة) القوى الشيطانية حتى ما عادت لنا الجرأة على اي ابتكار. وسلمنا مقاليد كل شيء اليهم ووضعنا مقدراتنا ومقدرات بلداننا بأيديهم ورحنا نطيع أوامرهم اطاعة عمياء.

وهذا الاحساس المفتعل بالخواء والتخلف العقلي ادنى الى ان لا نعتمد في اي امر من الامور على فكرنا وعلمنا وان نقلد الشرق والغرب تقليداً اعمى. بل ان الكتاب والخطباء المتغربين والمتشركين راحوا يسخرون ويستهنون بما عندنا من ثقافة وآداب وصناعة وابتكار - ان وجدت لدينا - وبذلك استأصلوا اصالة فكرنا وقدرتنا ودفعونا ويدفعوننا الى اليأس، وروّجوا بالفعل والقول والقلم العادات والتقاليد الاجنبية على ابدانها وخلاعتها، وقدموها الى الشعوب محاطة بالمدح والثناء.

لو ان كتاباً او مقالاً احتوى بضع ألفاظ غريبة يتقبلونه بإعجاب دون الالتفات الى محتواه، ويعدون صاحبه عالماً مثقفاً، وكل شيء يقع عليه نظرنا من المهد الى اللحد، ان تسمى بلفظ غربي او شرقي يصبح مرغوباً وجذاباً ومن مظاهر الحضارة والتقدم. وان اطلق عليه اسم اصلي محلي سيكون مطروداً وبالياً ومتخلفاً. واطفالنا - ان تسموا باسم غربي - يفخرون، وان حملوا اسماً أصيلاً فهم خجولون متخلفون والشوارع، والأزقة والمحلات التجارية، والشركات، والصيدليات، والمكتبات، والاقمشة، والامتعة الاخرى، وان كانت من الصناعات الداخلية، ينبغي ان تسمى باسماء اجنبية كي يرضى عنها الناس ويقبلوا عليها. التفرّب التام في جميع الحركات والسكنات وفي المعاشرات وجميع شؤون الحياة تبعت على الافتخار والرفعة والحضارة والتقدم، وبالمقابل فإن كل العادات والتقاليد الاصيلة انما هي تخلف وعبادة للماضي!!!

وفي كل حالة مرضية ووعكة صحية، وان كانت بسيطة قابلة للعلاج في الداخل،

يجب الاتجاه الى (المعالجة في) الخارج، (موجدین بذلك) حكم ادانة وحالة يأس بين اطبائهم العلماء. السفر الى بريطانيا وفرنسا وامريكا وموسكو مفخرة كبيرة، والذهاب الى الحج وسائر الاماكن المباركة هو تخلف وعبادة للماضي!!! اهمال ما يرتبط بالدين والمعنويات من علائم التمَدن والحضارة، وبالمقابل فالالتزام بهذه الامور هو تخلف وعبادة للماضي!!

انا لا اقول اننا نملك كل شيء. واضح أنهم في التاريخ القريب وبخاصة خلال القرون الاخيرة قد حرمونا من اي تقدم. والحكام الخونة والعائلة البهلوية خاصة، ومراكز الدعاية المحاربة لمنجزاتنا الوطنية، وهكذا الاحساس بالحقارة او عدم الاحساس بالوجود (عوامل) صدتنا عن كل نشاط للتقدم. استيراد البضائع بمختلف اصنافها، وإلهاء النساء والرجال وبخاصة فئة الشباب بانواع المستوردات مثل أدوات التجميل ووسائل الترف والكماليات واللعب الصبائية ودفع العوائل الى التسابق (في الشراء) وتوسيع روح الاستهلاك اكثر فاكثر، والذي يشكل بذاته قصة مؤلمة، ودفع الشباب وهم العضو الفعّال في المجتمع الى الفساد بانشاء مراكز الفحشاء والبغاء وعشرات من هذه المصائب المدروسة كل ذلك من أجل إبقاء حالة التخلف في البلدان.

الان، وقد تخلصنا الى حد كبير من كثير من هذه الشركاء، وقد هبّ الجيل المحروم الراهن للنشاط والابتكار، ورأينا كثيراً من المصانع والاجهزة المتطورة واشياء اخرى حيث ما كان يعتقد ان المختصين الايرانيين قادرين على تشغيلها، وكانت ايدينا ممتدة نحو الغرب والشرق (نستجدي) منهم المختصين كي يديروا عجلات مصانعنا، وأذ راح شبابنا الاعزاء على اثر الحصار الاقتصادي والحرب المفروضة يصنعون قطع الغيار المطلوبة وبشمن ارخص (من المستورد)، وأشبعوا الحاجة بذلك، واثبتوا أننا ان اردنا استطعنا.. (الان اذ تم ذلك) اوصي الشعب العزيز وصية خادم عطوف ان يكونوا واعين يقظين كي لا يستطيع اصحاب الالاعيب السياسية المرتبطون بالغرب والشرق

بوساوسهم الشيطانية ان يجروكم نحو هؤلاء الغزاة الدوليين. انهضوا لقطع اواصر التبعيات بارادة فاعلة وبنشاطكم ودأبكم، واعلموا ان العنصر الآري والعربي ليس باقل من عنصر (سكان) اوربا وامريكا وروسيا. واذا اكتشف هويته ونفض اليأس عن نفسه ولم يعقد الامل على الآخرين، فانه قادر على المدى البعيد ان يعمل كل شيء ويصنع كل شيء. وما بلغه الاخرون ستصلون اليه انتم ايضاً بشرط التوكّل على الله تعالى والاعتماد على النفس وقطع التبعية للآخرين، وتحمل المشاق من اجل حياة مشرفة، والخروج من نير سلطة الاجانب. وعلى الحكومات والمسؤولين في هذا الجيل والاجيال القادمة ان تكرم مختصيها وتشجعهم بالمساعدات المادية والمعنوية وان تمنع استيراد البضائع الاستهلاكية والمدمرة، وليكتفوا بما عندهم ريشما يصنعوا كل شيء. واطلب من الشباب ذكوراً واناثاً ان لا يضحّوا بالاستقلال والحرية والقيم الانسانية - ولو تحملوا من اجلها النصب والتعب - من أجل الكماليات ومجالس الطرب والتحلل والحضور في مراكز الفحشاء التي يقدمها لكم الغرب وعملاؤه المأجورون. اذ انهم - كما اثبتت التجربة ذلك - لا يفكرون الا بافسادكم واغفالكم عن مصير بلدكم، ونهب ثرواتكم، والقائكم في اغلال الاستعمار وعار التبعية، وتعميق روح الاستهلاك في شعبيكم وبلدكم، ويريدون بهذه الوسائل وامثالها ان يبقوكم في حالة تخلف او ما يسمونها بحالة شبه متوحشة.

و - من مؤامراتهم الكبرى، كما مرّ واكدنا عليها مراراً، السيطرة على مراكز التعليم والتربية وخاصة الجامعات التي يتسلّم خريجوها مقدرات البلاد. وطريقة اولئك (المتأمرين) مع الروحانيين ومدارس العلوم الدينية تختلف عما هي عليه في الجامعات والثانويات.

ان خطتهم تقضي ازاحة علماء الدين عن الطريق ودفعهم الى الانزواء انا بالقمع والشدة والهتك كما كان معمولاً به في زمن رضاخان، إلا أنّ النتيجة الحاصلة كانت

عكس هدفهم، او بالاشاعات والتهم والمخططات الشيطانية من اجل عزل فئة الدارسين (في المدارس والجامعات) او ما يسمون بالمتقنين (عن علماء الدين)، وهذا كان معمولاً به ايضاً في زمن رضاخان جنباً الى جنب مع الضغط والقمع، واستمر (هذا الاسلوب) في عهد محمدرضا بدون اللجوء الى الشدة ولكن بخبث.

اما في الجامعات فكانت الخطة ابعاد الشباب عن الاصاله في الثقافة والادب والقيم وجرّهم نحو الشرق او الغرب. ثم انتخاب المسؤولين من بين هؤلاء وتسليطهم على مصير البلدان. كي ينفذ هؤلاء ما يريدونه أولئك. هؤلاء ينهمكون في جرّ البلاد الى دار البوار والتغرّب، ولا تمتلك فئة علماء الدين لما احيط بها من انزواء وكره وهزيمة، القدرة على المواجهة. وهذا افضل طريق لابقاء حالة التخلف ولمواصله النهب في البلدان الخاضعة. لان كل شيء موجود ينساب الى جيوب القوى الكبرى دون ان يكلف (هذه القوى) تعباً او جهداً، ودون ان يرتفع صوت في المحافل الوطنية.

والان، مادام العمل يجري في الجامعات والمعاهد العليا لإصلاحها وتطهيرها، يلزم على الجميع ان يساعدوا القائمين بهذا الامر، وان لا يسمحو بجرّ الجامعات الى الانحراف، وأينما يشاهد انحراف علينا ان نسعى الى ازالته بسرعة، وهذا الامر المصيري يجب ان يتحقق في المرحلة الاولى بالسواعد القوية لشباب الجامعات والمعاهد العليا انفسهم، فانقاذ الجامعة من الانحراف انقاذ للشعب والوطن.

اتقدم الى كل الناشئة والشباب أولاً، والى آبائهم وامهاتهم واصدقائهم ثانياً والى المسؤولين والمتقنين الذين يحملون هموم وطنهم ثالثاً واوصيكم ان تبدلوا مساعيكم بكل جد واجتهاد في هذا الامر الهام الذي يصون بلادكم من الآفات، وسلّموا الجامعة (نقية) الى الجيل القادم. واوصي الاجيال المتتالية ان تصون الجامعة وتحرسها من الانحراف والتشرّق والتغرّب لانقاذ انفسهم وبلدهم العزيز والاسلام الذي هو صانع للانسان. وبمملككم الانساني الاسلامي هذا تقطعون يد القوى الكبرى عن بلادكم وتبعثون اليأس في قلوبهم. كان الله في عونكم واخذ بنواصيكم.

ز - من أهم الامور التزام نواب مجلس الشورى الاسلامي. لقد شاهدنا بام اعيننا كم تلقى الاسلام وايران من صدمات مؤلمة جراء مجلس الشورى المنحرف غير الصالح منذ الفترة التي اعقبت المشروطة^(٢٢) حتى عصر النظام البهلوي المجرم. وافظع واخطر من كل زمان ما كان في ذلك النظام الفاسد المفروض (على الاعناق) وما اكثر المصائب وافدح الخسائر التي حلت بالوطن والشعب على يد اولئك الجناة التافهين المأجورين!

خلال هذه الاعوام الخمسين أدنى (امر مجلس الشورى) بأكثرته المزيفة المنحرفة ازاء اقلية مظلومة الى تمكين بريطانيا والاتحاد السوفيتي واخيراً امريكا من ان تفعل كل ما تريده على أيدي نفس هؤلاء المنحرفين الغافلين عن الله، وان يدفعوا بالبلاد الى الفساد والقناء.

بعد عصر المشروطة، لم تطبق في اي وقت من الأوقات تقريباً مواد الدستور الهامة. (وكانت السيطرة في المجلس) قبل رضاخان بيد المتغربين والخوانين^(٢٣) والاقطاعيين، وفي عهد النظام البهلوي بيد ذلك النظام السفّاك واتباعه ومأجوريه الطبعين.

والان، وبفضل عناية الباري وهمة الشعب العظيم، أصبح مصير البلاد بيد الجماهير، والثواب الذين هم من الشعب وجدوا طريقهم الى مجلس الشورى الاسلامي بانتخاب الناس دون تدخل الحكومة وخوانين الولايات، ومن المؤمل ان يحول التزام هؤلاء بالاسلام ومصالح البلاد دون حدوث اي انحراف (الان اذ حدث هذا) فان وصيتي للشعب في الحاضر والمستقبل ان يرسلوا بارادتهم الراسخة والتزامهم باحكام الاسلام ومصالح البلاد الى المجلس في كل دورة من الانتخابات، نواباً ملتزمين بالاسلام وبالجمهورية الاسلامية، وهم غالباً من بين الفئات المتوسطة والمحرومة في المجتمع، والا يكونوا منحرفين عن الصراط المستقيم نحو الغرب او الشرق، والا تكون لهم ميول نحو المذاهب المنحرفة، وان يكونوا دارسين ومطلعين

على أحداث الساعة والسياسة الاسلامية. وأوصي فئة علماء الدين المحترمين وخاصة المراجع العظام ان لا يتخذوا موقف انزواء وعدم اكرات تجاه قضايا المجتمع وبخاصة مثل قضية انتخاب رئيس الجمهورية وانتخاب نواب المجلس. كلكم رأيتم، وسيسمع ذلك الجبل القادم، ان ايدي محترفي الالاعيب السياسية الشرقيين والغربيين، قد أخرجت من الساحة علماء الدين الذين وضعوا اساس الدستور بجهودهم المضنية. وعلماء الدين ايضاً انطلت عليهم أحابيل المتلاعبين بالسياسة، واعتبروا التدخل في امور البلاد والمسلمين لا يتناسب مع مقامهم! وتركوا الساحة الى المتغربين وانزلوا بالحركة الدستورية والبلاد والاسلام ما يحتاج اصلاحه الى زمن طويل.

والان، وقد ازيلت الموانع والله الحمد، وتوفرت الأجواء الحرة لتدخل كل الفئات، فلم يعد هناك اي عذر. والتساهل في أمر المسلمين من الذنوب الكبرى التي لا تغتفر. كل فرد بمقدار قدرته وسعة نفوذه يجب ان يكون في خدمة الاسلام والوطن العزيز. وان يحول بجد دون نفوذ المرتبطين بالقطينين الاستعماريين ونفوذ المتغربين والمشرقين والمنحرفين عن مدرسة الاسلام الكبرى. واعلموا ان أعداء الاسلام والبلدان الاسلامية، المتمثلين بالقوتين الكبيرين باطماعهما الدولية، ينفذون بخفاء وتدرجياً في بلدنا والبلدان الاسلامية الاخرى، ويوقعون البلدان في فخ الاستغلال على أيدي ابناء الشعوب انفسهم. عليكم ان تتحلوا بالوعي والحذر وان تهبوا للمواجهة عند احساسكم باول خطوة نفوذ، ولا تمهلوهم. كان الله معكم وفي عونكم.

واطلب من نواب مجلس الشورى الاسلامي في هذه الدورة والدورات المقبلة انه اذا قُدر - لا سمح الله - ان تفرض عناصر منحرفة، بالدسائس والالاعيب السياسية، نيابتها على الناس، فعلى المجلس ان يرفض اعتماد نيابتهم وان لا يدعوا حتى عنصراً واحداً مخرباً وعميلاً يجد طريقه الى المجلس. واوصي الاقليات الدينية الرسمية ان تتعظ بدورات (مجلس) النظام البهلوي، وان تنتخب نوابها من بين الملتزمين بدينهم،

وبالجمهورية الاسلامية، وغير المرتبطين بالقوى الدولية الطامعة، ومن غير اصحاب الميول الالحاية والمنحرفة والتلفيقية. واطلب من كل النواب ان يتعاملوا مع زملائهم في المجلس بكل حسن نية واخوة، وان يجهدوا أنفسهم كي لا تنحرف القوانين - لا سمح الله - عن الاسلام. وكونوا جميعاً اوفياء للاسلام واحكامه السماوية لتنالوا سعادة الدنيا والاخرة.

واطلب من مجلس مراقبة الدستور المحترم، واوصيه سواء في هذا الجيل او الاجيال القادمة ان ينهض بواجباته الاسلامية والوطنية بكل دقة وقدرة. وان لا يتأثر بأية قوة، وان يقف بوجه كل قانون مخالف للشريعة المطهرة وللدستور دون هوادة، وان يلتفت الى ضروريات البلاد التي تستوجب احياناً تنفيذ الاحكام الثانوية بشأنها واحياناً اخرى احكام ولاية الفقيه^(٢٤).

ووصيتي الى الشعب الشريف هي الحضور في الساحة في جميع الانتخابات سواء انتخابات رئاسة الجمهورية او انتخابات نواب مجلس الشورى الاسلامي او انتخابات مجلس الخبراء لتعيين مجلس القيادة او القائد، وان ينتخب الافراد وفق معايير معتبرة (شريعاً وقانوناً)، فلو حدث مثلاً تساهل في انتخاب الخبراء لتعيين مجلس القيادة او القائد، ولم ينتخبوا الخبراء وفق موازين شرعية وقانونية فقد تنزل بالاسلام والبلاد خسائر لا تعوض. وفي هذه الحالة يصبح الجميع مسؤولين امام الله تعالى.

إن أبناء الشعب، بمراجعهم وعلماؤه الكبار وحتى فئة التجار والكسبة والفلاحين والعمال والموظفين الذين هم جميعاً مسؤولون عن مصير البلاد والاسلام سواء في الجيل الحاضر او في الاجيال القادمة. لذا فان تساهلهم وعدم تدخلهم وحضورهم قد يكون في بعض المراحل ذنباً يأتي في مقدمة الكبائر. فعلاج الواقعة يجب ان يتم قبل وقوعها والآ سيفلت الزمام من أيدي الجميع. وهذه حقيقة لمسناها ولمستموها بعد المشروطة. فلا علاج افضل واسمى من ان يؤدي الشعب في جميع ارجاء البلاد ما عليه

من مسؤوليات موكلة اليه وفق المعايير الاسلامية وقوانين الدستور. وان يستشير في انتخاب رئيس الجمهورية ونواب المجلس الافراد المتعلمين الملتزمين المنتورين المطلعين على مجاري الامور وغير المرتبطين بالدول المستغلة والمشهورين بالتقوى والالتزام بالاسلام والجمهورية الاسلامية، وان يستشير ايضاً العلماء والروحانيين المتقين والملتزمين بالجمهورية الاسلامية، وعلى ابناء الشعب ان يهتموا بان يكون رئيس الجمهورية ونواب المجلس من طبقة لمست محرومية المحرومين ومظلومية المستضعفين، وممن يهتم بامر رفاه هؤلاء (المظلومين والمستضعفين) لا (ان يكونوا) من الرأسماليين والاقطاعيين والمنتعاليين المرفهين والغارقين في الشهوات والملذات من الذين لا يستطيعون ان يفهموا مرارة الحرمان وعذاب الحفاة والجياع.

ولنعلم انه اذا كان رئيس الجمهورية ونواب المجلس افراداً لاثقين وملتزمين بالاسلام وممن يحملون هموم الوطن والشعب، فإن كثيراً من المشاكل لا تظهر، وان ظهرت تحلّ. ونفس هذه القضية ينبغي ان تراعى بشكل خاص في انتخاب مجلس القيادة او القائد. فاذا ما تعين الخبراء الذين سيذهبون الى مجلس الخبراء، بانتخاب الشعب القائم على الدقة المتناهية واستشارة المراجع العظام في كل عصر والعلماء الكبار في انحاء البلاد والمنتدئين والعلماء الملتزمين، فان الكثير من القضايا المهمة والمشاكل لا تقع نتيجة انتخابهم وتعينهم لأكثر الاشخاص كفاءة والتزاماً لمنصب القائد او لمجلس القيادة او أنها ستحلّ بكفاءة. ومع الأخذ بنظر الاعتبار الاصل التاسع بعد المائة والعاشر بعد المائة في الدستور، تتضح المسؤولية الشقيلة التي يتحملها الشعب في انتخاب اعضاء مجلس الخبراء وهؤلاء بدورهم في انتخاب القائد او مجلس القيادة. وإن أدنى تساهل في الانتخاب سوف ينزل بالاسلام والجمهورية الاسلامية اضراراً، واية اضراراً، حيث ان احتمالها الذي يحتل مستوىً عالياً من الاهمية يؤدي الى ايجاد تكليف الهي لهم.

ووصيتي الى القائد ومجلس القيادة في هذا العصر وهو عصر هجوم القوى

الكبرى وعمالها في الداخل والخارج على الجمهورية الاسلامية، بل في الواقع على الاسلام عبر واجهة الجمهورية الاسلامية، وفي المصور القادمة، ان يندروا انفسهم لخدمة الاسلام والجمهورية الاسلامية والمحرومين والمستضعفين، وان لا يظنوا ان القيادة بحد ذاتها امتياز ومقام رفيع لهم، بل هي مسؤولية ثقيلة خطيرة يجلب الانزلاق فيها، ان كان عن هوى نفس - لا سمح الله - العار الابدي في هذه الدنيا ونار غضب الله القهار في الآخرة.

اتضرع وابتهل الى الله الهادي المنان ان ينجينا نحن وإياكم في هذا الامتحان الخطير ويقبلنا في حضرته بوجه ابيض. وهذا الخطر بدرجة اخف قليلاً قائم ايضاً امام رؤساء الجمهورية في الحاضر والمستقبل، وأمام الحكومات والمسؤولين بحسب درجاتهم في المسؤولية، لذلك عليهم ان يروا الله حاضراً وناظراً وان يروا انفسهم في رحابه المقدس. اخذ الله تعالى بايديهم الى سواء السبيل.

ح - من الامور المهمة، مسألة القضاء التي ترتبط بارواح الناس واموالهم واعراضهم. ووصيتي الى القائد أو مجلس القيادة ان يبذلوا الجهد فيما عليهم من مسؤولية تمثل بتعيين اعلی مسؤول قضائي بان يكون من الاشخاص الملتزمين واصحاب التجربة والنظر في الامور الشرعية والاسلامية والسياسية. واطلب من اعضاء مجلس القضاء الاعلى ان يجدوا في اصلاح امر القضاء الذي تدنى في عهد النظام المباد الى وضع مؤسف مؤلم. وان يبعدوا عن كرسي القضاء الهام من يتلاعب بأرواح الناس واموالهم ومن لا يعير اهمية للعدالة الاسلامية، وان يحدثوا التغييرات شيئاً فشيئاً في (وزارة) العدل بهمة وجد، وان يتم بجد ان شاء الله تدريب وتعليم قضاة تتوفر فيهم الشروط اللازمة في الحوزات العلمية، وبخاصة حوزة قم العلمية المباركة، وتقديمهم ليتعينوا بدلاً من القضاة الذين لا تتوفر فيهم الشروط المقررة اسلامياً. وسوف يسود القضاء الاسلامي ان شاء الله عاجلاً جميع أرجاء البلاد.

واوصي القضاة المحترمين في العصر الراهن وفي العصور القادمة انه مع الاخذ بنظر الاعتبار ما ورد من احاديث عن المعصومين صلوات الله عليهم حول أهمية القضاة وما يتضمنه من خطر عظيم وما ورد بشأن القضاء بغير الحق، عليهم ان يتصدوا لهذا الامر الخطير وأن لا يدعوا المنصب يوكل الى غير اهله، وان لا يرفض هذا الامر من هو أهل له، وان لا يفسحوا المجال لمن هو غير مؤهل له. وليعلموا فكما ان خطر هذا المنصب كبير، فإن الأجر والفضل والثواب فيه كبير ايضاً. والكل يعلم ان تصدي القضاة واجب كفائي على المؤهلين له.

ط - وصيتي الى الحوزات العلمية^(٢٥) المقدسة هي اني ذكرت مراراً ان اعداء الاسلام والجمهورية الاسلامية في هذا العصر قد شمروا عن ساعدي الجدل للاطاحة بالاسلام، ويسعون بكل طريق ممكن لتحقيق هذا الهدف الشيطاني. واحد الطرق الهامة لمقصدهم المشؤوم والذي يشكل خطراً على الاسلام والحوزات الاسلامية، هو ارسال افراد منحرفين فاسدين ليخترقوا الحوزات العلمية، وفي ذلك خطر كبير يتمثل على المدى القريب في الاساءة التي سمعة الحوزات بارتكاب الاعمال المشينة وبالانحراف في السلوك والاخلاق، أما خطره الكبير على المدى البعيد فهو وصول واحد او اكثر من الافراد المحتالين الى مراتب عالية. حيث أنهم باطلاعهم على العلوم الاسلامية وتغلغلهم بين الجماهير البسطاء وجذبهم اليهم، ينزلون الضربة المهلكة بالحوزات الاسلامية والاسلام العزيز والوطن في الوقت المناسب. ونحن نعلم ان للقوى الكبرى الناهية احتياطي من الافراد في الاوساط الاجتماعية باشكال مختلفة من الوطنيين والمتقفين الزائفين والمتلبسين بلباس علماء الدين، وهذه (الفئة الاخيرة) ان وجدت المجال فخطرها اكبر وضررها افظع. وهؤلاء كلهم يعيشون أحياناً ثلاثين أو أربعين عاماً بصبر وتحمل بين الشعوب، وبمظهر اسلامي مترمّم او بمظهر قومي (ايراني) او وطني او بحيل اخرى، ثم يؤدون مهمتهم في الوقت المناسب.

وشعبنا العزيز خلال هذه الفترة القصيرة بعد انتصار الثورة رأى نماذج من مثل مجاهدي الشعب وفدائيي الشعب وحزب توده وجماعات اخرى. ومن اللازم على الجميع ان يحبطوا هذه الحلقة من المؤامرة بوعي. والأهم من كل ذلك الحوزات العلمية التي يتحمل مسؤولية تنظيمها وتطهيرها المدرسون المحترمون والفاضل المجربون بتأييد من مراجع العصر. ولعل اطروحة «النظام في عدم الانتظام» هي من الابعاءات المشؤومة لهؤلاء المخططين والمتآمرين.

على اي حال فوصيتي هي انه في كل العصور، وبخاصة في العصر الراهن حيث ازدادت المخططات والمؤامرات سرعة وقوة، ينبغي النهوض من اجل تنظيم الحوزات فهو لازم وضروري. وعلى العلماء والمدرسين والفضلاء العظام ان يكرسوا أوقاتهم لوضع برنامج صحيح ودقيق يستهدف الحفاظ على الحوزات وبخاصة الحوزة العلمية في (مدينة) قم وسائر الحوزات المهمة الكبرى من الآفات في هذه الفترة الزمنية. وفي الدروس المرتبطة بالتفقه وفي مجال الدراسات الفقهية والاصولية، من اللازم ان لا يسمح العلماء والمدرسون المحترمون بأي انحراف عن طريقة المشايخ العظام، التي هي الطريق الوحيد لحفظ الفقه الاسلامي. وان يسعوا الى ان تتعمق يوماً بعد يوم (روح) الدقة والبحث والنظر والابتكار والتحقيق. ليحفظ الفقه التقليدي الذي هو تراث السلف الصالح وان الانحراف عنه (يؤدي الى) ضعف اركان التحقيق والتدقيق. وان تضاف البحوث (الجديدة) الى البحوث (الموجودة). وفي فروع العلوم الاخرى ينبغي طبعاً وضع برامج تتناسب مع احتياجات البلاد والاسلام، وتربية (واعداد) مختصين فيها. واعلى المجالات العلمية واسماها التي ينبغي ان يشارك الجميع في تعليمها وتعلمها هي العلوم المعنوية الاسلامية مثل علم الاخلاق وتهذيب النفس والسير والسلوك الى الله رزقنا الله واياكم ذلك الجهاد الاكبر.

ي - من الامور التي تستلزم الاصلاح والتطهير والمراقبة: القوة التنفيذية. فمن

الممكن ان يصادق المجلس على قوانين راقية ومفيدة للجميع، ويوافق عليها مجلس مراقبة الدستور، ويبلغها الوزير المسؤول، لكنها، ما ان تقع بيد المتنفذين غير الصالحين، حتى يمسخونها، وخلافاً للتعليمات فانهم يتوسلون بالدوتين الاداري او بالطرق المتلوية التي اعتادوا عليها، او العمل بتعمد على خلق الاستياء بين الناس، ويؤدي ذلك تدريجياً الى احداث غائلة بسبب التساهل معهم.

وصيتي الى الوزراء المسؤولين في الحاضر والمستقبل هي انه بالاضافة الى ان الميزانية التي تترزون منها اتم وموظفو الوزارات هي اموال الشعب، ومن هنا يجب ان تكونوا جميعاً في خدمة الشعب، وبخاصة المستضعفين، وان ارهاق الناس والعمل خلاف الواجب حرام قد يوجب احياناً، لا سمح الله، غضباً الهيباً، (اضافة الى ذلك) فانكم جميعاً بحاجة الى مساندة الشعب لكم. فبمساندة الشعب، وخاصة الطبقات المحرومة منه، تحقق النصر، وانقطعت يد الظلم الشاهي عن البلاد وثرواتها. وان حرمت يوماً من هذه المساندة تُقصوا عن مناصبكم، وكما كان الامر في النظام الشاهنشاهي، يحتل الظالمون المناصب بدلاً منكم. انطلاقاً من هذه الحقيقة يجب ان تسعوا في كسب الجماهير وان تتجنبوا السلوك اللااسلامي واللاانساني.

ومن هذا المنطلق اوصي وزراء الداخلية على مر التاريخ ان يراعوا الدقة في انتخاب المحافظين وان يختاروهم من بين الكفوئين، المتدينين، الملتزمين، واهل العقل، والمنسجمين مع الناس. كي يستتب الامن اكثر في البلاد.

وان كان كل الوزراء يتحملون مهمة تطبيق الاسلام وتعميقه وتنظيم الامور في مجال مسؤوليتهم، لكن يجب ان نعلم ان بعض اولئك هم خصائص معينة، مثل وزارة الخارجية التي تتحمل مسؤولية السفارات في خارج البلاد. لقد اوصيت وزراء الخارجية منذ بداية انتصار (الثورة) بشأن ازالة المظاهر الطاغوتية من السفارات وتحويلها الى سفارات تتناسب مع الجمهورية الاسلامية، إلا أن بعضهم لم يشأ ان يؤدي عملاً ايجابياً او لم يستطع ذلك. والان وقد مرّ على الانتصار ثلاثة اعوام، وان كان

وزير الخارجية الحالي قد اقدم على هذا الامر، فمن المؤمل ان ينجز هذا الامر الهام بالثابرة وبالتضحية بالوقت. ووصيتي الى وزراء الخارجية في هذا العصر والعصور القادمة هي ان مسؤوليتكم جسيمة سواء في حقل اصلاح الوزارة والسفارات وتطويرها او في حقل السياسة الخارجية وذلك بالحفاظ على استقلال البلاد ومصالحها واقامة العلاقات الحسنة مع البلدان التي لا تستهدف التدخل في امور بلادنا. والابتعاد بشكل قاطع عن كل امر تشم منه رائحة التبعية بجميع ابعادها. واعلموا ان التبعية في بعض الامور، مهما كانت تتسم بمظاهر خادعة او منفعة آنية، الا أنها في النتيجة ستدمر اسس البلاد. واسموا في تحسين العلاقات مع البلدان الاسلامية وفي ايقاظ الحكام والدعوة الى الوحدة والاتحاد، فالله معكم.

ووصيتي الى شعوب البلدان الاسلامية هي ان لا تنتظروا أحداً يأتي من الخارج ليساعدكم في الوصول الى الهدف المتمثل في الاسلام وتطبيق الاحكام الاسلامية. عليكم ان تنهضوا انفسكم بهذا الامر المصيري الذي يُحقق الاستقلال والحرية. وعلى العلماء الاعلام والخطباء المحترمين في البلدان الاسلامية ان يدعوا الحكومات لتحرير أنفسها من التبعية للقوى الاجنبية الكبرى، ولتشفاهم مع شعوبها، وفي هذه الحالة سيحققون النصر المؤزر. كما وعليهم ان يدعوا الشعوب الى الوحدة والى تجنب النعرات العنصرية المخالفة لتعاليم الاسلام والى ان يمدوا يد الاخوة الى اخوتهم في الايمان من اي بلد كانوا ومن أية قومية، فالاسلام العظيم اعتبرهم اخوة. وان تحققت هذه الاخوة الايمانية يوماً بهمة الحكومات والشعوب وبتأييد الله تعالى، فسترون ان المسلمين يشكلون اكبر قدرة عالمية. على امل ان تتحقق يوماً بأذن رب العالمين هذه الاخوة والمساواة.

ووصيتي الى وزارة الارشاد في جميع العصور، وخاصة العصر الراهن، لما تتمتع به من خصوصية معينة: هي السعي من اجل تبليغ الحق امام الباطل وعرض الوجه الحقيقي للجمهورية الاسلامية. ونحن في هذا العصر، اذ قطعنا أيدي القوى الكبرى

عن بلادنا، نتعرض الى هجوم اعلامي من جميع وسائل الاعلام المرتبطة بالقوى الكبرى. ما اكثر الاكاذيب والتهم التي نسبها المرتبطون بالقوى الكبرى، وعن طريق الكلمة المسموعة والمقروءة، الى الجمهورية الاسلامية الفتية!! ومع الاسف فان اكثر حكومات المنطقة الاسلامية التي يجب ان تمد لنا يد الاخوة بحكم الاسلام قد ناصبتنا وناصبت الاسلام العداء، وشتت هجوماً شاملاً علينا خدمة للطامعين الدوليين. وقدرتنا الاعلامية ضعيفة جدا وهزيلة. وتعلمون ان العالم اليوم يدور حول محور الاعلام. ومن المؤسف ان من يسمون بالكتاب المثقفين الذين تتجه ميولهم الى احد القطبين، بدل ان يفكروا في استقلال وحرية بلدهم وشعبهم، فان الروح الاستعمالية والانتهازية والاحتكارية لا تسمح لهم بالتفكير لحظة والأخذ بنظر الاعتبار مصالح بلدهم وشعبهم، والمقارنة بين الحرية والاستقلال في هذه الجمهورية وبين (ما كان عليه الوضع في) النظام الظالم السابق؛ و(ان يقسوا) الحياة المشرفة القيمة المقروءة بفقدان بعض وسائل الرفاه وبطر العيش (في ظل الجمهورية الاسلامية) بما كانوا يحصلون عليه من نظام الظلم الشاهي مقروناً بالتبعية والعبودية والمدح والثناء لجرائم الفساد ومنابع الظلم والفحشاء؛ والكف عن الصاق التهم والاكاذيب بهذه الجمهورية الاسلامية الفتية؛ والوقوف باقلامهم وألسنتهم مع الشعب والحكومة في خندق واحد ضد الطاغوتيين والظلمة.

ومسألة التبليغ لا تنهض بها وزارة الارشاد فحسب، بل هي مسؤولية كل العلماء والخطباء والكتاب والفنانين. يجب ان تسعى وزارة الخارجية في جعل السفارات تصدر نشرات تبليغية تبين الوجه المضي للاسلام في العالم، اذ لو سطع هذا الوجه بجماله الباهر الذي رسمه القرآن والسنة في كل الابعاد من تحت الاقنعة التي غطاه بها الاعداء وبلاد المتظاهرين بالصدافة، فان الاسلام سيشتع نوره على العالمين. وستترف رايته العزيزة خفاقة في كل مكان. اية مصيبة اعظم وامر من ان يملك المسلمون متاعاً لا نظير له منذ بدء العالم وحتى منتهاه ثم هم لا يستطيعون ان يعرضوا

هذه الجوهرة الثمينة التي ينشدها كل انسان بفطرته السليمة، بل انهم هم ايضاً عنها غافلون وبها جاهلون وعنها احياناً معرضون.

ك - من الامور المصيرية الهامة جداً مسألة مراكز التعليم والتربية ابتداء من رياض الاطفال وحتى الجامعات. وهي لاهميتها الاستثنائية اكررها مكتفياً بالاشارة اليها. على الشعب المقهور ان يعلم ان معظم الضربات المهلكة التي انزلت بايران والاسلام في الخمسين سنة الاخيرة تعود الى الجامعات. فلو أن الجامعات ومراكز التعليم والتربية الاخرى كانت تنهض بعملية التعليم والتهديب وتربية الاطفال والناشئة والشباب وفق منهج اسلامي ووطني، لخدمة مصالح البلاد، لما وقعت بلادنا اطلاقاً في براثن بريطانيا ومن ثم امريكا والاتحاد السوفيتي، ولما فرضت اطلاقاً الاتفاقيات الهدامة على الشعب المحروم المسلوب، ولما انفسح المجال امام دخول المستشارين الاجانب الى ايران، ولما انسابت ثروات ايران وما يملكه هذا الشعب المعذب من ذهب اسود الى جيوب القوى الشيطانية، ولما استطاعت الاسرة البهلوية وبطانتها ان تنهب اموال الشعب، لتبني على جماجم المظلومين المنتزهات (الشخصية) والفيلات في الداخل والخارج، ولتملاً البنوك الاجنبية من كد هؤلاء المظلومين، ولتنفقها في بطرها ومجونها هي وزمرتها.

لو كان المجلس والحكومة والسلطة القضائية وسائر الاجهزة تنبثق من جامعات اسلامية ووطنية لما كان شعبنا اليوم يعاني المشاكل المعقدة. ولو ان شخصيات عفيفة ذات اتجاه اسلامي ووطني بالمعنى الصحيح، لا بالمعنى الذي يطرح اليوم مقابل الاسلام، قد شقت طريقها من الجامعات الى السلطات الثلاث، لكان يومنا هذا غير ما نحن عليه اليوم، ولكان وطننا غير هذا الوطن، ولتحرر محرومونا من قيود الحرمان، ولانطوى بساط الظلم والجور الشاهي ومراكز الفحشاء والادمان والمواخير حيث يكفي كل واحد منها لابادة الجيل الشاب الفعال الكفوء بأجمعه، ولما وصل شعبنا هذا

الميراث المهلك للحرث والنسل. لو كانت الجامعات اسلامية انسانية وطنية لاستطاعت ان تقدم للمجتمع مئات بل الاف المربين ولكن ومع شديد الاسف، كانت ادارة الجامعات والمدارس الثانوية وكانت عملية تعليم وتربية افلاذ اكبانا ممنوعة بايدي المتغربين والمشرقين وفق ما أملي عليهم من برنامج وخطط، عدا اقلية مظلومة محرومة (من الاساتذة والمدرسين). ومن هنا كان لابد لشبابنا الاعزة المظلومين ان يتربوا في احضان هذه الذئاب المرنبطة بالقوى الكبرى وليترجموا على كرسى الشفتين والحكم والقضاء، وليعملوا وفق أوامر النظام البهلوي الجائر. والآن، وقد تحررت الجامعة من برائن هؤلاء المجرمين، فعلى شعب وحكومة الجمهورية الاسلامية دانساً ان لا يدعوا العناصر الفاسدة ذات الاتجاهات الفكرية المنحرفة او الميول القربية والشرقية ان تتوغل في الجامعات والمعاهد العليا وبقية مراكز التعليم والتربية، وان يحولوا دون ذلك من اول خطوة كي لا تحدث مشكلة ويفلت الزمام.

ووصيتي الى الشباب الاعزة في الجامعات والمعاهد العليا والثانويات هي ان يتهضوا بانفسهم وبشجاعة امام الانحرافات كي يصونوا الاستقلال والحرية لانفسهم وبلدهم ولشعبهم.

ل - القوات المسلحة، ابتداء من الجيش والحرس وقوات الدرك والشرطة وانتهاءً باللجان (الثورية) والتعبئة والعشائر، لها خصوصيتها، فهي باعتبارها الواعد المفتولة القوية للجمهورية الاسلامية، وحارسة الشغور والطرق والمدن والقرى، وبالتالي حافظة الامن وواهبه الاستقرار للشعب، يجب ان تكون موضع اهتمام خاص من الشعب والحكومة والمجلس، ومن اللازم ان يفهموا ان اطماع القوى الكبرى والسياسات المخربة تتجه الى القوات المسلحة اكثر من اي شيء ومن أية فئة. فبيد القوات المسلحة وبواسطة الألعاب السياسية تنفذ الانقلابات العسكرية وتُغَيَّر الانظمة والحكومات، ويعمد النفعيون الماكرون الى شراء ذمة بعض قادة (هذه القوات)، وتم

السيطرة على البلد بأيدي هؤلاء وقادة المؤامرات المغرّر بهم؛ وبذلك يخضعون الشعوب المظلومة لسلطتهم ويصادرون من البلدان الاستقلال والحرية. ولو أن الامر تصدى له قادة عفيفون لما تسنى لاعداء البلدان أن ينفذوا فيها مؤامرة او ان يحتلوها اطلاقاً، وإن تسنى لهم ذلك مرّة فسيواجهون الفشل والهزيمة على يد القادة الملتزمين.

وفي ايران، حيث تحققت معجزة العصر بيد الشعب، كان للقوات المسلحة الملتزمة والقادة التزيهين الوطنيين النصيب الأوفى فيها.

واليوم، حيث الحرب الملعونة التي فرضها صدام التكريتي بأمر أمريكا وسائر القوى الاستكبارية وبمساعدهتها تواجه، بعد ما يقارب الستين، هزيمة سياسية وعسكرية للجيش البعثي المعتدي وحماته المتسلطين وعملائهم، فان القوات المسلحة النظامية والانتظامية والحرس والقوات الشعبية وبدعم متواصل من الجماهير في الجبهات وخلف الجبهات، سجلت مرّة أخرى هذه المفخرة الكبرى ورفعت رأس ايران عالياً.

كما أنّ اعمال الشعب والمؤامرات الداخلية التي عبأت لها الدمى المرتبطة بالغرب والشرق أنفسها من أجل الاطاحة بالجمهورية الاسلامية قد أحبطت بسواعد شبان اللجان (الثورية) وحرس التعبئة والشرطة بمساعدة الشعب الفيور. وهؤلاء الشباب المضحون الاعزاء هم اليوم يسهرون لكي تحيا الأسر في أمان. كان الله في عونهم واخذ بيدهم.

اذن، اوصي القوات المسلحة عامة وصية اخوية وأنا أخطو الخطوات الاخيرة من عمري (واقول لهم): أيها الاعزة العاشقون للاسلام، وبامن تواصلون التضحيات في الجبهات والاعمال الرائعة في ارجاء البلاد يحدوكم في ذلك حب لقاء الله، كونوا واعين يقظين، فاصحاب الالاعيب السياسية والسياسيون المحترفون المتغربون والمتشرقون والايدي الخائنة المشبوهة خلف الكواليس قد صوّبت رؤوس حرابها

الخيانية الاجرامية صوبكم من كل جانب ونحوكم - انتم ايها الاعزاء - اكثر من أية فئة اخرى. ويستهدفون استغلالكم، انتم ايها الاعزة الذين سجلتم بتضحياتكم الانتصار للثورة والحياة للاسلام، للاطاحة بالجمهورية الاسلامية، وأن يعزلوكم عن الاسلام وعن الشعب باسم الاسلام وباسم خدمة الوطن والشعب، ثم يلقوكم في احضان احد القطبين الطامعين الدوليين، وبذلك يبددوا اتعابكم وتضحياتكم باحاييل سياسية وبمكائد تنمص ظواهر اسلامية ووطنية.

ووصيتي المؤكدة للقوات المسلحة هي الالتزام والعمل بمقررات النظام القاضية بعدم انتماء العسكريين الى التجمعات الحزبية والفئوية الجبهوية، وعلى القوات المسلحة عامة النظامية والانتظامية والحرس والتعبئة وغيرهم أن يمتنعوا عن الدخول في اي حزب وتجمع وأن يبتعدوا عن الالاعيب السياسية. وفي هذه الحالة يستطيعون أن يحافظوا على مقدرتهم العسكرية وأن يأمنوا الاختلافات الفئوية. وعلى قادة الجيش منع من هم تحت امرتهم من الدخول في الاحزاب.

ولما كانت الثورة ثورة كل الشعب، وعلى الجميع صيانتها، فإن الواجب الشرعي والوطني يفرضان على الحكومة والشعب ومجلس الدفاع ومجلس الشورى الاسلامي أن يعارضوا منذ البداية القوات المسلحة على مستوى كبار القادة او على المستويات الاخرى فيما لو أرادت أن تقدم على عمل يتعارض مع مصالح الاسلام والبلاد، أو أن تنتمي الى الاحزاب حيث سيؤدي حتماً الى دمارها، أو أن تدخل في الالاعيب سياسية. وعلى القائد ومجلس القيادة أن يحولوا دون ذلك بحزم كي يُصان البلد من الاخطار.

اتقدم الى القوات المسلحة في نهاية حياتي الترابية بوصية مشفقة أن استقيموا على وفائكم - كما انتم اوفياء اليوم - للاسلام الذي هو المدرسة الوحيدة للحرية والاستقلال، وبنور هدايته يدعو الله جميع (البشرية) الى السمو الانساني. فهو الذي ينقذكم وبلدكم وشعبكم من عار التبعية والانقياد الى قوى لا هدف لها سوى استعبادكم وسوى جر بلادكم وشعبكم العزيز الى الانحطاط والى (الانغماس في) سوق الاستهلاك

والخضوع لوطأة الظلم والاذلال.

وعليكم ان تفضلوا الحياة الكريمة وإن اقتربت بالمشاكل، على حياة ذليلة (مقرونة) بالاستعباد للاجانب وإن صحبها رفاه حيواني. واعلموا انكم ما ظلمتم في (تأمين) احتياجاتكم من الصناعات المتطورة تمدون ايديكم الى الاخرين، وتقضون عمركم بالاستجداء، فإن قدرة الابتكار في الاختراعات سوف لن تفتح فيكم.

ولقد رأيتم بأمر اعينكم في هذه الفترة القصيرة بعد المقاطعة الاقتصادية أن اولئك الذين كانوا يشعرون بالعجز عن صنع أي شيء، ويثون اليأس في قلوب اولئك الذين يريدون تشغيل المصانع، قد استخدموا فكرهم لسد الكثير من احتياجات الجيش والمصانع. وانه لمن العطايا الالهية التي كنا عنها غافلين، نشوب هذه الحرب والمقاطعة الاقتصادية واخراج الخبراء الاجانب. والآن، إن اقدم (رجال) الحكم والجيش بأنفسهم على مقاطعة بضائع الطامعين الدوليين وصعدوا من جهدهم وسعيهم على طريق الابتكار والاختراع فمن المؤمل ان تصل البلاد الى حد الاكتفاء الذاتي وتنجو من استجداء الاجانب.

وهنا يجب أن أضيف أن حاجتنا إلى الصناعات المتطورة للدول الاجنبية حقيقة لا تقبل الانكار، بعد كل ما مرّ علينا من انحطاط مفروض. غير أن هذا لا يعني ضرورة التبعية لاحد القطبين في العلوم المتطورة. على الحكومة والجيش أن يسعيا لارسال طلاب ملتزمين إلى البلدان التي تملك الصناعات الثقيلة المتطورة والتي ليس لديها ميول استعمارية. وأن يتجنبنا الارسال إلى امريكا والاتحاد السوفيتي والبلدان الاخرى التي تحذو حذو هذين القطبين، اللهم الا اذا تسنى لهاتين القدرتين - ان شاء الله - يوماً أن تميا اخطائهما وأن تتجها في مسير الانسانية وحبّ النوع الانساني واحترام حقوق الآخرين. أو أن يكبح مستضعفو العالم والشعوب الواعية والمسلمون الملتزمون - بإذن الله - جماح (هاتين القدرتين). على أمل مثل ذلك اليوم.

م - الاذاعة والتلفزيون والصحافة والسينما والمسرح من الادوات الفعالة في افساد الشعوب وتخديرها وبخاصة جيل الشباب. ما اكثر المخططات الكبرى التي خططت عن طريق هذه الادوات خلال هذا القرن الاخير وبخاصة النصف الثاني منه سواء ما استهدف منها معاداة الاسلام، او معاداة علماء الدين المخلصين، او ما اتجه للدعاية للمستعمرين الغربيين والشرقيين!!

من هذه الادوات استفادوا لاصطناع الاسواق الاستهلاكية للبضائع وخاصة الكمالية والتزينية بكل انواعها (دافعين الناس) الى التقليد في الابنية وديكوراتها، ومظاهرها الكمالية، والتقليد في كيفية الاستفادة من المشروبات والملابس على طريقتهم (الاوربية). حتى عاد التفاخر في تقليد الغرب سائداً في جميع شؤون الحياة، في السلوك والكلام والذي، وبخاصة بين النساء المرفهات وشبه المرفهات. وهكذا التقليد في تقاليد المعاشرة وطريقة الكلام واستعمال الالفاظ الغربية في الحديث والكتابة حتى عاد فهم كلام هؤلاء صعباً على كثير من الناس بل على نظرائهم ايضاً.

الافلام التلفزيونية كانت من منتجات الغرب او الشرق، وكانت تبعد الشباب ذكوراً واناثاً عن المسير الصحيح للحياة، وعن العمل والصناعة والانتاج وتدفعهم الى الجهل بذاتهم وبشخصيتهم، او الى التشاؤم وسوء الظن بكل شيء اصيل لديهم ولدى بلدهم، بما في ذلك الثقافة والآداب والمآثر القيمة التي انتقل الكثير منها بيد الخائنين النفعيين الى المكتبات والمتاحف الغربية والشرقية.

المجلات، بمقالاتها وصورها الخليعة والمؤسفة، والصحف، بتسابقها في كتابة مقالات معادية للاصالة الثقافية والاسلامية، كانت تفخر بأن تدفع الجماهير وخاصة فئة الشباب الفعالة نحو الغرب او الشرق. اصف الى ذلك الدعايات الواسعة في اشاعة مراكز الفساد والفحشاء، ومراكز القمار والميسر واليانصيب وحانات الخمر، وحوانيت بيع البضائع الكمالية ووسائل التجميل واللعب والمشروبات الكحولية، وبخاصة ما يستورد منها من الغرب. ومقابل تصدير النفط والغاز والثروات الاخرى

كانت تستورد الدمى واللُّعب والتحف الكمالية ومئات الاشياء الاخرى مما ليس لمثلي الاطلاع عليها. ولو قَدَّر - لا سمح الله - ان يمتدَّ عمر النظام البهلوي المأجور المخزَّب لاوشك شبابنا الاكفاء من ابناء الاسلام والوطن وممن تعقد الامة عليهم الآمال، بما تحيطهم من دسائس وخطط شيطانية يدبرها النظام الفاسد ووسائل الاعلام والمثقفون المتفربون والمثشقون، ان يعرضوا تماماً عن الامة والاسلام، فيضيعوا شبابهم في مراكز الفساد او ينخرطوا في خدمة القوى الطامعة، ويبيدوا بذلك البلاد.

لقد منَّ الله علينا وعليهم وانقذنا من شرِّ المفسدين الناهيين.

والآن وصيتي الى مجلس الشورى الاسلامي في الحاضر والمستقبل ورئيس الجمهورية ورؤساء الجمهورية التالين والى مجلس مراقبة الدستور ومجلس القضاء الاعلى والحكومة في كل زمان هي ان لا يدعوا هذه الاجهزة الاعلامية والصحافة والمجلات تنحرف عن مصالح البلاد. وعلينا جميعاً ان نعلم ان الحرية بشكلها الغربي المؤدى الى افساد الشباب بذكورهم واناثهم، هي مدانة من وجهة نظر الاسلام والعقل. وكل دعاية ومقال وخطبة وكتاب ومجلة تتعارض مع الاسلام والعفة العامة ومصالح البلاد، هي حرام، ويجب علينا جميعاً وعلى كل المسلمين ان يحولوا دونها. وان يحال دون الحريات الهدامة. ولو لم يتخذ موقف حاسم تجاه ما هو حرام شرعاً، وما يتعارض مع مسار الشعب والبلد الاسلامي وكرامة الجمهورية الاسلامية فكلنا مسؤولون (عن ذلك) والجماهير وشباب حزب الله، ان واجهوا احد الامور المذكورة، عليهم ان يراجعوا الاجهزة المعنية، فان قصرت فهم انفسهم مكلفون بصدِّ (هذا الانحراف). كان الله في عون الجميع.

ن - نصيحتي ووصيتي الى التجمعات والفئات والاشخاص الذين يعملون بضدِّ الشعب والجمهورية الاسلامية والاسلام، (ابداها) اولاً برؤوسهم في الخارج والداخل (واقول): ان التجربة الطويلة يجب ان تكون قد علمتكم، باعتباركم تدعون العلم

والعقل، بانكم التي اي سبيل لجأتم واية مؤامرة ارتكبتم وبأي بلد وشخصية توسلتم، لا تستطيعون ان تغيروا مسيرة شعب مُضَعَّح عن طريق الاغتيال والتفجير والقنابل ونشر الاكاذيب انجوفاء غير المدروسة. ولن يمكن اطلاقاً اسقاط اية حكومة ودولة بهذه الاساليب اللإنسانية واللامنطقية. وبخاصة في ايران حيث الشعب باطفاله الصفار وبشيوخه وعجائزه الكبار يبذلون النفس والنفيس في سبيل المبدأ ونظام الجمهورية الاسلامية والقرآن والدين. انتم تعلمون - وان لم تعلموا فتلك سذاجة في تفكيركم - ان الشعب ليس معكم، والجيش يعاديكم. ولو كانوا معكم - فرضاً - وكانوا اصدقاءكم، فنصرفاتكم الفجأة والجرائم التي حدثت بتحريض منكم قد أدت الى ان يبتعد اولئك عنكم. وما استطعتم ان تفعلوا شيئاً سوى خلق الاعداء لكم.

أوصيكم في هذه الايام الاخيرة من عمري وصية من يريد لكم الخير (واقول): انكم اولاً قد اعلنتم حرباً وخصاماً على هذا الشعب الكادح المبتلى بالطاغوت الذي حرر نفسه بعد الفين وخمسائة عام من نير ظلم مجرمين كنظام بهلوي والناهيين الدوليين الشرقيين والغربيين. فكيف يرضى ضمير انسان - مهما كان - ان يسلك مثل هذا السلوك تجاه وطنه وشعبه، وان لا يرحم صغيرهم ولا كبيرهم، في سبيل الوصول الى منصب؟! انا انصحكم ان تكفوا عن هذه الاعمال العقيمة وغير المعقولة، وان لا تتخذعوا بالطامعين الدوليين. وايضا كنتم عودوا الى احضان وطنكم والاسلام ان لم تكونوا قد ارتكبتم جريمة، وتوبوا الى الله فهو ارحم الراحمين. وستصفح عنكم الجمهورية الاسلامية، ويعفو عنكم الشعب ان شاء الله، وان كنتم قد ارتكبتم جريمة، فحكم الله فيكم واضح، عودوا ايضاً من منتصف الطريق وتوبوا، وسلموا انفسكم للعدالة ان كنتم تمتلكون الشهامة وبذلك تنقذون انفسكم من عذاب الهي أليم. والا، فايضا كنتم اتجهوا الى اعمال اخرى ففيها صلاحكم ولا تهدروا عمركم أكثر من هذا.

ثم اوصي مؤيديهم في الداخل والخارج (واقول): باي دافع تهدرون شبابكم في سبيل من ثبت انهم يخدمون القوى الطامعة الدولية، وينفذون مخططاتها ويقعون

جاهلين في شراكها؟! في سبيل مَنْ هذه الجفوة بحق شعبكم؟! انتم قد انطلت عليكم الأعيب هؤلاء. فان كنتم في ايران فانكم تشاهدون بام اعينكم ان الجماهير المليونية وفة للجمهورية الاسلامية ومضحية في سبيلها، تشاهدون بأم اعينكم سعي الحكومة والنظام الحالي سعيًا دائماً مخلصاً لخدمة الشعب والفقراء. واولئك الذين يدعون الشعبية و(يسمون انفسهم) مجاهدي الشعب، وفدائيي الشعب قد ناصبوا عباد الله العدا واستغلوا بساطتكم انتم ايها الشباب والشابات لاهدافهم واهداف احد القطبين الطامعين الدوليين. وهم اما ان يعيشوا منعمين في الخارج في أحضان احد القطبين المجرمين، أو انهم يعيشون في الداخل في بيوت فخمة اتخذوها اوكاراً حزبية يقضون فيها حياة ارستقراطية كحياة المجرمين الأشقياء، ويواصلون جرائمهم، ثم يدفعونكم انتم الشباب الى هاوية الموت.

انصحكم نصيحة مشفق انتم ايها الناشئة والشباب (المخدوعون) في الداخل والخارج ان تعودوا عن هذا الطريق الخاطيء، وان تتحدوا مع محرومي المجتمع الذين يخدمون الجمهورية الاسلامية بكل تفان واخلاص. وابدلوا الجهد من اجل ايران مستقلة حرة، كي يتخلص الوطن والشعب من شرّ الاعداء. وحثوا الخطى معاً على طريق حياة مشرفة. لِمَ والامَ تأتمرون باوامر اشخاص لا يفكرون الا بمصالحهم الشخصية، اشخاص يعيشون في احضان القوى الكبرى وفي ظل حمايتها مستخذين موقف العدا من شعبهم، ويقدمونكم ضحية لاهدافهم المشؤومة والتسلطية. لقد رأيتم في هذه الاعوام (التي اعقت) انتصار الثورة ان ادعاءاتهم تعارض مع سلوكهم وعملهم. وما ادعاءاتهم الا لخداع الشباب البسطاء. وتعلمون انكم لا قدرة لكم على الوقوف امام السيل الشعبي الهادر. ولا نتيجة لاعمالكم سوى الضرر عليكم والاتلاف لعمركم. لقد اديت مهمتي في الهداية، وأمل ان تفتحوا آذانكم لهذه النصيحة التي تصلكم بعد موتي ولا تشوبها شائبة طلب السلطة، وان تنقذوا انفسكم من عذاب الله الاليم. اسأل الله ان يمنَ عليكم بالهداية ويهديكم الصراط المستقيم.

وصيتي الي اليساريين مثل الشيوعيين وفدائيي الشعب وسائر الفصائل ذات الميول اليسارية هي انكم اقتنعمت بعقيدة قد فشلت في عالمنا المعاصر، دون دراسة صحيحة منكم للمدارس الفكرية والمدرسة الاسلامية لدى افراد لهم اطلاع صحيح على الاتجاهات الفكرية وبخاصة الاسلام، فما الذي دفعكم الي هذا الانتعاق؟! وما الذي جعل قلوبكم تطمئن الي معتقدات ثبت خواء محتواها لدى اهل التحقيق. وما دافعكم في هذا الاتجاه نحو القاء بلدكم في احضان الاتحاد السوفيتي او الصين، ونحو اعلان الحرب على شعبكم وتدمير المؤامرات لصالح الاجنبي ضد بلدكم وضد الجماهير الكادحة تحت شعار الدفاع عن الجماهير!؟

انكم ترون ان رواد الشيوعية منذ بداية تأسيسها قد اقاموا حكومات كانت ولا تزال اشد حكومات العالم دكتاتورية وتسلطاً واحتكاراً للسلطة. ما اكثر الشعوب التي سحقت تحت اقدام الاتحاد السوفيتي المنادي بالدفاع عن الجماهير، وفقدت كل ما لديها.

ابناء الشعب الروسي مسلمون وغير مسلمين، يتلملون حتى الان تحت الضغط الديكتاتوري للحزب الشيوعي^(٢٦). وهم محرومون من كل ألوان الحرية، ويقبعون في اختناق لا يبلغه الاختناق في النظم الديكتاتورية في العالم. وستالين، الذي كان من الوجوه اللامعة في الحزب كما يسمي رأينا (فترة حكمه) من وبدئها حتى نهايتها، وما كانت تحيطه من مظاهر الأبهة، وما كانت له من حياة ارسقراطية. والآن، حيث تضحون انتم المخدوعون حياً بذلك النظام، فان ابناء الشعب السوفيتي المظلوم وشعوب البلدان الدائرة في فلكه مثل افغانستان يموتون تحت وطأة ظلم (السوفيت). ثم انكم يا من تدعون الدفاع عن الجماهير ترتكبون الجرائم الفظيعة، حيشما استطعتم، بحق هذه الجماهير المحرومة. وما اكثر الجرائم التي ارتكبتوها بحق اهالي مدينة «أمل» الشرفاء^(٢٧) الذين تصورتهم خطأ أنهم ممن يؤيدونكم بقوة، فخذعتم مجموعة منهم ودفعتموهم الي محاربة الشعب والحكومة، والقيتموهم في هاوية الهلاك. وأية

جريمة لم ترتكبوها!! وأنتم المدافعون عن الجماهير المحرومة! تريدون اخضاع الشعب الايراني المظلوم والمحروم تحت سيطرة الدكتاتورية السوفيتية. وتستهدفون تنفيذ هذه الخيانة تحت غطاء فدائيي الشعب والدفاع عن المحرومين!! مع فارق هو ان حزب توده ورفاقه يتآمرون بالتستر وراء تأييد الجمهورية الاسلامية، والمجموعات الاخرى باللجوء الى الاسلحة والارهاب والتفجير.

اوصي كل الاحزاب والمجموعات، سواء ما عرف منها باليسارية، وان كانت بعض الشواهد والقرائن تدل على انهم شيوعيون امريكيون، او تلك التي ترتزق من الغرب وتستلهم منه، او تلك التي حملت السلاح باسم الحكم الذاتي والدفاع عن الاكراد والبلوش واحلت الشعب المحروم في كردستان والمناطق الاخرى دار البوار، وحالت دون ان تقدم حكومة الجمهورية خدماتها الثقافية والصحية والاقتصادية والعمرائية في تلك المحافظات، مثل الحزب الديمقراطي وحزب كومله (اوصيهم) ان يلتحقوا بالشعب، وقد جربوا حتى الآن انهم لم يفعلوا شيئاً سوى جرد البؤس والشقاء على اهالي تلك المناطق، ولن يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً. فمصلحتهم ومصلحة شعبهم ومناطقهم تقتضي اذن ان يتعاونوا مع الحكومة وان يكفوا عن التمرد وعن خدمة الاجانب وخيانة الوطن، وان يباشروا بإعمار البلاد، وليكونوا واثقين ان الاسلام افضل لهم من القطب الغربي المجرم والقطب الشرقي الديكتاتوري. وانه يحقق بنحو أحسن الآمال الانسانية للجماهير.

ووصيتي الى المجموعات الاسلامية التي كانت تبدي - عن اشتباه - ميولاً الى الغرب احياناً، وحياناً الى الشرق، وكانت تؤيد أحياناً المنافقين الذين ظهرت خيانتهم الآن، وكانت تصب اللعن والطعن احياناً عن خطأ واشتباه، على الواقفين بوجه اعداء الاسلام؛ أن لا يصروا على اخطاءهم، وان يعترفوا بشهامة اسلامية بأخطائهم، وان تلتحم اصواتهم وخطاهم مع الحكومة والمجلس والشعب المظلوم ابتغاء وجه الله؛ وأنفاذ مستضعفي التاريخ هؤلاء من شر المستكبرين.

ضعوا كلام المرحوم «المدرّس»^(٢٨) ذلك العالم الديني الملتزم الطاهر في سيرته والنقي في تفكيره نصب اعينكم، حيث قال في ذلك المجلس الكئيب آنذاك: الآن اذا كان لا بدّ أن نباد فلماذا نباد بأيدينا. وأنا اليوم ايضاً اجدد ذكرى ذلك الشهيد في سبيل الله، واقول لكم يا اخوتي في الايمان: لو اننا فُئينا عن ظهر البسيطة باليد الآثمة الامريكية والسوفيتية، ولاقينا ربنا بدم فان لقاء مشرفاً، لكان ذلك افضل من ان تكون لنا حياة مترفة مرفهة تحت راية الجيش الاحمر الشرقي والاسود الغربي. وهكذا كانت سيرة الانبياء العظام وائمة المسلمين واعلام الدين المبين، ويجب ان نفتدي بها.

يجب ان يسودنا الاعتقاد ان آية امة من الامم تستطيع ان تعيش متحررة من التبعية ان ارادت ذلك. القوي المتجربة العالمية لا تستطيع ان تفرض على شعب شيئاً يخالف معتقداته، يجب أخذ العبرة من افغانستان حيث لم يستطع الاتحاد السوفيتي - على الرغم من وقوف الحكومة الفاصبة والاحزاب اليسارية التي جانبه - ان يقمع حتى الان جماهير الشعب.

لقد استيقظت الشعوب المحرومة في العالم وبعد مدة لن تطول، سوف تتحوّل هذه اليقظة الى انتفاضة ونهضة وثورة لتحرر نفسها من سيطرة الظالمين المستكبرين. وانتم ايها المسلمون الملتزمون بالقيم الاسلامية ترون ان الانفصال والاستقلال عن الشرق والغرب قد بدأ يؤتي ثمار بركاته. فالأدمغة المفكرة الوطنية قد تحركت وها هي تتقدم نحو الاكتفاء الذاتي. وما كان الخبراء الخونة الغربيون والشرقيون يصورونه لنا محالاً، قد تحقق اليوم بمقدار ملحوظ على يد الشعب وبفكره، وسوف يتحقق كاملاً ان شاء الله تعالى على المدى البعيد.

ومع شديد الأسف، ان هذه الثورة قد حققت نصرها في وقت متأخر، ولم يتحقق هذا النصر - على الاقل - في اول ايام الحكم المتجبر القذر لمحمدرضا (بهلوي)، ولو كان قد تحقق ذلك لكانت ايران المنهوية غير ايران هذه.

وصيتي الي (السليبين من) الكتاب والخطباء والمثقفين والى محترفي

الاعتراضات وذوي العقد (النفسية) هي انكم بدل ان تنفقوا وقتكم في (السير) خلاف مسيرة الجمهورية الاسلامية، وتهدروا كل طاقاتكم في خلق التشاؤم والحقد والطمع في المجلس والحكومة وسائر العاملين في خدمة (الشعب)، وبذلك تدفعون ببلدكم الى (احضان) القوى الكبرى، (بدل ان تفعلوا ذلك) اختلوا بربكم ليلة وان لم تكونوا مؤمنين بالله.. اختلوا بضمائركم، وراجعوا دافعكم الداخلي حيث يصادف كثيراً ان يكون الانسان جاهلاً به. وانظروا بأي معيار وبأي انصاف تغضون الطرف عن دماء هؤلاء الشباب المبضعين في الجبهات والمدن. ولماذا انترتم حرب اعصاب بوجه شعب يستهدف التحرر من نير الظالمين والغزاة الاجانب، وقد نال استقلاله وحرية بالتضحية بالنفس وبالآبناء الاعزاء، ويروم ان يصون تلك (المكتسبات) بتقديم التضحيات، وتوججوا الاختلافات وتديرون المؤامرات الخيانية، وتمهدون الطريق امام المستكبرين والظالمين؟! أليس من الافضل ان تنهضوا بفكركم وقلمكم وبيانكم لتوجيه الحكومة والمجلس والشعب نحو صيانة الوطن؟! الا يجدر بكم ان تشدوا أزر هذا الشعب المظلوم المحروم، وتعملوا بتعاضدكم على استتباب الحكومة الاسلامية؟! أعتقدون ان وضع هذا المجلس ورئيس الجمهورية والحكومة والسلطة القضائية أسوأ مما كان في عصر النظام السابق؟! أنسيتم ما كان يُنزَلُ ذلك النظام الملمعون من ألوان الظلم بحق هذا الشعب المظلوم المضيق؟! أما كنتم تعلمون ان (هذا) البلد الاسلامي كان آنذاك قاعدة عسكرية لأمريكا، التي كانت تعامله كمستعمرة لها، وكان كل شيء في قبضتهم ابتداءً من المجلس والحكومة وحتى القوات المسلحة؟! وماذا كان مستشاروهم وصناعيوهم واختصاصيوهم يفعلون بهذا الشعب وبشرواته؟! هل إمحن من اذهانكم ما كان سائداً في جميع أرجاء البلاد من فحشاء ومراكز فساد، ومواخير، ومحلات للعب القمار وشرب الخمر وبيعها ودور سينما (خليمة) ومراكز اخرى يكفي كل واحد منها لأن يكون عاملاً كبيراً في إبادة جيل الشباب؟! هل نسيتم وسائل اعلام ذلك النظام ومحلاته المفسدة تماماً وصحفة؟!

والآن، وقد زالت آثار أسواق الفساد تلك، فانكم ترفعون عقيرتكم بالاعتراض على ما ارتكبت من أعمال غير قانونية في عدد من المحاكم وعلى يد عدد من الشباب الذين من الممكن ان يكونوا من المجموعات المنحرفة المتغلغلة (في أجهزة الدولة) من أجل الاساءة التي سمعة الاسلام والجمهورية الاسلامية و(بالاعتراض) على إعدام عدد من المفسدين في الارض، المعلنين الحرب على الاسلام والجمهورية الاسلامية. وتقفون الى جانب الذين يدينون الاسلام بصراحة، ويعلنون ضده حرباً مسلحة، او حرباً بالقلم واللسان، وهي حرب ارجع من الحرب المسلحة. وتمدون يد الاخوة اليهم. وتسمون من اهدر الله دمهم بانهم ثرة اعينكم. وتجلسون متفرجين الى جانب الماكرين الذين اثاروا مأساة «١٤ اسفند»^(٢٩) وضربوا فيها الشباب الابرياء وشتموهم. هل عملكم هذا اسلامي واخلاقي؟! بينما عمل الحكومة والسلطة القضائية الذي يقتص من المعاندين والمنحرفين والملحدن يستيركم ويجعلكم ترفعون اصواتكم بالتظلم!!

اسفي عليكم ايها الاخوة الذين أعلم الى حد ما بماضيكم، ولي علاقة وذ ببعضكم، لا على أولئك الاشرار الذين تلبسوا بلباس الأخيار، والذئاب الذين تقنعوا بقناع الرعاة، والماكرين الذين مكروا بالجميع وسخروا من الجميع، وعمدوا الى إبادة الوطن والشعب والتي الانضواء في خدمة واحد من القطبين الطامعين.

أولئك الذين قتلوا بأيديهم الآئمة القذرة الشباب والرجال الكبار والعلماء المربين في المجتمع ولم يرحموا (حتى) الاطفال الأبرياء، قد فضحوا انفسهم في المجتمع، وخذلوا انفسهم امام الله الواحد القهار. ولم يعد لهم طريق للعودة، لان شيطان النفس الامارة قد هيمن عليهم. اما انتم ايها الاخوة المؤمنون فلماذا تكتفون بالشكوى ولا تهتمون بمساعدة رجال الحكومة والمجلس الذين يسعون لخدمة والمظلومين الحفاة العراة المحرومين من كل هبات الحياة؟! هل قارنتم حجم الخدمات التي قدمتها الحكومة ومؤسسات الجمهورية الاسلامية خلال هذه المدة القصيرة مع كل المشاكل والملابس التي تعقب أبة ثورة، ومع الحرب المفروضة بخسائرها، ومع الملايين من

المشردين من الخارج ومن الداخل، ومع ما لا حصر له من العقبات المفتعلة، بالخدمات العمرانية للنظام السابق؟! ألا تعلمون ان الاعمال العمرانية في ذلك العصر كانت مختصة تقريباً بالمدن بل بالمناطق المرفهة من المدن، وأن الفقراء والمحرومين كانوا ينالون حظاً تافهاً من تلك الخدمات او لم ينالوا منها اصلاً؟!

اعضاء الحكومة الحالية والمؤسسات الاسلامية يبذلون الجهد بتفان واخلاص من أجل هذه الفئة المحرومة. وانتم ايها المؤمنون كونوا عوناً للحكومة، كي تنجز الاعمال بسرعة وكي تلاقوا رب العالمين - وستلاقوه شتتم أم أبيتم - بوسام خدمة عبادِهِ. «هذا المقدار المقصوح فعلته بنفسي»^(٣٠).

س - من الامور التي تستلزم التوصية والتذكير هي ان الاسلام لا يتفق مع نظام الرأسمالية الظالم المتسبب والمؤدي الى حرمان الجماهير المظلومة المسحوقة. بل يدينه بقوة في الكتاب والسنة ويعتبره معارضا للعدالة الاجتماعية، وعلى الرغم من وجود بعض ذوي الفهم المنحرف والجاهلين بطبيعة نظام الحكومة الاسلامية وبالمسائل السياسية الموجودة في الاسلام، الذين كانوا ولا يزالون يوحون في اقوالهم وكتاباتهم ان الاسلام يؤيد الرأسمالية والملكية (الخاصة) دون أي حد أو حصر، وبهذا الفهم المعوج عن الاسلام يسترون وجه الاسلام النير، ويمهدون السبيل للمفرضين وأعداء الاسلام كي يطعنوا في الاسلام ويعتبروه نظاماً كالنظام الرأسمالي الغربي السائد في أمريكا وبريطانيا وسائر البلدان الغربية الجشعة. هؤلاء (المفرضون) يستندون الى أقوال وافعال اولئك الجهلة عن قصد او عن بلادة، ودون الرجوع الى علماء الاسلام الحقيقيين، فيهبون لمعارضة الاسلام.

وليس الاسلام ايضاً كالنظام الشيوعي، والماركسي اللينيني الذي ينفي الملكية الفردية ويعلن مفهوم الاشتراك (في كل شيء) على اختلاف كبير بين هذا المفهوم في العصور القديمة والحديثة، بما في ذلك الاشتراك في المرأة والجنس، والذي ينطوي على دكتاتورية واستبداد ساحق.

بل إن الاسلام نظام متوازن يعترف بالملكية ويحترمها مع تحديد لسبل الحصول على الثروة وسبل انفاقها. ولو طبق هذا النظام حق التطبيق لأدّى الى دفع عجلة الاقتصاد السليم الى الامام ولتحققت العدالة الاجتماعية.

وهنا أيضاً توجد فئة تقف بفهمها المموّج وبجهلها بالاسلام والاقتصاد السليم مقابل المجموعة الاولى (المساندة للرأسمالية)، فتمسك احياناً ببعض الآيات وبعبارات من نهج البلاغة لتعرض الاسلام على انه يتفق والمدارس الفكرية المنحرفة كالماركسية وأمثالها، غاضين الطرف عن سائر الآيات فقرات نهج البلاغة الاخرى، وانتهجوا، بضيق نظر وبفهم قاصر، المذهب الاشتراكي، وأعلنوا تأييدهم للكفر والدكتاتورية والاضطهاد القاتل، حيث تهدر القيم الانسانية وتعامل اقلية حزبية جماهير الشعب معاملة البهائم.

وصيتي الى المجلس، ومجلس مراقبة الدستور والحكومة ورئيس الجمهورية ومجلس القضاء الاعلى هي ان يكونوا خاضعين لاحكام الله تعالى، وان لا يقموا تحت تأثير الدعايات الجوفاء للقطب الظالم الرأسمالي الناهب والقطب الملحد الاشتراكي والشيوعي، وان يحترموا الملكية والثروة المشروعة في اطار الحدود الاسلامية، وازرعوا الثقة في نفوس المواطنين كي توظف الاموال في الفعاليات البناءة، لتساهم في دفع الحكومة والبلاد الى الاكتفاء الذاتي وفي تطوير الصناعات الخفيفة والثقيلة. واوصي الاثرياء واصحاب الاموال المشروعة ان يوظفوا أموالهم في الفعاليات المشمرة، في المزارع والارياض والمصانع، فتلك هي عبادة عظيمة.

واوصي الجميع بالسعي من اجل رفاه الطبقات المحرومة. إذ أن خير دنياكم وأخراكم في الاهتمام بأحوال محرومي المجتمع الذين كانوا طوال تاريخ سيطرة النظام الشاهي وسيطرة الخوانين في مشقة وعذاب. وما أحسن تطوع ذوي اليسار لبناء مساكن لسكنة الاكواخ والصرائف وتوفير سبل الرفاه لهم. وليثقوا أن في ذلك خير الدنيا والآخرة. وليس من الانصاف أن يفترق فرد المأوى وأن يمتلك فرد آخر الشقق السكنية.

ع - وصيتي الى تلك الفئة من رجال الدين المتلبسين بلباس علماء الدين الذين يعلنون معارضتهم للجمهورية الاسلامية ولمؤسساتها بدوافع مختلفة، ويكرسون أوقاتهم للاطاحة بها، ويتعاونون مع المعارضين المتآمرين ومحترفي الألاعيب السياسية. وحياناً، يقدمون لهم المساعدات الضخمة - كما ينقل - على طريق هذا الهدف، من الاموال الطائلة التي يستلمونها من الرؤساء المسلمين الغافلين عن الله، (وصيتي اليهم) هي: إنكم لم تنالوا شيئاً من هذا التخبط الأهوج ولا اظن أنكم ستنالون شيئاً في المستقبل ايضاً. فالأفضل لكم ان كنتم تفعلون ما تفعلون من اجل الدنيا، ويأبى الله ان تصلوا الى اهدافكم المشؤومة، فاعتذروا الى الباري مادام باب التوبة مفتوحاً. وضموا اصواتكم الى الشعب المظلوم، وساندوا الجمهورية الاسلامية التي انبثقت بتضحيات الجماهير، ففي ذلك خير الدنيا والاخرة، وان لم أظن أنكم توفقون الى التوبة.

وأما تلك المجموعة التي تتخذ من بعض الاخطاء العمدية والعفوية الصادرة من مختلف الاشخاص او المجموعات والمخالفة لاحكام الاسلام، ذريعة للمعارضة الشديدة مع اصل الجمهورية الاسلامية وحكومتها وينشطون - في سبيل الله! - للاطاحة بها، متصورين أن هذه الجمهورية أسوأ من النظام الملكي أو مثله (فاوصيهم) أن يتفكروا في الخلوات بنية صادقة، وأن يقارنوا بإنصاف (هذا النظام) بالنظام السابق وحكومته آخذين بنظر الاعتبار أن ما يصحب ثورات الدنيا من هرج ومرج وشطط وانتهازية امر لا يمكن اجتنابه.

وإذا أخذتم بنظر الاعتبار مشاكل هذه الجمهورية من قبيل المؤامرات، والاعلام الكاذب، والهجوم المسلح من خارج الحدود وفي الداخل، والاختراقات التي يتمسّر اجتنابها والتي تعمد اليها المجموعات المفسدة والمعادية للاسلام في جميع أجهزة الدولة من اجل اثاره سخط الناس على الاسلام والحكومة الاسلامية، وحادثة عهد أكثر او كثير من المسؤولين بأعمالهم ونشر الدعايات الكاذبة من قبل اولئك الذين

انقطعت عائداتهم الضخمة غير المشروعة او تضاءلت، والنقص الهائل في عدد القضاة الشرعيين والمشاكل الاقتصادية القاصمة، والمصاعب الكبيرة في تطهير وتهذيب الملايين من متصدّي الامور، والنقص في الافراد الصالحين من المدرء والمختصين وعشرات المصاعب الاخرى التي لا يعلمها الا من يدخل حلبة الصراع.

ومن جانب آخر، فثمة اشخاص مفرضون من انصار النظام الملكي المباد ومن كبار الرأسماليين الذين يمارسون الربا الفاحش وتهريب العملة وسائر الوان التهريب ويرفعون الاسعار بشكل مجحف، ويجعلون فقراء المجتمع ومحروميه في دوامة مهلكة، ويجرون المجتمع الى الفساد، يأتون اليكم ايها السادة بالشكوى والخداع، وأحياناً يعمدون من اجل كسب ثقتكم وتصوير انفسهم بأنهم مسلمون خالصون، الى اعطائكم مبلغاً تحت عنوان «الخمس»، ويذرفون دموع التماسيح، ويشيرون حفيظتكم، ويدفعونكم الى المعارضة، بينما كثير منهم يمتصون دماء الناس بأرباحهم غير المشروعة، ويجرون اقتصاد البلاد الى الافلاس.

اتقدم بنصيحة متواضعة أخوية هي ان لا يقع السادة المحترمون تحت تأثير مثل هذه الاشاعات، وأن يقوّوا هذه الجمهورية من اجل الله ومن اجل الحفاظ على الاسلام. وعليهم ان يعلموا لو أن الجمهورية الاسلامية هذه سقطت، فسوف لا يحل محلها نظام اسلامي يرتضيه بقية الله (المهدي المنتظر) روجي فداه او يطيع اوامرهم انتم ايها السادة، بل سيتولى الحكم نظام يحقق رغبة واحد من القطبين، ويشيع بذلك اليأس بين محرومي العالم الذين اتجهوا الى الاسلام والحكومة الاسلامية وتعلقت قلوبهم بها. وسينزوي الاسلام الى الابد. وانتم ستندمون على افعالكم يوم يكون كل شيء قد انتهى، ولا جدوى حيثذ من الندم. وانتم ايها السادة إن كنتم تتوقعون تحوّل كل الامور وفقاً للاسلام واحكام الله تعالى بين عشية وضحاها فذلك تفكير خاطيء، اذ لم تحدث مثل تلك المعجزة على مرّ تاريخ البشرية ولن تحدث في المستقبل. وفي

ذلك اليوم الذي يظهر فيه المصلح العام ان شاء الله تعالى، لا تظنون أن معجزة ستحدث، وأن العالم سيصلح في يوم واحد. بل بالجهد والتضحيات سيقمع الظالمون ويدفعون إلى الانزواء. وإذا كان اعتقادكم كاعتقاد بعض الجهلة المنحرفين الذين يذهبون من أجل ظهور ذلك (المصلح) العظيم إلى ضرورة السعي لتحقيق الكفر والظلم كي يمتلأ العالم بالظلم، وتوفر بذلك مقدمات الظهور، فإننا لله وإنا إليه راجعون!!

ف - وصيتي إلى جميع المسلمين والمستضعفين في العالم هي انكم يجب أن لا تجلسوا وتنتظروا حكام ومسؤولي بلادكم او القوى الاجنبية ليأتوكم ويتحفوكم بالاستقلال والحرية. نحن وانتم خلال القرن الاخير على الاقل حيث دنست اقدام القوى الكبرى الطامعة كل البلدان الاسلامية وسائر البلدان الصغيرة، شاهدنا او قرأنا في الصحيح من التاريخ أن أية حكومة من الحكومات المسيطرة في هذه البلدان في الماضي والحاضر لم تكن تهتم بحرية شعوبها واستقلالها ورفاهيتها. بل الاكثريه الساحقة منها اما انها مارست هي بنفسها الظلم والاضطهاد بحق شعوبها، وفعلت كل ما فعلت من أجل مصالحها الشخصية او الفتوية او من أجل رفاة الطبقة المترفة المتعالية تاركة الطبقات المظلومة، القابعة في الاكواخ والصرائف، في حرمان من كل مرافق الحياة حتى من الماء والخبز ولقمة العيش، مستخدمة هؤلاء البائسين من اجل مصالح الفئة المرفهة البطرة. او انها كانت عميلة للقوى الكبرى باذلة كل جهدها من أجل خلق حالة التبعية في البلدان والشعوب، جاعلة البلدان - بحيل مختلفة - سوقاً للشرق او الغرب ومحقة بذلك مصالح اولئك (الاسياد) وجاعلة الشعوب متخلفة مستهلكة. ولا تزال هذه المجموعة، مستمرة في خططها.

وانتم يا مستضعفي العالم، ويأيتها البلدان الاسلامية ويا مسلمي العالم، انهضوا واستعيدوا حقكم بكل ما تملكونه من قوة، ولا تهابوا ما تثيره القوى الكبرى وعملاؤها

من ضجيج اعلامي، واطردوا من بلدانكم الحكام المجرمين الذين يقدمون ثمرة كدحك الى اعدائكم واعداء الاسلام العزيز وامسكوا انتم والفئات المخلصة الملتزمة زمام الامور، وانضوا جميعاً تحت راية الاسلام العزيزة وهبوا للدفاع ومواجهة أعداء الاسلام وأعداء المحرومين في العالم. وسيروا قُدماً الى الامام نحو اقامة دولة اسلامية تضم جمهوريات حرة مستقلة. ذلك سوف توقفون مستكبري العالم عند حدّهم، وسوف توصلون كل المستضعفين الى امامة الارض ووراثتها. على أمل تحقق ذلك اليوم الذي وعد الله تعالى به.

ص - في خاتمة هذه الوصية، مرة اخرى اوصي الشعب الايراني النبيل: إنَّ تحمل الصعاب والمشاق والتضحيات والفداء والحرمان يتناسب مع مقدار عظمة الهدف وقيمته وعلو مرتبته. والذي نهضتم انتم ايها الشعب الشريف المجاهد من اجله وتحثون الخطى وقدمتم النفس والنفس من اجله هو اعلى وأسمى هدف ومقصد عُرض ويُعرض منذ بدء العالم في الأزل ومن بعد هذا العالم والى الابد. انه المدرسة الالهية بمعناها الواسع وعقيدة التوحيد بابعادها السامية. انه اساس الخلق وغايته في كل آفاق الوجود، وفي مراتب الغيب والشهود ودرجاتهما. (وهذا الهدف) متجلّ في المدرسة المحمدية على صاحبها وآله افضل الصلاة والسلام، بكل المعاني والدرجات والابعاد. وكل مساعي الانبياء العظام عليهم سلام الله والاولياء الكرام سلام الله عليهم كانت لتحقيق (هذا الهدف)، وبدونه لا يتيسر السبيل الى الكمال المطلق ولا الى الجلال والجمال اللامتناهين. انه هو الذي يجعل «الارضيين» اشرف من «الملكوتين»، وما يتاله الارضيون من السير فيه، لا تناله الموجودات الاخرى في كل ارجاء الخليقة ما خفي منها وما ظهر.

انتم ايها الشعب المجاهد تنضون تحت لواء يرفرف خفاقاً في جميع ارجاء

العالم المادي والمعنوي، وجدتموه أم لم تجدوه. انتم تسلكون طريقاً هو الطريق الوحيد لجميع الانبياء عليهم سلام الله، وهو الطريق الوحيد للسعادة المطلقة. وانطلاقاً من هذا المفهوم استعذب اولياء الله الشهادة على هذا الطريق، ووجدوا الموت الاحمر احلى من العسل، وشبابكم في الجبهات نهلوا جرعة من (هذه النفحة الالهية)، فمهرهم الوجد، وتجلت ايضاً لأمهات (الشهداء) واخواتهم وأبائهم واخوتهم. وعلينا ان نقول لهم بحق: «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً».

هنيئاً لهم ذلك النسيم المنعش لقلوبهم وذلك التجلي المثير، وينبغي ان نعلم أن ومضة من ذلك التجلي مشهودة في المزارع المحرقة والمصانع المتعبة وفي المعامل ومراكز الصناعة والاختراع والابداع، وفي اكثرية ابناء الشعب في الاسواق والمدن والأرياف وفي كل القائمين بامر من الامور من اجل الاسلام والجمهورية الاسلامية وتطوير البلاد والوصول بها الى الاكتفاء الذاتي. وما دامت روح التعاون والالتزام هذه قائمة في المجتمع فان الوطن العزيز سيكون مصوناً من حوادث الدهر ان شاء الله تعالى.

والحوزات العلمية والجامعات والشباب الاعزاء في مراكز العلم والتربية يتمتعون بحمد الله تعالى بهذه النفحة الالهية الغيبية. وهذه المراكز تحت تصرفهم بشكل كامل، ولا تنالها يد المفسدين والمنحرفين بإذن الله.

ووصيتي الى الجميع هي ان تسيروا قدماً نحو معرفة ذاتكم ونحو الاكتفاء الذاتي والاستقلال بكل ابعاده، واضعين الله نصب اعينكم، ومن المؤكد ان يد الله معكم ان كنتم في خدمة الله، وواصلتم روح التعاون من أجل رقي الوطن الاسلامي ورفعته. وانا بما أعهده في هذا الشعب العزيز من يقظة وفطنة والتزام وتضحية وروح مقاومة وصلابة في سبيل الحق، أمل بفضل الله المتعال أن تنتقل هذه المعاني الانسانية الى الأجيال، وأن تثرى جيلاً بعد جيل.

بفؤاد وادع وقلب مطمئن ونفس مبهتجة وضمير ملؤه الأمل بفضل الله
استودعكم ايها الاخوة والاخوات لارحل الئى مقرئى الابدئى. وانا بحاجة ماسة الئى
صالح دعائكم. واسأل الله الرحمن الرحيم أن يقبل عذري في نقص الخدمة وفي
القصور والتقصير. وارجو من ابناء الشعب أن يقبلوا عذري في كل نقص وقصور
وتقصير. وأن يسيروا قدماً بعزم ومضاء، وليعلموا ان ذهاب واحد من العاملين في حقل
الخدمة سوف لا يُخلّ بالسدّ الحديدي الجماهيري إذ أن هناك عاملين ارفع واسمئى
مشغولين في الخدمة. والله يرعى هذا الشعب وكل المظلومين في العالم.

والسلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين

ورحمة الله وبركاته

جمادئ الأولى ١٤٠٣

روح الله الموسوي الخميني

بسمه تعالى

هذه الوصية بعد وفاتي يقرأها على الناس أحمد الخميني، وان تعذّر، يتقبل هذا التكليف رئيس الجمهورية المحترم أو رئيس مجلس الشورى الاسلامي المحترم او رئيس ديوان القضاء الاعلى المحترم وان تعذّر يتقبل هذا التكليف أحد الفقهاء المحترمين في مجلس مراقبة الدستور.

روح الله الموسوي الخميني

بسمه تعالى

أسفل هذه الوصية (المدونة في) ٢٩ صفحة والمقدمة، أذكر بعدة امور:

١ - الآن، إذ أنا حاضر، تنسب إليّ بعض الامور غير الواقعية، ومن الممكن ان يزداد حجمها بعدي، لذلك اؤكد انه لا صحة لما نُسبَ او ينسب إليّ الا ما كان بصوتي او بخطي وتوقيمي بتشخيص من ذوي الخبرة، او ما قلته من خلال تلفاز الجمهورية الاسلامية.

٢ - ثمة اشخاص ادّعوا وانا حيّ بأنهم كانوا يكتبون ما صدر مني من بيانات. أكذب هذا الكلام بشدة، لم يكتب غيري حتى الآن أي بيانٍ من تلك البيانات.

٣ - يبدو أن بعضهم ادعى بأن ذهابي الي باريس كان بوسيلتهم. هذا كذب. انا بعد ارجاعي من الكويت اخترت باريس بعد التشاور مع احمد، اذ كان من المحتمل ان أمنع من الدخول في البلدان الاسلامية. كان اولئك تحت نفوذ الشاه، ولم يكن هذا الاحتمال وارداً في باريس.

٤ - خلال مدة النهضة والثورة ذكرت أسماء بعض الافراد وأثنيت عليهم ثم فهمت بعدها أنهم مرآئون متظاهرون بالاسلام، وأنّ مكرهم قد انطلى عليّ. ذلك الشاء صدر حين كانوا يبدون التزامهم بالجمهورية الاسلامية ووفاءهم لها، ولا يجوز أن تستغل هذه المسائل ومعيار كل شخص هو وضعه الحالي.

روح الله الموسوي الخميني

الهوامش:

(١) الحديث الشريف منقول بألفاظ مختلفة، لكن الروايات متفقة في المقصود، وقد يكون اختلاف الالفاظ بسبب تأكيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من موضع على مفهوم الحديث. من ذلك في «حجة الوداع». روى الترمذي عن جابر قال: رأيت رسول الله في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس اني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي». قال الترمذي: وفي الباب عن ابي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن اسيد. (الترمذي ١٢/١٩٩ باب مناقب اهل بيت النبي وراجع كنز العمال ٤٨/١).

ومن ذلك في «غدير خم». في صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمي والبيهقي وغيرها واللفظ للأول عن زيد بن أرقم قال: «إن رسول الله قام خطيباً بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة... ثم قال: «ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتي...» (صحيح مسلم، باب فضائل علي بن ابي طالب، ومسنند أحمد ٤/٣٦٦، وسنن الدارمي ٢/٤٣١ باختصار، وسنن البيهقي ٢/١٤٨ و٧/٢٠ منه باختلاف يسير في اللفظ. وراجع الطحاوي في مشكل الآثار ٤/٣٦٨). وفي صحيح الترمذي ومسنند احمد واللفظ للاول: «اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (الترمذي ١٣/٢٠١، واسد الغابة ٢/١٢ في ترجمة الامام الحسن، الدر المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى). وفي مستدرک الصحيحين: «كأنني قد دعيت فأجبت، اني تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...» قال

الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. (مستدرك الصحيحين ١٠٩/٣). وقد ورد هذا الحديث بألفاظ اخرى في مسند احمد وحلية الاولياء وغيرهما عن زيد بن ثابت. (مسند احمد ٣٦٧/٤ و٢٧١ وفي ١٨١/٥، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٤٢/٨، وحلية الاولياء ٣٥٥/١ و٦٤/٩، وأسد الغابة ١٤٧/٢ ومجمع الزوائد للهيتمي ١٦٣/٩ و١٦٤).

(٢) الثقل الاكبر هو القرآن الكريم، والثقل الكبير اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) نهج البلاغة، هو ما جمعه الشريف الرضي، ابو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (توفي سنة ٤٠٤ هـ) من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. وشراحه في القديم والحديث يربون على الخمسين، اشهرهم من القدماء: ابو الحسن البيهقي، والامام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، وكمال الدين محمد ميثم البحراني، وعز الدين بن ابي الحديد المدائني. ومن المتأخرين من الشراح: محمد عبده، ومحمد نائل المرصفي، ومحمد جواد مغنية.

(٤) هم الائمة الاثنا عشر، وعددهم منصوص في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما روى عنه ذلك اصحاب الصحاح والمسانيد. روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش». (صحيح مسلم ٣/٦ - ٤، وورد الحديث مع اختلاف طفيف في اللفظ في صحيح البخاري ١٦٥/٤، وصحيح الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من ابواب الفتن، وسنن ابي داود ١٠٦/٣، ومسند الطيالسي، ح ٧٦٧ و١٢٧٨، ومسند احمد ٨٦/٥ - ٩٠ و٩٢ - ١٠١ و١٠٦ - ١٠٨، وكنز العمال ٢٦/١٣ - ٢٧، وحلية الاولياء ٣٣٣/٤).

(٥) المناجاة الشعبانية، هي المناجاة التي روى ابن خالويه أن امير المؤمنين علي والائمة من اولاده كانوا يتلونها في شهر شعبان واولها: اللهم صل على محمد وآل محمد واسمع دعائي إذا دعوتك...

(٦) دعاء عرفة، هو الدعاء الذي رواه بشر وبشير ابنا غالب الاسدي عن الحسين بن علي عليه السلام. وروياً أن الحسين وأهل بيته وقفوا الى جانب الجبل مستقبلين الكعبة، ثم مد الحسين يده كمسكين يطلب طعاماً ثم تلا... «الحمد لله الذي ليس لقضائه داع...» الى آخر الدعاء.

(٧) الصحيفة السجادية (الكاملة) في الادعية تحتوي على واحد وستين دعاءً من ادعية الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. كانت نسخة منها عند زيد الشهيد، ونسخة عند ولد صاحب الصحيفة الامام الباقر، ووصلت باسانيد متعددة لا تقبل الريب.

وما لم يرد من ادعية السجاد في الصحيفة الكاملة جمعه الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملي في الصحيفة السجادية الثانية. واستدرك على الثانية الميرزا عبدالله الاصفهانى، فجمع الصحيفة السجادية الثالثة. وما خلت منه الكاملة وفات على جامعي الثانية والثالثة، جمع الميرزا حسين النوري في الصحيفة السجادية الرابعة. وجمع العلامة السيد محسن الامين العاملي الصحيفة السجادية الخامسة.

(٨) الصحيفة الفاطمية أو «مصحف فاطمة»، هو ليس بمصحف قرآني، بل تضمن علوماً أخرى، قيل انها كانت أمثالاً وحكماً، ومواعظ وعبراً، واخباراً ونوادير (المراجعات، شرف الدين، ص ٣٢٧)، وقيل انه «كتاب تحديث بأسرار العالم كما يعرف ذلك من عدة روايات في اصول الكافي...»

وفيه قول الصادق... «وما أزعَم أن فيه قرآناً» (مقدمة تفسير آلاء الرحمن، الشيخ البلاغي، مطبوعة في مقدمة تفسير شير، ص ١٨). وهذه الصحيفة أو المصحف لم يصل إلينا، والروايات تذكر أنه من مصادر علوم أهل البيت عليه السلام، وانه من المعارف الالهية التي نزلت في بيت النبوة مما سوى القرآن الكريم.

(٩) باقر العلوم، هو الامام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام (توفي سنة ١١٤ هـ) لقب بالباقر أو باقر العلوم، ويكنى أبا جعفر، أو أبا جعفر الاول، الامام الخامس من ائمة اهل البيت، اتاحت له فرصة نشر علوم الاسلام، فأسس مدرسة أهل البيت في الاصول والفروع، وواصل هذه المهمة ابنة الصادق. وعن ابن نعيم في الحلية أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدر ما يجيبه. فقال: اذهب إلى ذلك الغلام نسله واعلمني بما يجيبك. وأشار إلى الباقر عليه السلام فسأله، فأجابه، فاخبر ابن عمر، فقال: انهم اهل بيت مفهمون.

(١٠) نسبة إلى جعفر بن محمد (توفي سنة ١٤٨ هـ)، الامام السادس من ائمة اهل البيت، كنيته ابو عبدالله، ولقبه الصادق، كان اشهر اهل زمانه علماً وفضلاً. قال مالك بن انس امام المذهب:

«ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً. وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد».

وتخرج على يديه من الفقهاء والعلماء جم غفير.

(١١) زينب، هي زينب بنت علي بن ابي طالب عليه السلام. وتعرف بالعقيلة. امها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. شهدت مع اخيها الحسين بن علي واقعة كربلاء، وحملت هي بعده رسالة فضح البيت الاموي. وروي أنها وقفت عند جسد أخيها الحسين الشهيد رافعة صوتها قائلة: اللهم تقبل منا هذا القربان! خطبت في الكوفة والشام، وزلزلت بنشاطها اركان حكم الظالمين.

(١٢) الفقه التقليدي يقصد به الامام - رض - الفقه الاصيل الذي ينهج طريقة السلف الصالح من الفقهاء في الاعتماد على القرآن والسنة وفي تعميق فهم مصادر التشريع. وفي مقابلة الفقه الذي ينهج التسطيح والتميع والاتقاط.

(١٣) الاحكام الالوية، احكام تشريعية، لا يتدخل فيها عنصر الظروف الاستثنائية، والاحكام الثانوية، احكام قررها الشارع المقدس للظروف الخاصة والاستثنائية. والامثلة على ذلك كثيرة لا تحفى.

(١٤) شعائر العزاء، سنة حسنة دأب عليها اتباع مدرسة اهل البيت، لاحياء ذكرى جهاد الائمة وتضحياتهم واستشهادهم في سبيل الله. وفي هذه الشعائر يتحوّل تاريخ الجهاد الدامي لهذه الصفوة المقدسة الى واقع حيّ ملموس متفاعل مع حياة الامة ومشاعرها. ولذلك كانت مجالس العزاء المقامة لاحياء ذكر الحسين الشهيد من اهم قواعد تغذية روح الثورة الاسلامية في ايران.

(١٥) هذه عبارة تواضع من هذا الرجل الكبير - رض - فهو يصف نفسه بأنه طالب حقير، بينما هو العالم الكبير، وكلمة الحقير تعني الصغير. وآثرنا أن نوردتها في الترجمة كما ذكرها الامام الراحل حرقياً.

(١٦) رضاخان، او رضا يهلوي، جاء به المستعمرون الى الحكم سنة ١٩٢٥، لينفذ في ايران ما نفذه اتاتورك في تركيا، لكنه فشل، بسبب مقاومة علماء الدين. فرض السفر الاجباري،

وارغم علماء الدين على خلع الذي الخاص بهم، وهم بتبديل الحرف العربي في اللغة الفارسية الى حرف لاتيني. طرده اسياده بعد أن فشل في تنفيذ مهمتهم سنة ١٩٤١ ومات سنة ١٩٤٤.

(١٧) محمدرضا بهلوي، ويرد اسمه في هذه الوثيقة احياناً مجرداً من اللقب، الشاه الاخير الذي حكم ايران قبل انتصار ثورة الاسلام واقامة الدولة الاسلامية. جاء به الحلفاء الى الحكم سنة ١٩٤١ بعد طرد ابيه. في عصره انحدرت ايران الى هاوية السيطرة الامريكية. فر من ايران سنة ١٩٧٩ اثر تصاعد المد الاسلامي فيها، ومات في مصر سنة ١٩٨٠.

(١٨) كقوله سبحانه: ﴿يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل. الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير﴾ (التوبة / ٣٨-٣٩).

(١٩) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية بلا «متعمداً». البخاري / كتاب العلم، باب اثم من كذب على النبي، وكتاب الجنائز؛ صحيح مسلم / كتاب العلم؛ صحيح الترمذي / كتاب الفتن؛ سنن ابن ماجه وسنن الدارمي في المقدمة؛ مسند احمد / ج ١ / ص ٦٥ وج ٣ / ص ٣-٤-٥.

(٢٠) كقوله عليه السلام في خطبة يستنهض بها الناس حين ورد غزو الانبار بجيش معاوية فلم ينهضوا: ... الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً واعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فولله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الفارات، وملكت عليكم الاوطان...» (نهج البلاغة / ١/٧٦، شرح محمد عبده).

(٢١) الروحانيون، جمع روحاني، وهي كلمة مستعملة في ايران للمشتغلين في حقل الدراسات الدينية طلاباً وعلماء. وهم يرتدون زياً خاصاً يشتمل عادة على العمامة والرداء والعباءة. وفي الترجمة ذكرناهم باسم الروحانيين تارة، واحياناً باسم رجال الدين، واحياناً اخرى باسم علماء الدين.

(٢٢) المشروطة، كلمة عربية تطلق في ايران على الحركة الدستورية التي استهدفت أن تقيد الشاه بشروط الدستور، انطلقت في اواخر العصر القاجاري (١٣١٥ - ١٣٢٥ هـ) ونهض بها علماء الدين من أجل أن يحولوا دون استبداد الشاه. غير أن الحركة انحرفت عن مسارها حينما تمخضت عن مجلس نيابي مملوء بنواب عملاء مهزومين.

(٢٣) خوانين، جمع خان، وهو شيخ القبيلة الحاكم فيها بالقوة والبطش. وكان نظام الشاه يمنح هؤلاء الخوانين امتيازات مالية وادارية كي يحكم قبضته على العشائر عن طريق هؤلاء الظلمة.

(٢٤) الفقيه العادل المتقي البصير بأمر العصر والشجاع القادر على الادارة والتدبير ممن اقرت له اكثرية الامة وقلته قائداً لها، يملك ولاية الامر في الجمهورية الاسلامية، بنص الاصل الخامس من الدستور. وللولي الفقيه صلاحيات بموجب الشريعة الاسلامية، يستطيع أن يمارسها في الظروف الخاصة بها.

(٢٥) الحوزات العلمية: هي مراكز الدراسات الاسلامية الحرة، والطالب فيها يستطيع أن يواصل دراساته حتى يبلغ درجة الاجتهاد. وهي عادة مراكز اشعاع علمي وقيادي في المجتمع الاسلامي. واشهر هذه الحوزات في ايران، حوزة قم العلمية.

(٢٦) حديث الامام - قدس الله سره - عن دكتاتورية الحزب الشيوعي السوفيتي كان قبل البيروستاريكا، ومن المؤمل أن ينال المسلمون في اصقاع البلاد السوفيتية حرية اوفى في عهد الافتتاح الجديد.

(٢٧) أمل، مدينة في شمال ايران قرب بحر الخزر، كان الشيوعيون يعتقدون عليها الآمال، ويعتبرونها قاعدة لانطلاقهم. وبالفعل بدأوا تحركهم فيها في العام الاول من انتصار الثورة الاسلامية في ايران، لكن اهالي المدينة المسلمين الشرفاء خيبروا ظن هؤلاء الملحدين، فقاوموهم مقاومة باسلة، وقتلوا من قتلوا منهم، وسلموا الباقي الى حرس الثورة الاسلامية.

(٢٨) المدرّس، هو آية الله السيد حسن المدرس ولد سنة ١٢٨٧ هـ. دخل المجلس النيابي الثاني بعد حركة «المشروطة» باعتباره مجتهداً مراقباً لقوانين المجلس، ثم دخله نائباً في دوراته الرابعة والخامسة والسادسة. وقاد في الدورة السادسة النضال ضد حكومة رضاخان

يهلوي. كان - رحمه الله - بركاناً في وجه كل خضوع وتنازل امام الاجانب. يقول كلمته صريحة امام الشعب لا تأخذه في الله لومة لائم. استشهد تحت سياط التعذيب في زنزانات رضاخان سنة ١٣٥٦ هـ ق.

(٢٩) ١٤ اسفند = ٥ مارس (اذار). وهو اليوم الذي اعلن فيه ابو الحسن بني صدر، معارضته الصريحة لكل الاجهزة والقوى الاسلامية الملتزمة بنهج الامام، مستظهاً بحماية اليساريين والالتقاطيين، وأحدث بذلك فتنة بدأت في جامعة طهران وانتشرت في الشوارع المحيطة بها، ثم خمدت بسرعة بفضل وعي الجماهير المسلمة.

(٣٠) هذه العبارة كتبها الامام الراحل - قدس سره - بنفسه بعد أن قصَّ عبارة من ذيل الورقة، ووقع أسفلها.

* * *

المحتويات

٧	مقدمة المترجم.....
١٤	الامام في ضمير الشعر العربي.....
٣٢	مقدمة المؤلف.....
	الفصل الاول:
٤٥	مباني الثورة الاسلامية.. رؤية قرآنية.....
	الفصل الثاني:
٥١	الرؤية والموقف.....
	الفصل الثالث:
٦١	العقل والعشق في شخصية الامام.....
	الفصل الرابع:
٦٢	مسافر في وادي العشق.....
	الفصل الخامس:
٩٣	بطل الاسفار الأربعة.....
٩٣	تمهيد بقلم المترجم:.....
٩٦	بطل الاسفار الأربعة:.....
	الفصل السادس:
١٢١	ملائكية الإمام الخميني.....
	الفصل السابع:
١٣٣	شذرات من تفسير سورة الحمد.....

الفصل الثامن:

١٥٣ معراج السالكين في أفق إمام العارفين

١٧٠ الانسجام بين «الشريعة»، «الطريقة» و«الحقيقة» في رأي الامام

الفصل التاسع:

١٧٧ انسجام التعليم والتزكية في رأي الامام الخميني

الفصل العاشر:

١٩٥ الامام والايفاء بالالتزام الثقافي

الفصل الحادي عشر:

٢٠٧ وارث ابراهيم

الفصل الثاني عشر:

٢٢٣ تبعد الكربلائي في الثورة الاسلامية التأثير والتأثر

الفصل الثالث عشر:

٢٣٧ أعمدة الثورة.. أوزاد الامام الخميني

الفصل الرابع عشر:

٢٥١ الامام الخميني .. مجدداً

الفصل الخامس عشر:

٢٦٩ الامام الخميني والحج الابراهيمي

الفصل السادس عشر:

٢٨٥ رسالة الامام الخميني الى آخر الزعماء السوفيت

الفصل السابع عشر:

٣٠٥ مرحلة الايمان في ظلام الاحاد

الفصل الثامن عشر:

٣١٥ الحكومة الاسلامية.. النعمة الكبرى

الفصل التاسع عشر:

الحكومة الاسلامية.. الفلسفة والأهداف..... ٣٣١

الفصل العشرون:

الثورة الاسلامية... طريق الاستمرار..... ٣٥١

الفصل الحادي والعشرون:

خصائص الامام الخميني ومقومات الاستمرار..... ٣٥٩

الفصل الثاني والعشرون:

الامام الخميني.. المجد الأخلاقي والفضيلة..... ٣٧٣

الفصل الثالث والعشرون:

تأملات في وصية الراحل..... ٣٨١

الفصل الرابع والعشرون:

التقلان.. النداء الأخير..... ٣٩٣

المملق الأول:

دعوة إلى الإيمان..... ٤٠٥

المملق الثاني:

نص وصية الإمام الراحل التي تليت في مجلس الشورى..... ٤١٥

الهوامش..... ٤٧٧

